مجلة المجمع العلمي العربي

سل (١٣)

الجزء ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٢ م الموافق ٣ جمادى الاولى ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

فاتحة السنة الثانية

بسم الله وعليه الاعتماد

نستفتح من الله سبحانه باب التوفيق والاعانة . ونفتتح العام الجديد بالحمد لجلاله على ما وفقنا اليه من اتمام السنة الاولى بالجهد المستطاع في خدمة الامة والوطن واللغة . مع ما اعترض في سبيلنا من عقبات التأسيس التي لابد لكل ابتداء منها . ولاسيما أن مجلتنا هي الاولى من نوعها في بلادنا . وتخدم في مباحثها اللغة العربية وآدابها . وتوثق عرى الارتباط وتبادل الافكار بين علماء المشرقيات وعلمائنا . والتراسل بين مجامعهم ومجمعنا .

ولنا الثقة أن يتحفنا أرباب الفضل والعلم بكثير من مباحثهم في هذه السنة مما لا يخرج عن خطة المجلة لننشرها على صفحات مجلتنا مع الشكر لهم .

وعسى أن نتوفق الى اتقان العمل وتكثير الفوائد ولاسيما اذا شد أزرنا اهل الادب بما يفيد اللغة العربية من نتائج افكارهم وآثار اقلامهم .

فنسأل للغة العربية أن يعلي الله منارها ويكثر أنصارها ليكونوا عوناً لنا في ما توخيناه . ولنصيب الغرض الذي قصدناه . والله حسبنا ونعم الوكيل

مد

الاعلام بمعاني الاعلام

٤

الأبجر : البجرة بالضم السُّرة من الانسان أو البعير عظمت ام لا والعقــــدة في البطن والعنق وسمي بها جماعة منهم عبد الله بن عمر بن بجرة ، اسلم يوم الفتح . والباجر المنتفخ الجوف والابجر الذي خرجت سرته والعظيم البطن وحبل السفينة وفرس عنترة بن شداد وسمي به عدة منهم ابجر بن حاجر سمي بالابجر حبل السفينة كذا يفهم من التاج ومتنه وهو ايضاً لقب خدرة جد القبيلة المعروفة من الانصار وبجير كزبير اسم لعدة من الصحابة وغيرهم منهم بجير بن زهير أخو كعب الشاعران المجيدان وهو تصغير ابجر كدريد تصغير ادرد.

استطراد

يقال حدثته بعُجَري وبُجَري أي أطلعته من ثقتي به على معايبي وأصل العجر العروق المتعقدة في الجسد والبجر العروق المتعقدة في البطن خاصة وقال الاصمعي : العجرة شيء يجتمع في الجسد كالسلعة والبجرة نحوها فيراد اخبرته بكل شيء عندي لم استر عنه شيئاً من امري وقال ابن الاثير : العجرة نفخة في الظهر فاذا كانت في السرة فهي بجرة ثم ينقلان الى الهموم والاحزان اه ومنه مايروى عن علي رضي الله عنه انه طاف ليلة وقعة الجمل على القتلى مع مولاه قنبر فوقف على طلحة بن عبيد الله وهو صريع فبكى ثم قال عزّ عليّ أبا محمد ان اراك معفراً تحت نجوم السماء الى الله اشكو عجري وبجري اي همومي واحزاني .

ابرهة : تسمى به جماعة منهم ابرهة بن الحارث الذي يقال له ذو المنار وهو احد التبابعة ملوك اليمن وإنما قيل له ذو المنار لانه اول من نصب المنار في الطريق ليهتدي بها جيشه عند الرجوع من الغزو كافي كتاب اخبار اليمن وابرهة ايضــــاً ابن الصباح من ملوكهم وهو صاحب الفيل المذكور في القرآن كذا في التاج وفيه نظر لان ابرهة بن الصباح هو من ملوك التبابعة الاقدمين وليس هو بصاحب الفيل المذكور في القرآن وانما صاحبه ابرهة الملقب بالاشرم وهـــو الذي خلف ارياط الحبشي في ملك اليمن قبيل البعثة المحمدية اه وانما اخرت ذكره هنا لاني رأيت بعض العلماء وفيهم ابن

دريد يقول ان هذاالاسم حبشي اي فلا اشتقاق له وهو عندي بعيد لان المسمى به عربي محض فاخذت في البحث عن هذه المادة فوجدت في القاموس البره محركة الترارة (اي امتلاء الجسم من اللحم ومنه البرهرهة وهي المرأة البيضاء الشابة الناعمة وبره الرجل كفرح برهاً وبرهانا كلاهما بالتحريك ثاب جسمه بعد علة وابيض وهو ابره وهي برهاء وابره الرجل اذا اتى بالبرهان او اتى بالعجائب وغلب الناس اه فلم لايكون مأخوذاً من احد هذه المعاني وزيدت فيه التاء ولعل الذي دعاهم الى القول بانه حبشي انه اسم ابرهة خادمة النجاشي التي اسلمت وكانت صحابية كما انه اسم لابرهة الاشرم الحبشي .

احجن : بنو احجن بطن من خزاعة واشتقاق احجن من الاذن الحجناء وهي المعوجة وطرفها الى القفا وكل شيء عطفته فقد حجنته وبه سمي المحجن وهي العصا المعطوف رأسها كذا في ابن دريد وفي القاموس شعر احجن متسلسل مسترسل رجل جعد الاطراف .

احنف : الحنف محركة الاستقامة وبه فسر قوله تعالى ملة ابراهيم حنيفاً وقال الراغب هو ميل من الضلال الى الاستقامة ويطلق أيضاً على الاعوجاج في الرجل وهو ان تقبل احدى ابهامي رجله على الاخرى أو أن يمشي على ظهر قدميه من شق الخنصر أو ميل في صدر القدم أو هو انقلاب القدم حتى يصير ظهرها بطنها وقد حنف كفرح وكرم فهو احنف ورجل حنفاء والاحنف لقب صخر بن قيس المكنى بابي بحر تابعي كبير لقب به لحنف كان به قالت حاضنته وهي ترقصه .

والله لولا حنف برجله ماكان في صبيانكم من مثله

والسيوف الحنيفية تنسب له لانه أول من أمر باتخاذها والقياس احنفي توفي بالكوفة سنة ٦٧ وقيل سنة ٧٢ وقال بعض المفسرين انما قيل للمائل الرجل احنف تفاؤلا بالاستقامة التي هي اصل معنى الحنف كذا يفهم من القاموس وشرحه .

الاخدر : اسم بطن من بطون السكاسك من اليمن وهو مأخوذ اما من خدر الليل وهو الظلمة أو من قولهم اخدر الاسد اذا دخل الاجمة فهو خادر ومخدر ومخدّر وفرس كان في الجاهلية صار في الوحش فنسبت اليه الحمير الاخدرية اه من ابن دريد وفي القاموس والخدر الليل المظلم كالأخدر والمكان المظلم وفيه أيضاً مع شرحه وخدرة بلا لام حي من الانصار منهم ابو سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك من مشاهير الصحابة وكان

من نجباء الانصار وعلمائهم توفي سنة ٧٤ وخدرة لقب الابجر بن عوف بن الحارث بن الخزرج وقيل خدرة اسم امه وهوالاصح لان لخدرة اخاً يسمى خدارة ومنهم أبومسعود الخداري الصحابي كما ضبطه ابندريد وقال ابن اسحاق بل اسمه جدارة بالجيم المكسورة وضبطه السهيلي بضم الجيم وقال انه اخو خدرة في بني النجار اه ملخصا .

الاخرم : من الخرم وهو شق وترة الانف التي بين المنخرين والخرمة محركة موضع الخرم من الانف والخرماء الاذن المنخرمة أو المشقوقةأو المثقوبة أو المقطوعة فالاخرم مثقوب الاذنأو من قطعتوترةأنفه وجبللبنيسليم وآخربطرف الدهنا ءاه منالقاموس

أخزم : قال في القاموس الاخزم الحية الذكر قال شارحه نقله الجوهري ونقـــل عن الازهري انكار ذلك وذكر أيضاً في معانيه مالايحسن ذكره وانكره الازهري أيضاً وفي اللسان انه قطعة من الجبل وفي القاموس وجبل قرب المدينة اه وهما اقرب الى التسمية مما ذكر أولاً وأبو أخزم الطائي جد حاتم أو جد جده مات ابنه اخزموترك بنين فوثبوا يوماً على جدهم فأدموه فقال

ان بني زملوني بالدم   من يلق آساد الرجال يكلم
ومن يكن درءٌ بهيقوم   شنشنة أعرفهـا من أخزم

كانه كان عاقاً لابيه وأصل معنى الخزم الشق خزم الشيء يخزمه شكه أي شقـــه والخزامة برة (حلقة) تجعل في أحد جانبي منخر البعير وقيل هي حلقة من شعر تجعل في وترة انفـــه يشد بها الزمام قال الليث ان كانت من صفر فهي برة وان كانت من شعر فهي خزامة وقال غيره كل شيء ثقبته فقد خزمته وسمي بخازم اسم فاعل من خزم عدة لايحصون كثرة وسموا أيضاً خزمة بالتحريك وهي خوص المقل واحدة الخزم بالتحريك قال في الصحاح شجر تتخذ من لحائه الحبال والخزام بائعه وسوق الخزامين بالمدينـــة معروفوتقدم أن اسم خزيمة مصغر خزمةعن ابن دريد وسموا أيضاً خزامة كثمامة رجالاً ونساءً منهن خزامة بنت جهم العبد ربه (من بني عبد الدار) صحابية من مهاجرة الحبشة ومخزوم أبو حي من قريش منهم خالد بن الوليد وبنو مخزوم أيضاً من عبسمنهمخالد بن سنان كان نبياًفيالفترة ذكر عنالنبي صلى الله عليه وسلم أنهقالذاك نبي ضيعه قومه ومنهم حذيفة بن اليمان وان كان معدوداً في بني عبد الاشهل من الانصار

كذا قال بن دريد وسموا المخزم ايضاً وهو المخزم بن سلمة احد بني مازن بن مالك .

الاخطل : من الخطل وهو استرخاء الاذن ومنه قيل لكلاب الصيد خُطْل هكذا قال ابن قتيبة في أدب الكاتب وهو لقب الشاعر المشهور المسمى غياث بن غوث المتوفى سنة ٩٠ قال ابن دريد وانما سمي الأخطل لسفهه واضطراب شعره هكذا قال الاصمعي والخطل الالتواء في الكلام يقال رمح خطل إذا كان شديد الاهتزاز وشاة خطلاء طويلة الاذنين اه وفي أمالي القالي انه انما سمي الاخطل لان ابني جميل تحاكما اليه ايهما أشعر فقال :

لعمرك انني وابني جميل ... وامهما لاستار لئيم

فقيل له ان هذا الخطل من قولك فسمي الاخطل والاستار اربعة من كل عدد قال جرير

ان الفرزدق والبعيث وامه ... وابا البعيث لشر ما إستار

اخفش : الخفش محركة صغر العين وضعف البصر خلقة أو فساد في الجفون بلا وجع ولا قرح أو أن يبصر بالليل دون النهار وفي يوم غيم دون صحو وطير الخفاش كرمان الوطواط الذي يطير في الليل سمي به لصغر عينيه وضعف بصره بالنهار كذا يفهم من القاموس والملقب بالاخفش من النحاة كما في طبقات النحاة اثنا عشر المشهور منهم ثلاثة شيخ سيبويه الذي يقال له الاخفش الاكبر وهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد من أهل هجر ومواليهم اخذ عنه ابو عبيدة وسيبويه وغيرهما ولم اظفر له بتاريخ وفاة والاوسط هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء النحوي البلخي أحد نحاة البصرة وهو تلميذ سيبويه وكان أكبر منه وهو الذي زاد في العروض بحر الخبب توفى سنة ٢١٥ والاصغر هو علي بن سليمان بن الفضل النحوي روى عن المبرد وثعلب وغيرهما توفى ببغداد سنة ٣٥٣

ومـــن معاني الاخفش ايضاً كما في التاج الذي يغمض اذا نظر وقال أبو زيد رجل اخفش اذا كان في عينيه قذى .

الاخنس : من الخنس وهو تأخر ارنبة الانف كما في شرح الحماسة وقال ابن دريد هو ارتفاع ارنبة الانف وفي القاموس وشرحه الخنس والخنوس والخناس مصدر خنس عنــه يخنس كيضرب ويخنس كينصر تأخر كانخنس واختنس وقال الزجاج في قوله تعالى لا اقسم بالخنس الجواري الكنس ان الخنس الكواكب كلها أو السيارة منهــا أو النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد لانها تخنس احياناً في مجراها

حتى تخفى تحت ضوء الشمس وتكنس اي تستتر كاتكنس الظباء في المغار وهي الكناس وخنوسها أنها تغيب كا تغيب الظباء في كناسها وقيل غير ذلك والخنس محركة قريب من الفطس وهو تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الارنبة وقيل هو لصوق القصبة بالوجنة وضخم الارنبة وقيل هو تأخر الانف الى الرأس وارتفاعه عن الشفة وهو اخنس وهي خنساء وقيل الاخنس الذي قصرت قصبته وارتدت ارنبته إلى قصبته وقد سمي به جماعة من الصحابة وغيرهم منهم الاخنس بن شريق حليف بني زهرة قال ابن دريد وانما سمي بالاخنس لانه خنس ببني زهرة يوم بدر فلم يشهد بدراً منهم أحد، وبالخنساء جماعة من النساء منهن خنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية اخت صخر صحابية شاعرة واسمها تماضر وتقدم بيان اشتقاقه في الكلام على مضر .

قيل إنه لم يكن في زمانها اشعر منها ولها مراث واشعار في أخيها صخر مشهورة شهدت القادسية ومعها اربعة بنين لها فلم تزل تحضهم على القتال وتذكر لهم الجنة بكلام فصيح فأبلوا يومئذ بلاء حسناً واستشهدوا فكان عمر رضي الله عنه يعطيها ارزاقهم اه ملخصاً وتوفيت بالبادية في خلافة معاوية رضي الله عنهما نحو سنة ٥٠ ه

الاخيل : الذي فيه خال وهو الشامة السوداء التي في البدن يقال هو اخيل ومخيل ومخيول زاد الازهري ومخول اي كثير الخيلان وهي خيلاء والاخيل ايضاً طائر مشؤوم عند العرب يقولون أشأم من اخيل وهو يقع على دبر البعير ولذلك يتشاءمون به أو هو الصرد الاخضر أو الشاهين سمي به لاختلاف لونه بالسواد والبياض جمعه خيل بالكسر وفي التهذيب جمعه الاخايل وبنو الاخيل من بني عقيل بن كعب رهط ليلى الاخيلية وقد جمعته على الاخايل فقالت :

نحن الاخايل ما يزال غلامنا حتى يدب على العصا مذكورا

الادرم : بنو الادرم حي من قريش الظواهر وهم بنو تميم بن غالب بن فهر بن مالك قيل له الأدرم لأن أحد لحييه انقص من الآخر والنسبة اليه الأدرمي ويطلق الأدرم على المكان المستوي مجازاً كما في القاموس وفيه أن الادرم الذي لا أسنان له (اي كما أن متحطم الأسنان يقال له الأفرم) واصل مادة درم لمعنى الاستواء قال فيه درم الساق كفرح استوى والكعب والعظم واراه اللحم حتى لم يبن له حجم والأسنان تحاتت

ودرم البعير ذهبت أسنانه ودنا وقوعها ودرم القنفذ يدرم من باب ضرب درما قارب الخطو في عجلة ومنه سمي الرجل دارماً وهو دارم بن مالك بن حنظلة ابو حي من تميم كان يسمى بحرا فأتى أباه قوم في حمالة فقال له يا بحر ائتني بخريطة المال فجاءه يحملها وهو يدرم تحتها من ثقلها ويقارب الخطو فقال أبوه جاءكم يدرم فسمي دارماً لذلك ا هـ .

اذينة : كجهينة والد عروة بن اذينة الشاعر المشهور واسم ملك من ملوك اليمن قالوا هو تصغير أذن والاذن مؤنثة والتصغير يرد الاشياء إلى أصولها وقال الجوهري لو سميت باذن رجلاً ثم صغرته قلت اذين ولا تلحقه الهاء أي لأنه مذكر زال عنه التأنيث بالنقل فأما قولهم اذينة في الاسم العلم فانه سمي به مصغراً .

ارحب : قبيلة من همدان من اليمن وهناك أيضاً مخلاف باليمن تسمى باسم هذه القبيلة ومنه النجائب الارحبيات كذا في القاموس ويفهم من كلام الجوهري انها منسوبة الى بني ارحب لا إلى المكان وارحب أيضاً بلد على ساحل بحر اليمن بينه وبين ظفار نحو عشرة فراسخ كما في معجم البلدان وأصل معنى المادة الاتساع رحب الشيء ككرم وسمع رحبا بالضم ورحابة ورحبا فهو رحب ورحيب ورحاب بالضم اتسع كارحب وارحبه وسعه وقولهم في تحية الوارد أهلا وسهلا ومرحباً أي صادفت أو أتيت سعة ومكانا سهلا وأهلا فاستأنس ولا تستوحش قال العسكري أول من قال مرحباً سيف بن ذي يزن ورحب به ترحيباً دعاه الى الرحب والسعة وقال له مرحبا ورحبة المكان بتحريك الحاء وقد تسكن ساحته ومتسعه وقوله تعالى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت أي على رحبها وسعتها وأرض رحيبة واسعة وسمي بالرحبة عدة أماكن وقرى وسموا أيضاً رحبا ومرحبا كمعظم ومرحب كمقعد وأبو مرحب قال الجوهري كنية الظل وبه فسر قول النابغة الجعدي .

وبعض الاخلاء عند البلا ء والرزء اروغ من ثعلب
وكيف تواصل من أصبحت خلالتـه كـابى مرحب

وهي أيضاً كنية عرقوب صاحب المواعيد الكاذبة كذا يفهم من اللسان والتاج وغيرهما ولعل عرقوباً كنى بذلك لكونه كان يكثر من قول مرحب .

للكلام صلة سعيد الكرمي

أُحيحةُ بن الجُلاح (١)

دعيتم أيها السادة لاستماع محاضرة في موضوع تاريخي أدبي . وسيكون المحور الذي يدور عليه هذا الموضوع رجلاً من عظماء عرب الجاهلية اسمه (أحيحة بن الجلاح) .

وإذا كنتم أيها الاخوان لم تستعذبوا هذا الاسم فاني أرجو أن تستعذبوا المسمى . ويعجبكم ما أقصه عليكم من أخباره ومختلف أطواره .

نحن بصفة كوننا عرباً ولنا حرص على لغتنا وآدابها ينبغي لنا أن نتصفح اشعار عرب الجاهلية وما يؤثر عنهم من الأقوال والأمثال . وبذلك نفقه أسرار لغتنا وآدابها ــ وبصفة كوننا مسلمين يجب أن ندرس أخبار العرب التاريخية ، وأحوالهم الاجتماعية . لنعرف ماذا نسخ الاسلام من ذلك وغيره وماذا أبقى وقرر . وفي الكلام على (أحيحة) يمكننا أن نستخرج فوائد من كلتا الوجهتين : الوجهة اللغوية الأدبية ، والوجهة التاريخية الاجتماعية . وهو فوق ذلك يعطينا صورة للنوابغ الذين كان في وسع ذلك المحيط العربي الجاهلي أن يبرزهم للوجود .

إنكم ستعلمون من ترجمة هذا الرجل العربي ــ ان في تاريخ عرب الجاهلية رجالاً كثيرين ذوي أعمال عظيمة وهمم عالية كان الواجب أن يكونوا مشهورين بيننا لكنهم لم يرزقوا السعادة في الشهرة كما رزق غيرهم .

ينبغي أن لا تقل شهرة أحيحة عن شهرة أصحاب المعلقات الذين توصلوا بالشعر وخياله الى تداول أخبارهم فاشتهروا . أما أحيحة فاتكل على التاريخ في نقل خبره . وكثيراً ما يبطيء التاريخ أو يقصر في النقل . وان نسبة التاريخ إلى الشعر في نقل الأخبار كنسبة الابل الى الكهرباء والبخار . وقد ملت الاسماع ترديد ذكر أشخاص من رجال الجاهلية كأصحاب المعلقات وقس بن ساعدة وحاتم طي والنعمان ، أما مثل

---

(١) محاضرة الأستاذ (المغربي) التي ألقاها في بهو المجمع ليلة الجمعة في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩٢١ .

(أحيحة) فان اخباره لم تزل كمعدن ماس ، لم يمسه ماس ، ولم يضرب فيه بفاس .

موطن احيحة ونسبه : موطن أحيحة مدينة (يثرب) في الحجـاز ، وهي التي هاجر اليها نبينا محمد (صلعم) وعرفت بعد ذلك بالمدينة المنورة . وكان سكانها الاقدمون عمالقة ارسل اليهم موسى (ص) على ما قاله مؤرخو العرب جيشاً وامرهم ان لايستبقوا أحداً ممن بلغ الحُلم الا من دخل في اليهودية . فقاتلوهم وقتلوهم كلهم . لكنهم أبقوا على ابن ملكهم وكان شاباً من أجمل الناس ، فعادوا به اسيراً وكان موسى قد قبض قبـل قدومهم ، فقال لهم خليفته يوشع : من هذا الفتى ؟ فاخبروه خبره فقال لهم : ان هذه معصية ارجعوا عن أرض الميعاد . فرأوا أن يرجعوا الى البلد الذي فتحوه فعادوا اليه وأوطنوه

ثم لما حدثت في اليمن حادثة سيل العرم وجلا عنها سكانها الى شمال جزيرة العرب كان فيمن جلا بطون من قبيلة الازد اليمانية وهم الأوس والخزرج . فأموا يثرب ونزلوا فيهـا ، فقاومهم اليهـود في أول الأمر . فاستنصر الأوس والخزرج اليمانيين اخوانهم الذين نزحوا معهم إلى الشمال فاعانوهم عليهم ، واصبحت لهم العزة في يثرب . لكنه وقع الشقاق اخيراً بين الحيين الأوس والخزرج ، وما زالوا في حروب وكروب حتى الف الاسلام بينهم ، وامتنّ القرآن بذلك عليهم .

وكان (احيحة بن الجلاح) سيد قومه الأوس ، ولم يعرف الزمن الذي عاش فيه لكنه كان قبل البعثة بنحو سبعين سنة على الاقل كما سيأتي بيانه . أما اسمه (أحيحة) فهو تصغير (أَحة) بمعنى حرارة الغيظ التي يجدها الانسان في صدره . وقد قال ابن دريد في كتابه (الاشتقاق) انه تصغير (أُحاح) وعلى هذا ينبغي ان يلفظ (احيّحة) بتشديد الياء . وليس كذلك اذ المشهور التخفيف ولا سيما أنه ورد اسمه في الشعر مخففاً كما سيأتي في مدح خالد بن جعفر له . والأح ايضاً مصدر (أح) اذا سعل . ولعل من قال (قح) اي سعل توهم ان (اح) محولة عن قاف كما يفعل في لغتنا العامية إذ تحول القافات الى همزات . او ان (قح) مختصرة من قحب بمعنى سعل ومن هنا سميت القحبة قحبة .

اما أبوه (الجلاح) فهو من الجلح ومعناه انحسار الشعر عن مقدم الرأس ويحتمل ان يكون من الجلاح بمعنى السيل الجراف وهو الذي يجرف كل شيء يصادفه امامه .

كان أحيحة ذا دهاء وعقل ، كما كان ذا جد وعمل . وقد توصل باخلاقه هذه الى ان اصبح من نوابغ رجال ذلك العصر : فكان رجل حرب وكيد ، رجل ادب وشعر ، رجل مال واقتصاد ، رجل تنظيم وعمران . ونعني بالعمران العمران الذي تستطيعه بلاد الحجاز في ذلك العهد

احيحة رجل حرب وكيد : روى مؤرخو العرب ان تبّع الاخير ملك اليمن واسمه (ابو كرب بن حسان) مرّ بيثرب قاصداً الشام والعراق فخلف فيها ابناً له ، ثم بلغه ان اهل يثرب قتلوا ابنه ،فكر راجعاً اليهم مجمعاً على استئصالهم . فنزل خارج المدينة في سفح احد . ودعا اليه أشرافها من الأوس والخزرج ، فقالوا فيما بينهم انه يريد ان يملكنا على أهل يثرب . أما أحيحة فقال لهم والله ما دعاكم لخير . فذهب الأشراف اليه واستصحب أحيحة معه خباء وخمراًوقينة له تسمى (مليكة) فضرب الخباء وترك فيه خمره ومليكة . ثم استأذن على تبع فاذن له . واجلسه معه على زربيّته (بساط منقوش بالالوان جمعه زرابي) وجعل يحادثه ويسأله عن امواله بالمدينة فأخذ يخبره عنها . وتبع يقول له : « كل ذلك على هذه الزربية » ففهم أحيحة من قوله هذا انه يريد قتله .فخرج من عنده الى خبائه وقينته . فنظم لها قصيدة وداعية وجعل يشرب وهي تغنيه بها . ومن هذه القصيدة قوله :

يشتاق قلبي الى مليكة لو أمست قريباً ممن يطالبها
ما أحسن الجيد من مليكة واللبّات إذ زانها ترائبها
يا ليتني ليلة اذا هجع النا س ونام الكلاب ــ صاحبها
في ليلة لا يرى بها أحـد يسعى علينا ــ الاكوا كبها

وهذه الابيات مما كانت تغني به القينات في عهد الخلفاء . ولما نام حرس الملك أزمع أحيحة الهرب . وعلّم قينته مليكة ما تقول لتبع اذا سألها عنه ، ثم انطلق الى حصنه واستعد للدفاع وبعد ان قتل تبع الاشراف الذين دعاهم اليه ارسل حراسه في طلب أحيحة ، فلم يأتوا به وانما اتوا بمليكة . فاخبرته ان سيدها التجأ الى حصنه ، وانه يقول له : « اغدر بقينة او دع » وقد ذهبت كلمته هذه مثلاً في كثير من كلماته

الاخرى . فخاف الملك السبّة والعار بقتلها فتركها وأرسل كتيبة من خيله إلى أحيحة فحاصروه ثلاثة أيام كان يرميهم فيها بالنبل والحجارة نهاراً وبالتمر والزاد ليلا ، فرجعوا إلى الملك وقالوا نحن مافهمنا معنى هذه الحرب التي يقاتلنا فيها هذا الرجل نهاراً . ويضيفنا ليلا فأمرهم بالكف عنه واكتفى بتحريق نخله ، وبقي الملك يقاتل عرب المدينة ويهودها أياماً ثم رحل عنها أخيراً عملا بنصيحة حبرين من اليهود أخبراه انها ستكون مهاجَر نبيّ يظهر في آخر الزمان . وذهب الى مكة فكسا الكعبة البرود اليمانية عملا باشارة الحبرين أيضاً اللذين أخذهما معه إلى اليمن وتهوّد هو وقومه ويقال إن هذا هو أصل دخول اليهودية في اليمن .

هذه خلاصة مارواه مؤرخو العرب عن تبع وحربه في الحجاز وكيف تخلص أحيحة منه بدهائه وشجاعته . ومن ثم كان قومه يشهدون له بانه ادهاهم رجلا .
وكانوا يزعمون أن له تابعاً من الجن يعلمه الخبر ، وذلك لما رأوا من ذكائه وكثرة صوابه . ولعمري ليس تابعه سوى عقله ودهائه . والعرب ان كانوا يقولون ان مع من نبغ من رجالهم جنياً فان الافرنج يسمون الفراسة والذكاء والنابغة المتفوق من رجالهم جيني (Génie) ألا ترون ان بين الكلمتين او بين التسميتين نسباً واضحاً واتصالاً ظاهراً ؟ والعرب ايضاً يسمون الذكي الذي يكثر صوابه ويصدق حدسه (ألمعياً) وقد قال شاعرهم : الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

ويسمون الذي يفوق غيره ولا يملوه شيء عبقرياً . فيحسن بنا اذن ان نعرب كلمة (جيني) الفرنسوية بكلمة (الالمعي) لقربها منها او (العبقري) . هذا اذا لم تعجبنا كلمة (نابغة) .

مامر من حرب أحيحة مع تبع هو من قبيل الحروب الخارجية اما حروبه الداخلية فهي حربه مع بني عمه الخزرج وكيف قهرته السيدة سلمى الخزرجية جدته (صلعم) :

قَتَلَ رجلٌ من الأوس قوم أحيحة رجلا خزرجياً من بني النجار قوم سلمى زوجته فنشبت الحرب من جراء ذلك بين الحيين . وكان أحيحة قائد قومه فعزم على تبييت الخزرج ، وأخذهم على غرة فشعرت بذلك زوجته سلمى بنت عمرو الخزرجية النجارية وكانت امرأة شريفة لا تنكح الرجال إلا وأمرها بيدها : إذا كرهت من رجل شيئاً تركته. فدبرت حيلةأنقذت بها قومها من كيد أحيحة : وذلك أنها في تلك الليلة التي أزمع

فيها زوجها تبييت الخزرج قومها ربطت ابنها عمراً من ذبذبه بخيط وكان فطيماً حتى إذا اوجعته تركته فبات يبكي ، وبات أبوه مؤرقاً يتقلب في فراشه ويقول : « ويحك يا سلمى ما لعمرو لا ينام » فتقول « ما أدري والله ! » . حتى إذا ذهب الليل حلت الخيط عنه ولكنه لم يكد ينام حتى صرخت أمه سلمى : « وارأساه » فقال أحيحة : « شراً ما لقيت في هذه الليلة» وقام إليها فجعل يعصب رأسها ويدلك براحته ظهرها ويقول : ما بك من بأس . حتى، إذا لم يبق من الليل إلا أقله . قالت قم فنم ،فاني أجدني مستريحة . وإنما فعلت ذلك ليثقل رأسه ، ويشتد نومه . فلما استغرق في النوم أخذت حبلاً متيناً وأوثقته برأس الحصن ثم تدلت منه إلى قومها . وأنذرتهم بالذى أجمع عليه أحيحة وقومه من تبييتهم . فحذروا وتأهبوا . ولما جاءهم (أحيحة) لم يقدر أن ينال منهم نيلا . فعاد خائباً وجعل يقول : (آه لك يا سلمى خدعتني حتى بلغت ما أردت) وسماها قومها من ذلك اليوم المتدلية . ولأحيحة في هذه الحادثة اشعار كثيرة كان يعتب فيها على سلمى وسيأتي بعضها . ثم إن سلمى لم تعد إلى أحيحة كما هو شرطها في أن تختار نفسها متى شاءت وبعد ذلك تزوجت بسيد قريش وإمـــام البطحاء (هاشم بن عبد مناف) فولدت له عبد المطلب جد نبينا (صلعم) ومن هنا جاء ما ترونه في السير من أن أبا النبي عبد الله مات في المدينة عند أخواله بني النجار وأن السيدة آمنة كانت تذهب به (صلعم) وهو صغير إلى المدينة فتزيره أخواله بني النجار - يعنون بذلك أخوال جده عبد المطلب من أمه (سلمى) هذه . وإذا كانت سلمى جدة عبد المطلب زوجة لأحيحة فيكون قد عاش أحيحة قبل البعثة بنحو سبعين سنة على أقل تقدير .

ومما له علاقة بأخبار (أحيحة) الحربية تنافسه في اقتناء الدروع واستكثاره من العتاد والسلاح : وقد ذكروا أنه لما قتل خالد بن جعفر العامري زهير بن جذيمة سيد بني عبس عزم ابنه قيس على أخذ الثار وجاءَ المدينة لشراء السلاح والعدة . فأخبر أن عند أحيحة من ذلك الشيء الكثير . وأن لديه درعاً لم يكن في يثرب درع تضاهيها . فطلبها قيس منه فأبى وقال : كيف أعطيكها وخالد بن جعفر الذي يقول :

إذا ما أردت العز في آل يثرب فناد بصوت يا أحيحة فاسمع
رأيت أباعمرو (أحيحة)جاره يبيت قرير العين غير مروّع

ومن يأته من خائف ينس خوفه ومن يأته من جائع البطن يشبع
فضائل كانت للجلاح قديمة واكرم بفخرمن خصالك الاربع

احيحة رجل شعر وادب : مر في الكلام على انه رجل حرب ـ شيء يدل على منزلته من الشعر والادب : من ذلك قطعته الادبية التي غنته بها قينته مليكة وأولها :

مـاالحسن الجيد من مليكة والـ لبات اذ زانها ترائبهـا

وان له كلمات سارت في العرب مسير الأمثال من ذلك قوله للملك حمير بلسان مليكة (أغدر بقينة أو دع) . ومن كان مثل أحيحة في أعماله الحربية كما سمعت وأعماله العمرانية والزراعية والاقتصادية كما ستسمع ـ لا يتيسر له أن ينظم الشعر الكثير . على انه ربما كان له شعر كثير لم ينقل الينا كغيره من فحول شعراء الجاهلية

فمن شعره قصيدته المذهبة المعدودة بين المذهبات في كتاب (جمهرة اشعار العرب لابي زيد القرشي) وقد عد ابو زيد أحيحة في أصحاب المذهبات وقال انهم كلهم من اهل المدينة المنورة . ومطلعها :

صحوت عن الصبا والدهر غول ونفس المرء آونة قتول
ولو أني أشاء نعمت حالاً وباكرني صبوح أو نشيل
ولاعبني على الانماط لعس على افواههن الزنجبيل

ومنها

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل
وما تدري وإن ألقحت شولاً أتلقح بعد ذلك أم تحيل
وما تدري وان أنتجت سقباً لغيرك أم يكون لك الفصيل
وما تدري وإن أجمعت أمراً بأي الارض يدركك المقيل

واشار في هذه القصيدة إلى كيد زوجته سلمى له واحتيالها عليه فقال :

اذا مابت أعصبها فباتت عليّ مكانها الحمى النسول
لعلّ عصابها يبغيك حرباً ويأتيهم بعورتك الدليل

وأشار إلى حصنه فقال :

وقد اعددت للحدثان حصناً لو ان المرء تنفعه العقول
طويل الرأس أبيض مشمخراً يلوح كأنه سيف صقيل

احيحة رجل عمران : بقي علينا ان نتكلم على أحيحة بصفة أنه رجل عمران. ونعني بالعمران هنا القدر الذي يطيقه محيط يثرب في ذلك العهد . فلا يعترضن علينا معترض بانه لايسمى العمران عمراناً الا اذا كان مثل عمران لندره وباريز اليوم !! على أنه لو كان أمثال أحيحة في ذلك العهد كثيرين يسعون سعيه في الزراعة وجمع المال وإنشاء القصور لكان للمدينة شأن آخر غير شأنها المعروف .

(الأُطم) في لغة العرب بمعنى الحصن والقصر العظيم ويجمع على آطام وكان أهل يثرب قبيل الاسلام يبنون آطامهم بالجنادل والحجارة ويتخذونها أحياناً معاقل وقلاع دفاع . كما سمعت في خبر أحيحة مع تبّع . وكانت هـذه الآطام عز العرب ومنعتهم وحصونهم التي يتحرزون بها من عدوهم . ومن أشهر آطام العرب وأعظمها شأناً اطمان كانا لأحيحة أحدهما بناه في المدينة وسماه (المستظل) وهو الذي تحصن فيه حين قاتل ملك اليمن والآخر سماه (الضحيان) وقد بناه في مزرعة له يقال لها (الغابة) وهي على بعد نحو فرسخ من المدينة . وكأنه سماه (الضحيان) لانه ضاح بارز للشمس بخلاف (المستظل) فقد كان مبنياً في ظل المدينة وبين بيوتها .

وبنى (أحيحة) أطمه (الضحيان) بحجارة سوداء ثم بنى من فوقه نبرة بيضاء مثل الفضة . والنبرة كل شيء مرتفع . ثم جعل على هذه النبرة نبرة أخرى مثلها بحيث يراها الراكب من مسيرة يوم أو نحوه قالوا : ولما شيد (أحيحة) أطمه (الضحيان) على هذه الصورة أشرف من فوقه ومعه غلام له وقال (لقد بنيت حصناً حصيناً مابنى مثله رجل من العرب أمنع ولا أكرم ولقد عرفت موضع حجر منه لونزع لوقع الحصن جميعاً) فقال الغلام المسكين انا اعرفه يامولاي واشار اليه فدفعه (أحيحة) من رأس الأطم فوقع ميتاً . وانما قتله إرادة أن لايعرف سرّ ذلك الحجر غيره . وهذا كما حكي عـن سنمار المعمار الذي شيد الخورنق للنعمان وجعـل فيه مثل ذلك الحجر الذي وضع في حصن

(أحيحة) فان النعمان رماه من فوق ذلك القصر فمات لئلا ينكشف سر الحجر . وقد ضرب بسنمار المثل فيقال (جزاه جزاء سنمار) .

وكان من عادة أحيحة أن يجلس في ظل أطمه الضحيان . وكان في أوقات الخوف يرسل حواليه كلاباً له تنبح دونه على من يأتيه ممن لا يعرف . حذراً من عدو يصيب منه غرة . وقد نجته هذه الكلاب مرة من خصمه (عاصم) الخزرجي فانه تسلل إليه ليلا يريد الفتك به . وجعل يرمي للكلاب تمراً فوقفت ساكتة . فأحس (أحيحة) بالشر وأسرع إلى حصنه تحت وابل من السهام وهكذا نجا من الموت الزؤام .

هذه عناية (أحيحة) بتشييد الأبنية أما عنايته بانشاء المزارع والبساتين فعظيمة أيضاً : قالوا كانت له مزرعة تسمى (الزوراء) وأخرى اسمها (الغابة) . وكان له في (الجرف) وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام أصوار من نخل قلّ يوم يمر به الا يطلع عليه . والأصوار جمع صور وهو النخل الصغير ومعنى انه صغير انجنسه صغير أوأنه فسيل يزرع ثم ينقل من منبته الموقت إلى مغرسه الدائم. ومن شعر (أحيحة) في مزرعته (الزوراء) :

إني أقيم على الزوراء أعمرها إن الكريم على الاخوان ذو المال
استغن أومت ولا يغررك ذو نشب من ابن عم ولا عم ولا خال

ولما زار الوليد بن عبد الملك المدينة سأل عن الزوراء هذه وأنشد الأبيات . فدلوه عليها فقال (ان أبا عمرو يراه غنياً بها) فعجب الناس من معرفة الوليد بأخبار العرب حتى علم أن (أحيحة) يكنى (أبا عمرو) .

وكان لأحيحة في مزارعه تسعة وتسعون بعيراً كلها ينضح عليها أي ينقل الماء على ظهورها إلى مزارعه وبساتينه . والبعير الذي ينقل الماء يسمى ناضحاً ويسمى أيضاً (سانية) ومنه المثل (سير السواني سفر لا ينقطع) ولم يقتصر أحيحة في الزراعة على غرس النخيل وإنشاء البساتين بل كانت له حقول يزرع فيها الحنطة بكثرة بدليل قوله:

قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً ورد المدينة عن زراعة فوم

ومراده بالفوم الحنطة وهي لغة للعرب قديمة أو هي لغة بني هاشم وحكوا قولهم (فوّموا لنا) أي اختبزوا لنا خبز حنطة . ولا يمكن أن يريد (أحيحة) بالفوم الثوم

الذي هو معناه أيضاً لأن الثوم لا تزرع منه مقادير كبيرة تغني صاحبها لعدم حاجة الناس إليها بخلاف الحنطة فان الناس يحتاجون إليها فيكثر أرباب الزراعة من زراعتها . وقوله تعالى عن بني اسرائيل (واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) اختلفوا في المراد بالفوم هل هو الثوم أو الحنطة ؟فذهب ابن عباس إلى أنه الحنطة وان العرب تعرفه بهذا المعنى بدليل قول أحيحة « قد كنت أغنى الناس » الخ ولا يعترض على هذا بأنه قرىء في الآية (وثومها) بالثاء مكان (فومها) بالفاء لأنا نقول ان الثاء فيها مقلوبة عن الفاء كما قلبت في (مغافير) و (جدف) فيقال فيها (مغاثير) و (جدث). ثم يقال من جهة ثانية إن الفوم قرن في الذكر بالعدس فيكون ضربا من القطاني يعني الحبوب ولم يقرن بالبصل حتى يكون أخاه الثوم .

أحيحة رجل مال : قالوا : كان (أحيحة) رجلاصنيعاً للمال . شحيحاًعليه . ومعنى قولهم (صنيعاً) انه حاذق بجمعه حريص على تنميته وتكثيره . اذ يقال فلان صنيع اليدين وصناع اليدين يعنون انه حاذق . أما قولهم (انه كان شحيحاً) فلم يريدوا انه بخيل لايجود بالمال . كيف وقد تقدم في خبره مع (تبع) انه كان يحارب عسكره في النهار ويضيفهم بالتمر فيالليل ومر أيضاً قول خالدبن جعفر فيه (ومن يأته من جائع البطن يشبع) فلا جرم أن يكون المراد بكونه شحيحاً على المال انه حريص عليه فلا يدع شيئاً منه يذهب سدى من دون أن يستثمره وينتفع به . وهذا هو الاقتصاد او التدبير المنزلي بعينه .

ومما قالوه عن « أحيحة »أنه كان يتبع بيع الربا في المدينة حتى كاد يحيط باموال أهلها . أي كاد يستولي على أموالهم بتواتر الفائدة وفائدة الفائدة . ومن هذا تعرفون مقدرةالرجل ومهارتهفي كسب المالوالاحتيال علىجمعه ، ومثلهفيذلك كثيرون من سادات العرب واشرافهم في المدينة ومكة قبيل البعثة فقد أكثروا من المراباة حتى كاد الفقراء يهلكون . ولميكنأحد يقرض الفقراء قرضاً حسناً لوجه الله . بل كانوا إذا طلبوا قرضاً من غنيطلب منهم الفائدة بطريقة الربا و كانوا اذا حل الاجل وعجز المدين

الاداء يقول المرابون لهم نؤخر لديكم المال وزيدونا في فائدته فما كانت تمضي سنون حتى يعجز هؤلاء المساكين عن الاداء فيضع المرابون الاغنياء يدهم على عقارهم واموالهم ويستصفونها لانفسهم : حالة مزعجة مخربة للعمران . مقوضة لراحة بني الانسان . جاء الاسلام فانكرها على ذويها . ونعى عليهم فعلهم وقسوتهم . وحضهم على الرفق بالفقراء ورحمتهم . وان يقرضوهم القرض الحسن . وبذلك يعتدل الميزان وتهدأ الاحقاد والاضغان

فالربا في الجاهلية كان مداره انتظار الغني طروء حاجة على الفقير وترقب ضائقته المالية . حتى اذا سنحت الفرصة له استغل هذه الحاجة والفقر من دون رحمة ولا شفقة . ومن العجائب أن يكون الفقر مصدراً للغنى : فقير يحتاج فيقصد غنياً ليشكو له أو ليستقرض منه فينتهز الغني الفرصة فيدينه بالربا ثم يحلبه كل سنة الى أن يترب ولا يبقى عنده شيء . فما أعدل الاسلام وما أرحمه مذ حرم الربا . وانقذ هؤلاء المساكين من براثن اولئك البغاة الظالمين .

هنا ايها السادة نختم القول عن حياة (أحيحة بن الجلاح) الذي تبين لكم بحق انه رجل حرب وشعر ومال وعمران في آن واحد . ومهما سمحت لكم أيها السادة ان تنسوا شيئاً من محاضرتي لا أسمح لكم ان تنسوا (سلمى الخزرجية) التي تدلت من شرفات الحصن الشامخ . وخاطرت بنفسها زاهدة في زوجها وابنها والثروة التي كانت تعيش في ظلها . كل ذلك من أجل سلامة قومها . وتفضيل مصلحتهم على مصلحتها . فعليكم أن تقتدوا بها في حب وطنكم . لا سيما انها ليست غريبة عنكم . بل هي جدة نبيكم .

(المغربي)

اصل هز الايدي عند السلام

كان للرومانيين آلهة اسمها (فيدز) ومعناها الامانة . وكان كساؤها وشاحاً ابيض رمز الحرية وسلامة الطوية وشعارها يدين يمنيين متماسكتين أو فتاتين متصافحتين . فاتخذ اليونان والرومان من ذلك السلام بالمصافحة (أي بهز اليدين) قاصدين بذلك اظهار الاخلاص وحفظ العهود . ثم عمت هذه العادة .

حقائق تاريخية

عن

دمشق وحضارتها

« تتمة المحاضرة التي نشرت في الجزءين الاخيرين من السنة الاولى »

« في صفحة ٣٤١ و ٣٧٠ »

٥ – حضارتها وعمرانها

لقد اسس حضارة دمشق اللوديون أو الروتيون والاراميون والفينيقيون والحثيون والعبرانيون والآشوريون والبابليون والماديون (الفـــرس) والمكدونيون (اليونان) والرومانيون والعرب ومن جاء بعدهم من الأمم الاخرى .

ومما يدلنا على قدم الممالك الاولى ان اسم دمشق والشام ارامي والشاغور (الصغير) والغوطة وقطنا حتي ودمر بمعنى تاماراي الاله القادر فينيقي . وهكذا بقية الممالك التي تعاقبت عليها . على أن الدول اليونانية التي بقيت ٢٤٨ سنـــة والرومانية التي تولت شؤونها ٧٠٠ سنة والعربية التي اتخذت هذه المدينة حاضرتها احدى وتسعين سنة[١] كانت حضارتهم اساساً لما بعدها لانهم استبحروا في العمران .

ومما لا ريب فيه ان حضارة دمشق القديمة كانت وثنية فشيدت فيهـــا الابنية الضخمة منها « هيكل رامون[٢] » ونحتت التماثيل ونقشت الكتابات مما ذكره كثير من مؤرخي العرب وفي مقدمتهم ابن عساكر في تاريخه المطول فانه ذكر وجود تماثيل وكتابات يونانية وكذلك ياقوت في معجمه والارمنازي في تاريخه اذ تعززت حضارتها في عهد السلوقيين خلفاء الاسكندر المكدوني . وفيها محل كان يعرف « بصفة بقراط » حيث كان يجلس هذا الفيلسوف فيه كما قيل .

---

(١) من سنة ٤١ – ١٣٢ هـ الموافقة لسنة ٦٦١ – ٧٤٩ م (٢) كان محل الجامع الاموي الكبير .

ولكن الرومانيين تساهلوا مــع سكان سوريا ولا سيا الفينيقيين والآراميين بعباداتهم فكرموا هياكلهم اخصها هياكل دمشق وبعلبك فامتزجت العبــادات الفينيقية باليونانية والرومانية امتزاجاً تدل عليه الأســاطير القديمــة وتحليل اسماء المدن والقرى الباقية الى عهدنا مما فصلته في كتــابي « تاريخ ســورية الجوفة [1] » فكان الفينيقيون يعبدون عَلْيُون وهو زُحل عند اليونان فكرمه هؤلاء كا كرموا ميترقه الهة الحكمة عند اليونان وهي سيميه عند الفينيقيين . وفي اسمي قريتي (علين) قرب زحلة التي منها اسمها و (بسيمة) في وادي الزبداني وغيرهما دلالة صريحة على هذا الامتزاج .

ولما تنصر اليونان والرومان نقضوا الحضــارة الوثنية و هدموا هياكلها العظيمة وحطموا تماثيلها واستبدلوها بالحضارة المسيحية فعضدتها القبائل المتنصرة ومعظمها كان من غسان وقضاعة واياد من السلائل العربية .

ومن آثار النصرانية فيهــا الكنيسة المريمية الكبرى وهي من بناء اركاديوس قيصر المتوفى سنة ٤٠٨ م ذكرها كثير من المؤرخين مثل ابن عساكر والرحالة ابن جبير ، وخربت مراراً ورممت إلى أن احترقت في حادثة سنة ١٨٦٠م فذهب ما بقي من رونقها القديم طعمة للنار فرممت على طراز حديث ولا تزال المحلة القريبة منها تسمى (القيمرية) وهي على ما يلوح لي بقية كلمتي (ايكوز — ماريا) اليونانيتين اي بيت مريم و كذلك محلة (الآسية) بقية كلمة (كليسية) اليونانية بمعنى الكنيسة . ومنها كنيسة القديس يوحنا (في الجامع الأموي) أيضاً وقربهــا محلة (الكلاسة) ولعلها تحريف اكليسية اليونانية بمعنى الكنيسة أيضاً إلى غيرهــا من الديارات (الاديار) والكنــائس التي في دمشق وخارجها مما وصفه المؤرخون مثل دير خالد أو دير صليبا مقابل باب الفراديس ودير مران ودير هند ودير إيا (ولعلها هي اليوم داريا) . ودير قانون في وادي بردى الغربي

وفي دمشق من هذه الآثار الباقية مقام (بولس) الرسول حيث تدلى من السور لما سجن في دمشق وهو باب مســدود له مقــام . وكذلك محل (حنانيا) الرسول في

---

(١) هو تاريخ مطول في نحو ٨٠٠ صفحة يشتمل على تاريخ وادي العاصي وبردى والليطاني وما اليها .

الزقاق إلى يمين الداخل من الباب الشرقي وفيه كنيسة بيد الآباء الفرنسيسكان وقربها جامع خرب .

ولكن الفرس غزوا هذه البلاد ولا سيا نحو سنة ٥٤٠ م فخربوا ابنيتها وغيروا اسماء مدنها[1] بلغتهم وصادروها حتى كاد ذكرها يمحى .

ولما فتحها العرب سنة ١٤ هـ « ٦٣٤ م » اشتهرت حضارتها في عهدهم ولا سيا في زمن الدوله الاموية التي اتخذت دمشق حاضرة لها فصكت فيها أول النقود العربية بزمن عبد الملك بن مروان . وانشأ معاوية الاسطول المؤلف من ١٧٠٠ سفينة مجهزة بالاسلحة والجنود وزعه في سواحل الشام والمغرب والاندلس . وذكر ابن النديم في الفهرست : ان اول من حفل بجمع الكتب من امراء المسلمين خالد بن يزيد الاموي فانشأ « مكتبة » في هذه الحاضرة وامر بترجمة كتب الطب والكيمياء من اليونانية والقبطية فانشأ « دار الترجمة » وكان عنده راهب مسيحي يتولى ذلك . ولقد ظهر في قبة الجامع الاموي كتب وأوراق قديمة على رقوق بالعربية والسريانية والعبرانية والقبطية واليونانية نقلت إلى المانية وبعضها في متحفنا السوري في دمشق[2] . ثم بنى الوليد الجامع الاموي الشهير بفخامته ورونقه وانفق عليه خراج مملكته تسع سنوات مما تعادل قيمته الف الف ريال من نقودنا اليوم . وذكر ياقوت الحموي وغيره : انه تم عمله في تسع سنوات كان يشتغل فيها عشرة آلاف رجل كل يوم يقطعون الرخام . ولما شكا الناس من انفاقه هذا من بيوت مال المسلمين اجابهم : تقولون وتقولون وفي

(١) لقد مر بنا في القسم المنشور في السنة الماضية من تسميات الفرس «جلق» و«جوبر» صفحة ٣٤٦ و ٣٤٩ وبقيت اسماء كثيرة منها اسم « الزبداني » ومن رأي صديقي الأستاذ انيس افندي سلوم انه فارسي مركب من كلمتي « سيب » بمعنى رائحة التفاح و « ستان » محل أي مغرس التفاح فحرف بالزبداني . ويعضد ذلك قول العرب : من زار الزبداني فاحت منه رائحة التفاح . وقيل ان الاسم عبراني بمعنى الهبة مثل كفر زبد وزبدل ويزبدين في انحاء سورية ولبنان .

(٢) راجع صفحة ٣٩٥ من سنة المجلد الأول .

بيت مالكم عطاء ثماني عشرة سنة اذا لم تدخل لكم فيها حبة قمح . فسكت الناس . وقال الجاحظ في كتاب البلدان : وهو مبني على الاعمدة الرخام طبقتين التحتانية اعمدة كبار والتي فوقها صغار ، في خلال ذلك صورة كل مدينة وشجرة في الدنيا بالفسيفساء والذهب الاخضر والاصفر . فاذهب حريق سنة ٤٦١ ﻫ رونقه . وقد توالت عليه الحرائق فشوهت محاسنه وفي حريق ماحوله في ٢٦ نيسان سنة ١٩١٢ م ظهر كثير من الاعمدة الكبيرة التي كانت حول الهيكل وجدران رومانية كثيرة .

ولقد شيدالوليد أبنية اخرى فاستقدم الصناع الى دمشق من بزنطية (القسطنطينية) ومن العجم وغيرهما فاشتهرت فيها الصناعات النفيسة منذ ذلك العهد ولا سيما الترصيع بالفسيفساء . ومن الابنية التي شيدوها بيت المال والدار الخضراء الى جنوبي الجامع وبلاط معاوية ودار سليمان بن عبد الملك ودار عمر بن عبد العزيز ودار هشام ودار ابنه مسيلمة وهذه كلها حول الجامع الكبير ايضاً . وعقد الوليد ميداناً لسباق الخيل كما هو جار اليوم عند الافرنج ولا يزال ذلك المضمار الى يومنا يعرف (بالميدان) وهو من احياء المدينة المشهورة في غربها الجنوبي .

وحوّلت الدواوين من اليونانية الى العربية فرتبت على نمط جديد ووضع ديوان الختم وحزم الكتب والبريد وغيرها .

وكان اليمنيون الذين احتلوا دمشق منذ القدم قد نقلوا اليها صناعة الشفار والنصال اي السيوف وهم مشهورون بهافاتقنها الدمشقيون على يدهم وذاعوا بهاشهرة فكانوا يستخرجون حديدهم من ضواحي المدينة ولا سيما من داريا حيث آثار المعامل . ولاتزال محلة المسبك في احياء النصارى من شرقي المدينة تدل على سبكه وكذلك اسم بني المسابكي من اسرها المسيحية . واشتهر فولاذ دمشق بغرابة سقايته وصلابته ورونقه حتى يقال ان بني (بولاد) الاسره المسيحية اشتهرت بصنعه فنسبت اليه ، ولهم حارة باسمهم ولعلها كانت معملا لصنعه .

ولقد كثرت معامل السيوف في دمشق ونسب الى هذه الصناعة بنو السيوفي من مسلمين ومسيحيين ونقل الصليبيون الى بلادهم سر هذه الصناعة ولا سيما عمل الجوهر .

وبقي الدمشقيون متفوقين بها على الجميع الى ان سباهم تيمورلنك في أوائل القرن الخامس عشر فامات هذه الصناعة هنا واحياها في العجم .

ومما كان مشهوراً في دمشق القاشاني نسبة الى مدينة قاشان وهي قرب اصفهان العجم كان أهلها قد ورثوا عن البابليين هذه الصناعة فاشتهروا بها ونسبت الى مدينتهم ولقد دلت الآثار القديمة المحفورة في فلسطين ان الكنعانيين عرفوها ومن هذه الصناعة بقايا في بعض الجوامع والحمامات وفي متحفنا . وكذلك الفسيفساء وهي نقوش من الزجاج الملوّن المرصوف على الجدران والسقوف وفي القبة الظاهرية ابدع مثال لها بالوان جميلة واصباغ مزخرفة ورصف يأخذ بمجامع الابصار .

وكذلك الميناء أي جوهر الزجاج واتجر بها الدمشقيون من العجم ولها بقايا تدل على اتقانها هنا . وتزويق الجدران والسقوف بالنقش والاصباغ وفي دار اسعد باشا العظم امثلة رائعة منه . وكذلك الزجاج الذي وصفه كثير من المؤرخين والرحالة . والخزف المنقوش . وترصيع الآنية المعدنية بالذهب والفضة وقد اشتهرت في زمن الملك الظاهر البندقداري في القرن السابع للهجرة والترصيع بالصدف والقطع الملونة على الخشب . وفي معمل النعسان في الباب الشرقي امثلة رائعة من هذه الصناعة . وعرف الدمشقيون نسج الديباج وغيره من صناعة الورق والصباغ وغيرهما مماله بقية قليلة الآن لها بعض مزايا الاتقان . ولعلي افرد محاضرة خاصة لصناعات دمشق ومزاياها المشهورة باكثر تفصيل وأدق استقراء .

اما تجارة دمشق فانها بعد سقوط تدمر محط رحال القوافل التجارية بين الشرق والغرب تحولت الى هذه الحاضرة ولا سيما تجارة الهند والعجم والعراق وخافت تدمر (ملكة البر) واشتهرت بنتاج أرضها الخصيبة فتوطدت فيها دعائم العمران واهمها الزراعة والصناعة والتجارة . فقصدها تجار اوربة وغزرت ثروتها . فضلاً عن انها كانت مجتمعاً للحجاج الذين يذهبون الى القدس الشريف والى مكة المكرمة والمدينة المنورة في طريقها البرية . وبقيت مزهرة في تجارتها إلى ان فتحت ترعة السويس في اواسط القرن التاسع عشر الماضي فانحطت تجارتها وقل عدد الحجاج الذين يقصدونها لسهولة الطرق البحرية وتحويل القوافل البرية الى بواخر بحرية .

وكانت للامويين مجالس ادب مـــع شعرائهم وعلمائهم ومحاضرات ومساجلات ومكاتب ومتاحف لطرائفهم واشتهر كثير من النساء بادبهن الرائع في ذلك العصر وبينهن الخطيبات والشواعر اللواتي جالسن العلماء مثل سكينة ابنة الحسين التي انتقدت الفرزدق وجريراً واثنت على كثير وجميل . وصديقتها ام البنـــين زوجة الوليد التي ساعدته بتعزيز العدل والشفقة على الرعية وشاركته في السياسة والآداب بحصافة عقلها . فكانت له الآراء السديدة . ورابعة العدوية المشهورة بزهدها وبرها وادبها الى غيرهن ممن كانت بيوتهن مجالس ادب وسوق عكاظ للغة والشعر .

هذه لمعة من الحضارة الاموية في دمشق تشعب منها كلام الى ما بعدها لعلاقتـــه بها . على انه لما اضطرب حبل الامويين بظهور السفاح العربي حمل عليهم وخرب دورهم وشتت شملهم فمحا كثيراً من آيات حضارتهم التي انتقلت الى الاندلس واوربة وازهرت طويلا فيهما .

ولقد حل في دمشق المأمون بن هرون الرشيد العباسي مرتين . والخليفة المتوكل الذي نوى نقل دواوينه اليها ثم نقض ما ابرمه من هذا الرأي لاسباب لا محل لتفصيلها .

ودخلها سيف الدولة بن حمدان يتولى شؤونها سنة ٣٣٤ هـ فحدثت له في الغوطة ما اوغر عليه صدر الدمشقيين فرفضوه واليك القصة : لما ملك سيف الدولة دمشق خرج يتنزه في غوطتها مع الشريف العقيقي (صاحب الدار التي هي اليوم المكتبة الظاهرية) فقال له الملك : ماتصلح هذه الغوطة الا لرجل واحد . فقـــال العقيقي : هي لاقوام كثيري العدد . فقال سيف الدولة : لو أخذتها القوانين السلطانية لتبرأوا منها . فاعلم العقيقي الدمشقيين بالخبر . فتغيروا على سيف الدولة . وكاتبوا كافوراً يستقدمونه اليهم فجاء واخرج سيف الدولة منها .

وكانت بغداد في هذه الفترات تنازع دمشق الحضارة وتنافسها في التجارة وتقف في طريق عمرانها اقتصاصاً من الامويين الذين شيدوا حضارتها ورفعوا اعلام مجدها فتقهقرت وانحطت مدة طويلة .

فلما صارت شؤونها بيد الدولة الايوبية ورأسهـــا السلطان صلاح الدين الشهير ارتفع منار حضارتها وتبسط عمرانها واتسع نطاق مجدها فاسست فيها المدارس الكبيرة

والمستشفيات والمياتم واختلف إليها العلماء والأطباء والصيادلة. حتى كان عدد مدارس القرآن الشريف سبعاً والحديث ثماني عشرة والشافعية سبعاً وخمسين والحنفية احدى وخمسين والحنابلة عشراً والمالكية أربعاً والطبية ثلاثاً . وكان فيها البيمارستان النوري وصيدليته . وبين تلك المدارس تسع أسستها فاضلات النساء من المالكات والأميرات . ذلك فوق ما كان فيها من الربط والخوانق والزوايا والمستشفيات . مما له بقايا دارسة واطلال عافية .

وشيدت فيها الدور الفخمة والقصور الشامخة . وأنشئت المكاتب الغاصة بالكتب المخطوطة النادرة ولا سيما في المدارس المذكورة ونبغ منها العلماء والشعراء والأدباء والمؤلفون على اختلاف أزمانهم ومراتبهم .

واشتهر فيها ملوك وأمراء رفعوا اعلام حضارتها بأبنية منيعة مثل الملك الظاهر والعادل وتنكز والاشرف ومصطفى لالا باشا ومراد باشا وسنان باشا . فكانت دولة المماليك المصريين التي أولها الملك الظاهر بيبرس البندقداري والجراكسة الذين أولهم الظاهر برقوق والعثمانيين الذين أولهم السلطان سليم وأمراء القيمرية كلهم يحبون العمران .

ومن متأخري هؤلاء الأمراء الحكام آل العظم الكرام فانهم ولعوا بالعمارة فشيدوا القصور الباقية وعززوا المدارس وجمعوا المكاتب فكان منهم بضعة عشر والياً في أنحاء سورية ولا تزال اثارهم تحدث بمجدهم الباقي مثل دار أسعد باشا وبعض أبنيتهم وكتب المكتبة الظاهرية المطرزة بأسمائهم وأوقافهم .

واشتهر بين الدمشقيين من أرباب الصناعات الأخرى والحذق من ذاع اسمهم في التواريخ وحفظت آثار أعمالهم شاهدة على براعتهم ولا سيما في صناعة الساعات التي تفوقوا فيها ومن قدمائهم الذين ذكرهم ابن أبي اصيبعة في كتابه (الحكماء) مهذب الدين أحمد بن الحاجب الدمشقي فانه كان قوي النظر في صناعة الهندسة وخدم في الساعات عند الجامع . وكذلك فخر الدين الساعاتي الذي عمل الساعات عند باب الجامع الأموي في دمشق . وممن ذكرهم غير ابن أبي اصيبعة علي بن عريف النحاسين الدمشقي النحاس الذي ركب مواد انفجارية نسف بها الأبراج الصليبية في حصار عكاء .

ولقد انتابت دمشق الحرائق والزلازل والفتن والفتوق وغيرها من النكبات فمحت

كثيراً من آثارها . ودفن معظم عمرانها القديم في الشوارع والبيوت فاذا أريد اظهاره احتيج إلى نسف الأماكن وتقويض الأبنية لاستثارة دفائن مجدها القديم . ويكفيها انها كانت آية البناء الشرقي قائمة على أجمل طراز هندسي أشبه بمدينة تدمر الشهيرة أيام عمرانها فكانت دمشق بيضية الشكل مستطيلة يحدق بها سور عظيم منيع ويخرقها من الشرق إلى الغرب الزقاق المستقيم وهو السوق القائمة من باب الجابية إلى الباب الشرقي وطولها نحو ميل وكان على جانبيها رواقان قائمان على الأعمدة الضخمة وبين الواحد والآخر نحو اثنتي عشرة ذراعاً ففي الرواقين تسير المارة وفي الشارع العريض بين الرواقين تسير العجلات والحيوانات ولا تزال بعض هذه الأعمدة بين البيوت ومنها اثنان في باب جيرون (النوفرة) إلى يومنا . ولما حفر أساس الثكنة في حي النصارى الممتدة إلى باب توما سنة ١٨٦٢ ظهرت آثار أعمدتها . وكذلك شارع طويل تحت الأرض من مأذنة الشحم إلى الباب الشرقي بأعمدته وهندسته . وكان عند مأذنة الشحم ملعب روماني مدرج (امفتياتر) . وكان الجامع الأموي في قلب المدينة وحوله سور له أربعة أبواب معروفة بقي منها باب البريد في غربيه وباب جيرون (النوفرة) في شرقيه . وهناك أعمدة ضخمة بديعة . وكان للمدينة ثمانية أبواب في كل جهة بابان حتى قيل فيها :

دمشق في أوصافها جنة خلد زاهيه
أما ترى أبوابها قد جعلت ثمانيه

وكانت سوق باب البريد أجمل أسواق المدينة عمر في وسطها مراد باشا قبة جميلة قائمة على أعمدة عظيمة عليها كتابات وأشعار بالعربية والكوفية :

ووصف مؤلف محاسن الشام أبواب المدينة بقوله : وغالب هذه الأبواب القديمة بنى عليها نور الدين الشهيد منابر على مساجد وجعل لكل باب باشورة كالسويقة بها حوانيت مملوءة بالبضائع فاذا حصنت المدينة وأقفلت الأبواب ، يستغني أهل كل باب من هذه الأبواب بما عندهم .

وأمام السور في شرقي المدينة بين الباب الشرقي ومقام الشيخ أرسلان بيت (نعمان السرياني) وهو مجذَمة اليوم (مستشفى للجذام) وفي صدره أربعة أبواب ضخمة منحوتة

الحجارة وبينها قنطرة وفيه مجذومو المسلمين . والمروي في التوراة ان نعمان هذا كان ابرص أو مجذوماً فقصد ايليا النبي مستشفياً فقال له اغتسل بالاردن . فقال له : عندي ابانة (بردى) وفرفراي (الاعوج) ومعناه السريع وعاد إلى بلده . وفي داخل الباب الشرقي مجذمة (القماطلة) المسيحيين أيضاً وهم المجذومون الذين تسميهم العامة بهذا الاسم (مقعطل) أو (مقلمط) وهي الحظيرة الآن .

وفي أحياء المدينة آثار ابنية مثل الجامع المعلق قرب المناخلية وكتابات كثيرة ولا سيما حول الجامع وفيه . واعمدة ومدافن للصالحين والمشاهير واضرحة للعلماء في الجهات ما عدا غربي المدينة فانه لم يدفن فيه صحابي .

ومن أهم ما فيها هندسة مياهها وتوزيعها على بيوتها واحيائها توزيعاً ذا اصول بضبط واتقان فتدور المياه باقنية واتابيب ناقذة من دار الى اخرى بنظام معلوم وعند آل الشطي في المدينة اصل قاعدة تفريع المياه وتقسيمها يعتمد عليه من يتولون اصلاحها والمياه متفرعة من سبعة أنهر هي أقسام بردى النهر الكبير الذي يتخلل المدينة بفروعه .

وفي هندسة ساعاتها القديمة ومزاولها وابوابها ونقوشها ما يشهد بعمرانها . وقد وصف بعض المؤرخين ساعة من ساعاتها عليها عصافير من نحاس ووجه حية من نحاس وغراب فاذا مضت ساعة من الوقت خرجت الحية وصفرت العصافير ونعب الغراب وسقطت حصاة . وباب الساعات من أبواب الجامع يسمى اليوم باب الزيادة

وسور المدينة ضخم تظهر بقاياه في بعض ارباض المدينة وحوله خندق عميق للحصار فضلاً عن أبراجها وقلعتها وآثارها ومرصدها الفلكي على جبل قاسيون الذي اشار ابن القفطي في تاريخ الحكماء الى الرصد فيه . ودار العدل التي شيدها نور الدين الشهيد للنظر في ظلم عماله للرعية وكان يجلس فيه لاستماع المظالم والشكاوي وهي الآن قصر المشيرية . وكذلك دار السعادة وغيرها .

ولقد نقلت الدول التي توالت عليها كثيراً من آثارها وطرائفها ومكاتبها فجمعت تلك البقايا اليوم في متحفة هذه المدرسة المعروفة بالعادلية وفي المكتبة الظاهرية ازاءها .

وفي اوائل القرن العاشر للهجرة احترقت سوق باب البريد وأبواب الجامع الكبير كما ذكر النجم الغزي في الكواكب السائرة وتوالى الحريق مراراً قبل ذلك الوقت وبعده

وضربت دمشق ضربات كثيرة منها المظالم التي اجتاحتها سنة ٤٦١ هـ بزمن ولاية الأمير حصن الدولة الكتامي فجلا السكان عنها وأقفرت وخلت الغوطة من فلاحيها فلما حكم صلاح الدين ونور الدين أبطلا المكوس والمظالم وخففاها عن عاتق السكان فجدد عمرانها بعودتهم إليها .

أما عمرانها فانها اشتملت على غوطة عدت من متنزهات الدنيا الأربعة فكان عدد بساتينها في القرن الثامن مائة وواحداً وعشرين ألف بستان كما ذكر شيخ الربوة في كتابه على انها لا تتجاوز اليوم الألفين عداً . وهي التي وصفها المأمون العباسي بقوله : انها خير مغنى على وجه الأرض . وفيها المياه الغزيرة والسهول الفسيحة والخصب الطبيعي فحبذا لو اشترك معه الخصب الصناعي .

ولقد كان خراج دمشق على عهد معاوية أربعمائة ألف وخمسين ألف دينار . وكان ارتفاع دمشق سنة ٢٠٤ هـ ثلث مائة ألف وستين ألف دينار . وفي زمن المأمون كان خراجها أربع مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار .

فلقد كانت المظالم والتضييق على الفلاحين من أسباب تأخر زراعتها واعراض المواطنين عن معاضدة صناعاتها وحصرها باسر معلومة انقرضت أو أهملتها من أهم الضربات في تأخر الصناعة ومنافسة المدن والثغور لها بانحطاط تجارتها . ومعلوم أن التجارة تقوم بجناحيها اللذين هما الزراعة والصناعة فصارت مهيضة الجناح متأخرة .

ولعلنا نتسابق إلى رفع شأن أسباب العمران فنعيد إلى هذه المدينة القديمة مجدها أو شيئاً منه بمعاضدة رجال الدولة المنتدبة والحكومة الوطنية وأرباب النهضة استعادة لنجاحها الغابر وتوطيداً للمدنية الحديثة فيها والله ولي التوفيق بمنه وكرمه .

عيسى اسكندر المعلوف

الطبيبان

قال ابقراط : الطبيب الحاذق يصير بحذقه السم دواء نافعاً . والجاهل يصير الدواء سماً ناقعاً .

عثرات الاقلام

- ٦ -

وقولهم (وكان الاحتفال عظيماً ليس فقط في باريز بل في كورسيكا أيضاً) فقط بمعنى (فحسب) وبمعنى (انته) والأمر بالانتهاء عن الزيادة على الشيء انما يكون بعد ذكر ذلك الشيء ولا معنى لتقديمه عليه فالأفصح أن يقال (ليس في باريز فقط بل في كورسيكا) أيضاً على أن استعمال (فقط) في كلام بلغاء الكتاب انما يكون في الاثبات لا في النفي فيقولون (رأيته مرة فقط) أي مرة واحدة لا غير . يقولون (الرزق بيد الله فحسب) .

ومنها قولهم (وقد أعيد المأمورون المرفوتون إلى وظائفهم) الرفت كسر الشيء ودقه ولا يصح جعل المأمور مكسوراً إلا بتأويل فالأحسن أن يقال (المأمورون المعزولون أو المنحون) على أن استعمال المأمورين بمعنى العمال أو الموظفين حديث .

ومنها قولهم (سأله عن قدر المشتروات في هذا الشهر) وصوابه المشتريات بالياء لا الواو لأن أصل الفعل يائي (شرى يشري) .

ومنها قولهم (زاد عليه من عندياته كذا و كذا) صوابه من عنده أو من نفسه أو من عند نفسه .

ومنها قولهم (وقد تناول طعام الغذاء على مائدة دولة الحاكم) ومرادهم بطعام الغذاء بالذال المعجمة (طعام الغداء) بالدال المهملة وهو الطعام الذي يكون وسط النهار وكلمة الغذاء (بالمعجمة) بمعنى تغذي الجسم ولا يليق ذكرها في هذا المقام وانما اللائق أن يقال (طعام الغداء) بل الأفصح أن يقال (تناول الغداء) من دون التصريح بالطعام لأن الطعام داخل في معنى الغداء .

وقولهم (وقد رضخ الثائرون للقوة) صوابه خضع أو انقاد الثائرون للقوة لأن رضخ معناه كسر و (رضخ له) اعطاه يسيراً و (رضخ به الأرض) جلده بها .

وقولهم (يجمل التمليق وسيلة لارضاء الحاكم عنه) التمليق مصدر ملّق كفرّح ولم يرد هذا الفعل من هذا الباب وانما ورد (تملقه) و (تملق له) تملقاً وورد أيضاً (ملِق له ملَقا) ثلاثياً فالصواب أن يقال (يجمل التملق) أو الملق الخ .

وقولهم (فلان شديد الحماس وافر النشاط) صوابه الحماسة بالتاء .

وقولهم (وكانت القره قولات العسكرية تؤدي للحاكم التحية) صوابه المخافر أو المسالح جمع مسلحة وهي المكان فيه سلاح والقوم معهم سلاح للمحافظة أو يقال مكان (القره قولات) المراقب جمع مرقبة ومرقب وهو الموضع الذي يقيم فيه الحراس .

ويقولون (اتخذ فلان لنفسه مهنة المحاماة أو التعليم أو الصحافة) وصوابه أن يقال صناعة المحاماة الخ لأن المهنة من مادة المهين والامتهان وفيها معنى الحقارة فالمهنة ما كان حقيراً من الأعمال والصناعات وقريب منها (الحرفة) فالأجدر اذن أن تستعمل (الصناعة) فيما كان شريفاً من الأعمال و (المهنة) فيما كان خسيساً و (الحرفة فيما كان بينهما) .

مكتبة باريس الوطنية

أنشئت سنة ١٦٤٥ م وكان فيها عند انشائها ١٨٢٠ كتاباً فصار فيها سنة ١٨٩٨ نحو ثلاثة ملايين مجلد وهي من أعظم مكاتب الدنيا واغناها بالنفائس ، أول من افتكر بتوسيعها الملك فرنسيس الأول فأمر بنسخ الكتب الموجودة في عصره بأية لغة كانت وأمر المطابع أن تقدم من كل كتاب يطبع فيها نسخة واحدة والفضل في تأسيسها للملك لويس الرابع عشر .

والمكتبة ذات غرف فسيحة للمطالعة والادارة والنسخ وطول أرضها ٢٣١ ذراعاً وعرضها ٥٦ ذراعاً وهي مفتوحة للعموم يومياً ومنذ بضع سنوات كان عدد كتبها ٣ ملايين كتاب منها ٧٥٠ ألف مخطوط قديم و ٣٠٠ ألف مخطّط (خارطة) وكتبها العربية المخطوطة نحو سبعة آلاف بينها نفائس ذات قيمة علمية وأدبية وتاريخية ونوادر قلما توجد في غيرها .

وعدد كتبها الآن هو ضعفا ما في المتحف البريطاني في لندن لأن من نظام مكتبة باريس الجديد ان كل مؤلف أو طابع يجب أن يقدم لها نسختين من كل كتاب . وأما في لندن فلا يقدم إلا نسخة واحدة .

مقتنيات المجمع

معجم طبي فرنسي وعربي = جمع فيه مؤلفه محمود رشدي البقلي الطبيب المصري الاصطلاحات الطبية وطبع بالمطبعة المشرقية في باريس سنه ١٢٨٦ هـ بمجلد واحد صفحاته ٣٥٨ .

معجم الكتاب المقدس (أي التوراة والانجيل) = للدكتور الجراح جورج بوست المتوفى سنة ١٩٠٩ في بيروت . فسّر فيه ما جاء في العهدين من الاعلام والحوادث في مجلدين الأول طبع سنة ١٨٩٤ بمطبعة الأميركان في بيروت وصفحاته ٦٥٥ والثاني طبع سنة ١٩٠١ في ٥٥٩صفحة مع مخططات (خارطات)بتنقيح الأستاذ جبر أفندي ضومط من أعضاء مجمعنا الشرفيين وهو كثير النفع .

المنجد = معجم مدرسي مصور جمع كثيراً من مواد اللغة بحرف دقيق وترتيب حديث بقلم مؤلفه الأب لويس المعلوف اليسوعي طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٣ في ٧٣٧ صفحة بمجلد واحد وسيعاد طبعه منقحاً بزيادات في مواده ورسومه .

التقريب لأصول التعريب = للأستاذ الشيخ طاهر الجزائري من أعضاء المجمع المتوفى سنة ١٩٢٠ طبع سنة ١٩١٩ في مصر في ١٣٦ صفحة مذيلة بفهارس .

نهاية البهجة = أرجوزة في النحو لابراهيم الشبستري النقشبندي طبعت في ليبسيك سنة ١٩٠٦ في ١٦ صفحة وشرحت بالألمانية في ٣٢ صفحة .

كتاب الاعتبار = للأمير مؤيد الدولة أبي المظفر أسامة بن مرشد المعروف بابن منقذ الكناني من أمراء شيزر المتوفى سنة ٥٨٤ هـ طبع بعناية هرتويغ درنبرغ في ليدن (هولندة)سنة ١٨٨٤ م في١٨٣صفحة وعليه تعاليق فرنسية في٢٠٢صفحة وله فهارس مفيدة .

النهج القويم في التاريخ القديم = للأستاذ هارفي بورتر الأميركي مدرس التاريخ في الجامعة الأميركانية في بيروت طبع بمطبعة الأميركان سنة ١٨٨٤ في مجلد صفحاته ٥٩٨

اخبار الاعيان في جبل لبنان = للشيخ طنوس الشدياق المتوفى نحو سنة ١٨٦٤ م وهو شقيق الشيخ فارس الشدياق صاحب جريدة الجوائب الشهيرة . ضمن هذا الكتاب

انساب الامراء والمشايخ وبعض الأسر اللبنانية الممتازة وشرح حوادث البلاد طبع في بيروت سنة ١٨٥٩ في ٧٢٠ صفحة بعناية وتصحيح المعلم بطرس البستاني الشهير مؤلف دائرة المعارف وهو من الكتب التي اعتمد عليها مؤرخو لبنان من افرنج وعرب .

خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر = لمحمد امين بن فضل الله المعروف بالمحبي الحموي ثم الدمشقي المتوفى سنة ١١١١ هـ وهو معجم لتراجم الأدباء في ذلك العصر طبع في مصر سنة ١٢٨٤ هـ في أربعة أجزاء الأول في ٥٠٢ صفحة والثاني في ٤٧٥ ص والثالث في ٤٤٥ والرابع في ٥١٢ صفحة .

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء = لاحمد بن محمد بن عبد الله شهاب الدين بن شمس الدين الدمشقي الرومي المعروف بابن عرب شاه وبالعجمي المتوفى سنة ٨٥٤ هـ وهي حكم أدبية على ألسنة الحيوانات نثرها مسجع تعريف مرزبان نامه الفارسية طبعها فريتاغ في مدينة بن سنة ١٨٣٢ في ٢٥٢ صفحة مذيلة بتعاليق لاتينية وفهارس . ولها طبعة أخرى في الموصل .

نبات سورية وفلسطين — للدكتور الاميركاني جورج بوست الآنف الذكر يتضمن نتيجة رحلته في للبحث عن النباتات وأنواعها وهو مصور متقن طبع في بيروت سنة ١٨٨٤ في ٤١٩ صفحة .

تاريخ لبنان = للاب بطرس مرتين اليسوعي المتوفى سنة ١٨٨٠ م تعريب رشيد افندي الخوري الشرتوني المتوفى سنة ١٩٠٧ واصله الفرنسي في عشرة مجلدات مخطوطة عرب منها خمسة أقسام بتصحيح واختصار الاجزاء الثلاثة ملأت ٧٢٤ صفحة بقطع ثمن صغير مطبوعة بمطبعة الرهبنة اليسوعية في بيروت سنة ١٨٨٩ م .

مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية = تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن من ضحايا الحرب الكبرى ضمناها الحوادث السياسية والمفاوضات الدولية في القرن الماضي طبع في ثلاثة مجلدات بمطبعة الارز في جونيه (لبنان) الاول سنة ١٩١٠ في ٤٦٢ صفحة والثاني سنة ١٩١١ في ٤٨٠ والثالث سنة ١٩١١ في ٤٨٠ صفحة .

ومعظمها مأخوذ عن كتب الحكومات ومراسلات السفراء والقناصل واعيان البلاد وفيها فوائد تاريخية كثيرة منقولة عن مخطوطات عند آل الخازن وغيرهم .

هواجس :

الحرية !

هاج نسيم الريح لي أمرها باالله ياريح ابعثي ذكرها
تجهز الدهر لاقلاقهـــا ماحمدت في ليلة دهرها
ان تمسك الاقدار عن نصرها فما أنا مطرح نصرهـــا
أو تعبس الظلماء في خدرها فانت يابرق انر خدرها
دب مضيض الحب في أضلعي لا تحسبني طاوياً سرهـا
صبرت عنها مهجتي ساعة فلم تطق من بعدها صبرها
بلوت في ظل الصبا حلوها فهل تراني بالياً مرهـا
عشقتها واالله ادرى بنـا مامس صدري في الهوى صدرها
ظلل اكناف الحمى طيفها هنيهة ثم ابتغى هجرها

. . .

لاتخفضن يادهر من قدرها كل كريم رافع قدرها
دحرتها والنفس في اثرها خارجة ما احتملت دحرها
كم حائر طاحت بـــه ضلة ثم اهتدى لما رأى بدرها
وصاغر الوت بـــه ذلة فعز في اعلائـــه امرها
ومستبد راعـــه خطبها يجهد في تهتيكه سترهـا
لئن طوى استبداده ليلها فما طوى عن مقاتي فجرها
حصرت يادهر نفوس الورى وهل اطاقت مهجة حصرها
نجوت من ظلم ومن ظـــالم يادهر ان يسرت لي عسرها

. . .

ان تحرجوا الآساد في غابها هيهات ان تكفيكم شرها

شفيق جبري

مجلة المجمع العلمي العربي

(١٤)

الجزء ٢ شبـاط سـنة ١٩٢٢ م الموافق ٤ جمادى الثانية ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

من نوادر المخطوطات

كتاب (الأزمنة) لقطرب

مما توفق الى اقتنائه مجمعنا العلمي كتاب (الازمنة) لابي علي محمد بن المستنير البصري المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م) وهو من كبار علماء اللغة ومن الموالي تخرج على سيبويه وبعض الائمة البصريين واشتهر بتآليف كثيرة لغوية منها كتاب « المثلثات » المطبوع في مار بورغ سنة ١٨٥٧ م بعناية فيلمار وهي ارجوزة كان اول من جمعها وكتاب « الاضداد » وهو من مخطوطات مكتبة برلين وكتاب « ماخالف فيه الانسان البهيمة » من مخطوطات مكتبة فينا وقد طبع مع متن كتاب (الوحوش) للاصمعي المطبوع في فينا (النمسا) سنة ١٨٨٨ مشروحاً بعناية رودلف جابر . وكتاب (العلل) وكتاب (الاصوات) . وكتاب (الاشتقاق) وكتاب (القوافي) . وكتاب (الفرق) . اما كتاب « الازمنة » فيوجد في المتحف البريطاني .

ولقد بحثنا عن هذا الكتاب في دمشق وغيرها فعثرنا على نسخة منه في مكتبة دمشقية قديمة فاستنسخناها وضبطناها ونحن نقدمها الآن للقراء الكرام تباعاً مع بعض تعاليق توضح ما ابهم منها والله الموفق إلى سواء السبيل .

• • •

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي قراءة عليه وأنا أسمع .

أنبأنا أبو تغلب عبد الوهاب بن علي المُلْحَمي[1] قراءة عليه وأنا أسمع في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة .

أنبأنا القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى بن حماد الجريري في يوم السبت لأربعٍ خلون من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة

حدثنا أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد قراءة عليه من كتابه سنة اثنتين وسبعين ومائتين من أصله قال أخبرنا محمد بن الجهم . قال أملى علينا أبو علي قُطرُبُ محمد بن المستنير هذا الكتاب في سنة عشر ومائتين « هذا كتاب الأزمنة » في تسمية سمائها وشمسها وقمرها ونجمها ، ليلها ونهارها وساعاتها . نقرأها أولاً فأولاً ولا قوة إلا بالله :

قال (السماء) مؤنثة وأما سماء البيت ، فزعم يونس أنه يذكر ويؤنث وكان أبو عمرو بن العلاء يقول السماء سقف البيت .قال ذو الرُّمة (من الطويل) :

وبيت بموماة خرقت سماءَه إلى كوكب يزوي له الوجهَ شاربه

---

(١) نسبة الى الملحم كمُكْرَم جنس من الثياب نقله الجوهري . وزاد التاج على كلمة الملحمي ، الفارسي .

وقد يجوز أن يكون جمع سماوة (والسماوة) أعلى كل شيء فيصير مذكراً في لغة من ذكر جراداً وجرادة ،وتمراً وتمرة .ويكون قول الله تعالى (السماء منفطر به) على ذلك ، قال رجل من بني سعد :

زهر تتابع في السماء كأنها جلَدَ السماءة لؤلؤٌ منثور

فأدخل الهاء فأنث ، قال جندل بن المثنى الطهوي :

يا ربّ رب الناس في سماته

وادخل الهاء أيضاً [1] وقالوا « سماء واسمية » فهذا انما يجيء عَلَى جمعه مذكراً لمن قال هذا سماء . لان أفعلة من جمع المذكر مثل غطاءٍ وأغطية ، ودواءٍ وأدوية،وقد يكون عَلَى افعُلٍ مثل ذراع واذرع .وقال العجاج :

تلفّه الرياح والسَّميّ

كأنه جمع عَلَى تانيث السماء مثل عناق وعنوق وقال : هذا بطن السماء وهذا ظهر السماءلظاهرها الذي تراه ، قال الله جل ذكره (رَواكدَ عَلَى ظهره) وقالوا الظهر الوجه ،برْقِع وقال أميةُ بن أبي الصلتِ :

وكأن برقع والملائك حولها سَدِرٍ تواكله القوائمُ أجردُ [2]

فكسر القاف ، أي لاقوائم له تواكله الناس أي تركوه يتمايلُ ، من المواكلة،سَدِرٌ بحر . والبرقع ، اسم للسماء السابعة .

(١) وفي المخصص : السماء تذكر وتؤنث والتأنيث أكثر وقد تلحق فيها الهاء فتمد وتقصر .

(٢) جاء في اللسان مانصه في تفسير البيت : قال ابن برّي : شبه السماء بالبحر للاستها الا ترى قوله تواكله القوائم أي تواكلته الرياح فلم يتموج فلذلك وصفة بالجَردَ وهو الملاسة.

أبو عمرٍو، لا اعرف سَدِر : اجرد ، أي أملس. وروي عن الحسن (بطائنها من استبرق) وقال ظواهرها • ومن اسماء السماء الخلقاء ، والجرباء وكانها سميت خلقاء لانها كالخلقاءِ من الحجارة قال الاعشى :

قد يترك الدهر في خلقاء راسية   وهياً وينزل منها الاعصَم الصدَعا[1]

وقال الاعشى أيضاً (يذكر بعض لفظ الجرباء) :

وخوتْ جِربَةُ النجوم فما تشـ   ـرب اروية بمَرْيِ الجنوبِ

وفسرت الجربة فقيل مازرع من القرية فهو (جربة) . وكانها سميت جرباء ــ لما فيها من آثار المجرّة والنجوم كاثر الجرب في الدابة والله اعلم . ومن اسماء السماء (الكَحْل) وقالوا الكحل أيضاً السنة القليلة الخير ــ وزعم يونس أن قول الشاعر (هو عبدالله بن الحجاج الثعلبي من بني ثعلبة بن ذبيان)

باءت عَرَارِ بكحلَ فيما بيننا   والحق يعرفه ذوو الالبابِ[2]

فزعم أن (عرار) و (كحل) ثور وبقرة .

---

(١) الصدَع من الاوعال والظباء والحمير والابل الفتيّ الشاب القوي .

(٢) قال في التاج : وعرار كقطام اسم بقرة ومنه المثل : (باءت عرار بكحل) هما بقرتان انتطحتا فماتتا جميعاً . أي باءت هذه بهذه ، يضرب هذا لكل مستويين . قال ابن عنقاء الفزاري في من صرفهما :

باءت عرارٌ بكحلٍ والرفاق معاً   فلا تمنوا امانيّ الاباطيلِ

وفي التهذيب . وقال الآخر في من لم يصرفهما :

باءت عرارُ بكحلَ فيما بيننا (البيت) . قال وكحل وعرار ثور وبقرة كانـا في سبطين من بني اسرائيل فعقر كحل وعقر به عرار ، فوقعت حرب بينهما حتى تفانوا فضرب مثلاً في التساوي .

ومن اسماء السماء (الرَّقيع) وقالوا ماتحت الرقيع ارقع من فلان وهو اسم للسماء كزيد وعمرو .

ومن اسمائها (الجَوْنَةُ) وهي عين الشمس ، قال الشاعر : (هو الخطيم الضبَّابي[١]) كما قال ابن بري ، وفي الصاغاني الاجلح بن قاسط الضبابي :

يبادر الآثار أن تؤبا وحاجب الجونة أن تغيبا

وقال آخر :

غيَّر يا بنت الحُلَيس لوني طولُ الليالي واختلافُ الجون

وقالوا الجون النهار . والجون في لغة قضاعة الاسود وفيما يليها الابيض وهذا من الاضداد . ومن اسمائها ذُكاء قال الشاعر (وهو ثعلبة بن صعَير المازني) يصف ظليماً ونعامة :

فتذكرا ثقَلاً[٢] رثيداً[٣] بعدما القت ذكاء يمينها في كافرِ

وقال آخر هو حميد الارقط :

فوردت قبل انبلاج الفجرِ وابن ذكاء كامن في كَفْـر

وقال الزبيري :

ولست بؤتيك الذي أنت مغرم بتسآله ما أبرق ابن ذكاء

فابن ذكاءِ هاهنا الصبح .

(١) بتشديد الباء . والصحيح كما في التاج . الضبابي بالتخفيف نسبة الى جمع ضب . وهو ابو بطن سمي بجمع الضب . . . والنسب اليه ضبابي ولا يرد في النسب الى واحده لأنه قد جعل اسماً للواحد كما تقول في النسب الى كلاب كلابي . (٢) متـــاع المسافر وحشَمَه . (٣) المنضود .

ومن اسماء الشمس (الإلاهة والألاهة بالفتح) ويجوز أن تكون قراءة ابن عبـــاس . (ويذرك وإلاهتك) أراد الشمس وأنث الاله بالهاء وقال الشاعر (هي آمنة أو مية بنت عتيبة بن الحارث فارس بني تميم في الجاهلية غير مدافع) ترثي اباها وقد قتل من ابيات

تروحنا من اللعباء[1] قصراً فاعجلنا الاهة ان تؤوبا

وهي الشمس .

وامـــا الفلك فمستدار قطب السماء قـــال الله عز وجل « كلٌّ في فلك يسبحون » .

أما العَفَرُ والسُهامُ فالذي يسمى مخاط الشيطان في الشمس واما العَبُ بتخفيف الباء مثل الدم فهو ضوء الشمس وحسنها ومن ذلك عَبُ شمس فيمن خفف ومن ثقل قال هذه عبُّ الشمس ورأيت عبَّ الشمس يريد عبد شمس فادغم الدال في الشين كما تقول ثلاثة دراهم فتدغم التاء في الدال وبعضهم يقول هولاء عبَ الشمس بالفتح في كل وجه .

وقال الشاعر :

إذا مارأت شمساً عبَ الشمس شمرت إلى اهلهـا والجلهميّ عميدها

وقالوا (اِلضحُّ) الشمس وقال ذو الرمة

ترى صمدهُ من كل ضـــحّ يعيلهُ حَرُورٌ كتسفاع الضّرام المشعَّـــل

(١) اللعباء ممدود كما في التاج : موضع كثير الحجارة بحزم بني عوال . وتروّحنا أي نزلنا في وقت الرواح .

واما « الأَيا » مقصور فهو ضوء الشمس وحسنها . والايا النَّبتُ حسَنه وزهره وقال الشاعر (فمدَّه وكسر الالف)

ينازعها لونان وَرْد وجؤوَة ترى لإياءِ الشمس فيه تحدُّرا[1]

وقالوا إياةُ الشمس — شعاعها وقال طرَفةُ بن العبدِ البكريُّ (فكسر الالف)

سقتهُ إياة الشمس الاَّ لثاتِــه أُسِفَّ ولم تَكدمْ عليه باثمِدِ

وقالوا هي (الشعاع والشعاعةُ والشعُّ) كله للضياءِ وهذا مما يذكر من جري الشمس إلى مغيبها .

(وقالوا) « شرَقتِ الشمس واشرَقتْ » وقال بعضهم شرَقت طلعت وقالوا جئتك عند مشيرقات الشمس — والدُّرورُ أول طلوعها .

ويقال ركدتِ الشمس تركدُ رُكوداً — وهو غاية زيادتها .

والتَّطفيلُ — قالوا جنوحُ الشمس ، يقال طفَّلَتْ تطفيلاً حين تهمُّ بالوجوب وقال الراجز :

قد ثكلت أخت بني عديّ أُخَيَّها في طفَل العشيّ

وقالوا قَسَبتِ الشمس تقسب وصغَتْ تصغو صغواً — إذا رسبت — وقال أبو النجم : « صغواءُ قد همت ولما تفعل » . وقال أعشى جَرْم :

تَمادَت ولو كان التمادي إلى مدًى فتسلو ولكن التمادي قسوبها

ويقال قنبت الشمسُ تقنِب قُنوباً . وإذا لم يبق منها شيء قيل دَلكتْ براحةٍ . وغربت غروباً مثل دلكت براحة . وقالوا دلكت بَرَاحِ ياهذا

(١) الورد الاحمر . والجؤْوَة الكمتة أي اللون الاحمر الضارب الى السواد .

مثل حذَامِ وبرَاح بكسر الباءِ. ودلكت براحُ ياهذا فضمُّوا. وقال الراجز:

هــذا مقامُ قدَميْ رَباحِ ذَبَّب حتى دَلكت بِراحِ (١)

ويقال دلكت براحِ ياهذا إذا غابت أو كادت وهو ينظر إليها براحته، وقال ابن عباس (لدلوك الشمس) لزوالها الظهر والعصر وقال رؤبة (بن العجاج)

شادخةُ الغرةِ غراءُ الضحك تبلُّجَ الزَّهراءِ في جنح الدَّلكْ (٢)

فجعل الدَّلك غيبوبة الشمس. وقال ذو الرمة:

مصابيح ليست باللواتي تقودها نجوم ولا بالآفلاتِ الدوالكِ

ويقال أفلت الشمس تأفِل وتأفُل أفلاً وأُفولاً غابت وقال الله عز وجل «فلما أفلت»

وحكي لنا أنهم كانوا يقولون جئتك عند غبية الشمس عند مغيبها كأنه قلب فقدم الباء.

وقالوا شَمَسْنَا، وشمِسنا ـ آذانا حرُّ الشمس. وأشْمَسْنا اصابنا حر الشمس. وشَمَس يومنا وشمِس وأشمَس. ويقال أزَّبت الشمس وزببت وزبت إذا دنت للغروب ويقال إنصلعتِ الشمس انصلاعاً وهو تكمدها وسط السماءِ وصِلاعُ الشمس حرُّها وقال الشاعر:

(١) ذبَّب بمعنى أكثر الذبَّ أي الدفاع. أو جفت شفتهُ من العطش وغيره. وذبَّبنا ليلتنا أُتعبنا في السير. وفي الاساس: ومن المجاز ذبب في السير جدَّ (وهو المراد هنا).

(٢) يصف امرأة بصباحة الوجه ومعنى الشدخ انتشار الغرة وسيلانها سفلاً قال الشاعر:

غرتنا بالجد شادخةٌ للناظرين كأنها بدرُ

يا قرْدَةً خشيت عَلىَ أَظفارها   حرٌّ الظهيرة تحت يوم أصلعِ

أي شديد الحر .

((وهذا مما يذكر من القمر وما فيه))

قالوا (الهالةُ) دارَةُ القمر .

و (الزِّبرِقانُ) القمر نفسهُ و (الزبرقان) الخفيف اللحية ويقال زبرَقَ فلان عمامتهُ ـ أي حمَّرها وكأن (الزبرقانَ) ابن بدرٍ من ذلك . وأظنه كان يلبَسُ ذلك فسمي به .

وقالوا (الفَخْت) ضوء القمر أو ظله . يشك قطرب فيه .

وقالوا (ضوء القمر) وقد ضاء القمر يضوء ضَوْءاً وضُوءاً وضياء ، وأضاء يضيء إضاءةً .

ويقال طلعَ القمر ولا يقال طلعت القمراء ويقال أضاء القمر وأضاءت القمراء

ويقال أقمر الليل وأقمرنا نحن ولا يقال أقمر القمر .

ويقال وَضحَ القمر يضِح وضوحاً .

وَبهرَ يبهر بهوراً وبهورهُ ـ طلوعهُ حين يستقبل فيما زعم بعضهم وقال بعضهم بهوره حين يظهر فيعلو .

ويقال أسفر القمر في أول ما يرى ضَوْءهُ ولما يظهر ، وليل أسفرُ وقال الشاعر (في القمراء) :

يا حبذا القمراء والليل الساجْ   وطُرُق مثل مُلاء النساجْ

والعرب تقول في الليالي كأنه في وقت بقاء القمر إلى قَدْر مغيبه ، قالوا

القمر ابن ليلة، رضاع سخيله، حل أهلها برميله. وقال بعضهم ابن ليلة؛ عَتَمة سخيلة [١]، حل أهلها برميله. كأن بقاءه في السماء بمقدار ذلك. وابن ليلتين. حديث أمتين، كذب ومين، ويقال بكذب ومين أيضاً. وابن ثلاث قليل اللُباث. وقالوا أيضاً ابن ثلاث، حديث فتيات، غيرَ جِدِّ مؤتلفات. وابن أربع: عَتمةُ رُبَع، لاجائع ولا مُرْضَع. وقال بعضهم عِتام الرُبَع [٢] يعني الفصيل. وابن خمس عشاء الخلف قال تعشى إلى أن يغيب. وقال بعضهم ابن خمس. عشاء خليفاتٍ قُعْس: (الخليفات) النوق و(القعس) التي مالت رؤوسها نحو ظهرها. وابن ست. سروبت. وقالوا أيضاً ابن ست، حدث وبت. وابن سبع. دُلْجة ضَبْع. وقالوا دلجة الضبْع، فادخل اللام وقالوا أيضاً ابن سبع: حديث وجمع. وابن ثمان: قمر إضحِيان، أي مُضيء باقٍ. وابن تسع، يلتقط فيه الجَزْع؛ أي من بيان القمر. وقالوا ابن تسع، انقطع الشسع؛ أي من طول المشي قبل أن يغيب. وابن عشر، مُحْنِق الفجر. وقيل أيضاً يؤديك إلى الفجر. وقالوا ابن عشر، ثُلُث الشهر.

ولم نسمعهم جاوزوا العشر [٣]، لأنهم جاوزوا [٤] القمر حتى يدنو من الصبح فكأنهم تركوا ذلك من ذكر القمر وذكروه إذا كان في بعض الليل ثم غاب بعضه. ثم اسماء الليالي في ابتداء الهلال إلى آخر الشهر. قالت العرب

(١) اصل العَتمة قدر احتباس الابل في عشائها. يقال: قعد قدر عتمة الابل.

(٢) عِتام الرُبَع. هو الفصيل الذي نتج في الربيع.

(٣) وفي الكنز المدفون اوصلها الى تسع وعشرين.

(٤) كذا في الاصل. ولعلها جاروا من المجاراة.

(للهلال) في اول ليلة يطلع هلال . والثانية لا يقال له هلال إلى مثلها من الشهر المقبل، وإن لم يُرالا بعد الثالثة فهو قمر . وقال بعضهم يقال له في الثالثة هلال أيضاً ، وقال بعضهم ما لم يستدِرْ فهو هلال ثم يسمى قمراً إذا استدار بخط دقيق قبل أن يغلظ .

ويقال قد افتق القمر فهو مُفْتِق . إذا أصاب فرجة في السحاب فخرج منها، وأُفتِق علينا إذا أبصرنا الطريق .

ثم أول ثلاث ليال من الشهر يقال لها (الغُرَر) لأَن القمر كأَنه غرة فيها . وقيل ثلاث غرٌ فيكون غرٌ جمع غرَّاء وغرر جمع غرةٍ .

ثم ثلاثٌ (شُهْب) لأَن بياض القمر مختلط بسواد الليل كالشهب من الخيل .

ثم ثلاث (بُهْرٌ) لأَن القمر يبهَر فيهن ظلمة الليل ويقال يبهُرُ وقد بَهُرَ بُهوراً . وبهوره طلوعهُ وقال بعضهم : القمر الباهر في الليالي البيض كأَنه يبهر السواد كله وقال المُسَيَّبُ بن عَلَسٍ :

إذ فارس الميمون يتبعهم كالطَلْق ليلةَ البُهْر [1]

ثم (ثلاثٌ عُشَر) لأَن الليلة العاشرة فيهن . ثم (ثلاث بيض) لأَن القمر في الليل كله فالليل فيه أبيض . ومن الليالي البيض (ليلة ثلاث عشرة) يقال لها (العفراء) وقد قالوا (ليلة عفراء ، وليلة السواء) .

وليلة أربع عشرة ـ ليلة البدر وإنما سمي بدراً لمبادرته الشمس في ليلها

(١) هكذا في الاصل ولعلّ صوابه (كالطلق يسري ليلة البهر) أو (يعدو) ونحوها والطلق بالفتح الظبي وليلة البهر المقمرة ومن أمثالهم (انشط من ظبي مقمر) .

ونهارها . قال ابو علي أظنهم يقولون له : « أبْدر القمر صار بدراً ». ويقال غلام بدر ، إذا امتلأ شباباً قبل ان يحتلم . ثم النصف الآخر يقال له (ثلاث دُرْع ودُرَع أيضاً) والدرعاء من الشاءِ التي مقدمها أسود ومؤخرها أبيض ؛ ويقال أيضاً (درعاء) للتي مقدمها أبيض ومؤخرها أسود . فكأن ذلك لأَن الليل في بعضها أسود ، وفي بعضها أبيض . والمعنى الغالب أن يكون شبهت بالدَّرعاء التي مقدمها أسود ومؤخرها أبيض . لأَن السواد في أول الليل والبياض في النصف الآخر .

ثم ثلاث (خُنْس) لأَن القمر يَخْنِس ويُبطيء في طلوعه ثم ثلاث (دُهْمْ) لسواد الليل فيهن كالأَدهم من الدواب وإنما يطلع القمر في آخرهن .

ثم ثلاث (قُحَم) لأَن الشهر قحم في دنوه إلى الشهر .

ثم ثلاث (دآدىء) والواحدة دأدأةٌ عَلىَ فعللةٍ والدأدأة أيضاً من عدو البعير أن يقدم يداً ثم يتبعها الأخرى من ساعته فهذا قول .

وقال بعضهم . أول الشهر الغُرَر . ثم النُفَل ، ثم التُسَع ، ثم العُشَر ، ثم البيض ، ثم الدُرْع . وقال بعضهم دُرَع ، ثم النُحُس وهي أشد ظلمة من الدُّرَع وأبطأ قمراً ، ثم الحنادس ،وهي اشد ظلمة من النُّحَس . ثم الدآدىء ويقال لليلة ثمانٍ وعشرين (الدعجاء) ولليلة تسع وعشرين (الدهماء) ولليلة ثلاثين (الليلاء) ويقال لآخر ليلة من الشهر (المحاق) والسَرار قال الراعي:

تلقى نوءٌ هنَّ سرار شهرٍ وخير النوءِ ما لقي السرارا

والاستسرار من لدن يخفى عليك حتى يُهِل الهلال ويقال (لُحِف)

القمر فهو ملحوف ،إذا جاوز النصف و (امتَحَق) و (امتَحَش). أي ذهب ويوم المَحْق آخر الشهر أيضاً لان الشهر يمحق الهلال فلا يبيّنه ويقال. لاول ليلة من الشهر (النَحِيرة) وقال ابن أحمر :

ثم استمر عليها واكف هَمِع   في ليلة نحرت شعبان أو رجبا

ويقال لأول يوم من الشهر (البَرَاء) وكانت العرب تتيمن به قال الراجز :

يا عين بكّي نافذاً[1] وعبسا   يوماً إذا كان البراء نحسا

ويقال لآخر يوم من الشهر (ظلمة ابن جَمِير) وقال الشاعر :

نهارهمُ ظمآن اعمى وليلهم   وان كان بدراً ظلمة ابن جمير[2]

وهذا مما يذكر من النجوم ومنازل القمر فيها والازمنة

«(والازمنة ستة ازمنة)»

ثلاثة للشتاءِ ، وثلاثة للصيف

فأول الشتوية يقال له الوسمي (والثاني) الشتوي (والثالث) الربيع واول الصيف يقال له (الصيف) و (الثاني) الحميم و (الثالث) الخريف. وقال آخرون السنة عند العرب أربعة أزمنة (فأولها) الوسمي و (الثاني) الربيع (والثالث) الصيف و (الرابع) في لغة اهل الحجاز الخريف. وفي لغة تميم ، الحميم

(١) وفي نسخة (وافداً) .

(٢) وفي نسخة (نهارهم ظمآن ضاح وليلهم الخ) . قال في التاج : وابنا جمير الليل والنهـــار سميا بذلك للاجتماع كما سميا ابني سمير لانه يسمر فيهما(اهـ) وذلك من قولهم جَمَر القوم تجمعوا وانضموا . والجَمِير مجتمع القوم .

«(ثم منازل القمر)»

فأولها (الدلو) وهو اول الوسمي، ثم الحوت، ثم الشَرَط وبعضهم يقول اشراط . وبعضهم يقول . الشَرَطان . قال ذو الرمة يصف روضة

حواء قرحاء اشراطية وكفت فيها الذِهاب وحفّتها البراعيمُ

وقال العجاج :

جاد له بالدُبلِ الوسميُّ من باكر الاشراط أشراطيُّ

أضاف إلى الاشراط والواحد شَرَط وعرّفه يونس

وبعضهم يقول (البَطْح) قال أبو عبد الله قال بعض أصحابنا (النَطْح) . أبو سعيد لم يعرف البطح بالباء . ثم البطن وبعض العرب يقول (بُطَين) فيصغر ثم (النجم) هو الثريا ثم الدَّبَران ثم (الهقعة) فهذه منازل كل الوسمي .

ثم أول الربيع (الهنعة) ثم (الذراع) ثم (النثرة) ثم (الطرْف) ثم (الجبْهة) ثم (الزُّبرَة) ثم (الصَرْفة) وانما سميت صرفة لانصراف الشتاء فهذه منازل كل الربيع .

ثم الصيف فأوله (العوَّى) وبعض العرب يمده فيقول (العوَّاء) ثم (السِماك) ثم (الغَفْر) ثم (الزُبانَى) ثم (الاكليل) ثم (القَلْب) ثم (الشَوْلة) فهذه منازل كل الصيف .

وأول النجوم (الخريف) في لغة الحجاز، وفي كلام تميم (الحميم) فأوله (النعائم) ثم (البَلْدة) ثم (سعد الذابح) ثم (سعد بُلَع) ثم (سعد السعود) ثم (سعد الأخبِية) .

الوضع والتعريب

اللغات مثل غيرها من الأشياء تحتاج إلى النمو والتوسع فهي اشبه بشجرة تنمو بالعناية والابر (التطعيم) والتشذيب (قطع يابس أغصانها) فتجدد حياتها لتقوم بواجباتها. فهكذا اللغة تحتاج إلى ادخال أشياء جديدة مستحدثة في الفاظها وتعابيرها. كما أنها مضطرة الى هجر المهمل منها اذ لا حاجة اليه اليوم وفي المعاجم القديمة بقاء له. ولقد جرى هذا على لغتنا العربية المشهورة باتساعها اشتقاقاً ومجازاً فادخل الاولون – واللغة في طور ارتقائها – الفاظاً وتعابير كثيرة ولا سيا فيا عربوه ونقلوه من العلوم والآداب التي لم يكن العرب يعرفونها مما لا محل لتفصيله الآن. فكانت الفاظ اللغة تزيد بالنسبة الى اختلاطها بالامم المختلفة ومبادلتها الاعمال الكثيرة.

واذا ارسلنا لمحة طرف على تلك التغيرات التي حدثت في صدر الاسلام والدولتين الاموية في الشرق والغرب والعباسية في الشرق وما بعدها رأينا أن المسميات الاعجمية التي ادخلت في اللغة كانت اما أن تغير ابنيتها وتلحق بالاوزان العربية مثل درهم ودينار واما أن تغير ولا تلحق بالاوزان العربية للاضطرار نحو آجر وفلز. واما ان لا تغير مطلقاً كخراسان وهذا بقي غير عربي عندهم بخلاف الأولين.

ولتمييز الاسم الاعجمي ضوابط ليس هنا محل سردها افاض في تفصيلها كثير من كبار اللغويين في المعجمات وكتب اللغة ولا سيا كتب الدخيل والمعرب.

اما الوضع فانه يتم من طريقي الاشتقاق أو المجاز وهما بابان متسعان في اللغة لمن يريد الخوض في عبابهما. ويستخرج دررهما اليتيمة فيقلد بهما نحر المستحدثات العصرية. والتعريب باب رحب أيضاً أمام الطائف في هذه المغاني العامرة.

واللغة اليوم تقسم الى « عربية أصلية » وهي الفصحى مما نطق به العرب العرباء واثبت من كلامهم نثراً ونظماً. « ومماتة » مما أهمله الاسلام من الفاظ الجاهلية كقولهم عم صباحاً وعم مساء وابيت اللعن ، وربي « في خطاب العبد لسيده » ومما يجب ان يهمل الآن. و « مولدة » وهي المحدثة بعد ذلك العهد مثل الكافر والمنافق والسجود.

و « دخيلة » وهي ما كانت من لغة أعجمية مثل الفردوس من اليونانية والمشكاة والهرج من الحبشية والطور من العبرانية والابريق من الفارسية والاهليلج والاوج من الهندية والمرّ « آلة يحفر بها » من المصرية والبرناساء من السريانية والاقليم والسجل من اللاتينية والمرعزا والتمساح من القبطية . إلى كثير من أمثالها وهي مئات متفرقة في الكتب المعربة ولا سيما الالفاظ الطبية كالكيموس والكيلوس واشباههما .

و (مشتركة) وهي ما دل لفظها الموحد على معان كثيرة مثل العجوز والخال والعين و (مترادفة) وهي الفاظ كثيرة لمعنىواحد مثل الأسد والليث والضرغام و (متضادة أو متغايرة) وهي ما كانت لمعنين متضادّين مثل « بان » فانها بمعنىظهر واختفى. و (عامية) وهي لغة جيلنا الحاضرومعظمها فصيح حرف وصحف وكسر أو اجنبي ادخل أو مرتجل لا أصل له .

واهم العوامل في اللغة ولا سيا العامية منها التي أصلها فصيح القلب مثل باط في ابط والابدال مثل تدشا فيتجشا والزيادة مثل إيد في يد والنقصان مثل ماظة فيلماظة والتصحيف مثل احدفه في احذفه والتحريف مثل حفر الأسنان في حفْرها . واقحام الدخيل فيها مثل بشنوقة التركية لغطاء الرأس وطاولةالطليانية وفونغراف اليونانية الأصل والجنرال الافرنسية ولقب مركيز الانكليزية وامثالها .

ومن الغريب أن كثيراً من الالفاظ المذكورة اخذت عن الاعاجم ولها نظائر في اللغة ترادفها وتؤدي معناها ممايدل على تجوزهم في ذلك لتوسيع نطاق اللغة فان الابريق الفارسية عربيتها مشربة ونامورة والاورطي للعرق المعلوم في الجسم عربيتها الابهر . والطاجن المقلى . واللوبياء الدجر والهاون المهراس والياسمين السمسق والباذنجان المغد والانب والاصطبل المربط الخ .

بل أغرب من ذلك كله أننا أعرنا الافرنج الفاظاً ثم استعرناها من غيرهم مثل Almanac فانها كلمة « المناخ » العربية استعملت للقوائم الحسابية الفلكية تعريفاً لحالة الجو . أخذها الأوربيون عن الاندلسيين ونحن احتجنا إلى اسمها فاخذناه من الفارسية وهو الروزنامة .وكلمة أمير البحر Amiral أعرناهم اياها ثم استعرنامنهم القبطان،ودار الصناعة Darsena اخذها الايطاليون عن الأندلسيين أو المغاربة ونحن اخذنا

عوضاً عنها الترسانة التركية وهكذا قل في كثير من الالفاظ الأخرى مثل الاتبيق فانهم استعاروه منا ونحن استعملنا الكركه عوضاً عنه .

ومن الغريب ان تصير تلك الألفاظ الاعجمية مألوفة كأنها من اصول عربية على حد قول أبي العلاء المعري في الاسطرلاب وهو يوناني الأصل ومعناه « مقياس النجم »

أسطرلاب حولهن جهول فهو يرجو هدياً باسطرلاب

واراد أن هذه الاسطر حام حولها الجهول وهو مفهوم لاب الذي ولد منه هذا المعنى فكان جناساً بديعاً .

قدمت هذه التوطئة قبل الاشارة إلى ما يتقاضاه الكتاب والمعربون والباحثون اليوم من ارباب اللغة ليضعوا لهم الفاظاً أو يعربوها فتقوم بوصف حضارتهم وحاجتهم التي معظم اسمائها ان لم نقل كلها اعجمية والقي ذلك على عاتق اللغويين والمجامع العلمية

ولما كان مجمعنا العلمي الذي انشىء منذ بضع سنوات قد اخذ منذ انشائه يهتم في سد هذه الثلمة بعد أن رأى غيره احجم عن العمل مراراً أو انقطع لاسباب كثيرة أهمها التعنت وانحصار الاعضاء في مدينة واحدة وصعوبة التوفيق بين الاسماء والمسميات احياناً انتخب له اعضاء شرف من المستشرقين والوطنيين في أهم البلدان الاجنبية والعربية وهو يفاوضهم ويستطلع آراءهم بشأن السير في طريق الوضع والتعريب لانه عقبة كؤود احب ان يستعين بهم ليقطعها وهو يسعى بجد في هذا السبيل .

ولهذا كثرت عليه الاقتراحات وتلونت الآراء بشأن ما يضعه من الالفاظ وما يصححه بعنوان (عثرات الاقلام) وهو قد وضع له خطة يسير عليها غير مستأثر بها كما يتوهم البعض بل هو بحاجة الى امداده بسديد الآراء ، ومفيد المباحث في كل وقت . فيقبل كل ما يكتب وينشر مما لا يخرج عن المألوف ولا عن خطة اللغة المثلى .

ولقد أقر لنقل الالفاظ الاجنبية الى العربية قاعدة مقبولة وهي : انه اذا كانت اللفظة مما عرفه العرب فيجب البحث عنها ونشرها واذا كانت مما استحدث بعد العرب ولم يكن في الفاظهم مايشبهها باقل ملابسة نظر فيها فان وافقت الاوزان والحروف العربية كانت هي المراد بلفظها والاغير بعض حروفها أو حركاتها لتوازن العربية ويسهل التلفظ بها . وله اسوة بما أدخله العرب من الالفاظ في الجاهلية كالارجوان التي فارسيتها ارغوان وهي واردة في اشعارهم وما جاء في القرآن الشريف والكتب المعربة الى عصر انحطاط اللغة . عيسى اسكندر المعلوف

١

ولما عرف الادباء عزمنا على القيام بهذا المشروع المفيد تواردت علينا الرسائل من دوائر الحكومة وغيرها في طلب ألفاظ فصيحة للمصطلحات الحديثة . وكان اولها ما طلبته متصرفية دمشق الجليلة من الألفاظ الآتية فاخترنا لها ما رأيناه يناسبها وعرضناه على أعضاء مجمعنا الشرفيين وغيرهم من العلماء بهذه الرسالة :

حضرة الاستاذ العلامة الجليل المحترم :

لقد اقترح علينا احد كبار رجال الحكومة السورية المشتغلين بالترجمة والتأليف أن نضع الفاظاً عربية صحيحة للمسميات الآتي ذكرها وهي :

اختراع براءتي : هي وثيقة تعطى للمخترعين لتأييد حقهم في الاختراع وتتضمن انحصاراً لمدة معينة .

پيل : هو اناء توضع فيه قطعة من التوتياء واخرى من الفحم مع سائل النشادر لتوليد القوة الكهربائية .

التتن : هل يحسن استعمال كلمة التبغ مع شيوع استعمال التتن .

السيكارة : ماذا يقابلها في العربية .

البسكويت . = = =

الشكولاته : = = =

فبعد المباحثة ارتأى مجمعنا وضع قاعدة للجواب عن مثل هذا الاقتراح وهي : (١) أنه اذا كانت اللفظة مما عرفه العرب واستعملوه فيجب البحث عنها ونشرها (٢) اذا كانت مما استحدث بعد العرب ولم يكن في الفاظهم ما يشبهها باقل ملابسة نظر فيها فان وافقت الأوزان والحروف العربية استعملت كما هي والا غير بعض حروفها او حركاتها لتوازن العربية ويسهل التلفظ بها جرياً على قاعدة التعريب .

فلنا بهذا اسوة بمن تقدمنا في العصر الذهبي للغة أيام كانت تعرّب الكتب المختلفة للعلوم المتنوعة وتوضع الألفاظ بحسب هذه القاعدة . فوضعنا هذه الألفاظ لتلك المسميات وعرضناها عليكم لتبدوا رأيكم السديد فيها حتى إذا وافقتمونا يعم استعمالها وتنتشر بين الكتاب وإذا كان لديكم الفاظ أولى منها بالاستعمال فتكرموا علينا بها وهذه هي الألفاظ التي رأينا استعمالها الآن لتلك المسميات .

اختراع براءتي : امتياز الاختراع أو حجة الاختراع .

پيل : مولد الكهربائية[١] – أو تبقى اللفظة على أصلها (بيل) بعد ابدال البـاء العجمية بباء عربية لموافقتها الاوزان العربية وتضمنها المعنى المصطلح عليه عند العلماء .

التتن : التبغ – الدخان – ومن شاء ابقاءها على اصلها فلا بأس .

السيكارة : اللفيفة أو اللفافة .

أما البسكويت والشوكولاته فهما مما يعسر وجود لفظين لها لعدم وجود مثلها عند العرب على أن في العربية الفاظاً تدل بعض الدلالة على معنى البسكوت مثل « الفرنية » وهي خبزة تشوى ثم تروى سمناً ولبناً وسكراً و « الهشة » وهي الخبزة الرخوة المكسرة فلهذا اضطررنا الى تعريب اللفظتين المذكورتين بموجب القاعدة الآنفة الذكر لتناسبا الاوزان العربية فقلنا « البسكوت » وزان فعلول كعصفور . و « الشوكولات » وزان فعولات كفتوحات .

هذا رجاؤنا نزجيه اليوم اليكم استطلاعاً لرأيكم السديد وهو الموفق ان شاء الله .

دمشق : في ٤ تشرين الثاني سنة ١٩٢١ المجمع العلمي العربي

٢

عقد مجمعنا العلمي جلسته بحضور نائب الرئيس الشيخ سعيـد الكرمي والشيخ عبد القادر المغربي والاستاذين انيس افندي سلوم وعيسى افندي المعلوف من الاعضاء العاملين ، والاساتذة الشيخ عبد القادر المبارك ودرويش بك أبي العافيـة والدكتور مرشد افندي خاطر ورشيد بك بقدونس من اعضاء الشرف وذلك يوم الاثنين في ٢٣ ك ٢ سنة ٩٢٢ م للنظر في ماوضعه مجمعنا من الالفاظ التي طلبها منه صاحب الدولة حاكم دمشق المعظم بتاريخ ١٦ ك ٢ فاقروا هذه الالفاظ التي ننشرها الآن :

علم وخبر = اذا كان لعلم خبر الاستقراض او طلب التمليك او الاستئذان للزواج فهو « بيان » ، واذا كان وصلاً بدين ونحوه فهو « تمسك ووصول » وهذان استعملا في صدر الاسلام .

طابو = « تمليك » كما في كتاب صبح الاعشى للقلقشندي .

كرتون = « مقوّى » وهو مما استعمل قبلاً في كلام بلغاء المحدثين .

كارتابل = « محفظة » لانها تتخذ لحفظ الاوراق ونحوها .

---

(١) مولـد بفتح اللام اسم مكان من ولـّد .

اسم واحد للآلة الكاتبة = « النساخة » وفضلناها على غيرها لتضمنها معنى نقل كتاب عن غيره وهي مزيتها الخاصة قال في التاج : وفي التهذيب النسخ اكتتابك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف. والكاتب ناسخ ومنتسخ والمنقول منه النسخة بالضم اه .وفضلنا صيغة النساخة على الناسخة لكثرة النسخ بها .

جيلاتين = « هلام » وهو في الاصل مرق السكباج المبرد كما في اللسان . وقد استعمله بلغاء المحدثين للجلاتين لمشابهته اياه وبه سميت الحيوانات الرخوة القوام فقيل لها الحيوانات « الهلامية » .

دبوس صغير ونحوه لربط الاوراق = « خلال » وهو مايشد به طرفا الكساء قال الحريري في مقاماته : « وهو ذو عباءة مخلولة » وفسرت المخلولة بانها المشدودة بخلال . و « الخزامة » وهي حلقة في الانف ، قالت سودة بنت عمارة لمعاوية بن أبي سفيان تذكر كتاباً كتبه الامام علي : « والله ماختمه بطين ولا خزمه بخزامة » .

بيليت = «تذكرة سفر » و« نول » وهذا جُعل السفينة فسميت تذكرة الجعل به مجازاً .

بسابورط = « جواز » وهو صك المسافر « ج » أجوزة .

پاس = « فسح » وهو شبه الجواز للسفر .

پارمي = « رخصة » و « اذن » .

آلة لتجفيف الحبر عند الكتابة = « نشافة » و « مجففة » وهذه مما عدده العرب في ميات الدواة

لوج = « مقصورة » وهي الحجرة التي لايدخلها الاصاحبها و« مشربة » وهي اسم للعلية .

كادرو = معناها الحقيقي « النطاق » والمجازي مابه يقوم الشيء وهو « الملاك » .

تأمين = « ضمان » و « استعهاد » قال في القاموس استعهد فلاناً من نفسه ضمنه حوادث نفسه وفلان من صاحبه اشترط عليه وكتب عليه عهدة .

فاتورة = « فنداق » وهو صحيفة الحساب .

بوردرو = « جدول رواتب » و « جدول تأديات » و « سند صرف » و « قط » وهو كتاب الجوائز والأرزاق كما في التاج .

طاولة الكتابة = « مكتب » اسم مكان من كتب .

الاعلام بمعاني الاعلام

– ٤ –

اجنف – بنو الاجنف حي من همدان باليمن والاجنف المائل الشق ويقال ان الاجنف الطويل المنحني وبه سمي الرجل اجنف كذا في كتاب شمس العلوم لنشوان الحميري .

وفي التاج الاجنف المنحني الظهر عن الجوهري واصل الجنف محركة والجنوف بالضم الميل في الكلام وفي الامور كلها تقول جنف فلان علينا واجنف في حكمه وهو شبيه بالحيف الا أن الحيف من الحاكم خاصة والجنف عام هكذا قال الزجاج وتعقبه الازهري بان الحيف يكون من كل من حاف أي جار وقال بعضهم : ان اجنف مختص بالجور في الوصية وجنف في مطلق الميل عن الحق .

ارقم – اشتقاقه من الحية الارقم وهو الشجاع اوشبه به وانما سمي ارقم للنقش الذي في ظهره وذكروا عن يونس انه كان يقول ارقم وارقمة للانثى من الحيات وأسود وأسودة ولم يقل هذا غيره وقد سمت العرب ارقم ورقيماً بالتصغير ورقمان والاراقم بطون من تغلب والارقمان بطنان في مراد يعرفان بهذا الاسم والرقمة نبت يقال إنه الخبازى كذا في ابن دريد . وفي التاج الاراقم احياء من تغلب وهم ستة : جشم ، ومالك ، وعمرو ، وثعلبة ، ومعاوية ، والحرث ، بنو بكر بن حبيب بن غنم بن تغلب وقال ابن دريد في الجمهرة الاراقم بطون من بني تغلب يجمعهم هذا الاسم قيل سموا بذلك لان ناظراً نظر اليهم تحت الدثار وهم صغار فقال كأن اعينهم اعين الاراقم فلج عليهم اللقب .

وقال أيضاً الارقم مفرد الاراقم اخبث الحيات واطلبها للناس او ما فيه سواد وبياض أو ذكر الحيات (الشجاع) ولايقال في الانثى رقماء ولكن رقشاء وقال ابن حبيب اذا جعلته نعتاً قلت ارقش وانما الارقم اسمه .

الارتّ – من الرتّة بالضم عجلة في الكلام وقلة اناة . وقيل هو ان يقلب اللام ياء وقد رت رتة وهو ارت وقيل هي العجمة في الكلام وارته الله فـرت وهو ارت في لسانه عقدة وحبسة وعن ابن الاعرابي رترت الرجل اذا تعتع في التاء وغيرها وبه سمي

الارت والد خباب بن الارت الصحابي الجليل واياس بن الارت شاعر . كذا يفهم من التاج ولم يذكر ابن دريد من معاني الارت غير من في لسانه حبسة يقال رجل ارت وهو الرتّت .

إراشة بن عنزاخي بكر وتغلب ابني وائل — واشتقاقه من ارّشت بين القوم تأريشاً اذا حرشت عليهم ويمكن أن يكون من ارش الجراحة اي ديتها اه من ابن دريد . وإراشة أيضاً بالكسر ابو قبيلة من بلي وهو اراشة بن عامر وبطن من خثعم وإراشة أيضاً من العماليق مذكور في نسب فرعون صاحب مصر ذكره السهيلي واراش بدون هاء ابن لحيان أو ابن عمرو بن الغوث وهو والد انمار ابو بجيلة من خثعم كما في التاج وفيه أن اصل الارش دية الجراحات سمي ارشاً لأنه من أسباب النزاع وقال ابو منصور اصل الارش الخدش ثم يقال لما يؤخذ دية لها ارش والارش ايضاً طلب الارش وعن ابي نهشل الارش الرشوة رواه عنه شمِر ولم يعرفه في ارش الجراحات . والارش أيضاً مايدفع بين السلامة والعيب في السلعة لأن المبتاع للثوب على أنه صحيح اذا وقف فيه على خرق أو عيب وقع بينه وبين البائع ارش أي خصومة واختلاف وهو من الارش بمعنى الاغراء فسمي ما نقص العيب من الثمن ارشاً اذ كان سبباً للارش والارش ايضاً الاعطاء والخلْق وتأريش النار تأريثها « اي ايقادها » وكذلك تأريش الحرب كما قال الجوهري والتأريش أيضاً التحريش والافساد اه باختصار .

الاراكة — سمي باراكة عدة نساء ورجال منهم اراكة بن عبد الله الثقفي ويزيد ابن عمر بن اراكة الاشجعي شاعران والاراكة واحدة الاراك كسحابٍ الشجر الذي يستاك به قال الشاعر :

تخير من نعمان عود اراكة ‏ ‏ لهند ولكن من يبلغه هندا

وقال ابن دريد ابو اراكة بن مالك من بجيلة صاحب دار ابي اراكة بالكوفة كان شريفاً وابو اراكة هو اسمه والاراكة شجر معروف ويقال أرك بالمكان يأرك اركاً اذا أقام به والاريكة الطنفسة أو الوسادة والارائك الفرُش في الحجال أو في الِكلل اه

وقال بعض الأدباء ملغزاً في الاراك :

اراك تروم ادراك المعالي ‏ ‏ وتزعم ان عندك منه فهما

فما شيء له طعم وريح ‏ ‏ وذاك الشيء في شعري مسمى

ارطاة بن سهية — من شعراء الحماسة سمي بواحدة الارطى وهو شجر يدبغ به ويقولون اديم مأروط اذا دبغ بالارطى وسهية تصغير سهوة من قولهم سها عن الأمر سهوة ويقال ناقة سهوة السير أي سهلة والسهوة أيضاً بيت صغير في البيت الكبير وقيل هي الصفة بين يديه وقيل حائط يبنى فيه وقيل هو أن يحفر بيت في الأرض وقال قوم يبنى حائط في البيت لايبلغ به أقصاه ثم يوضع عليه الخشب فما كان بين الحائطين فهو سهوة وما كان تحت الخشب فهو المخدع اه من التبريزي .

الازمع - قال ابن دريد الازمع بن بثينة سيد شريف من بطون اليمن والازمع افعل من الزَمع يزمع زمعاً (كفرح) ويقال ارنب زموع إذا مشت على زمعتها قال الشاعر:

فما تنفك بين عويرضات تجر برأس عكرشة زموع

العكرشة أنثى الارانب والزَمعة محركة كما في القاموس هنة تشبه اظفار الغنم في الرسغ فى كل قائمة زمعتان كأنما خلقتا من قطع القرون أو هي الشعرات المدلاة في مؤخر رجل الشاة والظبي والارنب جمعه زُمع أو التلعة الصغيرة أو القرارة من الأرض والسيل الضعيف والعُقَد في مخرج العنقود والزمع أيضاً الزيادة في الاصابع وهو ازمع والدهش والخوف والازمع أيضاً الداهية والامر المنكر جمعه ازامع وزَمْعة بالفتح ويحرك والد سودة أم المؤمنين وأخيها عبد الصحابي رضي الله عنهما .

أزْد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ ويقال أسْد وهو بالسين أفصح وبالزاي أكثر أبو حي من اليمن ومن أولاده الانصار كلهم نقل في التاج أن عسد وأسد وأزد معناها القبُل وان الازد ايضاً يكون بمعنى النكاح ونقل عن الاستيعاب ان الأزد جرثومة من جراثيم قحطان وافترقت فيما ذكر أبوعبيدة وغيره من علماء النسب على نحو سبع وعشرين قبيلة ويقال ازد شنوءة (لانهم نفروا من قومهم وتفرقوا عنهم والشنوءة هو الذي ينفر من الشيء) كذا في منتخبات اخبار اليمن . وفي القاموس وشرحه أزد شنوءة بالهمز فعولة ممدو ة وقد تشدد الواو وغير مهموز قبيلة من اليمن سميت لشنآن أي تباغض وقع بينهم أو لتباعدهم عن بلدهم وقال الخفاجي لعلو نسبهم وحسن أفعالهم من قولهم رجل شنوءة أي طاهر النسب ذو مروءة وهذا منقول عن أدب الكاتب ويقال أزد عمان وأزد السراة ويقال لبعضهم أزد غسان باسماء الاماكن التي نزلوها فعمان

كمُراب بلد على شاطىء البحر بين البصرة وعدن . والسراة أعظم جبال العرب . وغسان اسم ماء بالشام فمن شرب منه سمي أزد غسان ومن لم يشرب منه لم يقل له ذلك واليه يشير قول حسان بن ثابت وعزاه في معجم البلدان إلى سعد بن الحصين جد النعمان بن بشير :

إما سألت فإنا معشر نجب الأزد نسبتنا والمــاء غسان

قلت واختلاف أسمائهم بهذه الصفة مما يؤيد قول صاحب أخبار اليمن في معنى شنوءة . غير أن غسان اختلف في موضعه كما ذكر صاحب القاموس في مادة غسن فقيل إنه بسد مأرب باليمن وقيل بالمشلل قرب الجحفة وقيل باليمن بين رِمَع وزبيد وقيل هو اسم دابة وقعت في هذا الماء فسمي الماء بها . وقول صاحب التاج إنه بالشام ربما كان صحيحاً لأن في قرية عري من قرى حوران بئراً تسمى غسان وحوران كانت للغساسنة فلعلهم سموا به أو سموه باسم ماء اليمن .

وغسان كما في معجم البلدان يجوز أن يكون فعلان بالفتح من الغس وهو دخول الرجل في البلاد ومضيه فيها قـُدُماً أو من غسسته في الماء إذا غططته (أي فهو ممنــوع من الصرف لزيادة الألف والنون) ويجوز أن يكون فعالاً من قولهم علمت أن ذلك من غسان قلبك أي من أقصى نفسك أو من قولهم للشيء الجميل هو ذو غُسَن واصل الغسن خصل الشعر من المرأة والفرس اه أي فيكون مصروفاً لاصالة النون فيه وأقول إن الذي في أدب الكاتب ما نصه : ازد شنوءَة من قولك رجل فيه شنوءَة أي تقزز ويقال سموا بذلك لأنهم تشانأوا وتباعدوا اه فلا أدري من أين نقل التاج ما نقله عن أدب الكاتب في معنى شنوءَة

أروى — جمع أُرْوية بضم الهمزة وكسرها وهي أنثى الوعول أو اسم للجمع واسم ماء بطريقة مكة شرفها الله قرب الحاجر وأروى شد على الزاوية (الجمل الذي يستقى عليه) بالحبل وهو اسم امرأة قال الشاعر :

داينت أروى والديون تقضى

وكذلك سموا أروية .

أسد — اسم عدة قبائل في مذحج وقريش وأشخاص لا يحصون كثرة من ذلك أسد بن عبد العزى وأسد بن خزيمة وأسد بن ربيعة بن نزار وهو منقول من الحيوان

المعروف الذي له كما قال خالويه خمسمائة اسم وصفة . وزاد عليه علي بن قاسم بن جعفر اللغوي مائة وثلاثين اسماً . وقال في التاج نقلاً عن شيخه : ورأيت من قال إن له ألف اسم وأورد منها المصنف (صاحب القاموس) كثيراً في الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألوف اه وقال شيخنا الأبياري رحمه الله في سعود المطالع إن للسيوطي رسالة خاصة في أسماء الأسد مرتبة على حروف المعجم وأوردها وضبط ألفاظها فليرجع إليه .

فمن أشهرها الذي تسمى به كثير من العرب أسامة والحارث وحيدرة وزفر والسبع والضرغام والضيغم والعنبس والغضنفر والفرافصة والقسورة وكهمس والليث والهرماس والورد والصعب وغير ذلك ومن أسماء جروه حفص ونوفل سمي بهما أيضاً .

وأَسِيد بفتح الهمزة الشديد وقال ابن دريد أسيد فعيل من قولهم أسد يأسَد أسَداً إذا صار كالأسد وسموا أسيداً مصغر أسد كما في ابن دريد والمصباح وأُسيّد بضم الهمزة وتشديد الياء تصغير أسود قال ابن دريد في لغة تميم وسائر العرب يقول أسيود فاذا نسبوا إليه قال أُسيْدي بسكون الياء الأولى كرهوا كثرة الكسرات واستثقلوا أن يقولوا أُسيّدي (بتشديدها مكسورة) قال في التاج قالوا هو تصغير ترخيم ونبه عليه الجوهري اه .

أقول إن أسيد تصغير أسود لا ترخيم فيه إذا لم يحذف منه الزائد كما هي قاعدة تصغير الترخيم بل فيه اعلال بقلب الواو ياء أما تصغير الترخيم لأسود فهي سويد كزهير في تصغير أزهر وسحيم في تصغير أسحم وهو الأسود أيضاً فتأمل . « للكلام صلة »

سعيد الكرمي

مؤلف كتاب تحفة الجنان

وصف صديقنا ابراهيم أفندي حلمي العمر في مجلة المقتبس « سنة ٨ ص ٥٨٠ » كتاباً اسمه (تحفة الجنان) قال عنه إن علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي أرشده إليه لأنه من الكتب النادرة في أصول التدريس والتعليم ويعد من أجود ما ألف في القرون المتأخرة بهذا الباب تصنيف حياتي أفندي أحد قضاة دار السلام الذي لم يهتد صديقنا إلى معرفة ترجمة حياته ورجح أنه ينتمي إلى عنصر غير عربي أو أنه عربي ولكنه قضى العقود الأولى من سني حياته في بلاد غير عربية لأن أسلوب انشائه اميل إلى السجع منه إلى ارسال الكلام ارسالاً لا تكلف فيه ولا تعمل . وإن هذا الكتاب الذي نسخ سنة ١٢٢٦ هـ ١٨١١ م من جملة الكتب النفيسة التي وقفها داود باشا والي بغداد والبصرة وشهرزور على مدرسته المسماة بالداودية الواقعة في الجانب الشرقي من محلة الحيدر خانة من محلات بغداد دار السلام . وقفى على ذلك بقوله : ان الكتاب اليوم في خزانة كتب جامع الحيدرخانة فيها .

أما المؤلف لهذا الكتاب فهو على ما نعتقد الحاج أحمد المعروف بحياتي أفندي وقد ترجمه صاحب قاموس الأعلام في الجزء الثالث صفحة ٢٠٠٠ فقال عنه ماتعريبه :

« حياتي : الحاج أحمد أفندي من علماء العثمانيين ولد في مدينة البستان من أعمال مرعش وقد كان والده مفتياً فلما توفي تولى الفتيا بها صاحب الترجمة ثم رحل إلى الاستانة واشتغل بنشر العلوم في جامع أياصوفيا وصار معلماً ليوسف ضيا باشا الصدر الأعظم .

ثم ولي سنة ١٢٢٤ هـ « ١٨٠٩ م » القضاء بسراي بوسنه وبعد سنتين في بغداد وتوفي سنة ١٢٢٩ هـ « ١٨١٣ م » بالاستانة بعد إيابه من بغداد

كان واسع الاطلاع في العلوم الشرعية وغيرها طويل الباع في الآداب العربية والفارسية وقد خلف عدة مصنفات وله قصائد وأشعار بالتركية والعربية .

شرح كتاب « تحفه ٔ وهبي » لنبل زاده وكذلك « تحفه ٔ شاهدي » وقد أخذ بشرح

« نخبه وهبي » فعاجلته المنية قبل اتمامه وجاء من بعده ابنه شرف أفندي فاكمل الشرح المذكور .

وله أيضاً كتاب «اسعاف المنة في شرح اتحاف الجنة» وكتاب «تهافت مستحاجة» و (منظومة في المنطق والآداب) ولم يطبع من كتبه إلا شرحه على كتاب «تحفه وهبي» وهو يدل على علو كعبه وغزارة مادته اه .

واثن كان صاحب قاموس الأعلام الذي نقلنا عنه هذه الترجمة لم يذكر بين مؤلفات المترجم هذا الكتاب ، فإن الادلة متوفرة على كونه له للأسباب التالية :

١ — توليه القضاء في دار السلام سنة ١٢٢٦ .

٢ — وجود اشارة بآخر الكتاب تدل على أنه نسخ سنة ١٢٢٦ في بغداد نفسها .

٣ — كون المؤلف من بلاد هي همزة الوصل بين البلاد العربية والبلاد التركية كلواء مرعش ولهجة الكتاب كما قال واصفه تنم على مؤلفه .

٤ — لأن الكتاب تم تأليفه في السبع الرابع وهو العشر الثالث من الثلث الثالث من السدس الخامس من النصف الثاني من العشر الثاني من العقد الثاني من الألف الثاني للهجرة النبوية كما يقول المؤلف ومعنى ذلك انه أتمه يوم الاربعاء الثالث والعشرين من شهر ذي القعدة لسنة ١٢١٢ هـ « ١٧٩٧ م » وأهداه لساكن الجنان السلطان سليم خان الثالث ابن السلطان مصطفى خان الثالث .

وعلى ذكر قاموس الأعلام نأتي هنا على وصف مختصر لهذا السفر النفيس الذي هو في ستة مجلدات و ٤٨٣٠ صفحة بالقطع الكبير والحرف الدقيق فهو من الموسوعات الجامعة والمؤلفات الممتعة تأليف المرحوم شمس الدين سامي الالباني وقد بدأ بتصنيفه وطبعه في أوائل سنة ١٣٠٦ هـ « ١٨٨٨ م » وانتهى منه سنة ١٣١٦ هـ « ١٨٩٨ م » فاستغرق احدى عشرة سنة فاصبح من المظان التي يركن اليها ويعول عليها فقد يتفق للباحث الوقوع على بعض التراجم والاعلام الأجنبية بالنسبة إلى لغة الكتاب التركية في حين أن تلك التراجم أو الاعلام لم تطبع بعد في لغاتها الاصلية . فكأنه كان يستقيها من مصادرها المخطوطة . نضرب لذلك مثلاً أن رجالات المجمع العلمي العربي قد جدوا بالبحث والتنقيب عن ترجمة مؤلف قانون البلاغة من مخطوطات الخزانة

الظاهرية بدمشق فلم يجدوها في مظانها العربية ولكنهم عثروا على شيء منها في قاموس الاعلام فظهر لهم أن المؤلف فخر الدين أبا طاهر محمد بن حيدر البغدادي من شعراء القرن السادس للهجرة « مجلة المجمع سنة ١ ص ٣١٥ » مما يدلك على مبلغ الجهد الذي عاناه مؤلف القاموس والعناية التي صرفها في تدوين كتابه حتى جاء بهذ الاتقان .

حيفا : عبد الله مخلص

اعتناء الأندلسيين بالمكاتب

قال ابن سعيد : « إن قرطبة أكثر بلاد الأندلس كتباً وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب حتى إن الرئيس منهم الذي لاتكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب. ويفتخر فيها ليس إلا لأن يقال : فلان عنده خزانة كتب . والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره . والكتاب الذي هو خط فلان قد حصله وظفر به » اه .

وكان عدد مجلدات مكتبة الخلفاء في الاندلس ست مائة الف وبرنامجها في ٤٤ مجلداً . وكان عدد مكاتب الاندلس سبعين مكتبة عمومية عدا الخصوصية .

وقال ابن رشد لابن زهر في كلامه : ما أدري ما تقول . غير أنه إذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها . وإذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته حملت إلى اشبيلية .

الكتب أفضل الهدايا

قال الجاحظ : أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه . فقلت له أردت أن أهدي لك شيئاً ففكرت فإذا كل شيء عندك . فلم أرَ شيئاً أشرف من هذا الكتاب . فقال : والله ما أهديت اليَّ شيئاً أحب اليَّ منه .

وباء الكتب الخلاعية

منذ بضع عشرة سنة عقد أرباب المطابع والمكاتب في رومية لجنة للبحث في شأن المطبوعات ونشرها ، فاول ما اهتموا به الكتب الخلاعية ومضارها فقرروا نظاماً ان كلَّ من طبع أو باع أو نشر شيئاً من ذلك يحظر عليه ألبتة الدخول في لجنتهم .

صدى اعمال المجمع

« ١ »

لقد كان لاعمال مجمعنا العلمي لدى الذين يقدرونها حق قدرها صدى استحسان فنشر بمعظم المجلات والصحف المشهورة في الشرق والغرب عبارات تدل على حسن الظن بنا وبثت فينا روح النشاط للثبات في عملنا الذي أخذنا على أنفسنا أن نثابر عليه من دون ملل ، خدمةً للغة والوطن العزيزين . ونشر بعضها بلا تروّ ولا تثبت مايدل على عدم الثقة بنا لاسباب نعلمها ولا نحب نشرها وهي مما يفطن له القارىء اللبيب .

فنحن نشكر لها جميعها ما ارتأته بشأن أعمالنا لان لكل رأيه ومذهبه مع احترام رأي غيره فلعل الشرقي يفطن الى ما تقوم به كلمته وتتعزز جامعته ولا يضرب على وتر تثبيط الهمم واضعاف العزائم مما هو آفته وسبب انحطاطه .

فلذلك نحن نذكر أحياناً ما نقف عليه منها وهذه قطعة طبعتها النشرة الاسبوعية الغراء في بيروت في الجزء الاول من سنتها الثالثة والخمسين بتاريخ ٥ ك ٢ سنة ١٢٩٢ م ننشرها حرفياً وهي :

المجمع العلمي الدمشقي

يسرنا ويسر كل محبي هذه اللغة الكريمة ان ينهض ابناؤها لتعزيزها وتنقيتها من شوائب اللغة العامية والدخيل وقد اطربنا في المدة المتأخرة قرار المجمع العلمي الدمشقي أن يشرع في وضع الفاظ تـــدل على الاشياء التى لم تكن في أيام العرب كما اطربنـــا ماسطروه بعنوان عثرات الاقلام .

اننا لا ننسى فضل المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي الذي كان في طليعة المجاهدين في هذا الميدان فاحيا اللغة ونبه الكتاب من غير تحامل أو صلف فخضع له كبار الكتاب وصغارهم وكان من كبار المؤسسين لهذه الطريقة .

اننا نشكر للمجمع الدمشقي سعيه المشكور ونلتمس منه الامور الآتية لئلا يصيبه ماأصاب مجمع مصر مع قدرنا معارف أعضائه حق قدرها :

(١) ألاّ ينتخب الا كل عالم لغوي ضليع .

(٢) ألا ينظر الى مذهب المنتخب وماله ورتبته .

(٣) أن ينبذ كل كلمة عامية أو مولدة أو تعبير غير عربي بشرط أن يضع ما يرادفه

(٤) أن يختار لمساعدته من لهم معرفة تامة باللغات الافرنسية والانكليزية ولا سيا بعض اللغات القديمة كالعبرانية واليونانية واللاتينية .

(٥) أن يطبع ما يتم الاتفاق عليه كل شهر ويوزع نسخاً متعددة منه على العلماء في سورية ومصر والعراق للانتقاد وعند ورود الاجوبة يمكنه بعد البحث والتنقيب أن يبت في الامر ويعلنه على الملأ لكي تسير الكتّاب بموجبه فاذا فعل هذا ولا شك انه فاعل واخلص النية تخضع له الكتاب وتتحداه في كل أمر ويعلم الورى ان نار العلم لم تخمد في البلاد العربية وأن في السويداء رجالاً .

★★★

وهذا جواب المجمع على تلك القطعة ننقله بالحرف الواحد عما نشر في الجزء الـ٦ من الجريدة المذكورة تاريخ ٩ شباط سنة ١٩٢٢ :

المجمع العلمي

جاءنا هذا الرد اللطيف البليغ من المجمع العلمي العربي في دمشق ننشره بحذافيره حرفياً مع الشكر الجزيل راجين له الفلاح في مسعاه الخطير وطالبين الى العلماء واللغويين أن يمدوا له يد المساعدة ويعضدوه بكل ما اوتوه من المقدرة والعلم .

لجناب الفاضل مدير النشرة الاسبوعية المحترم :

قد وكل اليّ المجمع العلمي اجابتكم عما نشرتموه بشأنه في الجزء الاول من مجلتكم الغراء . الصادر في الخامس من الشهر الماضي فبالنيابة عنه اشكر لكم ما تفضلتم به من الاشارة اليه . والثناءعليه . واستحسان مساعيهوآرائه . واحسانالظن بمعارف أعضائه . وبيان الامور التي يتوقف عليها تحقيق آماله . والنجاحفي أعماله . الى آخرما ذكرتموه من الاقوال التي تقوي العزائم وتشدد الهمم وتدل على ما أُوتيتموه من سعة العلم وحسن الشيم وشدة الرغبة في تعزيز اللغة العربية وتنقيتها من شوائب السفاسف العامية وهجن التعابير الامية باحياء ما اندرس من آثارها وبذل الجهد في توسيع نطاقها ورفع منارها ويسرني أن انبئكم بانالمجمع موافق علىما ارتأيتموه ، عامل بما تريدون قبلأن أبنتموه.

فلم ينتخب الا كل عالم لغوي ضليع . كاحمدباشا تيمور في مصر ، والاب انستاس الكرملي في بغداد وامثالهما في سائر الأقطار ولم ينظر إلى مذهب المنتخب وماله ورتبته بدليل أن أكثر أعضائه من طوائف المسيحيين المختلفة في الشرق والغرب ولم يأل جهداً في نبذ الكلمات الفاسدة . والتعابير الركيكة ووضع مايرادفهامن الألفاظ الفصيحة والتراكيب الصحيحة كما يتضح ذلك مما ينشره بعنوان «عثرات الأقلام» .

وقد اختار لمعاونته من لهم معرفة تامة باللغات القديمة والحديثة ولولا ضيق المقام لذكرت لكم أسماء أولئك العلماء الأعلام على أنها ذكرت في مجلة المجمع التي أصدرها من بدء السنة الماضية وهو مثابر على اصدارها الى هذا اليوم فطالعوها إن أحببتم . وربما سها في الماضي عن بعض المشهورين بمعارفهم اللغوية لكنه لا يتأخر في المستقبل عن انتخاب كل كفيٍّ لهذا العمل وقد طبع بعض ماوضعه من الالفاظ ووزعه على العلماء لاستطلاع آرائهم والاستنارة باضوائهم . وسيثابر على ذلك ما استطاع اليه سبيلاً لانه لايعتقد في نفسه الكمال . ولا يريد أن يستبد بالاقوال والاعمال . ولا يجهل مافي سبيل مشروعه من العقبات . وما يعترضه في سيره من المثبطات ولا سيما في هذا العصر الذي كثر فيه المنتقدون والمتعنتون والمماحكون والمتحذلقون ، بل يشعر بوعورة المسلك وخشونة المركب والافتقار الى مؤازرة العلماء الراسخين . ويقبل بالشكر الوافر آراء العارفين المخلصين . ويعتمد على نصائحهم المفيدة وافكارهم السديدة . كما انه لاينسى مساعي الذين جاهدوا في هذا السبيل من قبل ولا ينكر ما لهم من المزية والفضل وحسبهم فضلاً انهم في هذه الحلبة متقدمون . وان ادباء العصر بهم مقتدون .

هذه افكار المجمع ونياته ومبادئه وغاياته يعلنها على صفحات الجرائد لمن يريد الاطلاع عليها من الاقارب والاباعد وهو لايقصد الا تعزيز اللسان العربي وآله وخدمة الوطن ورجاله ولا يتخذ غير الاخلاص رائداً ، والحق قائداً . فان اصاب الغرض الذي توخاه فذلك جل مايتمناه . وان اخطأ فيما يثبته من الاوضاع الجديدة . أو قصر فيما ينويه من الاعمال المفيدة . المذكورة في تقاريره العديدة . فمعذره أنه غير منزه عن الخطاء وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء . وان أعضاءه العاملين أربعة فقط ولا سبيل الى زيادتهم وهم مطالبون باعمال اخرى تتعلق بالمعارف . وان أعضاءه الشرفيين قلما

تسنح لهم فرصة لمعاونته لوفرة اعمالهم وبعد ديارهم . فما عليه الا ان يرجو من أبناء الوطن الصبر والتأني . ويثابر على الاجتهاد في اتمام ماشرع فيه مستعيناً بالله راجياً منه التوفيق والهداية مسبحاً بحمده في البداءة والنهاية .

احد اعضاء المجمع العلمي
انيس سلوم

هواجس :

لو علموك !

اطوي الدجى فتضيء الليل عيناك هل لمحة البرق الا من ثناياك
وهبة الريح إن لانت ملامسها فانما أورثتها اللين كفاك
وهذه الليلة الليلاء حائرة كأنما تيم الظلماء مرآك
حلّيت بالخلق المصقول جانبه سبحان من برقيق الخلق حلاك

. . .

نهضت للطفل واللأواء مائجة في ظله وفؤاد الطفل مضناك
فما تركت به هماً يعالجه في طلعة الفجر أو في جنح ممساك
تغدو الرجال لاكباد تجرّحها وإنما لضماد الجرح مغداك
يبكي الفتى ودموع العين ترمضه فتمسحين دموع الواجف الباكي
تبكين للمرء إن ألوى البلاء به وإن بليت فما يبكي لمبكاك
يهفو الرجال ومن يحصي نقائصهم وان هفوت اقام الدهر مهفاك
لو علموك اضاء الله ظلمتهم لبات في هضبة العلياء مغناك
أسرت في قفص ماجت غياهبه فمن يفك من الاقفاص أسراك
أقول والناس قد جاشت بلابلهم لولاك ما احتملوا الاشجان لولاك
ان ينصروك فما أعلى منازلهم أو يخذلوك فعين الله ترعاك

. . .

ضمنت أن يسترد الشرق بهجته إن كان في الشرق من يسعى لمحياك
لايسلم الشرق من خطب أطاف به إلا إذا هذبت فيه سجاياك

شفيق جبري

مجلة المجمع العلمي العربي

(١٥١)

الجزء ٣ — آذار سنة ١٩٢٢ م الموافق ٣ رجب ١٣٤٠ هـ — المجلد ٢

الاعلام بمعاني الاعلام

٥

أربد — سمي به جماعة منهم اربد بن ربيعة أخو لبيد بن ربيعة العامري الصحابي الجليل وصاحب احدى المعلقات المشهورة وهو الذي جاء مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ان يجعل لهما نصيباً من تمر المدينة فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر بن الطفيل لاملأنها عليك خيلاً جرداً ورجالاً مرداً فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني شر عامر بن الطفيل فلما رجعامن عندرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا ببعض الطريق أرسل الله على اربد صاعقة فاحرقته واحرقت بعيره وبعث الله على عامر الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة سلولية من بني سلول فجعل يقول يابني عامر غدة كغدة البعير وموتاً في بيت سلولية (ذكر سيبويه قول عامر غدة كغدة البعير في باب ما ينصب على اضمار الفعل المتروك كأنه قال أُغد غدة وأموت موتا)

واربد مأخوذ من الربدة وهي الغبرة وقيل لون الى الغبرة وقيل الربدة والربد في النعام سواد مختلط يقال ظليم اربد ونعامة ربدآء ورمدآء لونها كلون الرماد والجمع ربد . واربد وجهه وتربد احمر حمرة فيها سوادعند الغضب والربدة غبرة في الشفة يقال امرأة ربداء ورجل اربد ويقال للظليم الاربد للونه كذا يفهم في اللسان وفي حياة

الحيوان الاربد ضرب من الحيات يعض فيربد منه الوجه ومنه ماحكاه عبد الملك ابن عمير قال رأيت زياداً واقفاً على قبر المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وهو يقول :

ان تحت الاحجار حزماً وعزماً وخصيماً الدّ ذا معلاقِ
حيـة في الوجار اربـد لاينـ فع منهـا السليمَ نفثُ الراقي

أسلُم بضم اللام – قال ابن حبيب اسلم بن الحاف بن قضاعة واسلم بن العباية في علك واسلم بن تدول في بني عذرة هؤلاء الثلاثة بضم اللام ومن عداهم مثل اسلم بن افصى بن عامر بن حارثة اسم بطن من خزاعة فبفتحها قال ابن سيده قال كراع سمي بجمع سلم ولم يفسر أي سلم يعني وعندي انه جمع السلم الذي هو الدلو العظيمة أو الدلو بعروة واحدة اه وبما أن مادة س ل م سمت بها العرب على تصاريف مختلفة اردت ان اذكر معانيها ومن تسمى بها نقلاً عن كتب اللغة الموثوق بها فاقول

السلم بفتح السين وسكون اللام الدلو الذي تقدم ذكره ولدغ الحية وهو منقول عن الليث وانكره الازهري وقال ماقاله غيره اه وقال ابن دريد وسمي اللديغ سليماً وليس له فعل يتصرف اه ولعله توهم من تسمية اللديغ بالسليم تفاؤلا بالسلامة ان لدغ الحيـة يقال له سلم والسلم بالكسر المسالم والصلح ويقال له سلم أيضاً بفتـح السين والسلم بالتحريك السلف والاستسلام ومنه «والقوا اليكم السلم» أي الانقياد وشجر من العضاه ورقها القرظ الذي يدبغ به واحدته سلمة بهاء وبها سمي الرجل سلمة كسلمة بن الاكوع الصحابي والسلم أيضاً اسم من التسليم وهو الرضا بالحكم وبـه فسرت الآية : ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمناً . والسلمة بكسر اللام الحجارة الصلبة جمعهـا سلام ككتاب سميت بذلك لسلامتها من الرخاوة وقال ابن شميل السلام جماعة الحجـارة الصغير منها والكبير وقال غيره هو اسم لكل حجر عريض والسلِمة أيضاً المرأة الناعمة الاطراف وبنو سلمة بالكسر بطن من الانصار قال في الصحاح وليس في العرب سَلِمة بالكسر غيرهم وتعقب بانه أيضاً اسم لرجال في بجيلة وكندة وغيرهما وسمي بسَلَمَة واحدة السَلَم أربعون صحابياً وعدة من المحدثين وام سَلَمَة بنت أمية ام المؤمنين واسمها هند وسمي به أيضاً عدة من الصحابيات والسَلاَم السلامة أي البراءة من العيوب أما السلام اسمه تعالى فقد قال ابن قتيبة انه تسمى جل جلاله بالسلام لما شمل جميع الخليقـة وعمهم

بالسلامة من الاختلال والتفاوت اذ الكلّ جارٍ على نظام الحكمة وكذلك سَلِم الثقلان من جور وظلم أن يأتيهم من قبله سبحانه وتعالى فهو في جميع أفعاله سلام لا حيف ولا ظلم ولا تفاوت ولا اختلال ومن زعم من المفسرين انه تسمى به لسلامته من العيوب والآفات فقدأتى بشنيع من القول انما السَّلاَم مَنْ سُلِم منه والسالم من سَلِم من غيره ولا يقال في الحائط انه سالم من العي ولا في الحجر أنه سالم من الزكام انما يقـال سالم فيمن يجوز عليه الآفة ويتوقعها ثم يسلم منها وهو سبحانه منزه من توقع الآفات ومن جواز النقائص ومن هذه صفته لا يقال سلم منها ولا يتسمى بسالم وهم قد جعلوا سلاماً بمعنى سالم والذي ذكرناه هو معنى قول اكثر السلف . والسلامة خصلة واحدة من خصال السلام فاعلمه اه ملخصاً من التاج . والسلام أيضاً جبل بالحجاز من ديار كنانة وشجر زعموا انه دائماً أخضر لا يأكله شيء تستظل به الظباء وليس من عظام الشجر ولاعضاهها وتكسر سينها وقيل ان المكسورة جمع سلمة كاكمة واكام والمفتوحة جمع سلامة وهو نبت آخر غير السلمة . وسليم مصغر كزبير أبو قبيلة من قيس وأبو قبيلة من جذام كما نقله الجوهري وعنى احداهما القائل :

ايها المدعي سليماً سفاها لست منها ولا قلامة ظفر
انما انت من سليم كواو الحقت في الهجاء ظلماً بعمرو

ووقع في بعض كتب الادب سليمى باليـاء المقصورة في الموضعين تصغير سـلمى ورواه كثير من المتأدبين كذلك وهو غلط والصحيح ماذكرناه وهو اما مصغر سلم بمعنى الدلو كما تقدم أو بمعنى آخر مما ذكرناه والنسبة اليها سُلَمِيّ بحذف الياء وام سليم اسم نساء من الصحابة احداهنّ أم أنس بن مالك وسليمة كجهينة اسم رجل مصغر سلمة أو سليمة وسموا سـلاماً وسـلاما بالتخفيف والتشديد وسـلامة وسلاّمة بهما أيضـاً ومسلماً سمي به عدة من الصحابة ومعناه ظاهر ومسلمة مفعله من السِلْم كما في اللسان والسليم اللديغ والجريح الذي اشفى على الهلكة والسالم من الآفات ومن الفرس ما بين الاشعر والصحن من حافره وبه وبسِلْم سمي كثيرون وسموا أيضاً مسلّماً كمعظم وسلّما كجبل وسَلْما كعدل ومسلمة واسلم وسُلَيمة وبنو سليمة بطن من الازد والنسبة سليمي وسلامان شجر وبنو سلامان في قضاعة والازد وطي وقيس عيـلان والسلامى بالفتح ريح الجنوب وبالضم

عظام صغار في اليد والرجل جمعه سلاميات وسلوم كتنور اسم مراد والاسلوم بطن من اليمن قال ابن دريد وسموا ايضاً سِلْمياً وهو أحد رجال بني حنيفة في الجاهلية قال الشاعر:

فاتيت سلمياً فعذت بقبره واخو الزمانة عائذ بالامنع

واسلم بفتح اللام اسم بطن من خزاعة كما تقدم دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اسلم سالمها الله قال في اللسان هو من المسالمة وترك الحرب ويحتمل ان يكون دعاءً وخبراً أما دعاء لها أن يسالمها الله ولا يأمر بحربها أو اخبر أن الله قد سالمها ومنع من حربها اه . يقال اسلم انقاد واسلم العدو خذله واسلم أمره إلى الله سلمه واسلم في كذا أي أسلف فهو منقول من فعل ماض ولم نقل انه أفعل تفضيل لان أفعل التفضيل إذا تجرد من الاضافة ومن الجارة الداخلة على المفضل عليه فلا بد من تعريفه بأل على الصحيح خلافاً للمبرد فانه قال يرد أفعل التفضيل عارياً عن معنى التفضيل نحو «ربكم أعلم بكم» «وهو اهون عليه» وقوله :

وان مدت الايدى إلى الزاد لم أكن باعجلهم اذ اجشع القوم أعجل

وقوله :

ان الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

وجعله قياسياً ورده ابن مالك في التسهيل فقال استعمال أفعل التفضيل عارياً من الاضافة واللام دون من، مجرداً عن معنى التفضيل مؤولاً باسم فاعل نحو أعلم بكم أي عالم أو صفة مشبهة نحو وهو أهون عليه أي هين الاصح قصره على السماع وقال بعضهم لايخلو أفعل التفضيل من التفضيل لا سماعاً ولا قياساً وتاولوا كل ما ورد اه فعلى هذا يتعين أن يكون اسلم منقولاً من معنى الفعل الماضي الذي ذكرناه .

سلمى — بفتح السين اسم موضع بنجد وأُطم بالطائف واحد جبلي طي شرقي المدينة وهما أجا وسلمى ونبت يخضر في الصيف وحي من بني دارم وعدة رجال ونساء من الصحابة وغيرهم قال ابن دريد اشتقاق سلمى وهي فعلى من السلم والسلم ضد الحرب اه وقال في شرح الحماسة سلمى اسم يستعمل للنساء وربما استعمل للرجال ويجب أن تكون مشتقة من السلامة وسلمى أيضاً جمع سليم أي لديغ وحكى أبو مسحل في المثل انف في السماء واست في السلماء وزعم أن السلماء الأرض فاذا صح ذلك فيجوز أن يكون

اشتق لها الاسم من السلام وهي الحجارة ولايمتنع أن يكون اسم المرأة اخــذ من هذا المعنى وظاهر المثل الذي تقدم يوجب أن يكون السلمى اذا اريد بها الأرض ممدودة لأنهم لا يأتون بالمثل إلا مسجوعاً ويجوز ان يكون اصلها المد ثم قصرتْ وقد جاءت أشياء حكي فيها المد والقصر فلعل هذا الاسم من نحو ذلك اه .

واما سُلْمى بضم السين فلم يسم به غير والد زهير بن أبي سلمى الشاعر صاحب المعلقة قلوا وليس في العرب سلمى بالضم غيره . قال في شرح الحماسة يقال هذا اسلم من هذا فان ادخلت الالف واللام حذف الخافض وما بعده فقيل هــذا الاسلم وهذه السلمى وكذلك الاحسن والحسنى والأكبر والكبرى والقيـاس في جميعه مطرد وذكر سيبويه أن الالف واللام تلزم الفعلى من هذاالباب وعلى ذلك الأكثر من كلام العرب وربما استعملوها بغير الالف واللام كقولهم اخرى ودنيـا وهما معدولتان عن الالف واللام وفي القرآن ومناة الثالثة الاخرى اه وقال في موضع آخر فاما العزى وهو اسم صنم فانه تأنيث الاعز كما أن الجلى تأنيث الأجل وأماقوله (وان دعوت إلى جلى ومكرمة) فليست الجلى فيه تأنيث الأجل الاترى ان فعلى افعل لا تنكر انما هي معرفة باللام أو بالاضافة لاتقول صغرى ولا كبرى ولا وسطى وانما جُلّى في البيت مصدر بمنزلة الجلال والجلالة ومثلهامن المصادر على فعلى الرجعى والنعمى والبؤسى يقال آنسني برجعى منك أي برجوع ولك عندي آلاء ونعمى ولا اجزيك بؤسى ببؤسى وكذلك قراءة مــن قرأ «وقولوا للناس حسنى» أي احساناً وحَسَناً وقد أنكر ذلك أبو حاتم ولا وجه لانكاره اياه لما ذكرنا اه واقول اعلم أن الف التأنيث المقصورة كما في شرح الايضاح تلحق بناء مختصاً بالتأنيث وقد تكون للالحاق ولا حاجة بنا إلى ذكرها بل نذكر الأولى وذلك فعلى مضموم الفاء ساكن العين وهي على ضربين أحدهما أن يكون تأنيث الافعل كالفضلى والأفضـل والكبرى والأكبر ولا تستعمل فُعلى هذه الا بالالف واللام أو الاضافة نحو خرجت الفضلى وفضلى النساء ولايجوز خرجت فضلى كما لا يجوز خرج أفضل بل يجب أن تقول الأفضل أو أفضلهم وشذ من هذه القاعدة آخر واخرى حيث استعمل عارياً من أسباب التخصيص (أي الاضافة والتعريف) فقيل هذا رجل ومررت برجل آخر وهذه امرأة ومررت بامرأة اخرى وفي التنزيل : «وأخر متشابهات» و «مآرب أخرى» «ثم انشأناه خلقاً آخر» . وكذلك دنيا

فانها تأنيث الادنى فهذه الصفات استعملت استعمال الاسماء فترك اعتبار معنى التفضيل فيها كما أن الابطح لما تنزل منزلة الاسماء جمع جمعها فقيل الاباطح كما يقال الارامل والضرب الثاني فعلى التي ليست مؤنث افعل ويختص بناؤها بالتأنيث فهذه لا يلزم دخول الالف واللام عليها معاقبة لمن الجارة كفعلى مؤنث افعل لانها ليست للتفضيل وهي على ثلاثة أضرب الأول اسم ليس بصفة كالبهمى اسم نبت وحزوى اسم موضع وحمّى وهي معروفة والثاني أن تكون مصدراً كالبشرى والرُّجعى والزلفى والشورى والحسنى والثالث ما كان صفة كالحبلى والخنثى والانثى اه ملخصاً فسلمى ان لم نجز كونها تأنيث الاسلم وانها استعملت استعمال دنيا واخرى يمكننا أن نقول انها من باب الصفة كحبلى صوناً لكلام العرب عن اللحن .

وسلمان — جبل وموضع بنجد قال الشاعر :

فمات على سلمان سلمى بن جندل وذلك ميت لو علمت عظيمُ

واسم بطن في مراد ينسب اليه جماعة منهم عبيدة بن قيس الكوفي السلماني قال في التاج اسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره قال ابن عيينة كان يوازي شُرَيحا في العلم والقضاء مات سنة ٨٢ هجرية . وسمي بسلمان ما لا يحصى من صحابة وغيرهم ولا يزل يسمى به إلى الآن قال ابن جني ليس سلمان من سلمى كسكران من سكرى الا ترى أن فعلان الذي يقابله فعلى انما بابه الصفة كغضبان وغضبى وعطشان وعطشى وليس سلمان وسلمى بصفتين ولا نكرتين وانما سلمان من سلمى كقحطان من قحطى وليلان من ليلى غير أنهما كانا من لفظ واحد فتلاقيا في عرض اللغة من غير قصد ولا ايثار لتقاودهما ألا ترى أنك لا تقول هذا رجل سلمان ولا هذه امرأة سلمى كما تقول هذا رجل سكران وهذه امرأة سكرى وكذلك لو جاء في العَلَم ليلان لكان من ليلى كسلمان من سلمى وكذلك لو وجد فيه (أي العلم) قحطى لكان من قحطان كسلمى من سلمان اه

وأنا أقول وإن كان لا يجوز لمثلي أن يعارض قول ابن جني أن سلمان من سلمى لما تقدم من قول شارح الحماسة أن سلمى يجب أن تكون مشتقة من السلامة فتكون في الأصل صفة فسلمان صفة المذكر وإذا جاز أن يقال في سعدان أنه من السعادة كسعاد منها كما في شرح الرضي على الشافية فلِمَ لا يجوز أن يقال ان سلمان من

السلامة للمذكر وسلمى للمؤنث اللهم الا ان كان قصده بسلمى التي ليس منها سلمان أحد جبلي طي (اجا وسلمى) فهذا لا نزاع في أنه اسم غير مصدر ولا صفة كرضوى اسم جبل ايضاً اما تسمية الرجل بسلمان فلم يقصد بها الا وصفه بالسلامة تفاؤلا كما لا يخفى وتتميما للفائدة أقول ان فَعلى بفتح الفاء الذي الفه ليست للالحاق يأتي على أربعة اضرب كما في الايضاح لأبي علي الفارسي الأول ان يكون اسماً غير مصدر ولا صفة كسلمى ورضوى للجبلين وشروى بمعنى مثل .الثاني ان يكون مصدراً كالدعوى والنجوى .الثالث ان يكون وصفاً مفرداً كريان ورياوسكران وسكرى .والرابع ان يكون جمعا كجرحى وكلمى ويختص بما كان آفة او داءً او مناسباً لهما كحمقى ونوكى وجرحى لان الحمق داء والجرح آفة وكذلك اسرى في اسير لان الأسر ضرب من الافات اه .

وسليمان — قال المبرد تصغير سلمان ونقل في شرح الحماسة عن أبي العلاء انما سمى الناس بهذا الاسم لما شاع الاسلام ونزل القرآن فسموا بـــه كما سموا بابراهيم وداود واسحق وغيرهم من أسماء الانبياء على معنى التبرك فسليمان المسمى به منقول من اسم سليمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو عبراني وقد تكلمت به العرب في الجاهلية ولم أعلم انهم سموا به قال النابغة :

الا سليمان اذ قـــال الاله له   قم في البرية فاحددها عن الفَنَدِ

وهو موافق لمصغر سلمان. فاما سلامان اسم القبيلة فلو صغر لقيل على مذهب سيبويه سليمان فحذفت الالف الاولى وجاء في لفظ اسم سليمان بن داود . وغير سيبويه يقول سليان فلا يحذف شيئاً ويشدد الياء وهو مذهب المبرد اه .

اسماء — سمي به جماعة من الرجال والنساء قال في شرح الحماسة في ترجمة مالك بن اسماء ذكر سيبويه اسماء في جملة الاسماء التي في آخرها زيادتان فحذفتا في الترخيم معاً نحو سكران وبصرى ومسلمات وقال أبو العباس لم يكن يجب ان يذكر هذا الاسم في جملة هذه الاسماء من حيث كان وزنه افعالاً لانه جمع اسم وذهب أبو العباس الى أنـــه منع من الصرف في العلم المذكر من حيث غلبة تسمية المؤنث به فلحق عنده ببـــاب سعاد وزينب اه وقال في اللسان اسماء اسم امرأة مشتق من الوسامة وهمزته الاولى مبدلة من واو قال ابن سيده وانما قلوا ذلك لان سيبويه ذكر اسماء في الترخيم مع فعلان كسكران

معتمدا بها فعلاء ونقل عبارة شرح الحماسة عن أبي العباس ثم قال وقوّى أبو العباس قول سيبويه انه في الاصل وسماء ثم قلبت واوه همزة وان كانت مفتوحة (أي لان الاصل في قلبها همزة ان تكون مضمومة كما في أُقّتت) وقياس قول سيبويه ان لاينصرف ولو كان نكرة (أي لوجود الف التأنيث فيه) لانه عنده فعلاء واما على غير مذهب سيبويه فانها تنصرف نكرة ومعرفة لانها أفعال كاثار ومذهب سيبويه فيها اشبه بمعنى اسماء النساء لانها عندهُ من الوسامة وهي الحسن فهذا اشبه في تسمية النساء من معنى كونها جمع اسم اه .

تنبيه

اختلف اللغويون في سُمَيَّة اسم ام عمّار بن ياسر في ضبطها ومعناها فقال بعضهم هي سمية بضم السين وفتح الميم وياءمشددةقال ابن‌السكيت هي تصغير اسماء واسماء افعال فشبهوها لكثرة التسمية بها بفعلاء وشبهت اسماء بسوداء واذا كانت سوداء اسماً لامرأة لانعتاً لها قلت في تصغيرها سويدآء وسويدة فحذفت المدة فاذا كانت سودآء نعتاً قلت هذه سويدآء لاغير كذا في التاج .

وقال في شرح الحماسة في موضع ان سمية تصغير سمآء وفي موضع آخر ان طُهَيَّة ام قبيلة من العرب تصغير طاهية والطاهي الطباخ فعليه يجوز ان تكون سمية تصغير سامية وفهم صاحب التاج انها سَمِيَّة بفتح السين تأنيث سَمي كغني المسامي والمطاول وبه فسرت الاية «هل تعلم له سميا» أي مساميا يساميه والسمي ايضاً من يشاركك في اسمك والنظير والانثى سمية كذا يفهم من اللسان .

الاسلت — الذي قطع انفه فاستؤصل يقال سلت انفه يسلته سلتا اذا قطعه اه من ابن دريد وفي القاموس وشرحه الاسلت من اوعب جدع انفه وهو الاجدع وبه سمي الرجل وهو والد ابي قيس الشاعر صيفي بن الاسلت واسم الاسلت عامر فهو لقب له اه

سعيد الكرمي

نخبة من كتاب

الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ

ان ما اشتهر به الأستاذ والعلامة المحقق أحمد باشا تيمور المصري من الاريحية والعناية بالعلم ومعاضدة المشاريع الأدبية ولا سيا حفاوته بمجمعنا العلمي وتنشيطه ايانا باستحسان خطتنا ونسخ بعض نوادر مكتبته الثمينة لنا ، وامداده ابرسائل ومقالات رائعة لما يستحق عليه كل ثناء. ومما اتحفنا به نخبة من كتاب (الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) من تأليف العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن أبي بكر السخاوي المنسوب إلى بلدة سخا من مديرية الغربية في القطر المصري المتوفى سنة ٩٠٢هـ (١٤٩٦ م) وهو مشهور بمؤلفات كثيرة بلغت نحو مائة وثلاثين بين مطول ومختصر من أهمها (الضوء اللامع في تراجم أهل القرن التاسع) من مخطوطات مكتبتنا الظاهرية في خمسة مجلدات ضخمة مضبوطة و (التبر المسبوك في ذيل سير الملوك) وهو ذيل لكتاب (السلوك لمعرفة دول الملوك) للشيخ أبي العباس تقي الدين المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) طبعت منه قطعة في مصر . و (الشافي من الالم في وفيات الأمم) وهو في علماء القرنين الثامن والتاسع مرتب على السنين . و (الكوكب المضيء) في تراجم علماء عصره . و (وجيز الكلام في ذيل تاريخ دول الاسلام) لشمس الدين الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) . و (ذيل رفع الاصر عن قضاء مصر) لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ (١٤٤٨ م) إلى كثير من الكتب المتفرقة في مكاتب اوربة والاستانة ومصر والشام ومعظمها لم يذكره صاحب (كشف الظنون) .

أما كتاب (الاعلان بالتوبيخ) هذا فهو غريب الأسلوب يقع في النسخة التيمورية النفيسة في ٢٢٦ صفحة تتضمن مباحث رائعة في التاريخ وتعريفه لغة واصطلاحاً ومن مفيد ما في هذا البحث : أن كلمة التاريخ هي (يمنية) عربية وقد سبقه اليه المؤرخ الدمشقي ابن عساكر صاحب تاريخ الشام الكبير ودعم هذا الرأي اللغوي العلامة الأثري أحمد بك كمال المصري لأنه وجد كلمة (تاريك) عند المصريين يمنية الأصل وفي

الكتاب مباحث رائعة في التاريخ حتى انه يعد من النوادر وفيه نقد المؤرخين أخصهم ابن خلدون ولقد أجاد تيمور باشا بوصف هذا الكتاب ونشر فصلين منه احدهما « في ما الف في مطلق التاريخ » والثاني « في ما ألف في التاريخ » وذلك بمجلة الآثار لصاحبها عيسى أفندي اسكندر المعلوف أحد أعضاء مجمعنا العاملين « راجع الآثار المجلد٢ صفحة ٦و١٢٥و١٦٦ » . وهذه المقالة الثالثة منه ننشرها الآن بالحرف وهي :

فصل من الاعلان بالتوبيخ

في تاريخ العلم بالبلدان رفعة وانحطاطاً

(فاما المدينة) ذات الهجرة فكان العلم وافراً بها في زمن الصحابة من القرآن والسنن وفي زمن التابعين كالفقهاء السبعة وزمن صغار التابعين كعبد الله بن عمر وابن ابي ذئب وابن عجلان وجعفر الصادق ثم مالك الامام ومقرئها نافع وابراهيم بن سعد وسليمان بن بلال واسماعيل بن جعفر . ثم تناقص العلم جداً بها في الطبقة التي بعدهم ثم تلاشى .

قلت ولا سيما وقد سكنها جماعة من الروافض وتحكموا بها وغلب أمرهم عليها ولكن نشأ بها في القرنين الثامن والتاسع افراد من العلماء في غالب المذاهب والفنون انتفع بهم أهل السنة وفيهم ممن صنف عدد يسير . والسنة بحمد الله الآن معتضدة بمن شاء الله من فضلاء أهلها من قضاتها وغيرهم نفعني الله ببركاتهم .

و (مكة) كان العلم بها يسيراً في زمن الصحابة ثم كثر في أواخر عصر الصحابة وكذلك في أيام التابعين كمجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وابن أبي مليكة وزمن اصحابهم كعبد الله بن أبي نجيح وابن كثير المقري وحنظلة بن أبي سفيان وابن جريج ونحوهم وفي زمن الرشيد كمسلم الزنجي والفضيل وابن عيينة ثم أبي عبد الرحمن المقري والازرقي والحميدي وسعيد بن منصور في اثناء المائة الثالثة تناقص علم الحرميين وكثر تغيرهما .

قلت وكان للحرم المكي الجمال بافراد مبتدئين للعلم والتصنيف من اهله والواردين عليه في سائر المذاهب وغالب الفنون بحيث كان حقيقاً بالارتحال اليه لذلك فضلاً عن كونه محلاً للنسك .

(وبيت المقدس) نزلها جماعة من الصحابة كعبادة بن الصامت وشداد بن أوس وما زال بها علم ليس بالكثير ثم نقص جداً ثم ملكها النصارى تسعين عاماً ثم أخذت[١]

و (دمشق) من بلاد الشام القطر المتسع المشتمل على عدة بلاد ومدن وقرى نزلها عدة من الصحابة وكثر بهـا العلم في زمن معـاوية ثم في زمن عبد الملك وأولاده وما زال بها فقهاء ومحدّثون ومقرئون في زمن التابعين وتابعيهم ثم إلى أيام أبي مسـهر ومروان ابن محمد الطاطري وهشام ودحيم وسليمان بن بنت شرحبيل ثم أصحابهم وعصرهم . وهي دار قرآن وحديث وفقه وتناقص بها العلم في المائة الرابعة والخامسة وكثر بعـد ذلك ولا سيما في دولة نور الدين وأيام محدثها ابن عساكر والمقادسة النازلين بسفحها . ثم كثر بعد ذلك بابن تيمية والمزي واصحابها .

قلت ثم تناقص شيئاً فشيئاً ولكن فيها الآن بحمد الله بقية يفهمون العلم ويتكلمون به بارك الله فيهم .

(ومصر) وهي بلد عظيم وقطر متسع شرقي وغربي وصعيدأعلى وأدنى . افتتحها عمرو في زمن عمر رضي الله عنهما وسكنها خلق من الصحـابة وكثر العلم بها في زمـن التابعين ثم ازداد في زمن عمرو بن الحارث ويحيى بن أيوب وحيـوة بن شريح والليث بن سعد وابن لهيعة وإلى زمن ابن وهب والشافعي وابن القاسم واصحابهم . وما زال بها علم جم إلى أن ضعف ذلك باستيلاء العبيدين الرافضة عليهـا سنة ثمـان وخمسين وثلاثمـائة وبنوا القاهرة . وكان قاضيها اذ ذاك أبو طـاهر الذهلي البغدادي المالكي فأقروه حتى مات ثم ولوه للاسماعيلية المتشيعين . وشاع التشيع فقل بها الحديث والسنة إلىأن وليها امراء السنة بعد مائتي سنة و نقذهـا الله من أيديهم على يـد الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمه الله فتراجـع العلم اليهـا وضعف الروافض ولله الحمد . وهي الآن أكثر البلاد عمارة بالفضلاء من سائر المذاهب والفنون وفقهم الله .

(والاسكندرية) فتبع لمصر مـا زال بهـا الحـديث قليلاً حتى سكنهـا السلفي فصارت مرحولاً اليها في الحديث والقراآت ثم نقص بعد ذلك . قلت إلى أن عدم إلا

---

(١) استطرد المؤلف هنا لذكر احاديث في فضائل المدينة ومكة وبيت المقدس لم نر فائدة من ذكرها لخروجها عن الموضوع .

من بعض الغرباء وغالبهم مالكيون على أنه قد ولي قضاءها عدة من الشافعية .

(وبغداد) وهي أعظم بلاد العراق بنيت في آخر أيام التابعين وأول من بث بها الحديث هشام بن عروة وبعده شعبة وهشيم . وكثر بها هـذا الشان فلم تزل معمورة بالاثر والخير وإلى زمن الامام أحمد ثم أصحابه وهي دار الاسناد العالي والحفظ ومنزل الخلافة والعلم إلى ن استؤصلت في كائنة التتار الكفرة فبقيت على نحو الربع ثم تزايد خرابها حتى لم يبق فيها من يعرف شيئاً من العلم والامر لله .

(وحمص) نزلها خلق من الصحابة وانتشر بها الحديث زمن التابعين وإلى أيام حريز ابن عثمان وشعيب بن أبي حمزة ثم اسماعيل بن عياش وبقية وابي المغيرة وأبي اليماني ثم اصحابهم ثم تناقص ذلك في المائة الرابعة وتلاشى ثم عدم بالكلية .

(والكوفة) نزلها مثل ابن مسعود وعمار بن ياسر وعلي بن أبي طالب وخلق من الصحابة ثم كان بها ائمة التابعين كعلقمة ومسروق وعبيدة والاسود ثم الشعبي والنخعي والحكم بن عتبة وحمّاد وابي اسحاق ومنصور والاعمش واصحابهم . وما زال العلم بها متوفراً إلى زمن ابن عقدة ثم تناقص شيئاً فشيئاً وهي دار الرفض .

(والبصرة) نزلها أبو موسى الأشعري وعمران بن حصين وابن عباس وعدة من الصحابة فكان خاتمتهم خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصويحبه أنس بن مالك ثم الحسن وابن سيرين وأبو العالية ثم قتادة وأيوب وثابت البنـاني ويونس وابن عـون ثم حماد بن سلمة وحماد بن زيد واصحابهما . وما زال بهـا هذا الشان وافراً إلى رأس المائة الثالثة وتناقص جداً إلى أن تلاشى .

(واليمن) حلها معاذ وابو موسى وخرج منها ائمة التـابعين وتفرقوا في الارض . وكان فيها جماعة من التابعين كابني منبه وطاوس وابنه ثم معمر واصحابه ثم عبد الرزاق واصحابه وعدم منها بعدهم الاسناد . قلت وهو قطر متسع يشتمل على تهامي ونجدي فيه مدن وقرى وشعاب وجبال ولم يزل العلماء به في عصر الصحابة متافرون[1] والائمة اليها يرحلون بل هي في كل عصر في ازدياد من العلم . ولما ظهر مذهب الشافعي واشتهر به رجعوا الى تقليده وكان ذلك في المائة الثالثة كما ذكره الجَنَدي ثم كثر ذلك لا سيما

(١) كذا في الاصل ولعلها يتوفرون .

في الدول الأيوبية وما بعدها حتى الآن . ويوجد في علمائه الحنفية وكثير من الزيدية وهم بصنعاء ونحوها ومن العثمانية وهم بحضرموت ومن الاسماعيلية وهم بالجبال وغيرهم من الطوائف

(والأندلس) كقرطبة واشبيلية وغرناطة وبلنسية فتحت في أيام الوليد بن عبد الملك وجلب إليها العلم لكن اشتهر بها العلم والحديث في المائة الثالثة بابن حبيب ويحيى ابن يحيى وأصحابهما ثم ببقيّ بن مخلد ومحمد بن وضّاح وخرج منها مثل ابن عبد البر وابي عمرو الداني وابن حزم وأبي الوليد الباجي وأبي علي الغساني ولم يزل بها اثارة من علم إلى أن استولى على قرطبة واشبيلية النصارى فتناقص بها العلم .

(واقليم المغرب) فادناه اقليم افريقية وأمها هي مدينة القيروان كان بها سحنون بن سعيد الفقيه صاحب ابن قاسم وأما بجاية وتلمسان وفاس ومراكش وغالب المدائن فالحديث بها قليل وبها المسائل . قلت وكلهم مقلدون لمالك رحمه الله وطائفة ظاهريون وفيه بقية من علم .

(والجزيرة) أكثر مدائنها يعني كمنبج وبالس والرها خرج منها جماعة من المحدثين

(وحران والرقة) وغير ذلك خرج منها حفاظ وأئمة .

(والدينور) خرج منها حفاظ كمحمد بن عبد العزيز وأبي محمد بن قتيبة وعبد الله ابن محمد وعمر بن سهل بن سماعيل المتوفى سنة ثلاثين وثلاثمائة وأبي بكر بن السني .

(وهمذان) دار السنة صار بها علماء من سنة مائتين وهلم جرا وختمت بالحافظ أبي العلاء العطار وأولاده ثم استباحها التتار والجنكزخانية .

(والري) صارت دار علم بجرير بن عبد الحميد وأمثاله ثم بابن حميد وابن مهران الجمال وابراهيم بن موسى وسهل بن زنجلة ثم بابن وارة وأبي زرعة وأبي حاتم وابنه وإلى أثناء المائة الرابعة وذهب ذلك .

(وقزوين) ذكرت في المائة الثالثة وخرج منها محمد بن سعد بن سابق الرازي ثم القزويني وعلي بن محمد الطنافسي وعمرو بن رافع واسماعيل بن يحيى وتوبة ابن عبدل وكثير بن هشام وخلق بعدهم . ثم ابن ماجة وصاحبه أبو الحسن القطان .

(وجرجان) صار فيها حديث كثير في المائة الثالثة باسحاق بن ابراهيم الطلقي ومحمد بن عيسى الدامغاني ثم بابي نعيم بن عدي واسحاق بن ابراهيم السجزي وأبي أحمد ابن عدي وأبي بكر الاسماعيلي والغطريفي وأصحابهم ثم اغلق الباب .

(ونيسابور) دار السنة والعوالي صارت بابراهيم بن طهمان وحفص بن عبد الله ثم بيحيى ابن يحيى وابن راهويه ومحمد بن رافع وعبد الرحمن بن بشر وعبدالله بن هاشم والذهلي وأحمد بن يوسف ومسلم وابراهيم بن أبي طالب وأبي عبد الله البوشنجي ثم بابن خزيمة وأبي العباس السراج وابن الشرقي وخلائق . ومازال يرحل إليها في ظهور التتار وآخر شيوخها المؤيد الطوسي ثم مضت كان لم تكن .

(وطوس) صارت دار علم بعد المائتين كان بها محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه وهي بقدر حماة ظناً .

(وهراة) منها أبو رجاء عبد الله بن واقد والفضل بن عبد الله الهروي وأحمد بن نجدة ومحمد بن عبد الرحمن السامي والحسين ابن ادريس ومحمد بن المنذر إلى أن ختمت بأبي روح عبد المعز بن محمد ودثرت .

(ومرو) بلد كبير من أقاصي خراسان خرج منها أئمة فكان بها بريدة بن الحصيب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة من الصحابة . ثم عبد الله بن بريدة ويحيى بن يعمر وعدة من التابعين ثم الحسين بن واقد وأبو حمزة السكري وابن المبارك والفضل بن موسى وأبو تميلة وعلي بن الحسن بن شقيق وعبدان بن عثمان وأصحابهم ثم نقص ذلك في المائة الرابعة ولم ينقطع إلى خروج التتار ففرغ ذلك .

(وبلخ) صار فيها علماء في أواخر المائة الثانية كعمر بن هارون ومكي بن ابراهيم وخلف بن أيوب وقتيبة بن سعيد وخت[1] ومحمد بن أبان وعيسى بن أحمد العسقلاني ومحمد بن علي بن طرخان ثم تناقص ذلك وتلاشى .

(وبخارى) عيسى بن موسى غنجار وأحمد بن حفص الفقيه ومحمد بن سلاّم البيكندي وعبد الله بن محمد المسندي وأبو عبد الله البخاري وصالح بن محمد جزرة وأصحابهم . وما زال بها صبابة حتى دخلها العدو بالسيف .

(وسمرقند) بها أبو عبد الله عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ثم محمد بن نصر المروزي وعمر بن محمد بن بجير وآخرون .

(والشاش) وهي آخر بلاد الاسلام التي بها الحديث منها الحسن بن حاجب والهيثم

(١) كذا في الأصل ولعلها (وابن نوبخت) .

ابن كليب ومحمد بن علي ابو بكر القفال ثم فرع ذلك وعدم .

(وفرياب) خرج منها جماعة من العلماء أقدمهم محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري ومنهم القاضي جعفر بن محمد الفريابي صاحب التصانيف سمع بفرياب في سنة ست وعشرين ومائتين .

(وخوارزم) بلد كبير خرج منها جماعة من العلماء من أقدمهم الحافظ عبد الله بن أُبَيّ .

(وشيراز) خرج منها جماعة من الفقهاء وحديثها قليل وقل من ارتحل اليها « وكرمان » « وسجستان والاهواز وتستر وقومس » اقليم واسع خرج منه محدثون . « والدامغان » مدينة كبيرة « وسمنان » مدينة صغيرة « وبسطام » مدينة متوسطة وهذه المدائن أوائل مدن خراسان من الجهة الغربية .

(وقهستان) أكثر مدائن هذا الاقليم الري ثم زنجان وابهر واقليم قهستان ملاصق لاقليم قومس وهو شرقي وهو غربي قومس متشامل عن العراق متاخم لقزوين .

فالاقليم التي لاحديث بها يروى ولا عرفت بذلك الصين اغلاق الباب والهند والسند والخطا وبلغار وصخر القفجاق وسراة رقرم وبلاد التكرور والحبشة والنوبة والبجاة والزنج وإلى أسوان وحضرموت والبحرين وغير ذلك .

واما اليوم فقد كاد يعدم علم الاثر من العراق وفارس واذربيجان بل لايوجد باران وجيلان وارمينية والجبال وخراسان التي كانت دار الآثار بل واصبهان التي كانت تضاهي بغداد في العلو والكثرة . والباقي من ذلك ففي مصر ودمشق حرسهما الله تعالى وما تاخمهما وشيء يسير بمكة وشيء بغرناطة ومالقة وشيء بسبتة وشيء بتونس نسأل الله حسن الخاتمة . لكن القرآن وفروع الفقه موجود كثير شرقاً وغرباً لكن ذلك مكدر في المشرق وغيره بعلوم الاوائل وارآء المتكلمين والمعتزلة فالامر لله وهذا تصديق لقول الصادق المصدوق لاتقوم الساعة حتى يقل العلم ويكثر الجهل فنسأل الله العظيم علماً نافعاً.

قلت وهذا الفصل كله جزء افرده الذهبي وصدره بالامصار ذوات الآثار وهو مفتقر لقليل تذييل سوى ما الحقته في أثنائه إما مميزاً أو مدرجاً .

ومن الممالك « الروم » التي كرسي ملكه اصطنبول ومنه اذنه وبرصا وغيرها من مجاوريها ففيها علماء وفضلاء بالعقليات وغالبهم بل كلهم حنفيون وقل ان تصل الينا اخبارهم . اه

الوضع والتعريب
٣

يوم الاربعاء في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٢٢ قبل الظهر عقدت جلسة المجمع برئاسة نائب الرئيس الأستاذ الكرمي وحضور الأعضاء العاملين سلوم والمغربي والمعلوف وحضور بعض الأعضاء الشرفيين . وهم الشيخ عبد القادر المبارك ورشيد بك بقدونس والدكتور مرشد بك خاطر فقرئت عليهم أعمال الجلسة الماضية والألفاظ التي وافقوا على استعمالها قبلا فوقعوا الجلسة .

ثم جرت مباحثة بشأن الألفاظ التي وضعها المجمع تلبية لاقتراح دائرة الشرطة بكتابها « عدد خصوصي (٤٠٨) وعدد عمومي (٢٨١٣) » المحول إلى وكالة مديرية المعارف ومنها إلى المجمع في ٨ كانون الأول سنة ٩٢١ وهذه هي الألفاظ بحسب ورودها منهم وتفسيرهم لها :

النشان – شارة الرتب . وضع لها المجمع كلمة (الطراز) وهو كما في مقدمة ابن خلدون صفحة ٢٢٢ من طبعة مصر « من ابهة الملك والسلطان ومذاهب الدول أن ترسم أسماؤهم أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الابريسم تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب الحاماً وسدىً بخيط الذهب أو مايخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على مايحكمه الصناع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصداً للتنويه بلابسها من السلطان فمن دونه أو التنويه بمن يختصه السلطان بملبوسه إذا قصد تشريفه بذلك أو ولايته لوظيفة من وظائف دولته » اه

الشعبة – تبقى على لفظها لأنها فصيحة .

القوردون – (بند) مما يعلق على الكتف من تحت الابط . اخترنا له (الوشاح) جاء في المصباح . الوشاح شيء ينسج من أديم ويرصع شبه قلادة ومنه قولهم توشح بثوبه وهو أن يدخله تحت ابطه الأيمن ويلقيه على منكبه الأيسر .

ابوليت – ما يوضع على الكتف في الكسوة العسكرية . اخترنا لها (المنكبية) لأنها توضع على المنكب ومعناها في الافرنسية يدل على هذا والمنكب هو موصل العضد بالكتف كما في المعجمات . وارتأى بعضهم استعمال (الكتفية) على ما فيه .

قالپاق – معروفة . وضعنا لها (الكُمَّة) قال في القاموس والتاج هي القلنسوة المدورة لأنها تغطي الرأس وتكمم الرجل عندلبسها وهي أقرب الألفاظ إليهافي مانظن .

كِه تر – لفافة جلد للرجلين . اخترنا لها كلمتين الأولى (اللفافة) من نسيج ونحوه قال في القاموس : اللفافة ما يلف على الرجل . والثانية (الرَّان) قال التاج الرَّان كالخف إلا أنه لا قدم له وهو أطول من الخف وهذا لما يغطي الساق من جلد ونحوه .

جزمه – معروفة . اخترنا لها (السوقاء) بمعنى الطويلة الساق وهو مجاز من قولهم امرأة سوقاء أي طويلة الساق . وقد سبق لأحد اللغويين من معاصرينا استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى فاستحسناها .

پوتين – معروف . يناسبه (المُوْق) و (الخفّ) قال في اللسان الموق الخف وضرب من الخفاف . ثم قال : الخف الذي يلبس وفي التاج الخفّ واحد الخفاف التي تلبس في الرجل . ويفهم من عبارات الفقهاء أن الخف في العادة يستر الكعبين فيناسب الپوتين .

كنـدره – معروفة . اخترنا لها (الحذاء) قال في التاج الحذاء ككتاب النعل والحذَّاء كزجَّاج صانع النعال ولعل (المكعب) كمقود أولى بالاستعمال من الحذاء اذ قال في المصباح : المكعب هو المداس لا يبلغ الكعبين .

سترہ – معروفة . استحسنا لها ما وضعه بعض لغويي مصر وهو (الفرُّوج) قال في المخصص : هو قباء فيه شق من خلفه .

بنطلون – لم يرد في اللغة للباس ذي ساقين طويلين يستر النصف الأسفل من الجسم غير السراويل فإما أن تستعمل بمعنى البنطلون أو أن توصف بما يميزها عن بقية السراويل كلفظة (الضيقة) أو (المحزَّقة) كما يقال في ضدها (الواسعة) أو (المخرفجة) ومثلها السراويل الافرنجية أو العربية على أن بعض المصريين عرب (البنطلون) بكلمة (بنطال) لتأتي على وزن عربي ولا نرى مانعاً من استعمال بنطلون لشيوعها .

جاكت – معروفـة وهي (الرداء) وفي القاموس هو ما يستر القسم الأعلى من الجسم

كبّوت – معروف وهو نوعان فما كان له قبّعة ملتصقة به فهو (البُرْنُس) وهو كما في المعاجم كل ثوب رأسه ملتزق به . وما كان بدون قبّعة فهو (الدثار) قال القاموس الدثار الثوب الذي فوق الشعار وفي حديث الأنصار (أنتم الشعار والناس الدثار) يعني أنتم الخاصة والناس العامة ولعل الأولى استعمال الملحف وهو اللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه .

مهموز – المهمز أو المهماز . قال القاموس : هو ما يهمز به وهو حديدة في مؤخر خف الرائض والهمز النخس والكلّوب المهماز أيضاً

بله رين – معروف يناسبها (العطاف) أو (المِعْطف) وهو كما في التاج الرداء والطيلسان وكل ثوب يتردى به . وقيل سمي الرداء عطافاً لوقوعه على عطفي الرجل وهما ناحيتا عنقه . ويقال عطّفته ثوبي تعطيفاً إذا جعلته عطافاً له أي رداء على منكبيه كالذي يفعله الناس في الحر ومن أسمائه (البقيرة) و (البقير) قال في القاموس هو برد يشق فيلبس بلا كمين ولا جيب كالبقيرة ولعلها أولى بالاستعمال .

كلبجة – سوار حديد يوضع بأيدي المسجونين . اخترنا لها (الجامعة) وهي الغل كما في أساس البلاغة قال الشاعر (كايدي الأسارى أثقلتها الجوامع) ولعل الأولى الغلّ وهو كما في القاموس طوق من حديد وقد يجعل في العنق أو في اليد .

بارمق بند – آلة تربط ابهام المسجونين وربما ناسبها (النكْل) بالكسر وهو القيد الشديد من أي شيء كان أو (الكِبْل) وهو بمعناها .

دوسيه – طائفة أوراق لمعاملة واحدة . هي أنواع فما كان منها لتنضيد الأوراق بعضها فوق بعض وحفظها فهو (الإضبارة) وما كان لثقب الأوراق وتعليقها فهو المخزومة قال في شفاء الغليل للخفاجي وهي لنوع من الدفاتر تخرق مولدة قال ابن نباته :

لفلان في الديوان صورة حاضر فكأنه من جملة الغيّابِ
لم يدر ما مخزومة وجريدة سبحان رازقه بغير حسابِ

أما ما لف من الأوراق لفاً فيحسن أن يستعمل له الملف كما اختاره المصريون

تلفون – وضـع له البعض المسرة والحاكي والندي والمنادي والمقول ، وتشوش استعماله على الكتاب . والذي رأيناه يناسبها من الألفاظ (المحاور) من حـاوره أي راجعه في الكلام والهاتف وهذه أولى وأقرب . قال في اللسان سمعت هاتفاً يهتف إذا كنت تسمع الصوت ولا تبصر أحداً . والهاتف أيضاً من يسمع صوته ولا يرى شخصه فبينهما مناسبة ظاهرة . والكلمات التي وضعت له ليس فيها ما يخالف الاستعمال إلا (الحاكي) فانه وضع للفونوغراف .

قولا أو كه ريت – الكوخ الخشبي الصغير لاقامة الخفراء وقوفاً اخترنا لهـا (المحْرَس) وهو موقف الخفير للحراسة .

سانترال تليفون – سميت المقسم ونحن نرى تسميتها (بالمفرق) أولى لأنه محـل تفرق خطوطها .

نيس – أداة معدنية في التلفون كالاصبـع تصل بين سلكين المكالمة اخترنا لهـا (الواصلة) أو (الاصبـع) .

طوقه – اللوح المعدني الذي يربط طرفي الزنار الجلدي يوافقهـا (الابزيم) وهو كما في كتب اللغة : حلقة لها لسان تكون في السرج وغيره .

ميقروفون – قسم من التلفون وهو الآلة التي تأخذ وتعطي الصوت وأقرب ما تسمى به عندنا (المحارة) لأنها تشبه محارة الأذن أي صدفتها وتوضـع على الأذن للاستماع والمخاطبة .

زيل – الجرس المنبه . استعملنا له قبلاً (المنبه) وأولى ما يسمى به (الجُلجُل) وهو الجرس الصغير وتقول جلجل إذا حرك الجلجل ونحوه ليصوت . أما المنبه فقـد اشتهر استعمالها لنوع من الساعات .

كليشه – قالب معدني (يعالج بالحوامض وغيرها لطبـع الصور الشمسية) اخترنا لها (الرَوْسَم) وهو في أصل معناه خشبة مكتوبة بالنقر يختم بها الحنطـة ونحـوها على البيادر .

طربوش – يبقى على لفظه لشيوعه وعدم وجود لفظ أولى منـه وهي فارسـية معرب سربوش أي ساتر الرأس .

جزيرة ميون (بريم) Périm

١ً ـ توطئـــة

مما منيت به العربية في العصر الماضي وفي هذا العصر ، ان العرب أخذوا بعض اعلام رجالهم ومدنهم عن الافرنج مع أنها شرقية الأصل أي من العبرية مثلاً أو العربية أو الارامية فأخْذُ المعربين هذه الأعلام عن أبناء الغرب محرفة أو مصحفة لا يرضى به غيور على لغته أو قوميته . فانك ترى بعضهم يقول ميخائيل والصحيح ميكائيل والكلمة مركبة من العبرية من (مي اي من) و (ك مثل ك العربية بمعنى مثل) و (ايل أو إل أي الله) ومفاد الكلمة : من مثل الله . فلا أعلم سبب قول بعضهم ميخائيل إلا لأنهم نقلوا هذا الاسم الشرقي الأصل من اللغة اليونانية .

ومما مسخوه أيضاً : (اليشباع) اسم والدة يوحنا المعمدان وامرأة زكريا الكاهن الأكبر ، فانهم يقولون فيه (اليصابات) لخلو لغتهم من العين . ولا جرم أن الرجوع إلى الأصل الشرقي هو مما يسلم به كل عاقل .

وادهى من هذا أنهم تلقوا عن الافرنج بعض أسماء المدن أو المواضع العربية وتركوا الأصل ، اما لجهلهم اياه بتاتاً واما تعصباً للشعوبية . والألفاظ من هذا القبيل كثيرة . وهنا لا أريد أن أتعرض إلا للفظ واحد وهو (ميون) فان المعاصرين سموها ظلماً بريم جرياً على ما ينطق بها الافرنج . والعرب لا تعرف هذا الاسم .

٢ً ـ موقع ميون واسمها عند الافرنج والأقدمين

ميون وزان جهول ، جزيرة من جزر البحر ، واقعة في مدخل مضيق باب المندب وتشرف عليه ، وهي في الدرجة ٤١ والدقيقة ٣ من الطول شرقاً وفي الدرجة ١٢ والدقيقة ٤٠ من العرض شمالاً وعلى أربعة كيلو مترات غرباً من ساحل جزيرة العرب .

ذكرها صاحب دائرة المعارف في مادة (بريم) ولم يشر إلى اسمها عند العرب .

وكان من المنتظر ان يرى الناطقون بالضاد اسماء بلادهم على مايتلفظون بها ، لا على ما ينطق بها الاجانب . فسامحه الله على هذه الهفوة .

ويظن علماء الافرنج ان هذه الجزيرة هي التي كان يسميها الاقدمون : « جـــزيرة ديودورس Insula Diodori على أن الأمر مرتاب فيـــه . وأما قـــول صاحب دائرة المعارف « وكانت بريم تدعى قديماً ديودوري » ففيه خطآن : الاول انه ذكر الامر على وجه يُشَم منه رائحة التأكيــد والثاني انه قال ديودوري ، والصـــواب كما ذكرنا .

واما دائرة معارف محمد فريد وجدي ، فلم تزد الغلط الارسوخاً في الافكار فقد قال في مادة بريم : جزيرة حربية محصنة في مضيق باب المندب آخر البحر الاحمر تابعة لانكلترة عدد أهلها ١٤٩ نسمة . اه ولم يذكر في ميون شيئاً .

٣ ـــ شيء من تاريخها وحالتها

كانت ميون في بدء امرها راجعة الى امام صنعاء وهذه هي قاعـــدة اليمن أو حاضرتها ، إلا أن الانكليز احتلوهــا عنوةً في سنة ١٨٥٧ وهي تقسم المضيق قسمين غير متساويين .

والذي زاد شأنها فتح ترعة السويس فانها أصبحت تشرف على البحرين : البحر المتوسط والبحر الاحمر وغدت في أيدي البريطانيين مفتاحاً ذا بابين جليلين .

والذي يعبر من معبري المضيق هو الاصغر المجاور لبلاد العرب وهو الوحيد الذي يختلف اليه أصحاب البواخر البحرية أما الثاني فانه كان أوسع وأعرض إلا أنـــه صعب التجول فيه لما هناك من الجزر الاطـْمِيَّة المحتـــد وتعرف بالاخوان الثمانية فإنها مبثوثة في أنحائه بث الجراد في الارض .

طولها من الشمال الغربي إلى الجنـــوب الشرقي تسعة كيلو مترات في عـــرض خمسة وعلوها عن البحر ٧٥ متراً في جزئها الاعلى وقد بنى عليه الانكليز مناراً . وهي بيضية الشكل في جلستها ومخروطة مقطوعة في قوامها . وكل مايرى فيها يدفع ناظرها الى القول بانها كانت في سابق العهد أطمة (بركاناً) ويتألف جرمها كله من صخرة مفشاة

بقشرة رقيقة من الرمل تكاد لاتكون قشرة. وليس في الجزيرة ماء عذب ولا حطب أو خشب.

وجميع الظواهر تدل على أن ميون بقيت بدون سكان مدةً إلى أن حملت الدواعي السياسية الانكليز على اتخاذها معقلاً لهم ولمنافعهم التجارية ولا سيما لمنافعهم الادارية

ولم يتكلم الناس عنها إلا في أواخر القرن المنصرم ولما خافت انكلترة ان يفلت بونابرت من ديار مصر الى ربوع الهند أو أن يفعل الافاعيل في البحر الاحمر فبعثت من ابنائها من يحتلها . ولم يـــدم هذا الاحتلال سوى عامين وفي اثنائها أسست فيهـــا مبادىء قلاع وحصون وحفرت صهاريج لشرب الحامية ، وما كاد الخطر يدبر حتى غادرها البريطانيون لما كانت تكلفهم من المبالغ الطائلة .

وفي سنة ١٨٥٥ نُهب مركب انكليزي في ساحل بربرة ولم يستطع البريطانيون أن يحصلوا من رؤساء القبائل على مايرضيهم فاضطروا إلى احتلال ميون ثانية احتلالاً لايعدلون عنه ، فركزت جيوش شركة الهند العلم البريطاني في ١٤ شباط من سنـــة ١٨٥٧ ومنذ ذلك الحين ابدلوا تلك الصخرة بقلعة هائلة تشرف على طريق الهند . ففيها حامية عدد عسكرها الهندي ٢٠٠ ومثل هذا القدر من العَمَلة وهم لاينقطعون عن العمل ليدفعوا عنها كل وخامة ويتقدموا في هذه الارض من البحر .

وميناء ميون ينشأ من قَرْنَي ضرب من هلال جبلي عند المدخل المقابل لجهة الترعة أي لجهة بلاد الحبش . والمرسى حسن لاتفعل فيه الرياح وان اشتدت ويمكنه ان يسع سفناً كباراً في حمىً حريز تحميه مدافع الحصن الذي يشرف على الجزيرة كلها والمعبر الضيق .

وزد على ذلك إذا كان المركب لايدنو من الساحل دنواً يمكن المسافر من النزول إلى البر فلا بد من التقرب من الارض تقرباً عظيماً لاخطر فيه وان كانت السفن تغور في الماء غؤُوراً بعيداً . والمرسى حسن وهو عبارة عن بقعة عظيمة رملية وبازائه سوق واسعة فيها فرس مولودون في الهند وهنود وارمن وهم يقدمون الفحم اللازم للمراكب مهما كان قدرها وفي سائر الاسواق ترى جميع البياعات من أجنبية ووطنية ممـــا يحتـــاج اليه الشرقيون والافرنج في السفر . وفي بعض الاسواق خان حسن الادارة نظيف الحجر فيذهب اليه بعض المسافرين إذا مامروا بالجزيرة وأرادوا الوقوف فيها للاستراحة . والقلمة التي بناها الانكليز واقعة على اليسار على ساحل البحر الاحمر وهي

مهيبة المنظر وقد اقيم هناك مُسَنَّيَات وعَرِم وطُرُق منها مطوّقة لها ومنها شاقة لها من أعلى إلى أسفل ومنار بني في سنة ١٨٦٠ م .

وينقص هذه الجزيرة جميع المرافق اللازمة لتقوم بما يُنْتَدب اليه كل موقع تجاري إذ ليس لها – على ما أشرنا اليه فويق هذا – ماء عذب ولازرع ولاضرع ، ولقد اصبحت مكرهة لان تطلب حاجياتها وطعامها الى (عدن) والماء الى (تجورة) مع أن هناك آلة مقطرة قد اقيمت في محل النزول إلى الجزيرة أي عند أسفل القلمة ، إلا أن لها حسنة تنسي جميع مافيها من المساوىء وهي أنها قائمة على طريق الهند وقد أصبحت غُصَّة في حلق البحر الاحمر . وقد مررت بها مراراً عديدة وآخر مرة كانت في ٢٩ تشرين الثاني من السنة الماضية (١٩٢١) فلما وصلناها ذكر لي أحد ضباط المركب هذه الحكاية وانا اترك العهدة عليه قال :

في سنة ١٧٩٩ واجه أحد ربابنة البحر من الانكليز رباناً فرنسياً في عدن ولم تكن هذه يومئذ الانكليز فقال البريطاني للفرنسي :

– إلى أين المسير أيها الصديق الحميم والزميل الفاضل ؟

– إلى جزيرة صغيرة قريبة من باب المندب وهي شجاً في حلق البحر الاحمر وقد بُلّغت ان احتلها باسم حكومتي .

– حسناً تعمل . وهل انك متأكد انها خالية من كل انس ؟

– نعم ليس فيها أحد .

– لعلك واهم فما عسى أن يكون اسمها ؟

– بِريم

– فاذا كنت متحققاً أمرك فما عليّ الا ان اشجعك في سعيك المشكور .

ثم عاد كل واحد إلى مركبه وكان قد علم الربان الانكليزي ساعة إقلاع المركب الفرنسي من (عدن ابين) فسبقه البريطاني إلى الجزيرة بعد ساعات فلما وصل الربان الفرنسي إلى ميون ، رأى في أعلاها العلم البريطاني يخفق ، فسقط في يده ولات ساعة مندم .

بغداد — الاب انستاس ماري الكرملي

Le Pére Anstase-Marie O. C.D

عثرات الاقلام

- ٧ -

قبل العود إلى موضوعنا نأتي على ذكر ملاحظتين جديرتين بالتدبر

(١) اننا عجبنا لاغلاط ننبه اليها ونشير إلى ماهو الصواب أو الأصوب فيها ثم نراها أحياناً في الصحف بل اعجب من ذلك ان نرى الاغلاط تعاد وتكرر في نفس الصحيفة التي تنشر (العثرات) فنرجو من حضرات مصححي الصحف أن يلاحظوا ذلك والا لم يكن لنشر (العثرات) في صحفهم معنىً ولا قيمة وصح ان يخاطبوا بقول الشاعر (يا أيها الرجل المعلم غيره) إلى آخر البيتين .

(٢) اننا في انتقاداتنا نمشي على أفصح لغات العرب وابلغ اساليب الكتاب : اما اذا كان هناك قول أو لغة تجيز الكلمة التي انتقدناها أو الاسلوب الذي عبناه فلا يضرنا ذلك : مثاله اننا انتقدنا حذف (لا) من (لاسيما) وزيادة الواو في قولهم (لابد وان) فاذا قال قائل ان هناك لغة تجوّز ذلك نقول له وهناك أيضاً لغة تجوز ان يقال (اكلوني البراغيث) فهل نستعمل هذه اللغة ونترك الانتقاد على الكتّاب الذين يجرون عليها في كلامهم ؟

فمن عثرات الاقلام قولهم (فلان ذكي العقل غويص الفكر) فان كانوا يريدون انه يغوص بفكره إلى أعماق المسائل فالصواب أن يقولوا انه غواص الفكر أو غائص الفكر وورد في أقوال الفصحاء (هو يغوص على حقائق العلم وما أحسن غوصه عليها)

ومنها قولهم (لم يترك العرب بابا من أبواب التمدن الا وطرقوه) صوابه الا طرقوه بحذف الواو لان جملة طرقوه هنا صفة لقوله (بابا) ولا يفصل بين الصفة والموصوف بالواو ولو كانت حالا لجاز ذلك .

ومنها قولهم (يانع غرسه) أو (غرس يانع) أو (غصن يانع) صوابه ان يقال غرس أو غصن نضير أو ناضر أما اليانع فيوصف به الثمر فيقال ثمر يانع ويانع الثمر أي ناضجه . وقولهم (وجعلوا يبيعونه باسعار متهاودة) صوابه مهاودة أي مهاود فيها : من

(هاوده) أي وادعه وهاونه والاسم منه (الهوادة) وهي المحاباة والرفق واللين .

ومنها (لم تجد دائرة الشرطة اثراً لهذا الرجل رغم تكرارها البحث عنه) أو (بالرغم عن تكرارها) وهذا التركيب فيه رائحة العجمة والصواب فيه ان يقال (لم تجد اثراً له مع كثرة تكرار البحث عنه) لان معنى (الرغم) القسر والكره وهما انما ينسبان الى الاشخاص ولا معنى لجعل التكرار مرغماً مكرهاً. (وقولهم) هذا (الشيء قاصر على كذا) أي مقصور عليه فيستعملون فعل (قصر) لازماً وهو متعدٍّ . قال في القاموس : قصرت الشيء على كذا إذا لم تتجاوز به إلى غيره فالشيء مقصور عليه لا قاصر عليه

وقولهم (وهذا المشروع يقتضي له نفقات كثيرة) صوابه حذف (له) الواقعة بعد يقتضي . فيقال يقتضي نفقات أي يطلبها ويستلزمها .

وقولهم (فلان احاط فلاناً علماً بالامر) أي أعلمه به من جميع جهاته . فيجعلون فعل (احاط) متعدياً وهو لازم . يقال احاط زيد علماً بالامر وفي القرآن الكريم (احاط بكل شيء علما) فاذا اريد استعمال فعل (احاط) في مثل هذا المقام جاز أن يقال (فلان جعل فلاناً يحيط علماً بالامر) .

وقولهم (وقد حرمَ البلاد من وسائل الرقي والعمران) صوابه (حرم البلاد وسائل) بحذف (من) لان حرم يتعدى بنفسه إلى مفعولين يقال حرم الله فلاناً الرزق لا من الرزق

وقولهم (يجرعهم على فعل المنكرات) بالعين صوابه يجرئهم بالهمزة من الجـــراءة اما التجريع فمعناه الابلاع قال في القاموس: جرّعه الماء ابلعه اياه جرعة بعد جرعة

ومنها قول أحد الشعراء (سكتت ضوضاء من في الحي) بتأنيث الضوضاء على توهم انه من باب شحناء وبغضاء كأنه مشتق من ضاص يضوص وهي مادة لم ينطقوا بها والصحيح أن الضوضاء وزنه فعلال على حد بلبال وزلزال فهو مذكر واشتقاقه مـــن الضوضاء وهي الصياح والجلبة وقد وقع هذا الخطأ في كلام بعض الجاهليين لانه من المواضع التي تلتبس على غير اللغوي قال الحارث بن حلزة :

اجمعوا امرهم بليل فلما اصبحوا اصبحت له ضوضاء

وقولهم (لسنا لننكر ان الامر كذا) بادخال اللام في خبر ليس وهو خطأ لان هذه اللام لا تدخل الا في خبر كان المنفية كما هو مقرر في كتب النحاة فالصواب ان يقال لسنا ننكر

وقولهم (السفر المورود في التوراة) يعنون الوارد أما المورود فلا يصح استعماله في مثل هذه العبارة لانه اسم مفعول والمعنى يقتضي اسم الفاعل لان الفعل الذي يستعمل في مثل هذا التعبير معلوم لامجهول فلا يقال وُرِدَ هذا السفر في التوراة بل ورد فيها فهو وارد لامورود

وقولهم (يلزم عليك أيها الشاب أن تكون أديباً) والصواب يلزمك أو يجب عليك . أو عليك فقط لان فعل لزم بالمعنى المقصود هنا يتعدى بنفسه فيقال لزم الشيء فلاناً أي وجب عليه .

وقولهم في الرياضة البدنية (كلما مارسها الانسان كلما قويت أعضاؤه) ولا معنى لزيادة كلما الثانية فالصواب أن يقال كلما مارسها الانسان قويت أعضاؤه .

وقولهم (تكلم زيد ضد عمرو) واذنب ضده وكل ذلك من التعريب الافرنجي الحرفي الذي لايصح استعماله في لسان العرب والصواب تكلم عليه واذنب اليه .

وقولهم (نظرت المحكمة دعوى فلان وبعد رؤية الدعوى تبين ان الامر كذا) والصواب ان يقال نظرت المحكمة في الدعوى وبعد النظر فيها تبين كذا لان المراد بالنظر هنا النظر العقلي فلا تجوز تعدية الفعل بنفسه ولا استعمال الرؤية لان معنى كليهما النظر بالعين .

وقولهم (ان العين تبتهج برؤياكم) والرؤيا لاتكون إلا للحلم فالصواب أن يقال تبتهج العين برؤيتكم .

وقولهم (طالما كنا سوية) يعنون كنا معاً ولا يصح استعمال السوية بهذا المعنى لانها بمعنى السواء يقال قسموا المال بينهم بالسوية وهذا حكم لاسوية فيه وهي النصَف والعدل .

وقولهم هذا الكتاب يشتمل على كذا صحيفة يعنون الصفحة وهي أحد وجهي الصحيفة أما الصحيفة فهي الورقة بوجهيها .

ومن عثراتها قولهم (صممت الحكومة على لغو هذا القانون) و (تصرح الحكومة برغبتهافي نهو القتال) و (أرجو منكم الصغو إلى حديثي) و (قررت الحكومة العفو عن رسم الدخولية) والصواب في ذلك كله أن يقال : الغاء وانهاء واصغاء واعفاء : ولم

يرد في كتب اللغة لغو ولا نهو ولا صغو ولا عفو بهذه المعاني .على أن قولهم أنهى القتال أو العمل بمعنى اتمها فيه نظر لأنه انما يقال أنهى الخبر أبلغه وأوصله فالأولى أن يقال عوض (أنهى العمل): اتمه أو أكمله أو أنجزه .

ومنها (اشترى عشرين ذراعاً من القماش) لم ترد كلمة القماش في معاجم اللغة بمعنى النسيج ولا الثياب وانما معناها فتات الأشياء التي تكون مطروحة على وجه الارض يقال لرذالة الناس قماش ، وقماش البيت متاعه. فالأوجه أن نستعمل كلمة النسيج أو كلمة الثياب مكان القماش .

ومنها قولهم (ولما ركب البحر اصابته دوخة شديدة) الأوجه أن يقال اصابه هدام أو دوار أو درام .

ومنها قولهم (قفلت الحكومة محله التجاري)و (غلق فلان حانوته مساءً) والصواب فيها اقفل وأغلق بالهمز ولم يرد في اللغة قفل بهذا المعنى أما غلق فلغيّة رديئة .

وقولهم (وقد ارضعتهم حكومتهم اثداء الحرية) صوابه أَثْدِيَ الحرية أو ثُدِيَّها ولم يرد اثداءٌ في جمع ثدي .

وقولهم (ولما استتب به المقام) صوابه استقر به المقام أو استقر به المجلس أما استتب لفلان الأمر فمعناه اتسق له الأمر واطرد واستقام .

ومنها قولهم (والذي شجعني على طرء هذا الموضوع كذا) صوابه طرق بالقاف على أن الأحسن العدول عن (طرق) فيقال الخوض في هذا الموضوع أو الكتابة فيه .

ومنها قولهم (ولما رأى نضوج هذه الفكرة وفجها في مكان آخر) لا كلمة نضوج صحيحة ولا كلمة فج فان مصدر نضج النُضْج لا النضوج ومصدر الفج الفجاجة لا الفج فالصواب أن يقال (ولما رأى نضج هذه الفكرة في مكان وفجاجتها في مكان آخر) .

ومنها قولهم (أرسل إليه مظروفاً أو مغلفاً فيه أوراق مالية) صوابه ظرفاً أو غلافاً أما المظروف والمغلف فهما الشيء الذي يكون ضمن الظرف والغلاف .

ومنها قولهم (توقفت المعارك بسبب ما أصاب الفريقين من الخوار) صوابه الخَوَر وهو التعب لأنه المراد هنا أما الخوار فهو صياح البقر .

ومنها قولهم (وان كان فلان في الجيل الرابع عشر)أو (من أهل الجيل الرابع عشر) الأصوب أن تستعمل كلمة القرن مكان الجيل لأن القرن هو الزمن الطويل المقدر بمئة سنة وهو المراد في تقاسيمنا التاريخية أما الجيل فمعناه صنف من الناس ممتاز بجنسه ولغته فالعرب جيل والحبش جيل والكرد جيل .

★ ★ ★

بين العقل والقلب

قال البرنس بسمرك الألماني من خطاب له :

ان للنساء مقدرة عجيبة في غرس مبادئهن في عقول وقلوب أولادهن وأزواجهن لأنهن خلقن ليستولين على القلوب . والرجال خلقوا لاخضاع العقول. وفي سياسة الأمم نرى أن السيادة تكون غالباً للقلب والعواطف أكثر منها للفهم والادراك .

★ ★ ★

اللحن في الكلام داء عضال

دخل الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى مريض يعوده . فقال أخو المريض : افتح عيناك فان أبو عبد الرحمن حاضر . فقال الخليل : ما داء أخيك إلا من كلامك .

★ ★ ★

بيت بنصف ديوان

مرّ أبو العتاهية الشاعر بدكان وراق وإذا بكتاب فيه :

لا ترجع الانفس عن غيِّها ما لم يكن منها لها زاجرُ

فقال لمن هذا البيت فقيل لأبي نواس قاله للخليفة هرون حين نهاهُ عن بعض أشياء . فقال أبو العتاهية : وددت كونه لي بنصف شعري .

اخبار وافكار

هـــدايا

اتحفنـا العلامـة الدكتور . س مرغليوث Dr. Margoliouth من أعضـــاء مجمعنا الشرفيين بسبعة مجلدات من كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه كان الأستاذ آمدروز قد ابتدأ بطبعه وترجمته فتوفي في أثناء العمل فاتمه الأستاذ مرغوليوث وطبعه بثلاثة مجلدات باللغـة العربية وترجمه بثلاثة مجلدات بالانكليزية مـع مجلد رابـع في الفهرست فالجملة سبعة مجلدات .

واتحفنا الـكاتب الاجتماعي جرجي افندي باز في بيروت بخمسة مجلدات من مؤلفاته النفيسة وبثلاثة مجلدات من مجلته (الحسناء) التي كان ينشرها قبل الحرب فجمـلة هديته ثمانية مجلدات .

فنشكر لهم هداياهم ونرجو لكتبهم الانتشار .

★ ★ ★

اجوبة العلماء الاعلام المستشرقين والمجامـع العلمية

وهذا ما كتبه إلينا سعادة المارشال ليوتي الرئيس العام في مراكش

رباط في ٢٤ تشرين الأول سنة ١٩٢١

إلى حضرة السيد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق

يبهجني كل الابهاج أن أرى مجمعكم العلمي يعنى بأمور مراكش وإني لأستسعد بأن أجدكم وقد تـكامل تثقيفكم واستفاض صيتكم في آفاق سورية وبلاد الاسلام وفرنسا تنوبون عن المجمع العلمي في سؤآلي عن كتب تبحث عن مراكش لتجعلوها في مكتبتكم .

ثقوا كل الثقـــة بانني سأفرغ مجهودي أبداً في التقريب بين قطري الاسـلام الكبيرين وهما سورية ومراكش حتى يستتم الاتصال بين علمائها وتستحكم الأواصـر الشديدة بين هذين القطرين بفضل تعارفهما وتوادهما .

أرسلت إليـكم في هذا اليوم بواسطة مكتبي الملكي عدداً من المصنفات التي تبحث

عن مراكش بحثاً عاماً وهذه التصانيف بمنزلة أساس لمن يحب الاطلاع على أحوال مراكش.

وفضلاً عن ذلك فقد رجوت من الموسيو دي سنيفال رئيس دائرة السجلات ومكتبة الحماية الفرنسية في مراكش أن يتولى مراسلتكم وأن يبعث لكم بكل ما أمكنه من الكتب سواء كانت عربية أم فرنسية وأن يطلب إليكم مبادلات تفيد المكتبة التي يؤسسها الآن في مراكش وتنفع مكتبة المجمع العلمي العربي في دمشق .

تفضلوا يا سيدي بقبول فائق احترامي وها أنا أفصح لكم عن مبلغ تعلقي الخاص بسماكم . ليوتي

وكتب المجمع الأدبي العلمي البروسي ما يأتي بالحرف :

يعترف المجمع العلمي البروسي (أكاديمي) بوصول كتاب رئيس المجمع العلمي العربي السيد محمد كرد علي المؤرخ في ٢٠ سبتمبر سنة ١٩١٩ ويتشرف بأن يجيب عليه بأنه اهتم عظيم الاهتمام بوصول نبإ تأسيس ذلك المجمع العلمي في مدينة دمشق إليه .

وأن البرنامج الذي عزم المجمع العلمي العربي على الشروع فيه لبرنامج مبارك عزيز جليل ذلك المشروع العظيم الذي يعد بجمع شتات اللغة العربية ولم شعثها في جميع أدوارها وتقلباتها تالدها وطريفها والتنقيب عن أدبياتها في الأعصر المختلفة والقرون المتغايرة وجمعها ثم صبها في القالب الملائم والباسها ثوباً قشيباً واقتطاف ثمار المعارف والعلوم الأجنبية وابرازها للعالم المستنير الاسلامي في ثوب من نسيج متين وسربال أنيق يليق به ويوافق مآربه ومشاربه وان المجمع العلمي الأدبي البروسي يهنىء المجمع العربي بانشائه متحفاً سيجمع فيه ما عثر عليه من الآثار العلمية والطرف الثمينة في جميع بقاع أرض سورية والمحافظة عليها لدراستها ثم عزمه على جعل المكتبة العمومية الكائنة في الظاهرية كنزاً ثميناً ومنبعاً قيماً واخراج مجلة علمية أدبية تنشر بين العالم المتمدن درراً غالية ومعارف هامة .

توالت عدة قرون وتبعتها قرون على المعاهد العلمية العالية الألمانية وجامعاتها وهي ما فتئت توالي تعليم اللغة العربية وأدبياتها دائبة على البحث والتنقيب فيها بكل جد ونشاط والناظر في دور كتبها يرى كنوزاً من الكتب الأدبية والعلمية العربية يفوق

عدها الحصر تحدث عن عامة الممالك العربية في كل زمن وعصر من أعصر الدول الاسلامية تلك التحف والكنوز مازالت محفوظة في تلك المكاتب في أحسن حرز وعلى اتم نظام

وان المجمع العلمي الادبي البروسي لم يأل جهداً ولم يقف لحظة ماعن قدر اللغة العربية وآدابها حق قدرها باعمال متكررة ونشرات متوالية دائمة .

وانا نرجو ونأمل لشقيقنا المجمع العلمي الادبي في دمشق ان يعطى القدرة ليعيد للعالم الاسلامي العلمي الادبي شهرته السالفة وان يوفق الى اعلاء المدنية العربية في العلوم والفنون والآداب والاخلاق التي تلائم عظم وضخامة الشعوب العربية في شقي الكرة الارضية .

هذا وانه ليس احب إلى المجمع العلمي الادبي البروسي أكثر من أن يساعد ويمين على انماء المجمع العلمي الدمشقي في اي فرصة سنحت ولا يدخر معونة أية كانت ومستعد أن يتبادل المكاتبات مع شقيقه في كل آونة وزمان .

ان كثيراً من الاجيال المقبلة ستكون مدينة بالشكر والثناء الرجال الذين وضعوا الحجر الاول في تأسيس المجمع العلمي الادبي الدمشقي .

الامضاء

المجمع العلمي الادبي البروسي

★★★

كتاب الازمنة لقطرب

ذكرنا في الجزء الثاني من مجلتنا اننا عثرنا على نسخة من كتاب (الازمنة) قلنا اننا ظفرنا بها في احدى المكاتب القديمة . لكن النسخة لم تكن قديمة وانما نسخها بعض الافاضل من شبان الحاضرة الذين يشتغلون بالادب واللغة . وكان وهو يكتبها — يزيد فيها شروحاً وتعاليق يدمجها في كلام المؤلف ادماجاً وكان يضع هذه الزيادات والتعاليق بين دوائر صغيرة جداً بحيث لا يمكن للقارىء ان ينتبه إليها ثم نبهنا اليها حضرته وعلمنا ان في النسخة زيادات كثيرة من هذا القبيل قد يعسر تجريدها منها . لذلك عزمنا على اهمال نشر الكتاب ريثما يقع تحت يدنا نسخة قديمة نصحح عليها هذه النسخة الحديثة . وهذه الزيادات في النسخة التي وقعت بيدنا هي السبب في حصول بعض اغلاط في القسم الذي نشرناه منه . ولا يعسر على الفطن الانتباه اليه .

مطبوعات حديثة

المطالعة السديدة

أهدى الينا جناب الكاتب الاديب محمد أفندي ضيا المدرس بمدينة طنطا في مصر كتاب المطالعة السديدة للناشئة الجديدة وهو كتاب عربه مهديه الفاضل عن الانكليزية من قصص ايسوب الفيلسوف الذي كان قبل الميلاد بستمائة عام وقد وضع أكثر حكاياته على السنة الطيور والحيوانات لتكون الغاية منها انفذ إلى ذهن القارىء وقد تصفحناه فوجدناه سلس العبارة فصيحها جم الفوائد فنحث الناشئة على اقتنائه ونشكر لمعربه الهمام غيرته على اللغة والآداب ونشر الفوائد .

خواطر

كتاب علمي اجتماعي ادبي جمعه الكاتب عبد الحسيب أفندي الشيخ سعيد صاحب جريدة الهدف في حماة (سورية) وضمنه مقالات أدبية لكثير من كتاب العصر بينها طائفة من (عثرات الاقلام) التي ينشرها مجمعنا العلمي ولم تسلم هذه المقالة من بعض اغلاط مطبعية لايخفى على اللبيب اصلاحها والكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٩٢١ في ١٥٩ صفحة بقطع ربع .

سير العلم وسيرتنا معه

هي محاضرة بل (كلمة موجزة) للاستاذ الالمعي اسعاف أفندي النشاشيبي طبعها ثانية في القدس الشريف بهذه السنة في ٢٣ صفحة بقطع ربع وفيها فوائد جديرة ان يطالعها الادباء .

الانوار

شبه مجلة تظهر اسبوعية الآن في ١٦ صفحة في دمشق بقطع كبير اشبه بقطع الجرائد ينشئها يوسف أفندي الحاج وهي جليلة المباحث غزيرة الفوائد .

فنرجو لجميعها الانتشار والاقبال مع شكرنا الخالص لاربابها .

• • •

مجلة المجمع العلمي العربي

(١٦)

الجزء ٤ نيسان سنة ١٩٢٢ م الموافق ٤ شعبان سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

الاعلام بمعاني الاعلام

٦

الأسود — الحية العظيمة ونوع من العصافير يقال له أيضاً سوادية وسوادنة وسودانية والسود بالفتح سفح من الجبل مستوٍ كثير الحجارة السود والقطعة منه بهاء ومنه سميت المرأة سودة مثل سودة بنت زمعة المتقدم ذكرها وسمي بالأسود جماعة كثيرون ويصغر الأسود إذا كان اسما على سويد وان كانت صفة على اسيود كما في معالم الكتابة (أو أسيد بتشديد الياء كما تقدم عن ابن دريد) .

إشاءَة — بنو إشاءَة بطن من قبائل اليمن وإشاءَة أمة من حضرموت بها يعرفون والاشاءَة الفسيلة المتمكنة الكثيرة السعف قال الشاعر :

كان هزيرنا لما التقينا　　　هزير اشاءَة فيها حريق

اهـ من ابن دريد

اشجع— قال ابن دريد اشتقاقه من الشجع وهو الطول رجل أشجع وامرأة شجعاء والاسم الشجع (محركة) ورجل شجاع من الشجاعة وذكر أبو زيد انه لاتوصف به المرأة ورجال شجعة (كصبية) ولا يقال شجعان وذكر أبو زيد انه قد سمع شجيعا في معنى شجاع

والأشجع العقد الثاني من الأصابع والجمع أشاجع والشجاع (كغراب وكتاب) ضرب من الحيات وقد سمت العرب أشجع ومشجعة (اه) وفي القاموس وشرحه أن الشجاع مثلث الشين وشجيع كامير وشجع ككتف وشجمة كعنبة وأشجع كاحمد الشديد القلب عند البأس جمعه شجعة مثلث الشين وشجعة محركة وشجاع كرجال وشجعان بالضم والكسر وحكى ابن السكيت عن اللحياني رجل شُجاع وشِجاع وقوم شجعان مثل جريب وجربان وقال ابن دريد لا تلتفت إلى قولهم شجعان فانه غلط (اه) ويجمع شجيع على شجعاء كفقيه وفقهاء وقيل ان المرأة توصف بالشجاعة يقال هي شجاعة مثلثة الشين وشجعة كفرحة وشجيعة كشريفة وشجعاء بالفتح والمد جمعها شجائع وشجاع بالكسر وشجع بضمتين كما في القاموس وفسر الشجع أيضاً بأنه في الابل سرعة نقل القوائم والأشجع من فيه خفة كالهوج ويسمى به الأسد وأشجع بن ريث بن غطفان أبو قبيلة وبنو شِجْع بالكسر قبيلة من كنانة ومَشْجَعَة ابن تيم بن النمر بن وبرة بطن من قضاعة . وفي التاج أن الحية يقال لها أشجع . وفي شرح الحماسة في ترجمة أشجع السلمي ويجوز أن يكون أشجع من قولهم هذا أشجع منك اه

أشتر — الشَتْر القطع فعله كضرب والشَتَر بالتحريك الانقطاع فعله كفرح وفي التهذيب الشتر انقلاب في جفن العين قلما يكون خلقة والشتر بالتسكين فعلك بها وفي المحكم الشتر انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه أو استرخاء أسفله والشتر أيضاً انشقاق الشفة السفلى ولقب بالأشتر جماعة أشهرهم الأشتر النخعي أحد عمال علي بن أبي طالب وقواده في حروبه واسمه مالك وهو القائل :

بقيت وفري وانحرفت عن العلا ولقيت اضيافي بوجه عبوس
ان لم أشنّ على ابن هند غارة لم تخل يوماً من ذهاب نفوس
خيلاً كأمثال السعالي شُزَّبا تعدو ببيض في الكريهة شوس
حمي الحديـد عليهم فكأنهم ومضان برق أو شعاع شموس

اشرس — قال ابن دريد من الشرس وهو سوء الخلق وكل بشع الطعم من الشجر وغيره شريس والشَرِس من الشمر البشع (اه) وفي القاموس وشرحه الشرس سوء الخلق وشدة الخلاف كالشراسة وهو أشرس وشرس ككتف وشريس كامير وفعله كفرح وكرم والشَرَس أيضاً ما صغر من شجر الشوك كالشرس بالكسر وشرس كفرح دام على

رعيه وعن ابن الاعرابي شرس الرجل كفرح إذا تحبب إلى الناس والاشرس الجريء في القتال نقله الصاغاني والذي في التهذيب ان الجريء في القتال هو الاشوس فصحفه الصاغاني وسمي بالاشرس جماعة منهم الاشرس بن غاضرة الكندي صحابي اه ملخصا

اشنع — قال ابن دريد بنو اشنع بن عمرو من طي واشنع من قولهم ذكر فلان اشنع أي عال مرتفع فأما أمر شنع بين الشناعة فاحسبه من الاضداد وتشنع الثوب إذا تفزر وتشنع البعير إذا عدا عدواً شديداً وهذه غدرة شنعاء أي مرتفعة الذكر بالشنعة قال الشاعر

وكانت غدرة شنعاء فيكم تقلدها ابوك إلى الممات

اه وفي اللسان ان المشنوع هو المشهور

واما الشناعة بمعنى الفظاعة ففعلها كما في اللسان شنع ككرُم شناعة وشَنْعا وشنوعا قبح فهو شنيع الاسم الشنعة بالضم فاما قول عاتكة بنت عبد المطلب

سائل بنا في قومنا وليكف من شر سماعه

قيساً وما جمعوا لنا في مجمع باق شناعه

فقد يكون شناع من مصادر شنع كقولهم سقم سقاما وقد يجوز أن تريد شناعته فحذف الهاء للضرورة وشنّع عليه الامر تشنيعاً قبحه ورأى امراً شنع به كعلم شنعا بالضم استشنعه وتشنع القوم قبح أمرهم باختلافهم واضطراب رأيهم وتشنع فلان لهذا الامر إذا تهيأ له وتشنع الرجل هم بامر شنيع قال الفرزدق

لعمري لقد قالت أمامة إذ رأت جريراً بذات الرقمتين تشنعا

وشنعة شنعا كمنعه سبه عن ابن الاعرابي وقيل استقبحه وسمه وانشد لكثير

واسماء لا مشنوعة بملامة لدينا ولا مقلية باعتلالها

اه ملخصا وهذا وان كان خارجاً عما نحن بصدده الا أنه لايخلو من فائدة

اشوع — بطن من اليمن قال ابن دريد الشوع حركة انتشار الشعر وانتصابه رجل اشوع وامرأة شوعاء والشوع بالضم حب البان اه قال في التاج وبه سمي الرجل اشوع مثل جد سعيد بن عمرو بن اشوع الهمداني قاضي الكوفة وقال ابن عباد الشوع بياض أحد خدي الفرس وهو اشوع وهي شوعاء والمشواع كمحراب محراث

التنور وقال الجوهري يقال هذا شَوْع هذا وشَيْع هذا للذي ولد بعده ولم يولد بينهما وشوع القوم تشويعا جمعهم ويقال منه شيعة الرجل والأكثر أن يكون عين الشيعة ياء لقولهم اشياع اللهم الا أن يكون من باب أعياد (اه)

أشيم – بنو أشيم كاحمد قبيلة وصلة بن أشيم العدوي تابعي وشييم كزبير أبو عاصم الصحابي وغيره ذكره ابن دريد ولم يبين اشتقاقه وأنا أقول ربما كان من الأشيم بمعنى الأسود من الابل وهي شيماء والجمع شيم كبهم أو من الأشيم أحد موضعين أو جبلين من رمال الدهناء أو في بلاد بني سعد بالبحرين دون هجر كما في التاج ثم بعد كتابة هذا رأيت في اللسان أن المشيم والمشيوم والأشيم والأنثى شيماء الذي فية شامة وهي الخال في الجسد قال بعضهم مشيوم لا فعل له قال أبو عبيدة مما لا يقال له بهيم ولا شية له الأبرش والأشيم قال والأشيم أن تكون به شامة أو شام في جسده (اه) المقصود منه

أصبغ – اشتقاقه من قولهم فرس اصبغ والانثى صبغاءوهو الذي في طرف ذنبه بياض وممن سمي به الاصبغ بن نباتة كان على شرط علي بن أبي طالب رضي الله عنه كذا في ابن دريد وكذلك اصبغ ابن الفرج المصري أعلم الناس برأي مالك كما في التاج وفي القاموس أن من معاني الاصبغ أعظم السيول ومن أحدث في ثيابه إذا ضرب وواد في البحرين ومن الطير المبيض الذنب ومن الخيل المبيض الناصية أو أطراف الأذن وقال أبو عبيدة إذا شابت ناصية الفرس فهو أسعف فاذا ابيضت كلها فهو اصبغ قال والشعل بياض في عرض الذنب فاذا ابيض كله أو أطرافه فهو اصبغ (اه) من التاج .

اصدف – مأخوذ من الصدف والصدف ميل في أحد رسغي الفرس . فرس أصدف والأنثى صدفاء وصدف فلان عن كذا إذا صد عنه فهو صادف والصدف من البحر معروف وجمعه أصداف سمي به الأصدف بن صُلَيْبغ الشاعر كذا في ابن دريد وفي القاموس وشرحه الصدف في الفرس تداني الفخذين وتباعد الحافرين في التواء الرسغين أو هو ميل في خف البعير من اليد والرجل إلى الشق الوحشي فان مال إلى الانسي فهو القَفَد وهو أقفد وهي قفداء والصدف كجبل وعنق وصرد وعضد منقطع الجبل أو ناحيته ومنه حتى إذا ساوى بين الصدفين أو هما جبلان متلازمان اه .

اصرم = بن الحارث بن السباق من بني عبد الدار بن قصي قال ابن دريد أصرم افعل من الصرامة من قولهم سيف صارم ولسان صارم والصرم القطع ومنه صرمت النخل صرما وصراما والاصرمان الذئب والغراب وارض صرماء ومُصْرِمة لاماء فيها وناقة مصرمة لا ابن لها والصرمة القطعة من الابل مابين العشرين إلى الثلاثين ومن الناس ماليس بالكثير والصَّرِيم في التنزيل قالوا الليل لانه ينصرم من النهار والصريمة ما انصرم من الليل وانقضى وبنو صريم بطن من تميم وفي بني ضبة بطن يقال لهم بنـــو صريم وهم اخوال الفرزدق وفي ازد السراة بطن يقال لهم بنو صريم وبنو صِرْمة بطن من قيس وصُرَامة النخل ما صُرِم منه والصريمة صريمة الرجل ومضاؤه وجده اه

اصعر = قال في التاج سموا اصعر وصعران كسحبان وصُعران بالضم وصعير مصغرا والصعر محركة والتصعر ميل في الوجه أو في الخد خاصة وصعر خده تصعيرا وصاعره واصعره اماله عن النظر إلى الناس تهاوناً من كبر وفي الحديث يأتي على الناس زمان ليس فيهم الا اصعر أو أبتر يعني رذالة الناس الذين لادين لهم وقيـــل ليس فيهم إلا ذاهب بنفسه أو ذليل وقال ابن الاثير الاصعر المعرض بوجه كبرا اه ملخصا

اصفح = سمي به اصفح بن مالك بن الذعر ومالك هذا هو الذي استخرج يوسف عليه السلام من الجب والاصفح من قولهم رأس مُصَفَّح إذا كان فيه طول كذا في ابن دريد وفي القاموس وشرحه والمصفح كمكرم العريض من كل شيء ويشدد وهو الاكثر والمصفح أيضاً الذي اطمأن جنبا رأسه ونتأ جبينه والمصفح من السيوف المُمال والمقلوب ومن الانوف المعتدل القصبة ومن الرؤوس المضغوط على قبل صدغيه حتى طال اه

اصمع = بنو اصمع من بني سعد من قيس عيلان واشتقاق اصمع من قولهم رجل اصمع القلب إذا كان حديد النفس وكل شيء حددت طرفه فهو اصمع ومنه اشتقاق الصومعة . ويقال بُهمى (اسم نبت) صمعاء إذا تحددت السنبلة في رأسها وجاءنا بثريدة مصمَّعة أي محددة الرأس والاصمعي صاحب الغريب اسمه عبد الملك ابن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أصمع أبوسعيد منسوب إلى جدجده اصمع بن مَظْهَر بن رياح الباهلي وفسر هو الاصمع كما في شرح القاموس فقال الفؤاد الاصمع والرأي الاصمع العـــازم الذكي ورجل اصمع القلب إذا كان حاد الفطنة وفي القاموس والتاج الاصمع الصغير الاذن

والسيف القاطع والمترقي اشرف المواضع والكعب اللطيف المستوي . يقال رمح اصمع الكعب محدد وقناة صمعاء والاصمع أيضاً النبت خرج له ثمر ولم ينفتق ويقال للكلاب صمع الكعوب أي صغارها والصومعة بيت للنصارى (أي رهبانهم) كالصومع بدون هاء ومن غريب ما انشدنا بعض الشيوخ

أوصاك ربك بالتقى ... واولو النهى أوصوا معه
فاختر لنفسك مسجداً ... تخلو به أو صومعه

(اه) وقال ابن دريد كان علي بن اصمع المنسوب الاصمعي لابيه ولاه علي بن أبي طالب رضي الله عنه البارجاه (كلمة اعجمية معناها موضع الاذن وتطلق على بواب السلطان) فظهرت له منه خيانة فقطع اصابع يده ثم عاش حتى أدرك الحجاج فاعترضه يوماً فقال أيها الأمير إن أهلي عقوني قال وبم ذاك قال سموني علياً قال ما أحسن ما لطفت فولاه ولاية ثم قال : والله لئن بلغتني عنك خيانة لاقطعن مابقى عليّ من يدك وكان جرير مر بعليّ هذا فسلم فلم يرد عليه فقال جرير

الاقل لباغي ألأم الناس واحدا ... عليك عليّ الباهليّ بن اصمعا

ذو الاصبع العدواني شاعر معمر من شعراء الجاهلية قال أبوحاتم في كتاب المعمرين عاش ذو الاصبع وهو حُرثان بن مُحرّث بن عدوان بن عمرو بن قيس عيلان ثلاثمائة سنة وقال

اصبحت شيخا أرى الشخصين أربعة ... والشخص شخصين لما مسني الكبر
لااسمع الصوت حتى استدير له ... ليلاً وان هو ناغاني به القمر

وانما قال ليلاً لان الاصوات هادئة فاذا لم يسمع بالليل والاصوات ساكنة كان من أن يسمع بالنهار مع ضجة الناس ولغطهم ابعد وانما قيل له ذو الاصبع لانه كانت له في رجله اصبع زائدة وقال ابن قتيبة في كتاب الشعراء سمي ذا الاصبع لان حية نهشت اصبعه فقطعها اه مختصراً من خزانة الادب للبغدادي ولم يذكر ابن دريد في سبب تسميته ذا الاصبع إلا ما قاله ابن قتيبة .

سعيد الكرمي

★ ★ ★

خواطر في اللغة

« ١ »

الى المجمع العلمي العربي في دمشق

اطلعت على الجزء الثاني من المجلد الثاني من مجلة المجمع الصادرة في ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٤٠ بمدينة دمشق فوجدت في الصفحة المتممة للخمسين سؤالاً عن الكلمة العربية التي تقابل البسكويت عند الافرنج ووجدت ان المجمع اختار لذلك كلمتين : –

الاولى – الفرنيّة وهي خبزة تشوى ثم تروّى سمناً ولبناً وسكراً

والثانية – الهشّة وهي الخبزة الرخوة المكسر

وباطلاعي على أقرب الموارد رأيت أن الفرني خبز غليظ مستدير وقيل خبزة مصعنبة مضمومة الجوانب الى الوسط تشوى ثم تروّى سمناً ولبناً وسكراً وبهذا التعريف تجد ان الفرني لاينطبق تمام الانطباق على البسكويت لانه أي البسكويت مصنوع من عجينة تروّى بالسمن وتحلى بالسكر قبل شيّها بخلاف الفرني فانه لايدخل عليه السمن والسكر واللبن إلا بعد إنضاجه لاسيما وأن صاحب اقرب الموارد ذكر أن الفرني خبز غليظ أما البسكويت فغير غليظ . أما الخبزة الهشة كبيرة كانت أو صغيرة فهي الرخوة المكسر ولو أطلقنا الصفة على الموصوف لمجّه اللغويون والعامة لعدم سبق سماعــــه فيما بينهم لذلك كان وجه المقارنة بعيداً ولما كانت اللغة المصرية القديمة هي المرجع غالباً للغـــة العربية في مثل هذه الالفاظ وجب علينا ان نذكر هنا الكلمة العربية المناسبة للبسكويت فنقول : –

ظهر من نقوش معبد (إدفو بلدة في صعيد مصر) وهو الذي جدّد بناؤه في عصر البطالسة لفظ مصري يقابل البسكويت وهو « مُنَيْن » تصغير منة أي قطعة من منّ إذا قطع كما في قوله تعالى « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون » أي غير مقطوع فمنين على وزن سُهيل وجُبَيل يطلق في عرف العوام على القرص الصغيرة التي يروى عجينها بالسمن ويحلى بالسكر وهي كلمة سقطت من كتب اللغة لكن اللغة المصرية

حفظتها بل اظهرت لنا أشكالها بهذه الهيئة  فهي كالبسكويت شكلاً وصناعة واسماً وان صنف هذا القرص لايزال باقياً ومعروفاً عند العامة إلى يومنا هذا في مصر وكان المصريون يعرفونه قديماً لكن وجدنا اسمه على آثار ظهرت قبل المسيح بثلثمائة سنة وربما نجده مذكوراً في آثار سابقة لهذا التاريخ

أما المقريزي والطبري فقد ذكراه بعيد الفطير والكعك بلفظ خوشنان أو خوشنانج وهي كلمة فارسية على مايظهر

وقد عثرت مذكم سنة أثناء الحفائر التي أجريتها في دير البرشة التابعة لمديرية المنيا في قبر عميق من عصر الامرة الثانية عشر على قرصة مستديرة قطرها ثمانية سنتمترات صنعت من القماش ثم طليت بالجص الملون فوجهها الاسفل ضارب إلى الحمرة والاعلى إلى الصفرة وفي قلبها مادة سوداء رقيقة تظهر للرائي من حافتها انها من الحلواء جعلت حشواً للقرصة

ولا تزال محفوظة في متحف القاهرة فهذا دليل على أن المُنَيْن أي القرص الصغيرة المحشوة بالعجوة كانت معروفة عند قدماء المصريين قبل المسيح بالفي سنة وحيث علمنا مما تقدم أن المنين كلمة عربية مصرية عرفت من قديم الزمن وانها لاتزال موجودة بيننا لاسيما وان الكاتب المصري الذي من عادته ان يرسم خلف المسمى صورتـــه المؤيدة لمعناه المبينة لشكله وهيئته أبان لنا صورة المنين كالقطع الطويلة المستديرة أو كالقرص الصغيرة المحلى كلاهما برسم تخطيطي . لذلك وجب علينا ان ننبه عليه هنا أعضاء المجمع لينظروا في موافقته وعدمه وليعطوا رأيهم باتاً فيه هذا وقد يوجد بعض الالفاظ لاتزال العامة تتداولها ولا وجود لها في معجم اللغة كالناف مثلاً أي النير فإن أصله في المصرية (نحب) وفي القبطية (نحبه) والباء تقلب في المصرية والعربية فاءً نحو فحث وبحث والحاء تنوب عن الفتحة في بعض الاحيان حتى قلبت الكلمة المصرية إلى العربية فناف إذن عربية وجدت في المصرية والقبطية ويؤيده قـــول الكاتب المصري في قرطاس انسطاسي Anstasi 1, 0, 6,7 « بقرتان حمراوتان نافهما من جذع النخل » فسيتبين من هذا النص ومن الرسوم التي تحلت بها الآثار أن البقر كان الحيوان العامل في الحرث وان الناف كان يتخذ بعض الاحيان من جذوع النخل

أحمد كمال الاثري

٢

اطلعنا على ماحرره حضرة الاب أنستاس ماري الكرملي في جريــــدة العراق الصحيفة ١٤ الصادرة يوم الاحد أول كانون الثاني سنة ١٢٩٢ فوجدنا ماحرره في مبدإ تمهيده المؤشر عليه بعدد ١ مصيباً فيه لان تطورات الزمن واختلاط الامم ادخل كثيراً من الالفاظ في بعض اللغات لكن هذه الالفاظ الدخيلة تظهر لاهل اللغــــة من لفظها وبنيتها فتعرف ان كانت مشتقة أو جامدة ولاننكر أن هذا البحث اللغوي دقيق جداً في بابه جدير بالعناية صعب المنال فانا في بحثي اللغوي ارتكن على اللغة المصرية القديمة التي درستها مذ طفولتي ثم على القبطية والعبرية والامهارية وبعض الاحيان على الارامية وبهذه الطريقة تيسر لي تدوين القاموس الكبير وقارنت فيه بين الالفــــاظ المصرية القديمة والقبطية وغيرها فمتى وجدتها موافقة لفظاً ومعنى ورأيت رسم صورة الشيء الموجود خلف المسمى دالاً عليه حكمت بصحة مقارنتها وذكرت له الأمثلة تأييداً لها لان المصريين القدماء اعتادوا أن يرسموا خلف كل كلمة الصورة الدالة عليها ومن ثم كانت المقارنة سهلة في كثير من الاحوال فان لم أجد للكلمة المصرية نظيراً في العربية أو في غيرها من اللغات تركتها إلى فرصة اخرى هذا ما اتبعه الآن في قاموسي المحرر بالفرنسوية وقد انجزت منه إلى الآن عشرين مجلداً في ١٧ سنة فالمعجم الذي يشير اليه الاب انستاس ضروري جداً للغة العربية إذا كان التحري والبحث فيه دقيقاً مؤيداً ببعض الاسانيد الدالة على صحته المبينة لحقيقته والا فما وراء ذلك غلط وضلال . وقد اورد حضرته كلمه (بلم) على وزن سبب وقال انها هندية الاصــــل وانها (ولم) على وزن سبب في الهندية فمن اين لنا انقلاب الباء واواً أو الواو باء" هل هذا جائز في العربية حتى اجازه أهل العراق وغيروا بمقتضاه هذا الاسم تلك هي مسألة لاتسمح بها قواعد الصرف لان الباء لاتقلب واواً اصلاً والواو تقلب ياء والفاً وهمزة وأما قوله فان وجدت كلمة فصحى قبل الاسلام بعصور متعددة كان من المحال أن يعرف نشوء تلك الكلمة وفي مثل هذه الحالة يجب أن نستشهد باقدم كلام نقل الينا .

اقول رداً على ذلك انه متى وجدت كلمة عربية وقورنت بمثلها في المصرية القديمة سهل علينا معرفة زمانها وتطورها لان النصوص المصرية معلومة العصور فلا صعوبة في

معرفة زمانهامثال ذلك (عدّى) من معانيها جاز ذكرها المصريون في أقدم نصوصهم بهذا اللفظ والمعنى ورسموا خلفها صورة سفينة للدلالة على الجواز ومنها اشتقت (معدية) وضعت بالقياس على كل سفينة تعبر الانهر والغدران والجداول وغيرها ولم نجدهـــا في قواميس اللغة لكنها شائعة فيما بيننا مع أنها ذكرت بهذا المعنى في نصوص الاهرام ومن خلفها رسم سفينة دالة على ماهيتها فتجدها في سطر ٣٣٥ و ٣٣٩ و ٦٦١ من نقوش هرم الملك (تيتا) ومثلها (عبر) بمعنى جاز ذكرت في المصرية بهذا اللفظ والمعنى ومن خلفها رسم سفينة مفيدة لمعناها ومنها اشتقت (عبّارة) ومعبرة بفتح وكسر فاء الكلمة ومعناها ماعبر به النهر من سفينة وقنطرة وقد جاءت بهذا اللفظ والمعنى في اللغة القديمة المصرية فراجعها في جريدة السيتشرفت Zeits-hrift سنة ١٨٧٦ الصحيفة ٣٣ والسطر ٣٧ وفي نقوش الدير البحري قبل موسى عليه السلام ومن هذا القبيل :

سنيت الباب وسنوته واوي يأتي بمعنى فتحته كلاهما ذكرت في المصرية بهذا اللفظ والمعنى ورسموا خلف كل واحدة صورة ضفتي الباب يليهما صورة يد اشارة لفتـــح الباب (راجـــع كتاب المقرىء الصحيفة ٦٠ السطر ١) لكن فتح كتبت في المصرية (بتح) والباء تقلب فاء فيقال فحت وبحت عند أهل الصعيد ومنها كلمة بتاح أي الفتاح اسم من اسماء الله عز وجل ومثل ذلك أيضـــاً صان صوناً وبالمصرية (سن) وصرى يصرى صريا = حفظ ووقى وبالمصرية (سر) . ومقـــا مقوا بمعنى حفظ وبالمصرية (مق) . ووقى أي حفظ حفظاً وبالمصرية (وخ) والخاء تقلب قافاً في كثير من احوال الالفاظ المصرية الخ . ومثال ماجاء في العربية مغيراً عن المصرية (عنخ) فانها تكتب باشارة كالمفتاح ذي العروة وذلك مذ أقدم العصور وقيل لها بالقبطية (انخ) بضم الالف وسكون النون والخاء ثم قلبت لامها شيناً (عنش) في عصر البطالسة كما ورد في نقوش معبد (إدفو) وهي قرية في صعيد مصر ثم سقطت عينها وهو جائز في المصرية فاصبحت عش وبالعربية عاش بمعنى بقي ودام واستمر وجاء في المصرية عيش أي خبز ومن خلفها رجل واضع يده في فمه يليه رغيف مستطيل الشكل كالخبز الافرنجي فبالرجل يشيرون إلى الاكل وبالعيش إلى الخبز وإلى شكله .

ثم قال حضرة الاب واثباتا لما أريد أن أوجه اليه الانظار اذكر مثالاً يكون

بمنزلة ما نود أن يكون عندنا — هذه كلمة (حطة) وزان علة فقد اختلف اللغويون والمفسرون في معناها الخ ثم قال والكلمة ارامية الأصل ومعناها الخطايا وعليه فيكون تفسير الآية الشريفة المذكورة في سورة البقرة وهي (وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم) أي وقولوا اغفر لنا خطايانا نغفر لكم خطاياكم وبهذا الحل يزول كل الاشكال وما علم أن حطة مشتقة من حط وفي المصرية (هت) لقرب المخرج بين الحاء والهاء والطاء والتاء أي حدر من علو إلى أسفل واستحط فلان وزره سأله أن يحطه عنه والاسم منه حطة وقعت في الآية خبراً لمبتدإ محذوف تقديره تنازلاً أي استغفاراً فاجابهم الغفار جل جلاله نغفر لكم خطاياكم فلو كانت الكلمة (حطـه) الآرامية هي عين حطة المذكورة في القرآن الشريف لجاءت منصوبة لكونها مقولا للقول فهي عربية بحتة بريئة من العجمة وليس في تركيب الجملة تكليف ولا تعقيد بل بلاغة متناهية مطابقة للقواعد النحوية .

قال حضرة الأب (حراء) اسم جبل مكة على ثلاثة أميال منها قال وقد حار العلماء في معنى هذا الاسم ولو علموا أنه مأخوذ عن (Hiera) هيرا اليونانية أي الجبل المقدس (لاهتدوا إلى الصواب) قال إذ لا جرم أن عرباً جاوروا يونانا أو روما أو أن رهبانا من الروم كانوا يتحنثون أو يتعبدون في مغارة ذلك الجبل حتى أطلق عليه هذا الاسم ومعناه المقدس . وهو ضرب من الحدس والتخمين لا يمكن أن تبنى عليه حقيقة ، وفاته أيضاً أن أسماء الأعلام لا تعلل وان حرفت أو غيرت عند النقل فلا بد من حفظ كيانها , لا ننكر أن لحضرة الأب انستاس الفضل في تنبيه أهل اللغة إلى الاقدام على تأليف معجم واف مثل قواميس الافرنج نعم ان مثل هذا المؤلف الضخم يلزم له طائفة من رجال العلم يهتمون بتدوينه ويساعدهم في نشره أهل الغنى والثروة فيتم بذلك العمل وفقنا الله إلى الصواب انه سميع الدعاء أحمد كمال الأثري

(مجلة المجمع العلمي) لقد قرئت مقالتكم الغراء بشأن (السكوت) في جلسة المجمع العامة فاثنى الأعضاء على عنايتكم واهتمامكم في تتبع الألفاظ وتحري الفوائد التي يتوخاها مجمعنا في سبيل التحقيق خدمة للغة . وبعد التدقيق في لفظ (منين) والأصل الذي استخرجتموه منه رأينا أن هذه اللفظة ليست عربية محضة لأنها كما يفهم من كلامكم

تصغير (منَّة) وتصغير منة (مُنَيْنة) لا (مُنَيْن) ولو قلتم انها تصغير المنّ أي الطلّ الذي يسقط على الشجر تشبيهاً له به لكان ذلك موافقاً للقواعد العربية.

على أن كلمة (بسكوت) لاتينية الأصل مركبة من كلمتين معناهما (ماخبز مرتين) كانهم كانوا يقطعون الخبز رقائق تروّى باللبن والسكر ثم تخبز ثانية فسموها (بسكوت) أي مخبوزة مرتين. ثم تفننوا في أشكاله حتى صار اليوم يخبز مرة واحدة فقط وبقي اسمه كما كان ولذلك اخترنا له (الفرنيّ) لأنه أقرب ما يكون إلى معناه الأصلي لما فيه من الدلالة على الخبز بالفرن مع تضمنه معنى المواد التي يعمل منها وهي الدقيق واللبن والسكر ولا فرق بقي أن يشوي ويروّى أو يروى ويشوى. لأن المقصود الدلالة على مادته أكثر من كيفية صنعه والله أعلم.

فوائد لغوية

الشجار = العالم المشتغل بالبحث عن أحوال الشجر قال ابن البيطار في مفرداته في الكلام على (قرصعنه) وكلها مشهورة عند الأطباء والشجارين.

الكشوث = نبت يتعلق بالشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ولا ثمار ولا ظل ولا شجر

اللبلاب = نبت ورقه كورق اللوبياء يتعلق على الشجر ويسمى عاشق الشجر وحبل المساكين ويسمى في مصر بالعليق

العمشوش = العنقود يؤكل بعض ما عليه والعامة تسميه العملوش أو العرموش

المسيخ المليخ = الذي لا طعم له من لحم أو فاكهة قال الشاعر

مسيخ مليخ ملحم الحوار فلا أنت حلو ولا أنت مر

المحلاج = خشبة يوسع بها الخبز وتسميها العامة الشوبك تحريف الشوبق في الفارسية

المغلاق = ما يغلق به الباب ويفتح بالمفتاح ومثله الغلق

المزلاج = ما يغلق به الباب ويفتح باليد بدون مفتاح ومثله الزلاج

المعقب = السائق الحاذق بالسوق

جامعها أنيس سلوم

الحقوق المدنية

في العالم القـديم ومنابعها الثابتـة [1]

الحقوق المدنية عنصر من عناصر المدنية العامة للعالم القديم وحال ملازم له في أول أدوار التجمـع البشري وقد امتدت إليها فطرة الانسان قبل أن يعنى بأمرهـا ما وقفنا عليه من الكتب السماوية .ولها منابـع ثابتة مطردة عند جميـع الأمم لاتخرج عن ثلاثة بعد البحث والاستقراء

« اولها الحاجة »

هذا الأصل كما أنه من أصول الصناعة والتجارة وغيرهما فهو أصل من أصـول الحقوق المدنية وهو أصل ثابت في كل زمان لما هو حاجي من الأحـكام المدنيـة . ولذلك أقرته الشريعة الاسلامية . وقد اشتهر على السنة العموم أن الحاجة أصـل الاختراع . ومن هذا الأصل استنبط الناس قديماً مبادلة العروض بالعروض ، ومما يستنبط منه حق الزواج لبقاء النوع الانساني وحق الطلاق لتحصيل الراحة من النزاع العائلي الدائم

« ثانيها ارشاد الفطرة »

ومحصل هذا الأصل اتفاق آراء العالم كافة أو أهل محيط بتمامه على الحـكم باستحسان الأمر الذي يكون وسيلة لتحصيل مقصد من مقاصد الحياة العامة وهو أصل يعم الحاجيات والكماليات من الحقوق والارتفاقات وقد استنبط منه قسمة المشترك . أو المهاياة زماناً أو مكاناً على الانتفاع به قالوا ومن ذلك توريث الابن مال أبيه . وهذا الأصل هو الذي سمي بلسان الشريعة الاسلامية الاجماع وقد تخصص العمل به فيها بحالة فقدان النص من الكتاب أو السنة اللذين اعتبرهما الأصلين الأولين لأنواع الشرائـع والأحـكام

---

(١) المحاضرة التي ألقاها الشيخ سعيد مرادالغزي أستاذ المجلة في المعهد الحقوقي وذلك في بهو المجمع العلمي ليلة الجمعة في ١٣ تشرين الأول سنة ١٩٢١ م

« الثالث التجارب والممارسة »

ومحصله أن الاجتماع البشري لما كان قد يطرأ عليه من المعاملات الكمالية ما لا يكون مبرماً مع عدم اتفاق الآراء والفطر على تعيين مايقع ملائماً من صورها وكيفياتها لم يروا مندوحة عند طلب الكمال عن الأخذ بأية صورة تخطر لأي محيط من صور تلك المعاملة التي يتصورها العقل وتطبيق أية كيفية يتمكنون من تطبيقها فيما بينهم لتحصيل المقصد الحيوي من تلك المعاملة ويغلب وجود هذا الأصل في المعاملات الاختيارية مثل الزكاة وأنواع التجارات والوكالات والمزارعات

وبعد ان تظهر ملائمة تلك الصور والكيفيات لمصلحة الفريقين المتفقين على ايجاد تلك المعاملة بينهما ويتضح أنه لا ينشأ منها خلاف في الأغلب تعتبر في ذلك المحيط أصلاً من الأصول لما تدخله من المعاملات المدنية مقبولاً عند جمهورهم يرجعون إليه مرة في تقرير الحق وأخرى في تحصيله ممن وجب عليه لمن هو حق له

وقد سمي هذا الأصل بلسان التشريع الاسلامي (العرف والعادة) وقد أقرته الشريعة الاسلامية عاملاً في غير المنصوص من الاحكام على مر الأيام وهو من أهم الأصول والقواعد للشرائع الزمنية في كل جيل من الاجيال وعصر من العصور

علاقة اصحاب الشرائع السماوية بالحقوق المدنية

مما تقدم يتكون بلا ريب سؤال ملخصه ما هي اذن علاقة الشرائع السماوية بالحقوق المدنية والجواب عنه حسبما يتضح من أساليب الكتب السماوية المقدسة أن المقصد الاساسي من انزالها ومن ارسال الرسل العظام التي نشرت تعاليمها انما هو تربية النفوس بالأخلاق الفاضلة وتطوير الامم من سحيق الانحطاط الادبي إلى ذروة الكمال العقلي وتقوية الروابط القلبية فيما بني البشر وسوقهم من طريق الرغبة وحب الخير إلى أرفع الخصال وجعلهم يتركون المساوىء والقبائح باختيارهم بعداً عن أضرارها وعندئذ يستعدون لوضع ما يحتاجون إليه من نافع القوانين

وقد اقتدر كل واحد من الشارعين على أن يطور بنفسه وبتلامذته الملايين من

الناس في أقل من ربع قرن مع أن تطوير الامم باصول التربية العامة لايمكن حصوله قطعاً في ثلاثة أمثال هذه المدة كما تقرر في علم الاجتماع

وهذه هي خاصة الشارعين المشتركة فيما بينهم التي لايمكن ان يجاريهم فيها احد سواهم من اكابر الفلاسفة واعاظم نوابغ الامم

الحقوق المدنية الشرقية وفي ضمنها العربية قبل الاسلام

مما تقدم علم انه لابد لاية أمة من أن تكون ذات حقوق مدنيـــة حيث لايمكنها الحياة الاجتماعية بدونها غير أن التفاضل بين الامم إنما يقع في حسن انتخاب هذه الاصول وأيضاً في ثمراتها حسب درجة الامة الاخلاقية وصحة احتياجها أو فسادها وما وصلت اليه من درجة البعد عن الشر واحترام حقوق الافراد والجماعات عندما تريد أن تستخرج بارشاد فطرتها احكام القانون وحسب درجة ما اعتادته من أحكام المعاملات في الحسن والقبح

ثم ان أول ماعرف فيما وصل اليه البحث والاكتشاف من الحقوق المدنية الشرقية شريعة حمورابي المسماة باسم الملك السادس من ملوك الدولة الاولى من دول بابـــل المؤسسة قبل الميلاد بالفين واربعمائة وستين سنة والتي هي من أصل عربي عند أكثر المؤرخين فمن هذه الشريعة في حقوق الزواج ان كلاً من الرجل والمرأة انما يقترن بمـن يساويه في الطبقة الاجتماعية لابمن هو فوقه أو انزل منه طبقة

وقد كان يقع نادراً اتخاذ السراري بطريق الملك غير انهم كانوا يستثنون من ذلك عبيد القصر الملوكي فيجوزون لهم التزوج ببنات الاحرار

وكان زواجهم بعقد يكتب ويدون كما هو الحال في حدث الشرائع السماوية وعند ارقى الامم اليوم وكانت حقوق الزوجية عندهم متبادلة على نحو قريب مما هو معروف عن الشريعة الاسلامية ومن أحكامهم عقوبة الزاني بالقتل ذبحا ويستثنى من ذلك المرأة التي يغيب زوجها في الاسر ولا تجد من ينفق عليها فيسوغ لها أن تلجأ إلى من تتخذه زوجاً فاذا عاد الزوج الاول كان احق بها وان اولدها الثاني أولاداً فهم له وكان الزوج يقدم مهراً يسمى ثمن العروس والزوجة تحضر من أبيها أيضاً وكلا المالين يحفظ للزوجة عند الزوج للحاجة.

ومن أحكام هذه الشريعة ان الطلاق بيد الرجل فقط وحينما يستعمله يرجع مهر الزوجة إذا كان محفوظاً عنده ويطلقها أما هي فيجب عليها تربية الأولاد في مقابل حصة معينة من كسب الاب ولا يحق له طلاقها في حال المرض بل يتزوج سواها ان أراد وتبقى نفقتها عليه طول حياتها .

ثم ان الزوجة إذا كانت متضررة من معاشرة الزوج ترفع أمرها للقاضي فينزعها من الزوج جبراً إذا ظهر صدقها والا طرحت في الماء

ثم انه يتشكل من الزواج في هذه الشريعة عقد كفالة متبادلة بين الزوجين في جميع الحقوق المدنية . ولا تفرق هذه الشريعة في الارث بين الذكر والانثى وللوالد ان يمنع من اولاده من وقع منه سبب معقول يوجب منعه عن الميراث من ارثه ومن أحكامها في المعاملات العامة تسعير الحكومة لقيم السلع وتقدير أجور الصناع حتى من ذوي الحرف الرفيعة مثل الاطباء والمحامين .

وكان عندهم عقود وصكوك للمعاملات العامة .

ثم مضت اعصار وأدهار ما بين هذه الدولة صاحبة هذه الشريعة وبين عرب الحجاز الذين ظهر فيهم الشارع الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم وقد كانت حالتهم الحقوقية على درجة من الانتظام أرقى بكثير من حالتهم الاجتماعية العامة والادارية وقد ورثوا عن هذه الدولة ومن بعدها من الدول الشرقية العربية كثيراً من قواعد الزواج والطلاق غير أنهم ساء نظام الطلاق عندهم وصاروا يستعملونه مع عدم شدة الحاجة اليه بل اخترعوا الظهار والايلاء لقهر واعنات الزوجات وفشا عندهم تمدد الزوجات بداع وبدونه بسبب توالي الحروب مابين قبائلهم وما نتج عنها من ازدياد عدد النساء على عدد الرجال في القبيلة الواحدة من سبايا الحرب أما في قسم الحقوق المدنية العامة فقد كان نظامهم جيداً جداً لايوجد له نظير عند دول الارض العظيمة في ذلك العهد مثل دولة الفرس والرمان .

ومن ذلك ان اصول القضاء عندهم كانت من أعدل مايمكن في ذلك العصر وقد كانوا يأخذون عن منابع الحقوق الثلاثة المتقدمة مايحتاجون اليه من الاحكام المدنية

بدون أن يدونوا شيئاً من تلك الأحكام الجزئية وطرق القضاء واثبات الحقوق انحصرت في قول شاعرهم : فان الحق مقطعه ثلاث شهود أو يمين أو جلاء

وقد كان عندهم حكام في الأموال وآخرون في الدماء وحكام في النسب لاثبات من يكون من الأبناء متولداً على غير عمود النسب وأصول الزواج العامة وحكام في دعاوي التجاوز على العرض .

ومع ذلك فقد كانت حالتهم الادارية ونظام حياتهم الاجتماعي على درجة من البساطة بسبب قلة المقتنيات وضعف الصناعة والتجارة وانحصار الكسب في طرق بسيطة كقليل من النسج وتربية المواشي وما شاكلها .

الحقوق المدنية عند الرومان من قبل القرن السادس الميلادي

لا واسط القرن الحادي عشر

أما الرومان أصحاب الملك الضخم والممالك الفسيحة فقد كانت الحقوق المدنية وفي جملتها دلائل القضاء عندهم على أتعس ما يمكن أن يتصوره الانسان .

فقد اعتبروا من أدلة القضاء المصارعة ما بين شخصين قويين من أخصاء المتداعيين وامتحان الحق من الباطل في الدعاوي بالحديد المحمى في النار الذي كان يستعمل للاقرار بالجرائم مرة وبالحقوق أخرى والطرح في الماء البارد في الشتاء حتى وبالصلب أحياناً وهو أن يقف الشخص على هيئة الصليب ماداً يديه مدة معينة من الزمان لامتحان الصدق من الكذب في دعواه أو التهمة أو البراءة فيما يدعى عليه من الجرم كما بسطه المؤرخ الشهير موسهيم الجرمني في تاريخ الكنيسة .

ولا يستراب في أن الرومان أخذوا ذلك عن برابرة افريقيا .

وقد بقي القانون الروماني على هذه الحالة لم يتغير في أساسه تغيراً يذكر لأواسط القرن الحادي عشر الميلادي أي بعد ظهور الاسلام بأربعة قرون ونصف .

الحقوق المدنية في الاسلام ومنابعها الجديدة

سبق القول في أن البحث عن القوانين المدنية ليس لازماً من لوازم الشرائع السماوية ولا مطرداً من كافة الرسل العظام .

ومن الدواعي على أنه أوحي للشارع العربي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جملة صالحة في الحقوق المدنية أنه قد أكمل عمله الأساسي وبعد التطوير الأخلاقي للمحيط الذي ظهر فيه في الثلاثة عشر سنة التي أقامها بمكة بعدما بعث رسولاً وعليه وجد عنده من الوقت متسع لأن يعلم الناس أصولاً عامة في الحقوق المدنية كما فعل الكليم سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم لعين السبب

غير أن ما أوضحه الشارع العربي من ذلك كان أغزر مادة وأطول حياة بنسبة رقي الانسانية المطرد حسب سنة التدرج

ومن الدواعي أيضاً ما كان عليه جيران محيطه الفرس والرومان من فساد النظام القضائي كما مر التنبيه على بعض ذلك . وعدم تمام استفادة العرب مما كانوا عليه من النظام القضائي بداعي فساد نظامهم الاجتماعي والادبي بما كان قد حمل إليهم عمرو بن لحى الخزاعي حاكم مقاطعة الحجاز قبل بعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بقرنين تقريباً من عادات وعقائد الهنود عندما توجه لطبريا مستطباً من مياهها المعدنية

ثم ان الاسلام بعدما نظر نظرة عامة للشرائع الماضية قبل ما وجده منها ملائماً للمصالح العامة من ذلك المضاربات والشركات والرهون وعقوبة الزناة وقتلة النفوس والبغاة وهذا النوع لا يحصر كثرة

وعدل ما يصير نافعاً وصالحاً ببعض تعديل كالبيوعات والاجارات التي أدخل عليها من الشروط في المعقود عليه والعاقدين ما يضمن مصلحتهما ويرفع النزاع فيما بينهما ومن هذا النوع القسم الاعظم من أحكام الشريعة الاسلامية كما يتضح لمن أحاط بفروعها ملماً بما كانت عليه حالة العالم القديم في هذا النوع من المعاملات كما أنه أبطل ما هو مضر من الاحكام القديمة من ذلك ابطاله حكم تأبيد الظهار والايلاء وابداله بايقاع الطلاق على المظاهر والمولى فيما لو بقي مصراً على قوله ولم يرجع عنه واوجب عليه عند الرجوع كفارة غليظة يقصد منها الزجر عن الدخول في مثل هذا العمل والتجاسر عليه

وشرع أحكاماً جديدة لا عهد للعالم القديم بها نافعة جداً مثل اللعان ما بين

الزوجين الذي عاقبته الفراق الدائم فيما بينهما عندما يرمي الزوج زوجته بتهمة الفاحشة من دون أن يكون له على قوله دليل تقع به القناعة

وقد كانت عرب الجاهلية تهرع في مثل هذه الحادثة للكهان يستطلعون رأيهم اعتقاداً بأن لهم صلة مع الملأ الأعلى في الوقوف على الحقائق العامة التي فقدت الاسباب الظاهرة للوقوف عليها

وشرع الاخذ بالشفعة وحدود درجات الاهلية والمسؤولية في كافة أنواع الحقوق وسائر أصناف الجرائم

ووسع طرق القضاء وأوضح أسبابه على وجه لم يعرف في شرائع العالم القديم وتفصيل ذلك والاحاطة به متيسر لمن وقف على المدونات الحقوقية الاسلامية وعرف ما كان عند العالم قبل الاسلام من ذلك

ثم ان الاصول والمنابع الحقوقية في نظر الشريعة الاسلامية أربعة تندمج فيها الاصول الثلاثة العامة المتقدمة لكافة الامم وهذه الاصول هي الكتاب أي القرآن المجيد والسنة أي أقوال الرسول وأعماله وتقريره ما يراه من عمل غيره ويعبر عن هذين الأصلين بالنص التشريعي وما في معناه

والاجماع وهو عبارة عن اتفاق علماء الشرع الواقفين على أصوله على الحكم في الحادثة الغير الواضح حكمها بوجه خاص من النص التشريعي ويعبر عن هؤلاء العلماء أيضاً بأهل الاجتهاد القادرين على استنباط أحكام الحوادث الجزئية من المنابع العامة والمنبع الرابع القياس المختص الاستفادة منه بهؤلاء العلماء المتقدم بيانهم في الاجماع ومن هذا يتضح أن الشريعة الاسلامية اثبتت أصولاً ثابتة للأحكام المدنية يمكن أن يستفاد منها كل ما يحتاج إليه في كل عصر كما أن نصوصها قد صرحت بمراعاة الأعراف والعادات في التشريع وبمماشاة الحاجات والمصالح المختلفة باختلاف العصور المتجددة بتجدد أطوار الحضارة والعمران

الحقوق المدنية الرومانية من أواسط القرن الحادي عشر الميلادي للآن

في أوائل هذا القرن وجد غربرت أي السلوفستر الثاني الافرنسي الذي جلس على

كرسي ماري بطرس لغاية سنة ١٠٢٤ ميلادية وكان مع اخوان له من أنصار العلم والحق معا يتلقون سائر العلوم التي كان سوقها رائجاً في مدارس الاندلس الاسلامية وفي جملتها الفقه الاسلامي المأخوذ عن منابعه الأربعة المتقدمة في العنوان قبل هذا بعد أن برعوا في اللغة العربية وكانوا يترجمون دروسهم إلى لغتهم فبسبب ذلك وبسبب رداءة حالة القضاء عندهم كما تقدم الاشارة إلى بعض ذلك في هذه المقالة

وعليه فكروا في أن ينقلوا ما يلائمهم ويوافق محيطهم من أحكام تلك الحقوق واقنعوا بضرورة ذلك ملوك الجهة الجنوبية من بلادهم

وبعد أن اتفق رأيهم على ذلك بشرط عدم عزو المأخوذ عن الشرائع الاسلامية لمنبعه الأصلي خوفاً من نفرة العامة من المسيحيين الذين كانوا بواسطة رؤساء الدين ينفرون من كل شيء مصدره الاسلام مهما كان حسناً ونافعاً فاجمعوا من أجل ذلك على تسمية ما يأخذونه عن الشريعة الاسلامية من تلك الحقوق (الشرائع الرومانية) أو (القانون المدني) وأن يعزوه لاجتهادات علماء الحقوق منهم بنتيجة البحث والدرس

وهذه الحقيقة على هذا الوجه ثابتة من مصدرين أحدهما مصدر شرقي اسلامي وهو ما يأتي :

قد جاء في مجموعة رسائل في شوارد المسائل للعالم الباحث المنقب مفضل بن رضى الاسفرنكاني ما نصه :

كتب أبو العباس الكركري من تلامذة بهمنيار وهذا تلميذ الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا في رسالته لمفتي مرو أحمد بن عبد الله السرخسي في معنى كمال الفقه أن أبا الوليد محمد بن عبد الله بن خيره نقل في تعليقاته على النهاية شرح الهداية ان طلبة العلم من الافرنج الذين كانوا يسافرون إلى غرناطة لطلب العلم اهتموا كثيراً بنقل فقه الاسلام إلى لغتهم لعلهم يستعملونه في بلادهم لرداءة الأحكام فيها خصوصاً في المائة الرابعة والخامسة من الهجرة فقد برعوا في اللغة العربية منهم هربرت والبرت فانهما طلبا مساعدة العلماء لابراز مقصدهما وقد ساعدوهما حتى دونوا الفقه كاملا وحوروه إلى ما يوافق بلادهم ولذلك ترى أحكام القوانين والقضاء لا تزل رديئة وسيئة في العدوة

الشمالية من بلاد الافرنج اه المقصود نقله من عبارة الاسفرنكاني من علماء الفرس المعبر عنهم بعلماء ماوراء النهر . والمصدر الثاني غربي وغير اسلامي وهو مايأتي :

قال العلامة المؤرخ الشهير موسهيم الجرمني في تاريخ الكنيسة المترجم للعربية بمعرفة العالم هانري جسب الاميركاني المطبوع في بيروت في كلامه عن القرن العاشر الميلادي مانصه ان هربرت الفرنسي المعروف بين الاحبار الرومانيين بسلفستر الثاني كان مديوناً على بعض معرفته ولا سيما الفلسفة والطب والتعليمات لكتب غرب اسبانيا ومدارسهم لانه مضى إلى اسبانيا في طلب العلم وكان تلميذ علماء العرب في قرطبة وسفلا (اشبيلية) وربما اثرت سيرته في الاوروبيين المتشوقين للعلم وخاصة للطب والحساب والهندسة والفلسفة فكان لهم من ذلك الوقت فصاعداً رغبة عظيمة في أن يقرؤا ويسمعوا علماء العرب الساكنين في اسبانيا وبعض نواحي ايطاليا وتترجم كثير من كتبهم إلى اللاتينية وذهب كثير من التلاميذ إلى اسبانيا ليتعلموا رأساً من خطب علماء العرب وحق علينا ان نقول ان العرب ولا سيما عرب اسبانيا هم اصل وينبوع كل معرفة من الطب والفلسفة والفلك والتعليمات التي بزغت في أوربا من القرن العاشر فصاعداً اه كلام المؤرخ حرفياً .

ولا يخفى ان علم القوانين هو من أهم التعليمات التي اشتهرت في اوربا في تلك الاوقات وان ما أخذوه من القوانين المدنية والاحكام القضائية هو عين مالقبوه بالقوانين المدنية الجديدة الرومانية للسبب الذي تقدم بيانه والذي يؤيد صحة هذا الاستنتاج البسيط الواضح من هذين المصدرين التدقيق في أحوال وتطورات القانون الروماني إلى ماقبل رحلة اولئك العلماء من الافرنج إلى اسبانيا وذلك موضح قرناً بعد قرن في كتاب موسهيم المحدث عنه وعدم تجويز العقل مايلفقه بعض مؤرخي الافرنج من مسئلة ظهور القانون الروماني فجأة بعد اختفائه مدة أربعة أو خمسة قرون فانه من المحال ان تجهل أمة قانونها هذه المدة ثم يظهر فجأة على شكل لايتفق مع القانون المعروف قديماً بوجه من الوجوه ولم يدون في صحيفة واحدة فان ذلك لم يعرض لامة من أمم الارض القانونية في الغرب والشرق مع ان الحاجة لتطبيق القانون على الحوادث المستمرة داعية لدوام معرفته والوقوف على احكامه . والخلاصة انه لايوجد سند تاريخي ثابت

يدل على وجود القانون الروماني على الوضع الموجود به الآن أو قريب منه قبل رحلة سلفستر ومن معه من الطلاب لمدارس اسبانيا .

ولا ينتظر وجود مصدر من المصادر الافرنجية على صحة قولنا بان القانون الروماني اخذ عن الفقه الاسلامي أصرح مما تكلم به المؤرخ موسهيم مع الجزم بانه ماكان من الممكن للآخذين التصريح الواضح بنسبة ما أخذوه لمصدره المأخوذ عنه لانه تقوم عليهم قيامة رؤساء الاكليروس الكبرى وتضطرهم ضوضاء الامة المنقادة اليهم للعدول عما يرونه من انفع الاعمال لبلادهم ومن أكبر الخدمات لمصلحتها ولو كان في الطب والفلسفة المصرح بانها اخذت عن علماء العرب شيء من الصبغة الدينية لما رأينا التصريح بأخذ ذلك عنهم .

كما ان عبارة مفضل الاسفرنكاني المنقولة عن تلميذ تلميذ ابن سينا الذي هو من علماء أواسط القرن الخامس انما دونت لتدوين حقيقة ماكان يختلف فيها اثنان في ذلك العصر الذي لم يقبل من علمائه أحد بخلاف هذه الحقيقة وان علماء الافرنج انما كتموها عن قومهم قصداً لمقصد سام لايعابون في الكتمان من أجله بل يمدحون وانما حدث الاصرار على اخفاء هذه الحقيقة من القرون الوسطى فصاعدا تارةً بدون قصد لعدم وجود التصريح بها في مأخذ علمائهم واخرى بقصد لمن وقف عليها من المآخذ العربية حباً في الصيت وتدوين المؤرخ الآثار الحسنة لأمته ولا يخلو التاريخ من هـــذا الوصمة على اجماله حتى فيما بين الاحزاب المختلفة من امة واحدة ناهيك بما يكون من ذلك مابين الشرق والغرب

وانني لموقن بانه قد قرب الوقت الذي يعترف فيه الشرق بكل ما للغرب من المزايا ويعترف كذلك الغرب بكل ما للشرق من المزايا ويجلس فيه الفريقان على سرر متقابلين متآخين متحابين بقوة الله وانتشار العلم وحسن المقصد .

عثرات الاقلام

٨

تنبيـــه

كتب الينا بعض الافاضل ان نصحح كلمات عثر بها كاتب مقالات (عثرات الالسنة والاقلام) التي تنشر في جريدة (الحقيقة) مثل قوله ان (شذرمذر) بالتحريك لايصح وان صوابه التسكين مع ان الامر على العكس : ومثل قوله انه لايجوز استعمال (فعله غير مرة) (وقاله غير واحد) مع انه جائز بل هو الافصح وقد ورد هذا التركيب غير مرة في كتب الاحاديث الشريفة ثم رغب الينا ذلك الفاضل ان نورد ردودنا على حضرة الكاتب خلال مانكتبه من مقالاتنا (عثرات الاقلام) لئـــلا يعلق شيء من هفواته باذهان القراء فاجبنا حضرته بان الرد على تلك المقالات امره يطول . وربما ادى الى مالا يحمد من الفضول . وان الاجدر بنا ان نرجو من حضرة الفاضل (م م ن) كاتب مقالات الحقيقة ان يتلطف فيغير عنوان مقالاتـــه « عثرات الالسنة الاقلام » بعنوان آخر فلا يعود يلتبس بعنواننـــا « عثرات الاقلام » الذي اشتهر وذاع كما لايعود يشتبه أحد بان مايقع في مقالاته من الهفوات هولنا فيراجعنا فيه وقد وقـــع ذلك بالفعل . ويا حبذا لو اعلن حضرة « م م ن » نفسه باسمه الصريح فتزداد ثقه القراء بما يصححه من عثراتهم ويريحوا انفسهم من عناء المسألةوالمراجعة . على ان اخفاء الكاتب نفسه فيما يكتبه على صفحات الجرائد قد تستدعيه الحاجة احياناً لكن في غير هذا الموضوع « موضع تصحيح الاغلاط » الذي يحسن فيه التصريح باسم الكاتب للفائدة التي اشرنا اليها آنفاً

ومن عثراتها قولهم « التوازن بين المداخل والنفقات ومدخول فلان من عقـــاره كذا » لكلمة مدخول في اللغة العربية معان لاتناسب هنا وتقول العرب في مثل هذا المقام التوازن بين الدخل والخرج ودخل فلان من ضيعته كذا

ومنها قولهم « جبال قريبة بعضها من بعض » بعض مذكر فالافصح أن يقال جبال

قريب بعضها من بعض أو جبال بعضها قريب من بعض

ومنها قولهم « وكان النهر ينساب في الوديان » صوابه الأودية وهو جمع واد ولم يسمع في جمعه وديان ومنها « فلان ولد عقوق » صوابه عاق أما العقوق فله معنى آخر

ومنها « شهدت قران فلان على فلانة »صوابه ان يقال شهدت قران فلان وفلانة أو اقتران فلان بفلانة

ومنها « احتفل بزفاف فلان على فلانة » صوابه « احتفل بزفاف فلانة الى فلان قال في القاموس زفت العروس إلى زوجها اهتديت اليه

ومنها « عرفت داخلية اموره أي بواطنها » وصوابه دخائل اموره جمع دخيلة أو تقول دواخل اموره جمع داخلة

ومنها « اصابه من الداء عماء » بالمد وصوابه عمىً بالقصر وهو فقد البصر اما العماء بالمد فمعناه الخفاء والسحاب الكثيف

ومنها « اخذ فلان بناصر فلان » صوابه اخذ بيده أو نصره مثلا. ومنها « طالما مالك كثير طالما اصدقاؤك كثيرون »لامعنى لتكرير طالما هنا بل لامعنى لها نفسها في هذا المقام والصواب ان يقال « مادام مالك كثيراً يكون اصدقاؤك كثيرين أو يكثر اصدقاؤك . ومنها « تكاتف القوم » صوابه تعاضدوا و تساعدوا ولم ترد تكاتف في كتب اللغة

ومنها « لابد قد خسر » صوابه لابد انه قد خسر أي من انه .ومنها « جعله ان يفعل كذا » صوابه جعله يفعل كذا من دون ان

ومنها « بيتهيا شراكة » صوابه شركة

ومنها « وقع فلان في شراك فلان » صوابه في شركه بفتحتين وهو حبائل الصيد اما الشراك فهو سير النعل على ظهر القدم

ومنهاقولهم (تولجفلان الامر)صوابه تولاه وتقلده وقام به أماتولج اليه وفيه فمعناه دخله

ومنها قولهم (فلانمعاف من الضريبة)صوابه معفىً منهامن أعفاه ولايقال أعافه منها

ومنها قولهم (فلان وريث فلان وهم ورثاء فلان) وصوابه وارث فلان وهم ورثة فلان ووارثوه

الاثار القديمة الشرقية

كانت العاديات السورية والآثار الشرقية مدة قرون مطمح أعين الباحثين عنها فنقلوها إلى بلادهم واتجروا بها حتى غصت بها المتاحف الاوربية والاميركية. فسنت الدولة التركية نظاماً منعت به بيع تلك الآثار أو استهداءها للأجانب. وأوجبت نقلها إلى متحف الاستانة فجمع هذا المتحف كثيراً من آثارنا على اختلاف أنواعها وبينها النفيس النادر .

ولما احتلت دول الحلفاء بلادنا منذ أربع سنوات منعت نقل شيء من الآثار إلى خارج هذه البلاد وقررت ابقاء آثار كل بقعة في متحف خاص بها وعلى هذا النظام جرت طريقة حفظ الآثار إلى هذا اليوم

وفي أول الاحتلال انتبه مجمعنا العلمي إلى هذا الشأن الخطير فجعل همه الوحيد انشاء (متحف) في هذه المدينة اختار له المدرسة العادلية حذاء الظاهرية وشرع في انشائه فامر عليه بضعة أشهر حتى اجتمع فيه آثار نفيسة من تماثيل ونقود زجاجيات وخزفيات وقيشاني وأسلحة وكتابات قديمة على الحجارة والرق والقرطاس وآثار الصناعات النفيسة إلى ما يشاكلها ولا يزال يسعى جهده في تكثير هذه الذخائر المفيدة والنوادر النفيسة تعزيزاً للعلم وتحقيقاً للتاريخ .

وقدم سورية بعد تعميم الانتداب الفرنسي فيها ثلاث بعثات تشتغل في حفر الآثار منذ ربيع السنة الماضية (أولاها) بادارة المسيو بيزار من متحف اللوفر الشهير بدأت في حفريات مدينة قادس أو قدس (حيث بحيرة قطينة الآن قرب حمص) وأشرنا اليها في مجلة السنة الأولى من هذه المجلة في الصفحة الـ ٣١٦. و (الثانية) بادارة العلامة المسيو استاش دي لوري E. De Lorey في جهة (أم العواميد) ثم في دمشق وهو يتمم حفرياته الآن في هذه المدينة . و (الثالثة) في ضواحي مدينة صور بادارة (مدام دنيزله لاسود) خريجة مدرسة اللوفر الاثرية .

فأظهرت هذه البعثات الثلاث أشياء كثيرة احتفرتها من الأرض نشرت وصف بعضها مجلة سورية الفرنسية (Syria) سأعود إلى تفصيلها في فرصة قريبة .

ولما كانت ادارة (مجلة مجمعنا) هذه قد عزمت في هذه السنة أن تستقري أنباء تلك

الاكتشافات الأثرية والحفريات العادية في البقعة السورية وغيرها وتكتب فيها المقالات الدالة على ما لها من الشأن في عالم التاريخ والحضارة والصناعات مما يحقق فيه التاريخ وتصحح الآراء الضعيفة منه قدمت إلى قراء هذه المجلة ما اكتشف من ذلك مؤخراً في دمشق وسأتابع البحث عما ظهر في غيرها متوخياً الاختصار ما أمكن ومسترسلاً إلى ما كشف قبلاً راجياً من القراء اسبال ذيل المعذرة على ما يبدر من الخطإ فان العصمة لله وحده .

« ١ » آثار دمشق المكتشفة حديثاً

لقد جاءَ المسيو دي لوري الآنف ذكره دمشق مديراً للجنة التنقيب عن الآثار فيها ومختصاً بالبحث عن الأبنية والآثار الاسلامية في سورية فبحث عن العاديات فيها ووفق إلى الوقوف على قبرين معروفين في جبانة الباب الصغير فصورهما ولا سيما إرانيها (تابوتيها) في مجلة سورية الآنف ذكرها ونشر ما عرفه عنهما فالاران الأول للسيدة سكينة ابنة الحسين ابن الامام علي بن أبي طالب التي كانت في صدر الاسلام وهو من خشب الجوز عليه نقوش عربية نفيسة وكتابة كوفية تاريخها سنة ٣٣٩ هـ ٩٥٠ م وحفظه مع إلحاف الألمان بطلبه يرجع الفضل فيه إلى ناظر تربة آل البيت الكرام السيد سليم المرتضى وقصته مشهورة والثاني للسيدة فاطمة ابنة أحمد بن الحسين من سلالة الحسين السبط المتوفاة في أوائل القرن الخامس للهجرة وهو من الحجر المزين بنقوش رائعة .

ثم أخذ المسيو دي لوري في البحث عن مسجد قطب الدين الخيضري الواقع في سوق القطن بمحلة الخضيرية في جهة المدينة الغربية وكتب وصفه وسيرته بمساعدة مجمعنا العلمي له . ووفق إلى قراءة كتابات عربية ويونانية بعضها كان مجهولاً مما يدل على حضارة العرب الأمويين في دمشق وغيرهم .

ثم احتفر في « جنينة الطبيب النمسوي » أمام الباب الشرقي أرضاً فيها آثار القيشاني والخزف ظاهرة على سطحها فوجد بعض مصانع لهاتين الصناعتين اللتين اشتهر بهما الدمشقيون واكتشف على عمق نحو مترين مباني «أتاتين » وأحواضاً وأجراناً وأنابيب خزفية وقطع قيشاني كثيرة بعضها عليه نقوش وكتابات لم يتوفق إلى وجدان ما يتم به معناها واستخرج بعض

قطع وأوان تامة الصنعة جميلة الشكل والنقش. ومن غريب ما ظهر هناك أن هذه المعامل الوطنية كانت عامرة بالعملة يهيئون فيها أعمالهم ففوجئوا بما دهمهم وحملهم على تركها فطمرت تحت التراب وربما كان ذلك فعل الزلزلة التي حدثت سنة ١٧٥٩ م أو قبلها لأنها عمت سورية وهدمت كثيراً من أبنيتها القديمة كبعلبك وتدمر أو تأثير غزوة هلع منها السكان.

وتوفق هذا الأثري إلى ابتياع قصر أسعد باشا العظم الواقع في محلة البزورية وهو محل دار الامام معاوية أول ملوك الأمويين في دمشق واتخذه متحفاً للآثار الصناعية التي يعثر عليها في حفرياته وابتاع بعض آثار الصناعة من الخزف والقيشاني والصيني والصفر «النحاس الأصفر» والشبه «البرونز» ونحوها ورتبها في بعض القاعات مع ماعثر عليه في حفرياته وهذا القصر أجمل القصور الشرقية المتأخرة هندسة ونقوشاً واتقاناً.

ومنذ شهرين بدأ بالحفر في بيت حنانيا أحد السبعين رسولاً وأول أسقف في دمشق وموقعه بين باب توما والباب الشرقي في آخر زقاق «حنانيا» وهذا البيت أخذ قسماً منه المسيحيون وجعلوه كنيسة هي الآن بيد اللاتين والثاني منه حول إلى جامع مهمل فحفر في الجامع وعثر على أشياء نفيسة أهمها.

«١» آثار أربعة أعمدة قواعدها منقولة من محل آخر وربما نقلت من زقاق «العواميد» الذي يجاورها ونضدت على أبعاد مختلفة وفي الجدران ترى قطع الاعمدة مبعثرة. وبعض الحجارة المنقوشة ومحراباً وغيرها.

«٢» برك واحواض واقنية وانابيب وقطع اوان قيشانية وخزفية تدل على اتخاذ هذا المحل مصنعاً لبعض الأعمال في العصور المتأخرة لما اهمل الجامع.

«٣» حجر مربع من الحرّي «البازلت الأسود» عرض كل جانب منه نصف ذراع وعلوه ذراع وربع عليه كتابة يونانية في سبعة اسطر تدل على ان هذا الاثر كان مذبحاً انذرياً بني شكراً للاله. وملخص كتابته هكذا «مخصص للاله السماوي الرب من ليساس ديمتريوس بن ديمتريوس»

«٤» حجر ابيض مربع علوه متر وثلث وعرضه نحو متر. وعلى كل جانب من جهاته الثلاث نقوش ناتئة بديعة قد اخنت عليها الأيام فمحت رونق نقشها على احداها شجرة بلوط تحتها عجل نائم. وعلى الأخرى قدح للشراب (Buire) ومذبح (Autel) وعلى الجهة الثالثة تمثال «الخيلان» وهي بنت البحر عند اليونانيين (Siréne) تمثل

نصف انسان على جسم سمكة واشتهرت في أساطيرهم برخامة صوتها حتى كانت تجذب إليها المسافرين على شطوط بحر صقلية (سيسيلية) فيهلكون . وفي أسفل بعض هذه الجوانب العنقاء أو العقاب (Criffons) وهو حيوان مجنح .

هذه لمعة الآن في وصف تلك الآثار وربما عدنا إلى التبسط فيها بفرصة أخرى ان وفق المولى

عيسى اسكندر المعلوف

مطبوعات حديثة

بلاد العرب قبل الاسلام — أصحاب الفكر في الاسلام — رأي المغرب في المشرق

اذا سمع المرء شيئاً عن العرب ، بدر وهمه إلى العرب الذين انبسط سلطانهم بعد الاسلام ، وعلق خاطره بالفتوح التي استتمت للخلفاء ولم يفطن اشيء من حضارتهم وعمرانهم قبل الاسلام ، على أن لبلاد العرب الجنوبية حضارة يمتد تاريخها إلى القرن الثامن قبل المسيح والحجة على ذلك الكتابات المنقوشة ، وقد حاول الرومانيون الذين انقادت إليهم شعوب الأرض قاطبة أن يغزوا على عهد اغسطس بلاد العرب وأن يستولوا عليها فلم يظفروا بلباناتهم ، بيد أنه إذا لم ينفذ في احشاء الجزيرة سلطان الرومانيين ، فقد نفذ فيها عمران الامم المجاورة للعرب كالبيزنطيين في المغرب ، والساسانيين في المشرق .

أنشأ العرب في وسط الجزيرة وفي شماليها ممالك الحيرة ، وغسان ، وكندة . وكان ملوك الحيرة محالفين للفرس يحاربون معهم البيزنطيين ، وكان ملوك غسان معاهدين لهؤلاء يقاتلون معهم الفرس ، وقد اقتبس العرب بعض حضارة اليونان والرومان وبعض حضارة الفرس ، وأخذوا عنهم طوائف من الكلم ، وامتزجوا على الخصوص عرب الحيرة وعرب غسان بالفرس والبيزنطيين ، ومارسوا الحروب وأحاطوا بأساليبها ومن الخطإ أن يظن المرءُ أن قواد الاسلام اشباه خالد بن الوليد كانوا جهلاء همجاً ، أو أن عسكرهم استقامت شؤونه في ليلة ونهار ، فان هؤلاء القواد قد أخذوا ما غادره المتقدمون من العرب .

وقد زحف عرب الجنوب إلى بلاد الحبشة واستحدثوا فيها أصول حضارة ، وبنوا مملكة تراخى أمرها عدة قرون ، وجملة القول أنه كان للممالك التي أنشأها ملوك الحيرة

وغسان وكندة تأثير عظيم في لغة عرب الشمال ونحوها وفي استيقاظ العقول من رقدتها وكان لحضارة بلاد العرب الجنوبية شيء نظير هذا التأثير .

هذا مجمل ما أثبته الأستاذ كيدي Guidi في محاضراته الاربع التي ألقاها سنة ١٩٠٩ في الجامعة المصرية في القاهرة ودونها في رسالة صغيرة سماها : بلاد العرب قبل الاسلام L'arabie antéislamique وطبعها في باريس سنة ١٩٢١

وقد تضمنت هذه الرسالة أربعة فصول بحث فيها صاحبها عن ممالك العرب في البلاد الجنوبية وفي احشاء الجزيرة قبل النبي صلى الله عليه وسلم ومضى له قول في أدب العرب وعمرانهم وأفاض في الكلام عن عرب الجنوب وبلاد الحبشة .

★ ★ ★

تذهب طائفة من علماء أوروبا الذين كلفوا بالتنقيب عن آثار المشرق مذاهب غريبة في الكلام عن سيرة النبي (عليه الصلاة والسلام) وأخلاقه ، وأوضاعه ، وعاداته وهم مع شذوذهم عن أصول التثبت والتحقيق ، متناقضون في كتاباتهم عنه ، يصورون الحق في صورة الباطل ، ويصبون الباطل في قالب الحق ، ولو تجهزوا لأعمال الروية في أحاسن الكتب التي ألفت في سيرة النبي وتحرزوا في مآخذهم على قدر ما يعين عليه الامكان لتمكنوا من الوصول إلى الغرض الذي من أجله أمسكوا بأقلامهم وأطلقوها في الكلام عن النبي ، ولكنهم أحبوا أن يأتوا بشيء مستحدث لم يسبقهم إليه أحد فصوروا الرسول في غير صورته الحقيقية ، وقليل ما هم .

هذا ماجاء في كتاب : رأي المغرب في المشرق ، - L'orient vu de l' occi - dent الذي ألفه السيدان ديني وسليان بن ابراهيم E. Dinet et Sliman Ben Ibrahim وطبعاه سنة ١٩٢١ ، يشتمل هذا الكتاب على سبعة فصول بحث فيها صاحباه عن رأي المغرب في سيرة النبي والقرآن ونقضا أقاويل علمائه في هذا الشأن.

وإذا كان في أوروبا جمهور من العلماء يرومون اخفاء نور العرب والمسلمين فان فيها جماعة من أصحاب المعدلة والخلق المستقيم قد ولعوا باستنباط ما خلده المشرق من الرسوم والآثار في القديم والحديث ، وتصدّوا للافاضة في تاريخ المشرق ، ماضيه وحاله ، طريفه وتالده ، وانقطعوا لتصوير ما ثبت في نفوس المسلمين ، عربهم وعجمهم ، من

متباين العقائد ، وما طبعوا عليه من متفاوت الغرائز ،وتفرغوا لاستخراج ما أبقوه على تراخي الحقب من المآثر والمناقب، حتى لم تخف على المغرب خافية من حسنات المشرق، ولا استبهمت عليه مذاهب أدبه ، ومناحي فضله .

ومن العلماء الذين أضاؤوا لأمتهم ظلمتنا ، ورفعوا لهم شأننا ، البارون كارادي ڤو Baron Carra de Vaux فقد انتخب من عقلاء المسلمين وأصحاب الرأي فيهم طوائف بسط القول في جلائل أعمالهم ومهد السبيل إلى الوقوف على مرامي أغراضهم فاذا نشطت إلى قراءة كتابه الذي سماه : اصحاب الفكر في الاسلام Les Penseurs de l' Islam رأيت الرجال الذين يصورهم لعينك ، وسمعت كلامهم ،وادركت آراءهم ، ولم تستغلق عليك طبائعهم .

الف البارون دي ڤو كتابه باللغة الفرنسية وطبعه في باريس وهو يشتمل على خمسة اجزاء لم ينجز منها الا جزءان . بحث في الجزء الاول عن طائفة من خلفاء الاسلام وسلاطينه ، واشار إلى جمهور من المؤرخين ، ومضى له مقال في الفلسفة السياسية ، ونقب في الجزء الثاني عن علماء الجغرافية في بلاد العرب وعن علماء الرياضيات والطبيعيات .

افاض الكاتب في الكلام عن ابن خلدون والجاحظ وصور ابن خلدون في اجمل صورة وجعله في منزلة افاضل العلماء في اوربا عصرنا هذا ولكنه تصدى للكلام عن شعر العرب فلم يصنع شيئاً اذ انه قد اوجز في ذلك كل الايجاز والذي يستنبط مما كتبه في هذا الشأن انه غير متمكن كل التمكن من حقيقة الشعر في الجاهلية والاسلام .

وقد اشار في الجزء الثاني من كتابه إلى ما ترجمه علماء العرب من التصانيف الرياضية والطبيعية ، وبحث عن تبريزهم في علم الفلك وعن كتبهم التي نقلت إلى اللغات الغربية في القرون الوسطى وشهد للعرب باستحداثهم لآلات فلكية نفعت علماء المغرب ،فسبحان مداول الايام بين الناس ! ..

شفيق جبري

تاريخ عمرو بن العاص (رضي الله عنه)

كتاب طبع حديثاً في مصر الفه الفاضل السيد حسن ابراهيم حسن المدرس بمدرسة عباس في مصر وقدمه إلى الجامعة المصرية ونال به شهادة العالمية ولقب دكتور في الآداب جمع فيه سيرة ذاك الرجل المظيم أحد دهاة العرب واصحاب الرأي الثاقب فيهم بعبارة ملئت متانة وبلاغة .

ولا ريب أن تخليد سير أهل الحصافة والفضل من الرجال دليل على معرفة الامة مقدار رجالها وفيه تمحيص لسيرتهم الحميدة من شوائب دسها فيها أهل الاغراض ، فيا حبذا لو لم يتعرض المؤلف حفظه الله لما نقله عن أم عمرو وكيفية ولادته فانها من الامور التي ماروواها الا الناقمون عليه على انها ليست من سيرته في شيء

واننا ننتقد على المؤلف أيضاً انكاره لما نقله عن ابن قتيبة وهو الثقة الثبت من ان بين عمرو وابنه عبد الله اثنتي عشرة سنة مع ثبوته ثبوتاً لامجال للشك فيه فقد ذهب أحد الائمة الاربعة إلى أن سن البلوغ في الرجل قد تكون في العاشرة وفي الانثى في التاسعة واستدل على ذلك بعمرو وابنه عبد الله ونقل عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال رأيت جدة بنت احدى وعشرين سنة والعلم الحديث يؤيد ذلك في البلاد الحارة كالحجاز وبدليل بناء النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة وهي بنت تسع . ومع هذا فالكتاب فريد في بابه ينبغي لكل مولع بالنفائس ان يقتنيه . سعيد الكرمي

الوسيط في الادب العربي وتاريخه

وقفنا على نسخة من هذا الكتاب النفيس تأليف العالمين الفاضلين الشيخ أحمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني المدرسين بدار العلوم في مصر فالفيناه منسجم العبارات واضح الاشارات جمع فيه مؤلفاه تاريخ آداب اللغة العربية متتبعين رواياتها من أقدم مايؤثر منها الى هذا العهد وقد رتباه على خمسة عصور عصر الجاهلية وعصر صدر الاسلام وعصر بني العباس وعصر الدول المتتابعة التركية وعصر النهضة الاخيرة فذكرا ما كانت عليه هذه اللغة في كل عصر وما أودع شعرها ونثرها من نتائج عقول ابنائها وامثلة طباعهم وصور خيالاتهم ومبلغ بيانهم وما كان لنابغيها من الاثر البين فيها

مع تراجم كثير من الكتاب والمؤلفين والعلماء والشعراء والخطباء والفقهاء ونماذج عديدة من الشعر والخطب والوصايا والتوقيعات والرسائل والامثال والحكم والمقامات وعلقا على كل ذلك حواشي كافلة بتفسير الالفاظ اللغوية وايضاح الحقائق التاريخية فجــاء كتاباً جليل الفائدة جزيل العائدة جامعاً بين حاشيتي الفصاحة والبلاغة مصوغاً على قالب البيان والايجاز احسن صياغة حرياً بان تتزين به المكاتب ويطالعه كل شاعر وكاتب ولذلك قررت وزارة المعارف المصرية تدريسه بمدارسها الثانوية وغيرهــا كمدرسة المعلمين السلطانية فنود ان يقــرر تدريسه في المدارس الدمشقية ونحض المتأدبين من طلاب العربية على اقتناء هذا السفر الكثير المنافع واقتطاف مافيه من ثمر الادب اليانع ونثني على مؤلفيه الثناء الجميل ونرجو لهما الثواب الجزيل .

احد اعضاء المجمع العلمي

انيس سلوم

مغالط الكتاب ومناهج الصواب

اهداه الينا حضرة الاب جرجي جنن البولسي وهو في تصحيح لغة الكتاب وضعه منذ سنوات على ترتيب حروف المعجم في١٣٦ صفحة بقطع ربع معتمداً في أكثرمباحثه على مانشره العلامة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي في مجلتيه البيان والضياء فراجعنا بعض فصوله فرأينا فيها تدقيقاً في اللغة وأوضاعها فنشكر له هديته آملين لهذا الكتاب الرواج والانتشار وحاثين ارباب الاقلام على الاكثار من هذه المؤلفات المفيــدة في اصلاح لغة العصرواساليبها الاعجمية

عيسى الاسكندر المعلوف

هدايـا

اهدى الى مكتبة مجمعنا سيادة المطران ميخائيل البخاش اسقف السريان الكاثوليك في دمشق واحد اعضاء مجمعنا الشرفيين ستة عشر كتاباً منها بالايطالية عدد٢ واللاتينية ١ والسريانية ٨ والعربية ٣ من المطبوعات وكتاب سرياني مخطوط وعربي مخطوط .

واهدى اليها توفيق بك شامية المعجم الفرنسي التركي لشمس الدين سامي مطبوعاً سنة ١٣١٥ « ١٨٩٨ م » في ١٩٢٠ صفحة بقطع ثمن فنشكر لهما غيرتهما الادبية .

مجلة المجمع العلمي العربي

(١٧)

الجزء ٥ أيــار سنة ١٩٢٢ م الموافق ٤ رمضان سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

غابر الاندلس وحاضرها

(١) صدر الكلام ومصادره

زرت في الشتاء الماضي (١٣٤٠ — ١٩٢٢) بعض امهات مدن الاندلس ، فارادني غير واحد من الاحباب على أن أحدثهم بطرف مما شاهدت في ربوعها من بقايا حضارة العرب ، فاجبتهم إلى رغبتهم ، شاكراً حسن ظنهم ، وقد رأيت ان أشفع مشاهداتي ، بشيء من مطالعاتي ، عن هذا القطر ليتعرف القارىء من الغابر وجه الحاضر ، ويقيس في الجملة ما كان هناك في عهد أمتنا ، على ما هو كائن اليوم في عهد غيرهم ، اذكر ما أثره العرب في تلك القاصية من حضارة ، وأثلوه من مجد خالد على جبين الدهر ، والسبب الذي به ارتفعت الاندلس حتى عدت أرقى مملكة في عهد شبابها ، والاعراض التي عرضت لها ،فهرمت فزال سلطانها ، وتداعى عمرانها ، وابذعر سكانها ، وربما نفعت في الأخلاف سيرة الأسلاف ، خصوصاً في أرض لم يكتفوا بأن فتحوها ، بل عمروها وتدبروها ، وحكموها واحكموها ، ومدارسة حياة الأجداد ، تربي أخلاق الابناء والاحفاد ، يصيبون فيها حكمة بالغة ، وموعظة حسنة ، والتاريخ يلقن الفكر بالجديد ، وينير الطريف بالتليد ، والله وارث الأرض ومن عليها .

وهاك ما رجعت إليه من الكتب والرسائل في تأليف الفصول التاليـة ومنه تعالى استمد المعونة ومن الراسخين في العلم تصحيح ما عساهم يعثرون عليه من الهفوات .

(١) طبقات الأمم لصاعد الاندلسي (طبع بيروت) (٢) نفح الطيب المقري (مصر) (٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي (ليدن) (٤) قلائد العقيان للفتح بن خاقان (مصر) (٥) مطمـح الأنفس له (الاستانة) (٦) البيان المغرب في أخبـار المغرب لابن عذارى (ليدن) (٧) الاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (مصر) (٨) رقم الحلل له (تونس) (٩) الحلـل الموشية له (تونس) (١٠) الذخيرة في شعراء الجزيرة لابن بسام (مخطوط) (١١) أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر (مونيخ) (١٢) التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري (مصر) (١٣) المسالك والممالك لابن حوقل (ليدن) (١٤) احسن التقاسيم للمقدسي (ليدن) (١٥) كتاب البلدان لابن واضـح اليعقوبي (ليدن) (١٦) تقويم البلدان لأبي الفدا (باريز) (١٧) أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم (مجريط) (١٨) الجزء الثاني والعشرون من كتاب نهاية الارب في فنون الأدب للنويري وفيه أخبار ملوك الاندلس من العلويين والامويين ومن ملك بعد بني أميـة إلى حين انقراض الدولة العبادية (غرناطة) (١٩) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية (الجزائر) (٢٠) كتاب محمد بن تومرت مهدي الموحـدين (الجزائر) (٢١) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية للغبريني (الجزائر) (٢٢) المؤنس في أخبار افريقية وتونس لابن أبي دينار (تونس) (٢٣) ديوان ابن حمديس الصقـلي السرقوسي (رومية) (٢٤) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ليدن) (٢٥) العيون والحدائق في أخبار الحقائق (ليدن) (٢٦) تاريـخ المسعودي (باريز) (٢٧) تاريخ الـكامل لابن الاثير (مصر) (٢٨) تاريـخ ابن خلدون (مصر) (٢٩) الحـلة السيراء لابن الابار (ليدن) (٣٠) كتاب القضاة بقرطبة للخشني (مجريط) (٣١) تكملة التكملة لابن الابار (مجريط) (٣٢) التكملة لكتاب الصلة لابن الابار (الجزائر) (٣٣) صبـح الاعشى للقلقشندي (مصر) (٣٤) معجم البلدان لياقوت الحموي (ليبسيك) (٣٥) المكتبة العربية الاندلسية وفيها ستة كتب وهي الصلة لابن بشكوال وبغية الملتمس لابن

عميرة الضبي والمعجم لابن الابار والتكلة لكتاب الصلة لابن الابار وتاريخ علماء الاندلس لابن الفرضي وفهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف أبو بكر بن خليفة الاموي الاشبيلي نشرها المستشرقان الاسبانيان كوديرا وريبرا (مجريط) F. Codera et J. Ribera : Bibliotheca Arabico-Hispana (Madrid) (٣٦) المكتبة العربية الصقلية لميشل آماري M. Amari : Bibliotheca arabo-sicula (Leipzig) (ليبسيك) (٣٧) محاضرة ابن زيدون لأحمد زكي باشا نشرت في السنة الثانية من مجلة البيان (مصر) (٣٨) السفر إلى المؤتمر لأحمد زكي باشا ايضاً (٣٩) قصيدة ابن عبدون وشرحها لابن بدرون (ليدن) (٤٠) رسالة ابن زيدون وشرحها للصفدي (٤١) ترجمة ابن عباد (ليدن) (٤٢) ترجمة ابن زيدون (ليدن) (٤٣) ترجمة ابن عبدون وملوك بني الافطس (ليدن) (٤٤) قاموس الأعلام لشمس الدين سامي (تركي طبع الاستانة) (٤٥) مجلة المقتطف (٤٦) مجلة المقتبس (مصر والشام) (٤٧) دائرة المعارف الاسلامية (ليدن) Encyclopédie de I'Islam, Leyden (٤٨) تاريخ مسلمي اسبانيا لدوزي (باريز) Dozy : Histoire des Musulmans d' Espagne, Paris (٤٩) التاريخ العام للافيس ورامبو (باريز) Lavisse et Rambaud : Histoire gènérale, Paris (٥٠) تاريخ العرب والمغاربة في اسبانيا والبرتقال لكوند (باريز) — J. Conde : Histoire de la domination des Arabes et des Maures en Espagne et en Portugal, Paris (٥١) تاريخ العرب العام لسيديليو (باريز) : Sedillot : Histoire gènérale des Arabes, Paris (٥٢) تاريخ العرب لهوار (باريز) C. Huart : Histoire des Arabes. Paris (٥٣) عجالة في تحليل نفوس الشعوب الاوربية لفوليه (باريز) Fouillèe : Essai d'une psychologie des peuples européens. Paris (٥٤) المخطوطات العربية في الاسكوريال لهارتويغ دارنبورغ (باريز) Hartiwig Derenbourg : Les manuscrits arabes de l' Escurial, Paris (٥٥) الصنائع في اسبانيا

لكومـيز مورينو (مجريـط) Gômez-Moreno : El arte en Espana
(Madrid) (٥٦) الكتابات العربية في غرناطة لاميليو لافوانتي اي الكنترار
(مجريـط) Emilio Lafuente y alcàntrara : Inscriptiones ar-
abes de Grenada (Madrid) (٥٧) دليل اسبانيا والبرتقـال لبيدكر
(ليبسيك) Baedeker : Espagne et Portugal, Leipzig (٥٨) بحث
وصفي لمصانع العرب، تأليف رافائيل كونتروراس (مجريط) : Raphahël Contreras
Etudes descriptives des monuments arabes. Madrid
(٥٩) تاريـخ الاديان العام لسلمون ريناخ (باريز) : Salomon Reinach
Histoire générale des religions, Paris (٦٠) اسـبانيا في القرن
العشرين لمارفو (باريز) Marvaud : L'Espagne au XXe siécle. Pairs
(٦١) الاسبانيون والبرتقاليون في بلادهم لكيلاردي (باريز) ; Quillardet
Espagnols et Portugais chez Eux, Paris (٦٢) اسبانيا والبرتقـال
مصـورتان (بـاريز) L' Espagne et le Portugal illustrés. Paris
(٦٣) دائرة المعارف الافرنسية الكبرى (باريز) La grande encyclopédie
francaise, Paris (٦٤) معجم لاروس المصور (باريز) Nouveau Larousse
illustré, Paris (٦٥) بحث في حياة ابن زيدون لاوغست كور (الجزائر)
Auguste Cour ; Ibn Zaïdoûn, Alger (٦٦) تعلم اللغـــة العربية في
اسـبانيـا لميـكائيل آسـين بلاسيوس (الجزائر) M. Asin Palacios : l' ens-
eignement de l'arabe en Espagne. Alger (٦٧) معجم الكـل في
واحـــد أو موسوعات العـلوم البشرية Tout en un : Encyclopédie des
connaissances humaines (٦٨) دستور في الصنائـع الاسلامية لسالادين
وميجون Saladin et Migeon : Manuel d' art musulman

(٢) تحية الاندلس

عشقتها ولم تسعدني الايام بامتاع النظر في جمالها ، واستطلعت طلع أخبارها ،

فروى الرواة عنها عجائب اقلها مما يستهوي النفوس المتمردة ، ويأخذ بمجامع القلوب الجافة العاصية ، تفردت بين بنات جيلها بما خصت به من معاني الحسن والاحسان ، فكثر الخطاب والطلاب ، وهي لاتفتأ تبدي لمن أمّ حماها صنوفاً من اللطف والظرف ، وتخاطب البعيد والقريب بثغر باسم ، وترشقهم بنظرات ، لا تخلو من غمزات ، تريد بها الهزوء بنكبات الزمان ، والاستخفاف بسخافة الانسان .

عشقتها منذ عهد الصبا ، وعشق الصبا شديد ، لما قرأته الباصرة من وصف سجاياها وحملته الى البصيرة ففكرت فيه ، وتدبرت خوافيه وحواشيه ، وزادني غراماً بها ما سمعت من ان أناساً قبلي أصيبوا بما اصبت به ، وعدّوا النزول في حماها ولو ساعة سعادة العمر ، وحسنة الدهر : العشق فنون وعشقي كان لارض الاندلس ، عليها من كل عربي الف الف سلام ، على مر العصور والايام .

عشقتها لكثرة ما تلوت من آثار من درجوا على اديمها من ابنائها وغير ابنائها ، وكانت المخيلة تتصورها في مظاهر صح بعضها يوم اللقاء ، وآخر كان بالطبع كالخيال ، في الاندلس تم نحو نصف مدنية العرب الباهرة ، وقضوا في ارجائها نحو ثمانية قرون كانت بجملتها وتفصيلها عهد السعادة والغبطة ، ودور ظهور النوابغ وارباب الابداع والقرائح ، وكم من امة من امم الحضارة الحديثة على كثرة ما اقتبست واوجدت ، لم يتيسر لها حتى يوم الناس هذا ان تبلغ مكانة الاندلس فكان هذا الصقع في منقطع ارض المغرب وآخر ارض العرب بين البحرين المحيط والمتوسط برهاناً ازلياً على فرط استعداد العرب للعلوم والصناعات وناعياً على من انكروا لافراطهم في الشعوبية فضل هذه الامة على الحضارة .

اقام الغربيون ضروباً من المصانع من بيع واديار ومتاحف ومكاتب ومدارس وجسور وسدود وطرق ومعابر وتماثيل ونصب وبرك ، لكنهم لم يصنعوا على كثرة تفننهم في هذا الشأن منذ عهد اليونان والرومان ، طرزاً من البناء يكلمك ولا لسان له فيقول ، وينظر اليك فيعمل في شغاف قلبك ولا عين له فتنظر . ويطربك بتساوق نغماته من دون ما صناجة ولا وتر ولا الحان . مصانع كثيرة بقيت بقاياها في طليطلة وقرطبة واشبيلية وغرناطة سلبتها الفتن والجهل تارةً شطراً من بهائها ، وسالمتها حيناً فابقت

عليها ، أو رممت شيئاً مما اضرت به عوامل الايام وان لم تعد اليها نضرتها الاولى .

سلام على ارض طيبة خصها الخالق باجمل الهبات الطبيعية الطيبة ، فلم ينقصها زكاء تربة في نجادها وهادها ، ولا مياهاً عذبة دافقة من هضابها على شعابها ، ولا أشجاراً باسقة وزروعاً خصبة في سهلها ووعرها ، ولا اعتدال مواسم وجمال اقليم ومصحة ابدان زانها الصانع السماوي بايجاده ، كما زانها الصانع الارضي بابداعه . وما اجمل الطبيعي والصناعي ، اذا تواعدا إلى الاجتماع في خير البقاع .

ليالي الانس ، في جزيرة الاندلس ، وايامها الغر ، في سالف الدهر ، فيك قامت سوق الآداب ، بما ارتفعت به رؤوس العرب على غابر الاحقاب ، وكمل في ربوعك الذوق العربي حتى ظن بعضهم انك نسيت كل شيء ماعدا الادب ، وما هذه الآثار الأبدية الا ثمرة علمك وصناعاتك وزراعاتك : سلام على ارواح علمائك وفلاسفتك ونوابغك وادبائك وامرائك ما كان ارجح احلامهم ، يوم سنوا للعرب سنة الاخذ من السعادتين ، وشرعوا لهم شرعة المدنية المثلى ، حملوا فأجملوا من الشرق الى الغرب تعاليم في الدين والدنيا كانت صفوة العقول الى عهدهم فادهشوا من عاصرهم وخلفهم من الاجيال ، ونسجوا لهم على غير مثال نسيجاً رقيقاً ، كتبوا لهم فيه سجلاً رقت حواشيه ، ونظاماً متقناً في حكم الانسان للانسان ، يطبع في تاليه إذا تدبره طبيعة حسن الذوق والطبع ، وينشئه على ارق مثال من الخيال في الكمال والجمال . مثال حي من حضارة العرب في القارة الاوربية عامة وفي شبه جزيرة اسبانيا خاصة ، يفتخر به العرب على اختلاف اصقاعهم وحق لهم الفخر لان الاندلس العربية الاسلامية كانت وما زالت مدرسة الغرب المسيحي نزل طلابه في قرونهم المظلمة على علماء العرب فاوسعوهم من مكارم اخلاقهم واكرموا مثواهم بما علموهم ، وما اسخى العربي على طالب قراه ، والمعتصم بحماه ، فلما جاء دور الانحطاط ، وازف رحيل ذلك الرعيل ، من ارض كان الغرب كله يعدهم فيها اثقل دخيل ، ابقوا لهم تلك المصانع ناطقة بفضلهم ، معلمة لهم معاني ليست في معاجم نفائسهم ، ومكذبة على غابر الايام من ينكر المحسوس ، ويغمط الحق لصاحبه ، ويستهويه الغرض ، فيشوه وجه الحق الجميل .

الى اليوم لم يزل في الغربيين اناس يصعب عليهم الاعتراف بمزية للعرب بباعث من

بواعث النفوس اللئيمة ، فلا يكادون يصدقون حتى بما ورد عن هذه الامـــة في كتبهم، دع كتبها ، من اعمال هذه الحضارة الغريبة ، وما ذاك الاثر الضئيل البـــاقي من عاديات الاندلس العربية الا برهان جلي على ما كان هناك من عدل شامل ، وعقل كامل ، ونظر نافذ ، ويد صناع ، اربت على ماعمل من مثلها في سائر البقاع والاصقاع .

(٣) تقويم الاندلس

اخذت العرب اسم الاندلس من اسم سكانها الاصليين الفانداليس Vandales فقالوا فاندالسيا اوفاندالوزيا Vandalitia أو Vandalusia واطلقوا عليها اسم الجزيرة من باب التغليب فقالوا جزيرة الاندلس كما قالوا جزيرة العرب وماهي في الحقيقة الا شبه جزيرة لاتصالها من أقصى الشمال بجبال البيرنات أو الثنايا كما كان يعرفها العرب ، قدروا القسم الجنوبي من شبه جزيرة فانداليس أو ابيريا أو اسبانيا بمسيرة ثلاثين يوماً طولاً وزهاء عشرين يوماً عرضاً يحدها البحر من اطرافها الاربعة الا من الشمال الشرقي. وميزان وصف الاندلس كما قال ابن سعيد : انها جزيرة قد احدقت بها البحار فاكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جانب .

والاندلس في عرف اهلها اليوم عبارة عن ثماني ولايات ولاية المـــرية وولاية قادش وولاية قرطبة وولاية غرناطة وولاية حولفا؟ وولاية جيان وولاية مالقة وولاية اشبيلية ومساحتها السطحية ٨٦٦٨٧ كيلو متراً مربعاً وسكانها زهاء اربعة ملايين فهي نحو خمس اسبانيا الحالية بسكانها ونحو سدسها بمساحتها السطحية . هذا مايطلق عليه اليوم اسم الاندلس بيد ان حكم العرب تجاوز ذلك الى برشلونة وما وراءها من الشرق والى لشبونة وما جاورها في الغرب ولم يبق في أيدي الاسبانيين والبرتقاليين من هذه الجزيرة التي تبلغ مساحتها زهاء نصف مليون واربعة آلاف كيلو متر مربع سوى اراض مصخرة ضئيلة من الشمال تعرف ببلاد الجلالقة وآستوريا .

فالعرب لم يملكوا إذاً الجزيرة باسرها حين افتتحوها وانما ملكوا معظمها ولذلك لاتعرف مساحة الاندلس العربية على التحقيق ويقول المسعودي ان مسيرة عمائر الاندلس ومدنه نحو من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من اربعين مدينة وقـــال

غيره ان في ارض الاندلس العامر والغامر فكانت من ثم مساحة الاندلس تختلف بحسب تغلب العرب على اعدائهم أو تغلب اعدائهم عليهم وكم من الاقاليم والمدن في الشمال والغرب والشرق دخلت مرات في حكم العرب ثم خرجت عنهم فقد كان عملها لعبد الرحمن بن معاوية في القرن الثاني ثلاثمائة فرسخ في ثمانين ثم صغرت في القرن الثامن حتى اصبحت – كما وصفها العمري – كمفحص القطاة ضيقا ، ومدرج النمل طريقاً .

لاجرم ان مقام العرب في الاندلس كان غير طبيعي لمجاورتها لأمم قوية الشكيمة مخالفة لها في الجنس واللسان والدين حتى ان عمر بن عبد العزيز لماولىّ السمح بن مالك عليها امره ان يكتب اليه بصفتها وانهارها وكان رأيه انتقال اهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين قال المؤرخ وليت الله كان ابقاه حتى يفعل فان مصيرهم الى بوار الا ان يرحمهم الله

وصف المراكشي ما كان في ايدي الاسبان والبرتقال من ارض الاندلس سنة ٦٢١ ﻫ فقال أول المدن في الحد الجنوبي الشرقي على ساحل البحر الرومي مدينة برشنونة (برشلونة) ثم مدينة طركونة ثم مدينة طرطوشة والمدن التي على غير الساحل في هذا الحد المذكور مدينة سرقسطة ولاردة وافراغة وقلعة ايوب هذه كلها يملكها صاحب برشنونة وهي الجهة التي تسمى ارغن . وفي الحد المتوسط مابين الجنوب والغرب مدينة طليطلة وكونكة واقليج وطلبيرة ومكادة ومشريط (مجريط ?) ووبذ وايلة وشقوبية هذه كلها يملكها الادفنش وتسمى هذه الجهة قشتال . وتجاور هذه المملكة فيما يميل الى الشمال قليلاً مدن كثيرة أيضاً وهي سمورة وشلمنكة والسبطاط وقلمرية هذه كلها يملكها رجل يعرف بالببوج وتسمى هذه الجهة ليون . وفي الحد المغربي الذي هو ساحل البحر الاعظم اقيانس مدن ايضاً منها مدينة الاشبونة وشنترين وباجة وشنترة وشنتياقو ويابرة ومدن كثيرة يملكها رجل يعرف بابن الريق ووراء هذه المدن مما يلي بلاد الروم مدن كثيرة . ثم ذكر ما يملكه المسلمون لعهده من الاندلس فاورد حصن بنشكلة وطرطوشة وبلنسية وشاطبة وجزيرة الشقر ودانية ومرسية وغرناطة وحصون لرقة وبلش وقلية وبسطة ووادي آش والمرية وحصن منكب ومالقة والجزيرة الخضراء

وقوم القلقشندي الاندلس في المئة الثامنة فقال ان الاندلس اقامت بايدي المسلمين الى رأس الستمائة سنة من الهجرة ولم يبق منها بيد المسلمين الا غرناطة وما معها من شرق

الاندلس عرض ثلاثة أيام في طول عشرة أيام وباقي الجزيرة على سعتها بيد نصارى الفرنج وان المستولي على ذلك منهم أربعة ملوك الأول صاحب طليطلة وما معها ولقبه الادفونش سمة على كل من ملك منهم وعامة المغاربة يسمونه الفنس وله مملكة عظيمة وعمالات متسعة تشتمل على طليطلة وقشتالة واشبيلية وبلنسية وقرطاجنة وجيان وجليقية وسائر أعمالها. الثاني صاحب لشبونة وما معها وتسمى البرتقال ومملكته صغيرة واقعة في الجانب الغربي وهي تشتمل على لشبونة وغرب الاندلس. الثالث صاحب برشلونة وارغن وشاطبة وسرقسطة وبلنسية وجزيرة دانية وميورقة . الرابع ببرة وهي بين عمالات قشتالة وعمالات برشلونة وقاعدته مدينة بنبلونه ويقال لمكها ملك البشكنس .

هذا في الجملة تقويم الاندلس في القديم وكلما توغلت في سمت الشمال صعب المرور لكثرة الجبال وترامي المسافات وهي اليوم في الخطوط الحديدية سهلة في الجملة فاذا جئت من مدينة باريز وهو الطريق الذي سلكناه تصل إلى مجريط في ست وعشرين ساعة وهي ١٤٥٥ كيلو متراً ومن مجريط إلى قرطبة ٤٤٢ كيلو متراً ومن قرطبة إلى اشبيلية ١٣١ كيلو متراً ومن غرناطة إلى جبل طارق ٣٠١ كيلو متر ويتأتى اختصار هذه المسافات إذا كانت القطر تقصد إلى البلد مباشرة بدون تنقل أو تعاريج ولكن تقل فيها الخطوط المستقيمة والقاطرات .

(٤) فتح الاندلس

لما فتح موسى بن نصير مولى بني أمية افريقية وما حولها أي تونس وما وراءها سنة ثمان وسبعين للهجرة وبلغ طنجة سار يريد مدائن على شط البحر وفيها عمال صاحب الاندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها . وكان يليان أحد ملوك الاندلس لموجدة وجدها على بعض الملوك من قومه في تلك البلاد بعث بالطاعة لموسى ، واقبل به حتى أدخله المدائن بعد أن اعتقد لنفسه ولأصحابه عهداً رضيه ، واطمأن إليه ، ثم وصف له الأندلس ودعاه إليها فبعث رجلاً من مواليه يقال له طريف في أربعمائة رجل ومعهم مائة فارس فسار في أربعة مراكب حتى نزل جزيرة سميت به لنزوله فيها وكانت هذه الجزيرة معبر مراكبهم ودار صناعتهم فأغار على الجزيرة فأصاب شيئاً ورجع سالماً

وذلك سنة احدى وتسعين . ثم دعا موسى مولى له يقال له طارق بن زياد فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين جلهم من البربر والموالي ليس فيهم عرب الا قليل فدخل في تلك السفن الأربع في سنة اثنتين وتسعين وأخذت السفن الأربع تختلف بالرجال والخيل وضمهم إلى جبل على شط البحر منيع فنزله وسمي به جبل طارق والمراكب تختلف حتى توافى جميع أصحابه .

ولما بلغت ملك الاندلس رذريق صاحب طليطلة غارة طريف على الاندلس جمع جموعة ، قيل مائة ألف أو شبه ذلك ، فبعث موسى على سفن كثيرة كان عملها بخمسة آلاف مقاتل فتوافى المسلمون بالاندلس عند طارق اثني عشر ألفاً ومعهم يليان في جماعة من أهل البلد يدلهم على العورات ويتجسس لهم الأخبار فالتقى رذريق صاحب طليطلة وطارق بن زياد بموضع يقال له البحيرة فانهزم رذريق ثم مضى طارق إلى مضيق الجزيرة فمدينة استجة وحارب فلّ العسكر الأعظم وهزمه ثم ورد طارق عيناً من مدينة استجة على نهرها على أربعة أميال فسميت العين عين طارق وفرق جيشه فأرسل فرقة إلى قرطبة وأخرى إلى رية وثالثة إلى غرناطة وسار هو في عظم الناس يريد طليطلة ففتحت كلها وكذلك مدينة تدمير وأسر أحد ملوك الأندلس ومنهم من اعتقد على نفسه أماناً ومنهم من هرب إلى جليقية في الشمال ثم سار طارق حتى بلغ طليطلة وخلى بها رجالاً من أصحابه فسلك إلى وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج طارق .

وفي سنة ثلث وتسعين دخل موسى بن نصير في ثمانية عشر ألفاً من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر وقد بلغه ما صنعه طارق بن زياد فحسده وخشي أن ينال شرف الفتح دونه أمام الخليفة من بني أمية . فلم يلبث أن فتح من المدن ما لم يفتحه طارق مولاه فافتتح مدينة شذونة وقرمونة واشبيلية وحاصر هذه أشهراً فهرب أهلها إلى مدينة باجة فمضى موسى إلى مدينة ماردة وقاتلهم عليها أشهراً فصالحه أهلها على أن جميع أموال القتلى وأموال الهاربين إلى جليقية للمسلمين وأموال الكنائس وحليها له ثم افتتح سرقسطة ومدائنها .

ذكروا أن المسلمين انتهوا إلى مدينة لوطون قاعدة الافرنج ولم يبق لأهل الاسلام شيء لم يتغلبوا عليه مما وراء ذلك الاجبال قرقوشة وجبال بنبلونة وصخرة جليقية فاما

الصخرة فلم يبق فيها مع ملك جليقية إلا ثلثمائة رجل تلفوا بالموت والجوع والحصار فلما لم يبق منهم إلا ثلثمائة رجل ورأى ذلك المرتبون على حصارهم استقلوهم فتركوهم فلم يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب اخراج المسلمين من جليقية وهي قشتيلية .

هذه زبدة مما قاله المؤرخون في فتح الأندلس ولا شك أن قرب سواحلها من شواطىء افريقية قد ساعد العرب كثيراً على هذا الفتح فان المجاز أو الزقاق كما كان يسميه العرب بين البرين بر العدوة [1] وبر الأندلس قريب جداً يسهل معه نقل الذخائر والجيش من افريقية وذلك لأن الزقاق في موضع يعرف بجزيرة طريف من بر الأندلس يقابل قصر مصمودة بازاء سلا في الغرب الأقصى وعرضه اثنا عشر ميلا ومن الجزيرة الخضراء في الأندلس إلى مدينة سبتة ثمانية عشر ميلا . والباخرة تقطع المسافة اليوم من الجزيرة الخضراء أو جبل طارق إلى طنجة فرضة الغرب الأقصى في نحو ثلاث ساعات.

وأنت ترى ان معدات الفتح عند العرب كانت قليلة ومع هذا استصفوا الأندلس في مدة وجيزة وذلك لأن الاختلاط القديم المستحكم للجوار بين أهل الأندلس وبين أهل شمالي افريقية وتغلب الأندلسيين أحياناً على بلاد البربر أي الغرب الأقصى والأوسط قد هيأ لسكان البلاد بل لقوادها وحكامها من العرب أن يعرفوا معالم الأندلس ومجاهلها ويقفوا على مواطن الضعف من حكوماتها فقد جاؤوها والاختلاف بين ملوكها على أشده والبلاد قد جاعت قبل مجيئهم ثلاث سنين (من سنة ثمان وثمانين إلى سنة تسعين) ثم وبئت حتى مات نصف أهلها أو أكثر . وإذا صح أن الملك الأعظم في طليطلة جيش على العرب مئة ألف مقاتل وهو مستبعد فان جيش موسى بن نصير البالغ اثني عشر ألفاً قد تغلب عليه لا بعدده بل بما للعرب من الاضطلاع بأمور الحرب هذا وأهل البلاد كانوا

---

(١) العدوة بضم العين المكان المتباعد ويطلق العرب بر العدوة على ما سامت الأندلس من شمالي افريقية وبعد عن بلادهم ويعنون بالعدوة المغرب الأقصى والأوسط والأدنى أي مراكش والجزائر وتونس . وقال صاحب التاج وبر العدوة بالأندلس وإليه نسب شهاب الدين بن ادريس العدوي عن قاسم بن اصبغ قيده الرشاطي. ولعل العدوة هذه بلدة من بلاد الأندلس ليست مشهورة والمشهور أن العدوة كما قلنا وايده علماء الجغرافيا من العرب .

في الجملة يريدون الخلاص مما هم فيه من سوء الحال ولا سيما اليهود فانهم كانوا قبل بضع سنين قد ذاقوا الأمرين من حكوماتهم ومواطنيهم المسيحيين فلما جاء العرب الفاتحون كانوا أدلاءهم وأكبر ردء لهم لعلمهم بأنه ينفس خناقهم بالفاتحين وكان المسلمون كلما دخلوا بلداً جعلوا نصف حاميته من اليهود والنصف الآخر منهم ثقة في أبناء اسرائيل وضعها المسلمون فيهم مدة كونهم في الأندلس .

تولى البلاد المفتوحة عمال الدولة الأموية في الشرق وتعاقب عليها قوادهم ومواليهم منذ سنة ٩٢هـ وخطب باسم خلفائهم على منابرها ثم خطب مدة قليلة للعباسيين[١] بعد سقوط دولة الأمويين بالمشرق حتى إذا كانت سنة ١٣٨ جاء من الشرق هارباً عبد الرحمن ابن معوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المسمى بالداخل فتغلب بواسطة جماعة من أهل بيته وموالي آل مروان وبما له من العصبية في قبائل زناتة أخواله وكانت والدته منهم حتى استولى على الأندلس وبذل أهلها له الطاعة فاصلح من شأنها ورفع وأبناؤه وأحفاده من بعده شأن خلافتهم هناك وأجمعت القلوب على حبهم وقل المنتقضون على ملكهم المتوثبون على سلطانهم . ولقد أنصف المنصور العباسي عندما لقب عبد الرحمن الأموي بصقر قريش لأنه « عبر البحر وقطع القفر . ودخل بلداً أعجمياً مفرداً ، فمصر الأمصار، وجند الأجناد، ودون الدواوين ، وأقام سلطاناً بعد انقطاعه، بحسن تدبيره وشدة شكيمته » .

انقرض ملك بني مروان من الأندلس سنة ٤٠٧ هـ على رأس مائتي سنة وثمان وستين سنة وثلثة وأربعين يوماً بعد أن جمعوا الشمل ورأبوا الصدع وأحيوا المعالم

(١) دعا عبد الرحمن بن معاوية لنفسه عند استغلاظ أمره واستيلائه على دار الامارة قرطبة ويقال انه قام أشهراً دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور متقيلاً في ذلك يوسف الفهري الوالي قبله إلى أن أفرد نفسه بالدعاء . ويقال ان عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم أشار عليه بذلك عند خلوصه إليه فقبله إلا أنه لم يعد اسم الامارة. وسلك الأمراء من ولده سنته في ذلك إلى عهد عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله فهو الذي تسمى بالخلافة بعد سنين من سلطانه ودعي بأمير المؤمنين لما استفحل أمره واستبان له ضعف ولد العباس وانتشار سلطانهم بالمشرق وذلك في آخر خلافة المقتدر بالله جعفر بن أحمد المعتضد منهم ذكر ذلك أبو مراون ابن حيان مؤرخ الأندلس .

ونشروا العدل وخدموا الحضارة وكانت ايامهم اعراساً وافراحاً فتفرق الملك بايدي ملوك الطوائف فكان « كل ملك لما بيده فضبط اشراف العمالات ازمة امورهم وركبوا ظهور غرورهم وتنافسوا في انتحال الالقاب السلطانية فأتوا من ذلك بكل شنيعة » إلى ان قام رأس المرابطين وامير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني صاحب المغرب الاقصى واعاد للبلاد مع ابنه علي بن يوسف سالف نضارتها ودعا للخلافة العباسية على منابر الاندلس ولم تزل الدعوة للعباسيين وذكر خلفائها على منابر الاندلس والمغرب إلى أن انقطعت بقيام ابن تومرت مع المصادمة في بلاد السوس .

تنفس خناق البلاد بالقوة الجديدة التي جاءت بها دولة المرابطين لشد ازر المسلمين في الاندلس كما عادت اليهم بعض القوة على عهد الموحدين وكان هؤلاء لايتوفقون عن نجدة اخوانهم في الاندلس حتى ان الخليفة المنصور من الموحدين لما دنت وفاته جمع بنيه والموحدين ووصاهم بوصايا منها: ايها الناس اوصيكم بتقوى الله « واوصيكم بالايتام واليتيمة » اراد بالايتام اهل جزيرة الاندلس وباليتيمة بلاد الاندلس إلا أن أحوال الجزيرة اختلت في أواخر دولة امير المسلمين علي بن يوسف فاوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم وميلهم الى الدعة وايثارهم الراحة وطاعتهم النساء فهانوا على اهل الجزيرة وقلوا في اعينهم واجترأ عليهم العدو واستولى النصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم وكادت الاندلس تعود الى سيرتها الاولى بعد انقطاع دولة بني امية فاستدعى عقلاء الجزيرة بني مرين من بر العدوة فجاءهم اميرها سنة ٦٥٨ في جيش ضخم فملك بالاندلس ثلاثة وخمسين مسوراً مابين مدن وحصون وهو أول من ملك العدوتين من بني مرين وجاهد الفرنج فدوخ بلادهم وكانت قبل جوازه الى الاندلس تستطيل على المسلمين وملكوا قواعد الاندلس واكثر حصونها مثل قرطبة واشبيلية وجيان وشاطبة ودانية ومرسية وغيرها ولم تنتشر للاسلام راية منذ وقعة العقاب[1] سنة ٦٠٩ الى ان جاءت رايته وكانت

(١) هذه الواقعة وقعة العقاب هي المعروفة عند الافرنج باسم لاس نافاس دي تولوزا Las Navas de Tolosa وهي قرية من عمل ولاية جيان اشتهرت بانتصار ملوك ارغن وقيشتالة ونافار على العرب سنة ١٢١٢ — ٦٠٩ هـ وقد ضربوا العرب ضربة لم يتمكنوا بعدها من التوغل في بلاد اسبانيا .

الحروب والغزوات متصلة بين العرب واعدائهم في القرن الخامس والسادس والسابع وكثيراً مايؤدي ملوك العرب الجزية للافرنج بعد ان كان هؤلاء في القرن الاول والثاني والثالث والرابع يؤدون إلى العرب الجزية . ولما اغلظ ابن تاشفين لالفونس الكلام في المكاتبة قال هذا : « بمثل هذه المخاطبة يخاطبني وانا وابي نغرم الجزية لاهل ملته منذ ثمانين سنة وكان ذلك سنة تسع وتسعين واربعمائة »

وبعد ان زال حكم الموحدين من اسبانيا دخلت في حكم محمد بن يوسف بن هود من بطليوس إلى مرسية وقرطبة واشبيلية سنة ٦٢٦ ولما هلك التف المسلمون حول محمد بن يوسف بن الاحمر من أسرة بني نصر فاستولى على الاندلس سنة ٦٢٩ فدام فيه وفي أعقابه نحو قرنين ونصفاً كان الضعف رائد دولتهم أولاً حتى لقد صالح ابن الاحمر الفنس ملك اسبانيا سنة ٦٦٥ على ان اعطاه نحو اربعين مسوراً من بلاد المسلمين من الشرق فقال ابو محمد الرندي يرثي الاندلس ويستصرخ اهل العدوة من بني مرين قصيدته المشهورة التي يقول فيها :

دهى الجزيرة خطب لاعزاء له هوى له أحد وانهد ثهلان
اصابها العين في الاسلام فامتحنت حتى خلت منه اوطان وبلدان
فسل بلنسية ماشأن مرسية واين شاطبة ام اين جيان
واين قرطبة دار العلوم فكم من عالم قد سما فيها له شأن

وعاد امر المسلمين فضعف وبنو الاحمر آخر ملوك الاندلس يستصرخون الموحدين من أهل العدوة فينجدونهم حتى رسخت اقدام الملوك من بني الاحمر أو بني نصر في بقعة صغيرة من البلاد جعلوا غرناطة عاصمتها ولما انقرضت دولة الموحدين اعتمد بنو الاحمر على قوتهم في حماية سلطانهم حتى ضعف امرهم وصحت نية الاسبان على اخراجهم من شبه جزيرة اسبانيا باتفاق ايزابيلا الكاثوليكية وفرديناند واتحاد ملوك ارغن وقشتالة ونافار تحت سلطان واحد وكان خروج آخر ملك من بني الاحمر من بلاد الاندلس سنة ٨٩٧ هـ ويومئذ انتهى حكم العرب هناك .

★ ★ ★

(٥) عمران الاندلس

في ارض انداس تلتذ نعماءُ ولا يفارق فيها القلب سراءُ
وليس في غيرها بالعيش منتفع ولا تقوم بحق الانس صهباءُ
واين يعدل عن ارض يحض بها على الشهادة ازواج وابنــاءُ
واين يعدل عن ارض تحث بها على المــدامة امواهٌ وافيـاءُ
وكيف لايبهج الابصار رؤيتها وكل روضبها في الوشي صنعاءُ
انهارها فضة والمسك تربتهـا والخز روضتها والدار حصباءُ
وللهواءِ بها لطف يرق بــه من لايرق وتبدو منه اهواءُ
ليس النسيم الذي يهفو بها سحراً ولا انتثار لآلي الطـل انداءُ
وانما ارج النــد استثار بهـا في ماءِ وردفطابت منه ارجاءُ
واين يبلغ منهـا ما اصنفه وكيف يحوي الذي حازته احصاءُ
قدميزت من جهات الارض حين بدت فريدة وتولى ميزها المــاءُ
دارت عليها نطاقاً ابحر خفقت وجداً بها اوتبدت وهي حسناءُ
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب والطير يشدو وللاغصان اصغاءُ
فيها خلعت عذاري مابهاعوض فهي الرياض وكل الارض صحراءُ

« ابن سفر المريني »

كانت شبه جزيرة اسبانيا في عمرانها قبل الفتح العربي منحطة عن عامة الممالك الاوربية . حكمها الرومان وكانوا من خير من شاد بنياناً ، واقام في المعمور عمرانا ، ومع هذا لم ينلها من عنايتهم كبير امر ، فلما جاء العرب الفاتحون في العقد الاخير من المئة الاولى كان عهدهم الاول عهد الفتوح على نحو ماكان عهدهم في الشام فلما التفتوا فيه إلى تجويد البناء حتى إذا ورد على الاندلس من الشرق بل من دمشق عبد الرحمن الداخل الاموي سنة ١٣٨ ﻫ نقل مع جماعته اسلوب امته في العمران ، وكان سبقه اليها جمهور من الشاميين ، نقلوا اسلوب بنائهم وعاداتهم واصول معايشهم ، فاعتمدوا في بناء قصورهم ودورهم على الهندسة الدمشقية في الغالب ، وجعلوا في الدور فناءً أو

صحناً في وسطه بركة ماء وعلى جانبيها الازهار والاشجار ، وتقوم بعض طنوف الطبقة الثانية من البناء على عمد من الرخام وغيره ، والدور طبقتان فقط طبقة سفلية للصيف والطبقة العلوية للشتاء ويدخل إلى الدار من دهليز . رسم خطط هذه الدور بادىء بـدء مهندسون من الروم ثم اصبحت مع الزمن هندسة خاصة للعرب على ما كان شأنهم في الشام.

يقول بعضهم ان العرب لما وصلوا اسبانيا لم يكن لهم هندسة مخصوصة فقلّ فيهم كالاسبانيين الابداع والايجاد ولكنهم تفننوا في النقش ، واقدم مصانعهم مسجد قرطبة انشأه عبد الرحمن الداخل سنة ٧٨٥ م والنقوش فيه والفسيفساء من عمل صناع من الروم ومن هنا نشأت الصناعة العربية وتمثلت في المساجد والبيع والقصور والحمامات والابراج والابواب الحصينة . ومن اغرب المباني مسجد طليطلة مثال الهندسة العربية وقاعدة منارة مسجد اشبيلية وكثير من الارتجة والابواب . ولما استولى الاسبان على اشبيلية جعل ابن الاحمر غرناطة عاصمته فقام قصر الحمراء وظهرت بدائعه وهو اجمل زهرة من زهرات الصنائع النفيسة التي تفتقت اكامها بايدي العرب . وظلّ صناع العرب في اسبانيا قروناً بعد ذهاب دولتهم يعملون في المصانع الاسبانية ويدخلون في هندستها بعض اساليبهم فاثروا بهـا تأثيراً عظيماً في الابنية المبنية على الاسلوب الغوطي والايطالي (الرنيسانس) .

ولقد كان لملوك الاندلس وامرائها وقوادها وعامة من تولوا خطط الحكم والقضاء والحسبة غرام باستكمال فخامة الملك وتشييد القصور ، وجلب المياه ، وبناء الارصفة ، واقامة القلاع والحصون . بدأ بذلك عبد الرحمن الاول وجرى آل بيتـه وعظماء مملكته على قدمه في هذا الشأن ومنهم عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨) الذي كان « أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة وكسا الخلافة ابهة الجلالة فشيد القصور ، وجلب إليها المياه ، وبنى الرصيف ، وعمل عليه السقائف ، وبنى المساجد الجوامع بالأندلس ، وعمل السقاية على الرصيف ، وأحدث الطرز ، واستنبط عملها ، واتخذ السكة بقرطبة ، وفخم ملكه ، وفي أيامه دخل الأندلس نفيس الوطاء وغرائب الأشياء » . ومنهم عبد الرحمن بن محمد الذي قال فيه صاحب العقد : « ان الملوك لم تزل تبني على أقدارها ويقضى عليها بآثارها ، وانه بنى في المدة القليلة ما لم تبن .

الخلفاء في المدة الطويلة تعم لم يبق في القصر الذي فيه مصانع أجداده ، ومعالم أوليته ، بنية إلا وله فيها أثر محدث إما تزييد أو تجديد

كانت البلاد نسقاً واحداً في العمران حتى كان للقرى أيضاً نصيب وافر من العناية ولذلك كثر عددها حتى قالوا إنه كان على الوادي الكبير فقط أربعة عشر ألف قرية فكنت على رواية ابن سعيد إذا سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع والصحاري فيها معدومة أي في القسم الذي تأصل فيه حكم العرب ومما اختصت به أن قراها في نهاية من الجمال لتصنّع أهلها في أوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون عنها بل هي طراز من مناظر قد اتقنت بالبياض والزخرفة تخطف بالأبصار عند وقوع شعاع الشمس عليها

لاحت قراها بين خضرة ايكها كالدر بين زبرجد مكنون

قويت حركة العمران بالطبع حيث كان يقيم الخليفة والسلطان ولما ابتنى عبد الرحمن ابن محمد في غربي قرطبة مدينة الزهراء خط فيها الأسواق وابتنى الحمامات والخانات والقصور والمتنزهات واجتلب إلى ذلك بناء العامة ، وأمر مناديه بالنداء ، ألا من أراد أن يبني داراً أو يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله أربعمائة درهم فتسارع الناس إلى العمارة فتكاثفت وتزايدوا فيها فكادت أن تتصل الأبنية بين قرطبة والزهراء والمسافة أربعة أميال .

كان بناء الأندلسيين بالآجر والحجر وكان الحجر عندهم أنواعاً منه الخمري والأحمر والأبيض والجزع وكانوا ينحتون السواري والعمد من مقالعهم على الأغلب وقيل ان سواري جامع قرطبة جلبت من البيع القديمة من جنوبي فرنسا وايطاليا ومن افريقية والاستانة وسواء قطعت من مقالع الأندلس أو جلبت من القاصية فان في ذلك فضلاً كبيراً للعرب يدل على معرفتهم الأشياء الحسنة وقدرتهم على حمل هذه الأثقال في البر والبحر مع قلة الآلات الرافعة وقصور علم الحيل عما هو عليه في عصرنا

قال أحد الباحثين من الفرنجة : في اسبانيا ميدان لدرس الصناعة العربية المغربية منذ بدايتها وكان التردد بادىءَ بدءٍ بادياً عليها إلى أن ظهرت في مظهرها هذا على غاية من الغرابة والظرف . وقال بعضهم إن الهندسة العربية قد أفرغت جهدها في

قصور الحمراء وأنت ما وسعتها الاجادة والظرف بأمثلة تأخذ بمجامع القلوب في العمران ولو لم يكن جل الاعتماد على الخشب والجص في البناء وهما مما تقل متانته لأتت منها آثار خالدة أكثر مما أتت ولكن بمجموعها مدهش غريب يجد خيمة العرب الرحل في البادية . ومن أغرب ما اصطنعوه عمل المقرنص في القباب مؤلفاً من عدة قباب صغرى متناسقة بدون أن ترى اللحمة بينها والنقش فيها قليل إلا ما كان من جمل نقشت بالحروف الكوفية أو العربية المشبكة الأندلسية

قلنا ومعظم الآثار التي بناها الاسبان بعد سقوط آخر دولة الاندلس كانت بايدي صناع من العرب ابقوا عليهم لقيام مصانعهم وذلك لأن الاسبان كانوا متأخرين في الهندسة والصنائع النفيسة وأهم ما يتنافس فيه الاسبان إلى اليوم القيشاني فانك تراه في كل بيت وكنيسة وحائط ونزل ومدرسة ومتحف وهو أنواع منه ما يجعل على الأرض ومنه ما يجعل على طول قامة الانسان في الجدران المختلفة والآجر عندهم شأن عظيم في البناء وقد يدوم قروناً كما شاهدنا ذلك في خرائب الفسطاط بمصر وأكثره من بناء القرن الأول للهجرة

يصعب تعداد المصانع التي شادها العرب في أوقات مختلفة في الاصقاع التي نزلوها كما يصعب اعطاء حكم تام على معالمهم لأن كثيراً من بنيان الأندلس عور بتداول الأيام فصح في مدنها ودساكرها قول أحد الاندلسيين في بلنسية وقد عاث العدو فيها

عاثت بساحتك الظبا يا دار ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد في جنابك ناظر طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها وتمخضت بخرابها الأقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها لا أنت أنت ولا الديار ديار

للبحث صلة

محمد كرد علي

وصف ربوة دمشق

ومتنزهاتها وميدان القبق

وقفت في كتاب (ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر) لابن طولون الحنفي الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ على فصل بديع استطرد إلى ذكره في وصف ربوة دمشق ومتنزهاتها وما كانت عليه من العمران لعهده ووصف ميدان القبق ودقائق ما فيه . فرأيت أن أنقله إليكم ليكون تتمة لما كتبه صديقنا الكاتب الكبير الأستاذ معلوف .

وانما دعاني لذلك أمران « الأول » اشتمال هذا الفصل على فوائد يعز العثور عليها كل حين حتى في كتب البلدان فلا سبيل إليها إلا بانتجاشها من مثل هذه الدفائن وهو شيء موكول للمصادفات . « والثاني » ان ما بأيدينا من معاجم البلدان كتب قبل القرن العاشر الهجريّ فالوقوف على شيء من وصف العمران حوالي ذلك العصر مما يصبو اليه الباحثون في هذا الموضوع . واليكم نصّ ماذكره في ترجمة حيدر بن محمد بن جمال العصر أبي ذر[1] الشافعي قال :

« وسألني عن متنزهات دمشق فقلت له أعظمها الربوة وكان بها دكاكين لسمانين وبواردية وأقسماوي وفقاعي وفرن وتنور وأربعة شرائحية وطباخ غير من يأتي اليها من البساتين وغيرها من المتعيشين في الطبالي وغيرها .

وكان بها اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة يقال لها المضجية[2] موقوفة على مدرّس حنفي وطلبته . وكان بها الحمام المشهور فانه من محاسن دمشق ببركة ناهضة وشبابيك شرقية وشمالية وقبلية وغرف . وكان بها ميدان شرقي نهر بردى على الارض وغربيه يصعد اليه بسلم حجر . وكان بها التخوت « كذا » وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة لبوابة وطبقات على هيئة الايوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل وبه مأذنة ومسجد وميضأة وتحته نهر ثورا وفوقه نهر يزيد ويصعد اليه من سلم حجر بناه نور الدين الشهيد للفقراء فان الاغنياء لهم قصور . وكان بها خمسة مقاصف اثنان شرقي نهر بردى وثلاثة غربيه وفي كل واحد منها بيت المقاصفي وعنده فرش

(١) في نسخة الاصل للمؤلف النصر اباذي نسبة الى نصر اباذ في العجم (٢) في الاصل المنبجية .

ومخاد ولحف للمتنزهة . وكان بها مكانان لعينين إحداهما تسمى الملثم قبال المهد الشرقي والاخرى السخنة شمالي المقاصف الغربية وعليها قبة بين نهر بردى والقنوات وهي من العجائب فان ماءها فاتر صيفاً وشتاءً وشماليها اربع عيون تبان عند احتراق الماء ثنتان ماؤهما بارد وثنتان ماؤهما سخن . وكان بها خانان لربط الدواب قبليها . وكان بها ميضأة كبيرة شمالي المهد الشرقي على حافة بردى وهذا النهر أصل أنهارها السبعة والثاني يزيد والثالث ثورا والرابع بانياس والخامس القنوات والسادس الداراني والسابع المزي . وكان بها العاشق والمعشوق وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشماليها برج عتيق يسمي المذول .

وكانت هذه الربوة في أول الزمان تقصد بالزيارة ثم تغير أمرها وصار يقع بها المناكر وتقصدها الناس يوم السبت والثلاثاء دائماً وبعض الناس يوم الاحد والاربعاء ويقال لهما المحفل تطلع اليها فيهما الحلقية والمشعبذون والخايلية[1] والحكوية وهذا في ايام الصيف وأما[2] الشتاء فلها ناس تسمى المجاورين ومع ذلك لاتخلو من الصلاة جماعة في المساجد وغيرها . ثم خربت ثم عمرت وهكذا مراراً والآن بقيت مأوى الوحوش . وفي الوادي شرقيها في طريقها من جهة المدينة قطية وقطية مكان كان به سمان وشراحي ومقاصفي وقد خربت . وشرقيها في الطريق المذكور الجبهة وهو مكان على حافة نهر بردى به مسجد ودكاكين للتعيشة ومقصف له مقاصفي عنده فرش ولحف وبركة لها في الربيع وردية « كذا » تقصد وعلى كتفها حمام النزه خربت وعمرت مراراً والآن خراب . وشرقيها في الطريق المذكور المرجة وبها القصر الابلق . وكان من عجائب الدنيا يشرف على الميدان الاخضر شرقيه أنشأه الملك الظاهر ركن الدين عقب رجوعه من حجته في المحرم سنة ثماني وستين وستمائة كذا رأيت هذا التاريخ أعلى بابه الشمالي وعلى أسكفته ضرب خيط من رخام أبيض ووسطه مكتوب عمل ابراهيم بن غنائم المهندس وبابه الآخر ينفذ الى الميدان . وفي واجهته البلقاء ثلاثون شباكاً سوى القماري ووسطه قاعة بأربعة لواوين[3] قبلي وشمالي في صدرهما شاذروانان وغربي وشرقي في صدر كل منهما ثلاثة شبابيك فالغربيات مطلات على الطريق الآخذ

(١) هم اللاعبون بخيال الظل . (١٢) في نسخة الاصل « في الشتاء » (٣) أي اربعة إيوانات أو أواوين

إلى الحمام وتربة الصوفية والشرقيات مطلات على الميدان : وعلى واجهته الشرقية مائة أسد « منزلة صورها[١] » وعلى الشمالية اثنا عشر أسداً منزلة صورها بابيض في أسود وشماليه على حافة نهر بردى قصر شيخنا الزين ابن العيني وقبليه أعلى الكحجانية (كذا)[٢] قصر شيخنا قاضي القضاة الشهاب ابن الفرفور وغربيه قصر شيخنا الشهاب ابن الصميدي وكان لكل من هذه القصور بوابون صيفاً وشتاءً وقــد خرب جميع ذلك في الدولة العثمانية ولم يبق الا واجهة القصر الابلق الشرقية . وكان من ثم الى الربوة من جهتي واديها قصور وجواسق . وابنية لم يبق منها إلا القليل .

وفي هذه المرجة جرت العادة بان ينصب فيها الذي يرمى عليه النشاب على ظهور الخيل وصفته انه يشتمل على خمس قوائم الاولى المسماة بالركيزة وهي تدق في الارض بدقاق[٣] لانها كالخازوق لكن في رأسها حديــدة مركبة صفة الطوق إن لم توثق بها والا تنكسر وفي اسفلها حديدة كصفة سن الرمح لكن أغلظ منه بشيء يسير ويكون دقها في الارض قدر ذراع . والثانية السفلى وطولها سبع أذرع ونصف وعلى رأسها حديدة مجوفة مركبة فيه طولها نصف ذراع منها مجوف بغير خشب ربع ذراع ويكون رأس الخشبة المركبة عليه هذه الحديدة مدوراً وغلظ هذه الخشبة وجنسها كصفة القنطارية التي يلعب بها وتسمى الرمح ومن جنسه وفي أسفلها بخش فيه سير يربط في رأس الحديدة التي في أسفل الركيزة ثم يربط على رأسها وفي اسفل الركيزة سير يربط به حبل البكرة والا ماتقف ويوثق الرباط والا يحصل فساد في القبق . والثالثة غلظها كغلظ الاولى وطولها سبعة أذرع ونصف وربع يركب منها في الحديدة المجوفة التي هي في القائمة الثانية قدر مايصل وصفة هذه القائمة كالقنطارية لكنها أدق من الثانية . والرابعة وتسمى قائمة البكرة طولها كطول الثالثة وفي أسفلها حديدة مجوفة مركبة مثل الاولى وفي رأسها بكرة وفي البكرة حبل وفي قائمة البكرة رزة حديد في وسطها وبعدها رزة ثانية بــين الرزتين ثلاث أذرع والحبل الذي في البكرة داخل في الرزتين وفي أسفل القائمة بعد الرزتين

(١) الظاهر ان في العبارة سقطاً وان الساقط بعد لفظ صورها « بأسود في أبيض » وفي نسخة الاصل لاتوجد هذه العبارة « منزلة صورتها » (٢) وفي نسخة الاصــل الكجحانية (٣) في الاصل دقماق

أطناب من قنب اربعة ان لم يدقوا (كذا) في الارض بعد ان يقام القبق والا يخاف عليه من السقوط بالهواء وطول كل باع أحد عشر باعاً (١) . والخامسة قائمة دقيقة يوضع فيها القبق بعد الرابعة طولها سبع أذرع توضع في رأس القائمة التي فيها البكرة ثم يربط الحبل في ثلث القائمة وفي أسفلها ويجر في البكرة بعد وضع القبق وارتفـــاع القبق جميعه ثلاثون ذراعاً بالحديد . وأما صفة الرمي عليه فهي ان يمسك المعلم عمود القبق وأربعة أنفس يمسك كلٌ واحد منهم الحبل الذي هو طنب القبق ثم تجر العصا المركبة على القبق بالحبل المركب في البكرة ويربط على الركيزة ويقف الراكب الرامي في رأس الميدان وطوله خمسة وعشرون فرساً[٢] وهو لابس مطري[٣] ويجعل في بند وسطه ثلاثة عيدان من نشاب القبق ويعلق القوس في ذراعه الشمال وهو ماسك اللجام ويسوق الفرس في قوة مشواره[٤] ويشد روحه ويحزق أفخاذه على أجناب الفرس ويبعد المهماز عنها ويأخذ القوس والنشاب بسرعة ويكبر[٥] واذا قرب الى القبق بقدر طول قوس أو أنفس[٦] ويمد[٧] ويطوي[٨] وكلّ ذلك في (مشوار) فرسه وهو سائق ثم يصوب بيده الشمال والاسناد تارة بها وتارة باليمين ثم يعود إلى رأس الميدان وهو سائق ويأخذ القوس والنشاب سريعاً ويكبر[٩] فاذا وصل إلى قرب القبق يميل ويمد تحت الركاب وينبرم[١٠] ويدور وسطه ويجعل مرفقه على مقدم الامازي[١١] ويدور يديه ويقلب قبضته الى فوق جهة القبق ويدور وجهه ويرمي على القبق ادتندى[١٢] رأس الفرس القبق وشرطه نزول السهم تحت القبق وكل ذلك وهو سائق في (مشوار) واحد ويكرر الرمي على قدر خاطره[١٣] ويختمه بثلاثة أسهم (الاول) من قبل أن يصل إلى القبق ويكبر ويرمي السهم (الثاني) تحت القبق ويكبر ويرمي السهم (الثالث) من أعلى

(١) لعل الصواب احدى عشرة ذراعاً (٢) لعل الصواب «قوساً» يريد رمية قوس كما يفهم من عبارته الآتية . وهكذا في الاصل (٣) أُصطري في نسخة الاصل ولعلها خطري (٤) عامية بمعنى الشوط (٥) في الاصل ويكابر (٦) عامية بمعنى «اكثر» (٧) لعل في العبارة سقطاً أو تحريفاً ويظهر انها تستقيم باسقاط الواو التي قبل «يمد» (٨) لعلها «يصوب» (٩) ويكابر (١٠) ينفتل (١١) وفي الاصل الا مازيم ولعلها لا بازيم (١٢) في الاصل تندي ولعله «إذا عدّى» كما سيأتي (١٣) بمعنى «كما يشاء ويريد»

الكفل إذا عدى الفرس القبق وكل ذلك في (مشوار) الفرس وطول الميدان المقدم ذكره . ويكون نزول الثلاثة الأسهم متوالية واحداً بعد واحد متصلين وحسن قوة الأسهم(١)ان يكون أربعين رطلا بالشامي حتى تنزل الثلاثة الأسهم بعضها وراء بعض من علو سن الأسهم . وفي العود إلى رأس الميدان يرمي أيضاً على القبق ثلاثة أسهم في (مشوار) راجلا [٢] (الأول) حين سرفة [٣] القوس و (الثاني) عند قرب القبق و (الثالث) حين عدت الفرس القبق يلفتها سريعاً ويرمي عليه . والأحسن أن يرمي تارة على قوس زنته [٤] خمسة وأربعون رطلا شامياً بنشاب يسمى مجراة وتارة على قوس قوته خمسون رطلا شامياً أيضاً ويسمى هذا القوس الشرخ وقد رمي على هذه الطريقة بحضرة السلطان الاشرف قايتباي وقد تفرج على هذا الرمي قاضي القضاة قطب الدين الخيضري من قصره بالشرف الأعلى تجاه هذا القبق وكان لهذا القصر سبعة شبابيك من حديد وفي وسطه فسقية منصبة [٥] وخارجه صفة قمرية بطشطية من حجر المرمر وبقرب هذه الصفة حمام وقد زال هذا كله .

وكان تجاه هذا القبق من جهة القبلة أسفل الشرف القبلي بستان يقال له النمورة وهي اسم لزهر السفرجل في حفلته تهرع الناس إليه للنزهة وكأنه لم يكن هناك .

ومن متنزهاتها ميدان البلكي [٦] وطوله على ظهور الخيل مائة وتسعون فرساً وطول رمي البلكي مائة وأربعة وعشرون قوساً وفيه كومان الاول من جهة الرأس مسنم طوله ثلاثة أقواس والثاني مقابله وطوله أيضاً ثلاثة أقواس وعرض وجه الكوم قوس والبارز بينهما ثمانية عشر بعد مائة قيساً [٧] . وقرب هذا البلكي بستان السيرجي ويعرف بالجودة تهرع الناس إليه في أيام حفلته وهو التفاح لكثرته به . ومنها بستان المرشدية [٨] بالقابون التحتاني تهرع الناس إليه في يوم خميس البيض للفرجة على زهر اللوز لكثرته به . ومنها[٩] ست الشام بالوادي التحتاني تهرع الناس إليه في أيام حفلة

(١) لعل الصواب القوس (٢) في الاصل « واحد » (٣) في الاصل « سوق الفرس» (٤) الغالب في القوس التأنيث وقد تذكر (٥) في الاصل «متسعة» (٦) الغالب انه البلكي بالباء (٧) لعله قوساً ولعلها قياساً أو قوساً (٨) في الاصل الرشدية (٩) لعل الصواب بستان ست الشام

الزهر من حيث هو موجود كزهر المشمش وهو الغالب فيه . ومنها المحلات لدود القز بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان تهرع الناس إليه في أيام حل جوز القز حتى يصير حريراً للفرجة عليه . ومنها باب كيسان أحد أبواب دمشق تهرع الناس إلى ظاهره في أواخر الشتاء للفرجة على المسابقة بين الخيل في مكان يقال له طابق البرينات[١] . ومنها الشيخ سعيد[٢] قبلي المزة تجاه محل استسقاء أهل دمشق وقد أدركت به منبراً من حجر حتى قبته وإلى جانبه محراب من حجر ودائره حيطان أربعة من ابن يهرع الناس إلى هناك للفرجة على الوادي الفوقاني ذهاباً واياباً ويزورون الشيخ سعيداً في[٣] زاويته وفوقه قميص اذا ذكر[٤] الفقراء يبقى هذا القميص يهتز وان لم يكن هواء وانما يهرعون إلى هناك أيام قطع الأنهر لتعزيلها ورد مائها على نهر بردى أسفل هذا الوادي ومنها قرية عين الفيجة أصل هذا النهر يهرع الناس إليها أيام استواء[٥] القراصيا فانه لا يوجد بدمشق أحسن منها ولا أكثر ولأجل ذا[٦] يذهب منها أحمال في علب على بغال إلى سلطان مصر في دولة الجراكسة . ومنها قرية برزة شرقي جبل قاسيون يهرع الناس إليها لزيارة مقام الخليل عليه السلام أعلاها أيام استواء[٧] تينها فانه لا يوجد اذ ذاك أحسن منه ويكون التين الماسوني[٨] قد فرغ . ومنها الخميسيات قبلي مغارة الجزع[٩] وانما سميت بذلك لأن مبتدأها كان لزيارة الأموات والآن للفرجة يهرع إليها النـاس أيام وجود البلح[١٠] وحب الآس وربما يختصر بعضهم فيجلس عند عين الكرش ويسمى ذلك المـكان بالمقصبة » . انتهى ما أورده بنصه وعامية عبارته .

مصر القاهرة : أحمد تيمور

---

(١) في الاصل (البريكات) (٢) لعل الصواب « مسجد الشيخ سعيد » (٣) وفي الاصل « وهو مدفون في زاويته » (٤) في الاصل « ذكروا » (٥) عامية بمعنى « نضج » (٦) كان (٧) نضـج (٨) في الاصل الماسيوني وفي محاسـن الشام للبدري الماسوني (٩) في الاصل « الجوع » وهو الاصح (١٠) لعله الثلج .

جلسة عامة

يوم الخميس في ٢٣ آذار ١٩٢٢ الساعة الرابعة بعد الظهر اجتمع المجمع برئاسة رئيسه الاستاذ السيد محمد كرد علي والاساتذة الشيخ سعيد الكرمي وأنيس أفندي سلوم والشيخ عبد القادر المغربي وعيسى أفندي اسكندر المعلوف وفارس بك الخوري والمطران ميخائيل بخاش والشيخ عبد الرحمن سلام والشيخ عبد القادر المبارك والدكتور مرشد بك خاطر ورشيد بك بقدونس فذكر الرئيس خلاصة أعماله عن زيارته اوربا ومدارسها ومتاحفها ودور كتبها والاطلاع على حركة الاستشراق العربي فيها قال : كان أهم شاغل لي في فرنسا زيارة مدارس النواحي في القرى للذكور والاناث ومدارس المعلمين والمعلمات على اختلاف طبقاتها ودور الحضانة أو حدائق الاطفال وقد لقيت من القائمين على تلك المدارس كل رعاية ومعاونة وحضرت بالنفس القاء الدروس واطلعت على تراتيب تلك المعاهد ولا سيما في باريز وضواحيها مثل سان كلو وسيفر وكلامار . وقد دعيت في باريز إلى حضور جلسة الجمعية الآسياوية برئاسة المسيو سينار Senart العالم المشهور وقد حضرها كثير من اخواننا علماء المشرقيات في باريز فأهل بي الرئيس وحياني وحيا في شخصي المجمع العلمي العربي واستفدت فوائد كثيرة من هذه الجلسة التي خطب فيها اثنان من الأعضاء انتدبتهما الجمعية الآسياوية إلى حضور احدى المؤتمرات في اميركا الشمالية فقدما لجمعيتهما حساباً علمياً عما شاهداه وواحدمنهما اخصائي في الآثار المصرية والآخر في الآثار الصينية . وزرت هذه المرة أيضاً مدرسة اللغات الشرقية وتعرفت الى مديرها المسيو بويه Boyer وقد تفضل وقدمني الى كثير من المستشرقين والشرقيين من هنود وصينيين ويابانيين وفرس ممن يدرسون في مدرسته السنتهم الشرقية .

قال وحضرت في باريز عدة خطب ومحاضرات ودروس المستغلين بآثار الشرق منها دروس احد اعضاء مجمعكم صديقنا المسيو ماسنيون Massignon في (كوليج دي فرانس) وفي جمعية العلماء وهو يتكلم عن الشرق الاسلامي كلام فهم وصحة حكم

وحضرت محاضرة المسيو فرّان Ferrand احد علماء المشرقيات وناشر كتاب ابن ماجد البصري في الملاحة العربية واني اقترح عليكم ان يضم هذا الرجل الى اخواننا اعضاء المجمع ليستفيد منه مجمعنا كما اقترح عليكم ضم اربعة آخرين وهم المسيو كليمان هوار Huart مؤلف تاريخ العرب وكتاب آداب اللغة العربية وناشر كتاب البدء والتاريخ وغيره المسيو مارسيه Marçais وهو مستشرق كبير يصرف نصف سنته في التدريس في تونس والنصف الآخر في مدرسة اللغات الشرقية بباريز وله عدة مصنفات وآثار ويحسن العربية كما نحسنها ويتكلم كما تتكلمون بطلاقة لا عجمة فيهما والرجل الثالث المسيو باسيه Basset عميد مدرسة الآداب في الجزائر وناشر المؤلفات المفيدة واحد مديري تأليف دائرة المعارف الاسلامية والرجل الرابع المسيو ميشو بللر Michaux Bellaire احد العارفين بتاريخ الغرب الاقصى واجتماعه وعلومه وناشر الكتب والابحاث المفيدة فيه وهو مقيم في مراكش منذ ثماني وثلاثين سنة وينزل الآن طنجة وقد تزوج بمراكشية من عهد طويل ويعيش عيش المراكشيين ويلبس لباسهم ويصوم معهم ويتأسى بعاداتهم ويتكلم بلهجتهم . والمستشرقون الثلاثة الاخيرون يوفقون مجمعكم ولاشك على امور كثيرة تنفعه من علوم ثلاثة أقطار عربية مراكش والجزائر وتونس او الغرب الأقصى والاوسط والادنى .

قضيت في فرنسا شهراً ونصفاً ثم ذهبت الى البلجيك فنزلت بروكسل عاصمتها وسألت عن علماء يعنون باللغة العربية فدللت على احد الرهبان فقصدته في ديره فلم اظفر به . ودروس الاستشراق العربي ضعيفة وان كان بعض الشبان هنا يعنون على ما بلغني بدراسة العربية ولم نعرف بعد المسيو شوفين Chauvin المتوفى ان هناك رجلا كبيراً يعتمد عليه من المشتغلين من البلجيكيين في المشرقيات العربية وزرت في بروكسل معهد المجمع العلمي الملوكي الذي هو على اتصال دائم مع مجمعكم يبادلنا مطبوعاته . ولما نزلت هولاندة كان من اكبر همي ان ازور المسيو سنوك هورغرون Snouck-Hurgronje من مشايخ الاستشراق في الغرب وقد صرف بضع عشرة سنة من حياته في جاوة ومكة المكرمة وهو عارف باحوال الاسلام والمسلمين معرفة تامة ضليع من الفقه والشريعة الاسلامية وحتى انه يعدفيها إماماً بعد وفاة شيخ المستشرقين صديقنا الاستاذ غولد صهير

Coldziher المجري واني اقترح على مجمعكم العالي ان يضم اليــه هذا العظيم بعلمه ومكانته في بلاده وجزيرة العرب وجزائر جاوة وما اليها وهو الآن أسـتاذ العربية في جامعة ليدن خلفاً للاستاذ هوتسما Houtsma عضو مجمعكم الذي اعتزل الخدمة وهو اليوم في سن الشيخوخة في اوترخت ولا يزال دؤوباً على العمل ومدير تأليف دائرة المعارف الاسلامية وقد تشرفت بزيارته في بلده وتفضل وكتب لي تقريراً بالافرنسية عن تاريخ الاستشراق في هولاندة والمقصد من تعلم العربية عندهم وسأنشره في فرصة أخرى وعسى ان يرضى مجمعكم أيضاً بان يضم إليه من المستشرقين الهولانديين مستشرقاً آخر اسمه الدكتور فان اراندونك Arendonk وهو مؤلف تاريخ المعتزلة وله مقالات في الموسوعات الاسلامية وغيرها .

أما في انكلترا فقد زرت في جامعتي كمبردج واكسفورد صديقينا عضوي مجمعكم الشرقيين الاستاذين براون ومرجوليوث Browne و Margoliouth وسررت جداً بلقاءِ الاستاذ بفن Bevan من أساتذة (ترنيتي كوليج) أحد معاهد جامعة كمبردج وناشر كتاب مناقضات جرير والفرزدق وغيره من آثار العرب وهو يشتغل بشعر العرب العرباء ومثله بضعة أفراد من علماء المشرقيات في اوربا يتوفرون اليوم على دراسة هذا الشعر واني اقترح عليكم أن تتفضلوا وتفكروا في ضم هذا المستشرق المستعرب إلى جماعتكم ليستفيد منه مجمعنا لانه خدم آداب لغتنا خدمة طويلة خالصة وقد زرت مدرسة اللغات الشرقية التي أنشأتها انكلترا في عاصمتها لندرا سنة ١٨١٦ زمن الحرب العامة على مثال مدرستي باريز وبرلين واستدعت شيوخ المستشرقين لتدريس لغات الشرق فيها وهي لا تقل عن ثلاثين لغة ولهجة .

نسيت ان اذكر لكم اني زرت في جامعة ليدن في هولاندة مكتبتها العربية وهي لا تقل عن ثلاثة آلاف مجلد كما زرت مكتبة المتحف البريطاني في لندن ولاسيما مخطوطاته العربية وزرت داري الكتب في جامعتي كمبردج واكسفورد وفيهما أمهات من ألوف من المخطوطات ومنها ما لم نطلع عليه . وقدرت ان ما حفظ من المخطوطات العربية في مكتبة وزارة المستعمرات الانكليزية والمتحف البريطاني ومدرستي كمبردج واكسفورد بمئة الف مجلد ولا تزال في نمو متواصل وهي مفهرسة مبوبة طبعت قوائم

المجموعات الاولى منها منذ اكثر من مئة وخمسين سنة ولا تزال تضاف اليها ملحقات كلما توفر منها قسم جديد وينشر ذلك ويستفاد منه بالتأني والدؤوب واعمال علماء الانكليز كاعمال هذه الامة تسير ببطء شديد ولكن على صورة ثابتة متصلة .

وبعد أن تكلم قليلاً عن حركة المشرقيات العربية في انكلترا قال : اني زرت مجريط عاصمة اسبانيا واجتمعت بصديقنا الاب آسين احد أعضاء مجمعكم وقد اطلعني في خزانة كتبه على قماطر الجزازات (Fiche) التي جمعها الاستاذ ريبرا المستشرق الاسبانيولي في تراجم علماء العرب في الاندلس وهي ثلاثون ألف جزازة لثلاثين الف عالم وقال لي ان الاستاذ البرنس كايتاني عضو مجمعكم في رومية قد استنسخها مؤخراً وسيطبعها لتعم فائدتها وزرت القسم العربي من خزانة مكتبة الامة وفيه مجموعة لا بأس بها كما زرت خزانة كتب الاسكوريال من اديار القرون الوسطى والقسم العربي منهـا حديث أخذ غنيمة من احدى سفن ملك المغرب الاقصى على مقربة من اسبانيا وذلك في القرن السابع عشر ولا تقل هذه المجموعة عن الفي مجلد وليس في بلاد اسبانيـا مجموعات مهمة من المخطوطات العربية لان رؤساء الدين فيها كما تعلمون يوم فتح صاحب قشتالة الاندلس واستخلصها في القرن التاسع للهجرة من ايدي العرب ظلوا نحو خمسين سنة يحرقون كتب العرب حيث وجدت ليقضوا بها عليهم وعلى مدنيتهم وذكر الرئيس أشياء كثيرة عن متاحف اسبانيا والاندلس وعن مجموعات خاصة من العاديات والاعلاق النفيسة ثم قال : ولما وافيت برلين كان من أكبر همي استنساخ مخطوطات عربية نادرة من دار كتبها بالتصوير الشمسي ففعلت وأخذت بهـذه الطريقة أربعة مخطوطات من برلين وأربعة من مكتبة ميونيخ عاصمة بارفاريا وأكثرها مما يتعلق بتاريخ هذه البلاد بلاد الشام وهي (١) كتاب « الباشات والقضاة بدمشق زمن السلطـان سليم خان وبعده لمحمد بن جمعة المقار أوله الباب الرابع والخمسون وهو قطعة من كتاب (٢) كتاب ايضاح الظلم وبيان العدوان في تاريخ النابلسي الخارج الخوان لحسن بن أحمد ابن عربشاه وهو مسجوع (٣) تراجم الاعيان من ابناء الزمان للحسن البوريني فرغ منه أوائل رجب المرجب سنة ثمان وسبعين والف (٤) تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي (٥) كتاب نقش فصوص خواتم الحكماء واجتماعات الفلاسفة في الاعياد

وتفاوض الحكمة بينهم (٦) تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر تأليف عبد الرحمن بن محمد بن حمزة واسمه الجواهر والدرر في تراجم اعيان القرن الحادي عشر وهو مسودة المؤلف «٧» تاريخ الامير فخر الدين بن معن تأليف احمد بن محمد الخالدي الصفدي «٨» كتاب الدارس للنعيمي وهي نسخة بخط ولد المؤلف مخرومة قليلا وذلك لكي نعارض عليها نسختنا المحفوظة في دار الكتب العربية بدمشق ومعلوم اننا نريد ان نطبعها .

ولا يتسع الوقت حتى اذكر لكم ما رأيته من المخطوطات العربية النادرة في داري كتب برلين ومونيخ . وامهات خزائن الكتب العربية في المانيا توجد في برلين في دار كتب الامة ودار كتب مدرسة اللغات الشرقية وفي خزانة كتب الحكومة في مونيخ وفي خزائن الكتب العامة في غوتا وغوتنغن وليبسيك ومن اقدر علماء المشرقيات العارفين باللغة العربية عندهم الاستاذ متفوخ Mittwoch والاستاذ ساخو Sachau والدكتور موريتز Moritz والدكتور فيل Weil والدكتور بكير Becker في برلين والدكتور بركسترازي Bergstrasser والاستاذان فيشر وريشار هارتمان Fischer Richard Hartmann في ليبسيك والاستاذ بروكلمان Brockelmann في هالي وقد نقل الى برلين والاستاذ غريم Grimm في مونستر والاستاذ جاكوب Jacob في كيل والاستاذ هيل Hell في ارلانجين والاستاذ هوميل Hommel في مونيخ والمعلم ليتمان Littmann في توبنغن والمعلم ريتر Ritter في همبورغ والاستاذ نولدكه Noeldeke في كرلسروح والاستاذ ركاندورف Reckendorf في فرايبورغ والاستاذ هورفتز Horovitz في فرنكفورت . وقد اجتمعت ببعضهم ومنهم من اعرفه من قبل وارى من واجبي ان اذكر مجمعكم العالي بان لنا من اعضاء الشرف في تلك البلاد الاستاذان بروكلمان ومتفوخ فاذا حسن لديكم ان تضموا إليهما الاساتذة نولديكه وهورفتز وهوميل وهارتمان تتم معلومات مجمعنا عن الحركة الاستشراقية . وقد زرت في جنيف الاستاذ مونته Montet عضو مجمعكم ومن اساتذة جامعتها كما لقيت في القاهرة خمسة من اعضائه وهم الدكتور يعقوب صروف واحمد كمال بك واحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا والدكتور او جينو غريفيني Griffini الايطالي .

ورأيت كل من اسعدني الحظ بالاجتماع بهم من علماء المشرقيات يثنون على عملكم

وعمل اخوانكم في مصر والشام والعراق وغيرها من الاقطار وهم ينظرون فيما تنشرون نظر تدقيق وبحث ويناجونكم من وراء البحار بما يقرأونه من ابحاثكم ومحاضراتكم في مجلة المجمع العلمي العربي . وقد زرت المخطوطات العربية المبعثرة بل المحفوظة في مكاتب عواصم اوربا وهي لاتقل عن ربع مليون مجلد راهمها في فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا والنمسا وهولاندة والسويد والدانيمرك واسبانيا وبولونيا وروسيا واذا صحت العزيمة على اخذ النوادر من المخطوطات الموجودة في الغرب بالتصوير الشمسي لاتمضي على دار الكتب العربية في هذه العاصمة بضع سنين حتى يكون لها منها مجموعة مهمة ويرى فيها كل طالب ومؤلف بغيته من آثار السلف كما تفعل الآن دار الكتب السلطانية بالقاهرة وتصور كل سنة عشرات من الاسفار المخطوطة بهذه الطريقة في النسخ الامينة من المسخ والسلخ .

وبعد ان افاض في هذا الشأن قال : اني صرفت وقتاً في زيارة دور الآثار ومعاهد العاديات في جميع المدن التي زرتها في اوربا في سياحتي هذه المرة الثالثة فلما رأيت احتفاظ تلك الامم بعادياتها وتحفها كتبت الى صاحب السلطة الاول في سورية ألفت نظره الى ما اخشى عليه من اخذ آثار سورية الى خارج البلاد ورجوته ان يتفضل فيأمر من يلزم للاحتفاظ بآثار الشام في امهات مدنه ليحفظ بذلك تاريخها وثروتها كما فعل صاحب الشأن في الغرب الاقصى ومنع اصدار الآثار المراكشية الى الخارج وجعلت في دور ومتاحف ليستفيد ابناؤها منها علماً وعملاً ومادةً ومعنى وعساه فاعل بحول الله .

ثم قال وبهذا المقام اسمحوا ايها السادة ان اقترح عليكم ضم الاساتذة بول Buhl وبدرسين Pederson واوستروب OEstrup من علماء المشرقيات المستعربين في الدانيمرك ولهم مقالات مهمة في الموسوعات الاسلامية وآثار وعناية بلغة العرب والاستاذ هيس Hesse في زوريخ في سويسرا والاستاذ زترستن Zetterstein في او بسالا في السويد والاستاذ ماكدونالد Macdonald في جامعة هارفرد في اميركا والاستاذ كوفالسكي Kowalski في كراكو في بولونيا والاستاذ موجيك Mzik في فينا من النمسا والاستاذ موزيل Musil في جامعة براغ عاصمة التشكوسلوفاكيا

وهو المعروف في هذه الديار بالشيخ موسى الروبلي لانه قضى بضع عشرة سنة مع عرب الرولة ورسم احسن مصور لبلاد العرب وله مؤلفات كثيرة مهمة عن آثار بلاد العرب حازت مكانة عليا عند الباحثين في تاريخ الشرق وعادياته وبذلك يكون لنا اخوان واعضاء شرف في أهم البلاد التي تدرس فيها العربية وتنشر فيها تركة اسلافنا ويبحث فيها عن مدنيتهم وإذا انضاف إلى ذلك مازاد وسيزيد في خزانة كتبكم وفي دار الكتب العربية من الاسفار وما اطرد ارساله الينا من مجلات المستشرقين نكون قد خطونا الخطوة الاولى المهمة في سبيل انهاض مجمعنا العلمي وتحقيق الآمال في انفاذ الخطة التي اختطها لنفسه منذ أول تأسيسه وإذا كان هو الآن احدث مجمع علمي في العالم فلا يمضي زمن طويل حتى يشب وينمو بفضل معاونتكم وفي ظل انوار معارفكم ومعاضدة حكومة البلاد وفقها الله .

وبعد ذلك تناقش الاعضاء قليلاً في مسألة ضم الاعضاء الجدد الى المجمع . وقال الاستاذ فارس بك الخوري : أيها الاستاذ الرئيس ان المجمع لايعرف أكثر هؤلاء الذين رشحتموهم لينضموا الينا ويعدوا في جملتنا من علماء المشرقيات في الغرب فاذا كانوا على مستوى اخواننا الذين انضموا الينا حتى الآن ولهم سابقة في خدمة لغتنا وآدابها ويرجى منهم خدمة لمجمعنا فانا نوافق على ضمهم . فاكد له الرئيس انهم كلهم من الكفاة المشهود لهم وان لهم آثاراً تنم عنهم في هذا الشأن فوافق المجمع على مقترح الرئيس وانفضت الجلسة الساعة السادسة .

ملاحظة

رأيت في اول صفحة من العدد الثاني لسنة ١٩٢٢ مانصه : واشتهر (قطرب) بتآليف كثيرة لغوية منها كتاب (المثلثات) المطبوع في ماربوغ سنة ١٨٥٧ م بعناية فيلمار وهي ارجوزة كان اول من جمعها ﻫ

هـذه العبارة تقتضي بعض اصلاح او ايضاح وارجـو من جناب محررها السماح

(١) كتاب المثلث لا المثلثات كما جـرى عند الناس لم يطبع في علمي الى الآن

(٢) لم ينظم قطرب مثلثه وكتابه كسائر تآليفه منثور وتوجد منه نسخ عديدة في اوربا لاسيا في برلين عدد ٧٣ — ٧٠٧١ وفي باريس وليدن وعندي منه نسختان تامتان بخط مغربي عادي واول الكتاب « هـذا كتاب الفه قطرب بن احمد البصري سماه المثلث وهو حرف تراه في الكتاب على صورة واحدة ويتصرف على ثلاثة معان فمنه الغَمر والغِمر والغُمر الخ »

(٣) اما الذي طبعه فيلمار في ماربورغ (لاماربوغ) سنة ١٨٥٦ (لا ١٨٥٧)فهو ارجوزة المزدوجة التي نظمها رجيه الدين عبدالوهاب بن حسن بن عبد الوهاب المهلبي البهنسي الشافعي المتوفى سنة ٦٨٥ (ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ص ٣١٨ وطبقات الشافعية للسبكي ج ٥ وص١٣٣)وهذه الارجوزة قد طبعت في مصر سنة ١٣١٥ منسوبة لقطرب نفسه مع ان صاحبها قال في آخرها « نظمت في وصفي له مثلث القطرب » والارجوزة معزوة لمؤلفها المهلبي موجودة في مكتبة برلين عدد ٧٠٧٤ وغوطا عدد ٣٦و٦١ و ٤١٠ وان اقتضى رأيكم الاصوب طبع كتاب مثلث قطرب فاني رهن اشارتكم لانسخه لكم احياء للرفات وانشاراً للأموات

قد كان خطر ببالي للايضاحات المتعلقة بكتاب الازمنة زيادة تختص بتعريف بعض العلماء المذكورين فيه كتعريف ابي تغلب عبد الوهـاب بن علي الذي ترجمته موجودة في كتاب الانساب للسمعاني في ظهر ورقة ٥٤١ وتعريف المعافى بن زكرياء الذي عقد له السيوطي في بغية الوعاة فصلا ص ٢٩٤ ثم ظهر لي انه ربما لايليق بالمجلة فوقفت القلم قبل الندم . . .

الجزائر　　　　　　　　　　محمد بن ابي شنب

مجلة المجمع العلمي العربي
١٨
الجزء ٦ حزيران سنة ١٩٢٢ م الموافق شـوال سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

الآثار القديمة الشرقية

(٢) آثار صور وصيداء الحديثة

ليس بخاف ما كان للمدن التي شيدت على شواطىء البحر الرومي من المكانة التاريخية منذ عهد الفينيقيين إلى آخر عهد الصليبيين فانها حفظت لنا آثار القدماء بسلاسل متصلة وظهر منها بالعرض وبعناية لجان التنقيب عن الآثار (التي بدأت اعمالها في بلادنا منذ ثمانين سنة) عاديات ذات شأن لامحل الآن لتفصيلها ولكنني اجتزىء عن ذلك بوصف الآثار الحديثة لاعظم تلك المدن الفينيقية صور وشقيقتها صيداء ملكتي البحار وما اليهما من الاماكن القديمة والمدن والحواضر بحسب ما يحتمله المقام .

ان البعثة الالمانية التي جاءت بعلبك منذ ربع قرن وحفرت قلعتها كان يرافقها تيودوري مكريدي بك احد محافظي دار الآثار في الاستانة وهو من البارعين في علم الآثار فاجرى الحفر في بعض الاماكن خارج بعلبك ولا سيما في صور سنة ١٩٠٣ مع بعض الاثريين الالمانيين حيث احتفر كثير من علماء اوربة ولا سيما ارنست رينان الفرنسي وغيره قبلا اماكن ظهرت فيها آثار نفيسة لأولئك ولهؤلاء وصفوها في كتبهم التي نشروها وفي المجلات الاثرية ومن ذلك مقالة لمكريدي بك هذا في المجلة الكتابية مصورة وكرر عمله هذا مراراً بعد ذلك إلى ربيع سنة ١٩١٤ م فجاء صور وصيداء

يصحبه الاثري الفرنسي الدكتور كونتينو G. Contenau خرّيج مدرسة اللوفر الاثرية فصرفا ثلاثة أشهر في الحفر والبحث في تلك الضواحي حتى عثرا على عاديات ذات شأن معظمها كان بين القرنين التاسع قبل الميلاد والخامس بعده فنقلاها إلى الاستانة وبينها نواويس رصاصية وخزفية وحجرية من الصخر الرملي الذي يكثر في السواحل . عليها نقوش وصور رائعة يونانية ورومانية ظهرت في قرية الهلالية ومراح كيوان في جوار صيدا ومنها كتابات ونقود للدولتين المذكورتين وتماثيل ونحوها .

واهم حفرهما كان في (القلعة الفوقا) المعروفة بقلعة القديس لويس في صيداء وفي القرى التي تجاورها ولا سيما (قياعا) وقرب (مغاور طبلون) .

وعلى اثر ذلك في أواخر شهر ايار سنة ١٩١٤ م اظفرني الحظ بمقابلة المسيو كونتينو في قصبة سوق الغرب وكان يتفقد فيها قلعة الحصن القديمة فحدثني باكتشافاته ونشرت مقالة في ذلك مع لمة من ترجمته في مجلتي الآثار (٣ : ٤٢٤)

وقرأت له في خريف السنة الماضية مقالة في مجلة (مركوردي فرنس) عن العاديات السورية ومستقبلها المهم فصّل فيها اشياء ذات شأن وانتقد مايجريه بعض السكان من تهشيم الآثار وتحطيم التماثيل والاواني طلباً للكنوز التي شاعت خرافاتها بينهم منذ القديم ومما قاله عن بحثه في صيداء سنة ١٩١٤ م ما محصله :

« انه احتفر ارضاً فبعد ان انحدر المحتفرون نحو ثمانية عشر متراً عمقاً كشفوا أول الآثار الرومانية فما الظن بما قبلها من العاديات في جوف الارض . . . وان من الآثار الفينيقية في صيداء هياكل اشمون ومن الآثار الصليبية قلعتها . . . وانه كشف صحيفة حجرية كبيرة عليها فسيفساء بزنطية بديعة وذلك في خليج النبي يونس فبعد ان صورها وعرف قياسها ووصفها غطاها بالتراب حفظاً لها . فذهب بعض الذين رأوه وهشموها فافقدوها رونقها وخسرت الآثار شاهداً مهماً » .

إلى ان قال : « انه بعد دخول الحلفاء سورية استأذن مفوض صيداء البلدي الحكومة المحلية لاتخاذ حجارة متهدمة من قلعة القديس لويس هناك لتعمير بعض المدافن . فلما اذنت الحكومة لهم جاء بعض الجهلة الطامعين بالكنوز وهدموا بعض الجدران القائمة من تلك القلعة جهلا » إلى آخر كلامه مما افاض فيه وهو انتقاد بمحله

جديربالاستبصاروكتب المسيوكونتينو أيضاًتفصيل مكتشفاته هذه في مجلة سورية Syria التي تنشر الآن .

وفي شهر آذار سنة ١٩٢١ جاء صديقي الاثري المسيو استاش دي لوري الآنف ذكره في مقالة آثار دمشق الماضية في هذه المجلةباحثاً عن آثار (صور) و (ام العواميد) فبقي ثلاثة اشهر اكتشف فيها بعض اشياء بمعاونة العالمة الاثرية الشهيرة السيدة دينيزدي لاسير M. Denyse de lesseur رئيسة البعثة الاثرية في جهـــات صور وهي من العالمات بالطبقات الارضية (الجيولوجية) والآثار وخريجة مدرسة اللوفر الآنفة الذكر . فعثرا على معبد ذي اعمدة ضخمة من عهد السلوقيين واشياء أُخر لها في عالم الآثار شأن كبير ربما عدت إلى تفصيلها في فرصة قريبة .

أما السيدة دي لاسير المذكورة فانها اكتشفت في جهات صور ابنية قديمة فيهـــا كثير من المصنوعات الذهبية والكهرباء والزجاج الذي اشتهرت به جميع معامل صور وصيداء في القـــديم وذاع ذكرها في التاريخ باتقانـــه . والخزف الفينيقي واليوناني . والمصابيح والآنية والتماثيل الصغيرة . والكتابات القديمة المفيدة المنقوشة على بعض الآنية الفينيقية والمباني الفينيقية العظيمة . وظهرلها دهليز من طرز دياميس رومية وهو منقوش الجدران والسمك برسوم ازهار وحيوانات بديعة وصور رائعة ترمز إلى الرياح الاربع وكلها دقيقة متقنة زاهية الالوان كأنهـــا خرجت الآن من بين أيدي صناعها وهي ترجع إلى العصر الروماني .

ومما اكتشفته صورة اوطيوخوس احد ابطال المصارعين في مدينة صور عليهـــا كتابة يونانية تدل على نيل ذلك المصارع قصب السبق مراراً في الالعاب الرياضية البدنية التي كان لها شأن رفيع في ساحل فينيقية كما كان لها شأن في سهل الاولمب اليوناني[١] .

هذه لمعة ثانية من مكتشفات البعثة الاثرية الفرنسية في بلادنا وسأردفها بغيرها ان شاء الله

عيسى اسكندر المعلوف

---

(١) وسنة ١٨٦٢ م وجد في صيداء اثر عليه شعر يوناني في مدح رجل تفوق في الالعاب الرياضية العامة المقامة في صيداء اسمه (ديوثيموس)

غابر الاندلس وحاضرها

(٦) اهل الاندلس

كان الجيش الذي فتح الاندلس بادىء بدء مؤلفاً من قليل من العرب ومن البربر سكان الغرب الاقصى والاوسط وما اليها . نزل كل فريق منهم في بقعة فاعمرها واقطعهم القواد مارحل عنه اهله من المزارع والمداشر . وقد فرق الحسام بن ضرار الذي ولي امارة الاندلس في سنة ١٢٥ وخضعت لسلطانه جميع العرب الشاميين الغالبين على البلد وابعدهم عن دار الامارة قرطبة إذ كانت لاتحملهم وانزلهم مع العرب البلديين أي السابقين إلى الاندلس في سنة الفتح سنة ٩٢ للهجرة والشاميون هم الذين دخلوا سنة ١٢٥ . انزلهم على شبه منازلهم في كُوَرشامهم وتوسع لهم في البلاد فانزل في كورتي اكشونبة وباجة جند مصر مع البلديين الأول وانزل باقيهم في كورة تُدمير وانزل في كورتي لبلة واشبيلية جند حمص مع الأول أيضاً وانزل في كورتي شذونة والجزيرة جند فلسطين وأنزل في كورة ريّه جند الاردن وانزل في كورة البيرة جند دمشق وانزل في كورة جيان جند قنسرين أي حلب وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة من العجم طعمة . وبقي العرب البلديون من الجند الأول على مابأيديهم من أموالهم لم يعرض لهم في شيء منها ، فلما رأوا بلاداً شبه بلادهم خصباً وتوسعة سكنوا واغتبطوا وتمولوا .

قال ابن الخطيب : أنزلوا القبائل الشامية في كُوَرعلى شبه منازلهم التي كانت في كُوَر شامهم وجعل لهم ثلث أموال أهل الذمة طعمة" وبقي العرب والبلديون والبرابرة شركاءهم وسكنوا واغتبطوا وكبروا وتمولوا إلا من كان نزل منهم لاول قدومه موضعاً رخياً فانه لم يرتحل وسكن به مع البلديين . وحكى غيره انه نزل في البيرة من كان قدمها من جند دمشق من مضر وجلهم قيس وافناءُ قبائل العرب ونزل رية جند الأردن وهم يمن كلهم من سائر البطون ونزل شذونة جند حمص واكثرهم يمن وفيهم من نزار نفر يسير ونزل مدينة الجزيرة البربر واخلاط من العرب قليل ونزل في جيان جند قنسرين

والعواصم وهم اخلاط من العرب من معدّ واليمن ونزل قبائل البربر مدينة بلنسية .

وما عدا قبائل العرب والبربر الذين تفرقوا في بلاد الاندلس على مارأيت كان فيها اخلاط من الشعوب من رومان وغوط ومهاجرة من اقطار شتى فامتزجوا كلهم في بودقة واحدة . قال هوار : ولما اصبح عبد الرحمن ملكاً على جميع اسبانيا الاسلامية (٣٢٠ — ٩٣٢) استند لقتال طبقة الاشراف من نسل العرب المهاجرين على الاسبانيين الذين دانوا بالاسلام وعلى كثير من الاسرائيلين والمسيحيين فتوصل بذلك الى جعل الكل امة واحدة عرفت في الشرق باسم الاندلس .

ولقد استمرت قبائل العرب الشاميين « في غمار من الروم يعالجون فلاحة الارض وعمران القرى يرأسهم اشياخ من أهل دينهم أولو حنكة ودهاء ومداراة ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم » فاحتفظ العرب بسكان البلاد الاصليين وهيأوا السبل لدخول المهاجرين اليها من المسلمين على اختلاف عناصرهم ومن غيرهم فاسلم كثير من أهل البلاد واختلطت انسابهم بانساب العرب وكان المغلوبون يقلدون الغالبين لاول الامر في مناحيهم وعاداتهم شأن المغلوب مع الغالب . قال فوليه : بعد ان حكم العرب اسبانيا قروناً دخلها كمية وافرة من الدم الافريقي فكان ذلك من موجبات ارتقاء العقل في اسبانيا ومزج الدم الاسباني بالدم العربي هو ولاشك من جملة الاسباب التي تحمل بالاسبان على اختلاف اصقاعهم الى الطموح الى العظائم ومراتب الشرف اه .

ولما دب الضعف في الاندلس أصبح العرب يتشبهون بجيرانهم من الافرنج . روى المقري : ان بني الاحمر كثيراً مايتزيا سلاطينهم واجنادهم بزي النصارى المجاورين لهم . وذكر ابن خلدون أوائل المئة التاسعة ان اهل الاندلس يتشبهون بامم الجلالقة « في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء » فبعد ان كان القشتاليون والجلالقة دع ابناء الاندلس من غير المسلمين يتشبهون بالعرب اصبح هؤلاء فى أواخر أيامهم يتشبهون بهم شأننا اليوم مع امم الغرب نقلدهم في ازيائهم ولباسهم وعاداتهم ونفسح المجال لكل ماينفقونه علينا من بضائعهم العلمية والاجتماعية سنة الله في الضعيف مع القوي .

امتزج المستعربة Lesmozarabes أو المسيحيون الذين يتكلمون بالعربية في الاندلس بالقادمين عليها فلقي المعاهدون منهم رعاية من الفاتحين اللهم إلا في الادوار التي كانوا يكيدون فيها المسلمين ويخرجون عن الذمة فان الفقهاء كانوا يفتون بتغريبهم واجلائهم عن اوطانهم وقد اجاز منهم يوسف بن تاشفين إلى بر العدوة « عدداً جمـــاً انكرتهم الاهواء واكلتهم الطرق وتفرقوا شذرمذر » على انه لم يقع شيء من هذا القبيل إلا في النادر لان العرب كانوا يحرصون على بقاء أهل البلاد فيها ليعمل التطور عمله فيسلم من يسلم مع الزمن منهم أو يعطي الجزية ويتعلم العربية فتخف الفوارق بينه وبين أهل عصبية الفاتح.

فمن ثم ساغ لنا أن نقول ان أهل الاندلس لم يكونوا كلهم من نسل العرب بل كان منهم العرب . قال صاحب فرحة الانفس : أهل الاندلس عرب في الانساب والعـــزة والانفة وعلو الهمم وفصاحة الالسن وطيب النفوس واباء الضيم وقلة احتمال الذل والسماحة بما في ايديهم والنزاهة عن الخضوع واتيان الدنية . هنديون في افراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لها وروايتهم . بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة أخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة اذهانهم وحدة افكارهم ونفوذ خواطرهم . يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لاجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بانواع الخضر وصنوف الزهر فهم احكم الناس لاسباب الفلاحة وهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الاعمال ومقاساة النصب في تحسين الصنائع واحذق الناس بالفروسية وابصرهم بالطعن والضرب. وقال ابن حزم : إن أهل الاندلس صينيون في اتقان الصنائع العملية وإحكام المهن الصورية . تركيون في معاناة الحروب ومعالجة آلاتها والنظر في مهماتها . وقال ابن بسام : في جزيرة الاندلس اشراف عرب المشرق افتتحوها وسادات اجناد الشام والعراق نزلوها فبقي النسل فيها بكل اقليم على عرق كريم .

(٧) تسامح العرب

العرب من أكثر الامم تسامحاً مع المخالفين لهم في المعتقد والجنس واللسان ، ولولا تسامحهم أيام عزهم بالاسلام ، لم تبق بقية من الامم المغلوبة فى بلادها محتفظة بدينهـــا

ولسانها ومقدساتها ، وذلك لان الشريعة السمحاء تقضي بالرفق والرحمة ، وعدم التعرض لدين المخالفين وأموالهم خصوصاً إذا كانوا أصحاب دين سماوي ، ولذلك اكتفوا من أهل الاندلس بجزية[١] وتركوا لهم حريتهم ، فاعجب بهم مخالفوهم ، لانهم حملوا اليهم سلاماً ، وكفوهم مؤونة فتن كانت عليهم غراماً ، تأتي على الانفس والنفائس ، وتدك معالم الامن والامان .

كره العرب التعصب ولا سيما في الاندلس وعمدوا إلى كل تسامح معقول فاستمالوا بسيرتهم من نزلوا بينهم من الاسبانيين والبرتقاليين حتى انهم كانوا (سيدبليو) إذا شجر خلاف بين مسلم ومسيحي من الجند يعطى الحق غالباً للمسيحي وجعلوا أيام الآحاد أيام عطلة بدل الجمع ورخصوا ان يتعبد كل انسان على الصورة التي يراها فنشأت وحدة وطنية بين الغالب والمغلوب حتى لم يكد يشعر هذا إلا في النادر وباغراء رجال الدين انه مغلوب على أمره فاقد لاستقلاله واعتمد الامويون في أكثر أيامهم على جيش من الصقالبة يشترونهم أو يأخذونهم اسرى كما كان يفعل العثمانيون بجيش الانكشارية وصارت لافراد من الصقالبة حظوة عند

(١) هذا كتاب الصلح الذي كتبه عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن غبدوش (غيدوس) الذي سميت باسمه تدمير إذ كان ملكها ونسخة هذا الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن غبدوش انه نزل على الصلح وان له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم الا يقدم له ولا لأحد من اصحابه ولا يؤخر ولا ينزع عن ملكه وانهم لا يقتلون ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين اولادهم ولا نسائهم ولا يكرهوا على دينهم ولا تحرق كنائسهم ولا ينزع عن ملكه ماتعبد ونصح وادى الذي اشترطنا عليه وانه صالح على سبع مدائن اوريوالة وبلنتلة ولقنت ومولة وبقسرة وايّة ولورقة وانه لا يؤوي لنا آبقاً ولا يؤوي لنا عدواً ولا يخيف لنا آمناً ولا يكتم خبر عدو علمه وان عليه وعلى اصحابه ديناراً كل سنة وأربعة امداد قمح وأربعة أمداد شعير وأربعة اقساط طلا (شراب من العنب غير مخمر وهو اشبه بالصليبة في بلاد الشام) وأربعة أقساط خل وقسطي عسل وقسطي زيت وعلى العبد نصف ذلك شهد على ذلك عثمان بن أبي عبدة القرشي وحبيب بن أبي عبيدة . . . ابن ميسرة الفهمي وابو قائم الهذلي وكتب في رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة .

الملوك والامة حتى ان حبيباً الصقلبي من فتيان الاموية بقرطبة الف كتاباً تعصب فيه لقومه سماه (بالاستظهار والمغالبة على من انكر فضائل الصقالبة) . وربما كانت منزلة الصقالبة بقرطبة منزلة الشعوبية اعداء العرب في بغداد ولا من ينكر عليهم . ومن اثر التسامح شاعت اللغة العربية في كل أرض نزلها العرب بل لم يمض أكثر من نصف قرن حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها المسيحيون لان هــؤلاء زهدوا في اللغة اللاتينية ونشأ لهم غرام بالعربية فاخذوا يتقنون آدابها ويتغنون باشعارها ويكتبون فيها كابنائها ويعجبون ببلاغتها إعجاب أهلها بها .

وكان كثير من اذكياء الجلالقة والقشتاليين والليونيين والنافاريـــين دع من كانوا في البلاد التي فتحتها العرب من المسيحيين يتعلمون العربية ويقصدون الخليفة الاندلسي او احد رجاله يستخدمون في الادارات وتجري على سادات الاسبان احكام الاسلام فيختلطون باشراف العرب ومن ظل محتفظاً منهم بدينه نسي مبادئه فصار يحجب نساءه كالمسلمين ويقتـــدي بازيائهم والبستهم وعاداتهم في مآدبهم ورفاهيتهم وأُنسهم . ومن المسيحيين والاسرائيليين من وزروا في الاندلس لملوك المسلمين وهم مقيمون على دينهم ومنهم من كان ابوه أو جده اسبانياً فاسلم(١) والمسلمون لايضنون بشيء على أهل ذمتهم يجرون عليهم الرواتب والارزاق كما تجري على بطانتهم وأهل نحلتهم ويأمنونهم على مصالحهم وينتدبونهم في سفاراتهم ويطلعونهم على اسرارهم ويأمنون الاطباء منهم على ارواحهم وحرمهم

وشاع زواج العرب بالاسبانيات والبرتقاليات اللائي كن يجبالهن اجمل صلة لتمازج الفاتحين بخصومهم والتحام القرابات بينهم بل ان ملوك المسيحيين على عهد توزع الاندلس بين ملوك الطوائف امسوا يتزوجون من بنات الامراء المسلمين فقد تزوج الفونس السادس بزايدة ابنة امير اشبيلية وعقد مثل هذا الزواج كثيراً وكان عدد المتزوجات من الاسبانيات والبرتقاليات بالمسلمين وعدد المسلمات المتزوجات من الاسبانيين والبرتقاليين آخر ايام الاندلس كثيراً جداً حتى جرى لذلك كلام في الشروط التي تمت بين الغالب والمغلوب .

ومن العـــرب من آثر زي الاسبانيين من الملابس والسلاح واللجم والسروج وكلف

---

(١) راجع نبذة في امتزاج العرب بالعجم في اسبانيا والاستشهاد على ذلك بالاسماء والالقاب في كتاب (السفر الى المؤتمر) .

بلسانهم مثل محمد بن سعد بن مردنيش صاحب بلاد شرق الاندلس (٥٦١) وكثير من الوزراء كانوا يعرفون لسان جيرانهم مثل محمد بن الحاج (٧١٤) ويتشبهون بهم في الاكل والحديث وكثير من الاحوال والهيئات .

هذا ماعمله الغالبون المسلمون من العرب مع المسيحيين المغلوبين من الاسبان والبرتقاليين أما معاملاتهم للاسرائيليين فكانت أيضاً مما يدهش له فاصبح لهؤلاء في الاندلس منزلة سامية في العلم والصنائع والتجارة وكانت غرناطة في القرن العاشر تدعى مدينة اليهود لكثرتهم ومكانتهم فيها .

اصبح اهل البلاد يتكلمون بالاسبانية والبرتقالية والعربية على السواء وأخذوا بعد حين لايتعاقدون بينهم الا باللغة العربية وقد وجد من عقودهم نحو الفي صك من هذا القبيل كتبها المستعربة من الوطنيين الاصليين باللغة العربية ، والعربية كانت لسان القائمين بالدولة الاسلامية هجر ماعداها في جميع الممالك فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب . هجر الامم لغاتهم والسنتهم في جميع الامصار والممالك التي خفقت عليها رايات الفاتحين وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة عنها . قاله ابن خلدون .

ولذا اتت ثلاثة قرون على بقايا الاسبانيين المتراجعين الى الجبال الشمالية وقد نسيت تقاليد البلاد إلا من استوريا وما اليها من الاصقاع واضطرت الحكومات الصغرى التي اعتصمت في اقصى الشمال ان تصانع وتعاهد وتتعلم من اعدائها وهم ارقى منها نظاماً ومدنيةً وحكومات اوربا الكبرى لذاك العهد تطلب رضاها وتتعلم منها وتتلطف معها حتى بلغ الامر بعبد الرحمن الثالث الذي اشبه ملكاً من ملوك هذا العصر لاينقاد لاوهام العنصر والدين ولا يتوقف في امر فيه مصلحته وتسير سياسته بحسب الاحوال — ان وجد له حلفاء من زعيم البربر الى ملك ايطاليا الى امبراطور القسطنطينية وكانت سفراء فرنسا واليونان والالمان تتوارد على قرطبة وقد وضع هذا الخليفة حداً للحروب بين العرب والاسبانيين والبربر في الاندلس وحصن حدود مملكته من ملوك ليون وقشتالة ونافار واستولى باسطوله على غربي البحر المتوسط وبسط سلطانه على افريقية

الشمالية فكان ميسين[١] العلوم والفنون وحامي التجارة والصنائع وقد اصبحت اسبانيا العربية على عهده وعهد اخلافه في القرون الوسطى أكثر البلاد مدنية وحسن ادارة — قالته دائرة المعارف الاسلامية .

لاجرم ان خلفاء الاندلس كانوا من التسامح مع الكافة بالمكان الذي يغبطون عليه ويجب التنويه به لانه لم يسبق له نظير في عصورهم عند الامم الاخرى فقد جاء من خلفائهم من كانوا يبيحون لدعاة النصرانية ان ينشروا دينهم احراراً وبلغت الحال ببعض المتحمسين منهم ان كانوا يقفون على أبواب الجوامع ليتسقطوا المسلمين بالدعوة الى دينهم وكان عبد الرحمن الثاني عزم ان يجمع مجمعاً مقدساً من النصارى برئاسة رئيس اساقفة اشبيلية لقمع عادية التعصب الاسباني إذ اخذ دعاة الدين المسيحي يسبون الاسلام جهاراً حتى يقتلوا في سبيل دعوتهم وتكتب لهم الشهادة بزعمهم ولكن الخليفة مات قبل التئام هذا المؤتمر سنة ٢٣٨

ولطالما ارخى خلفاء الاندلس العنان لخطبائهم ووعاظهم ومؤرخيهم وكتابهم . يوسعون المجال لاقلامهم والسنتهم حتى في اعمال الخلفاء ولا يجدون منهم الا لطفاً وعطفاً ذلك ان الناصر كان كلفاً بعمارة الارض واقامة معالمها وتكثير مياهها واستجلابها من ابعد بقاعها وتخليد الآثار الدالة على قوة ملكه وعزة سلطانه وعلو همته فانه لما ابتنى الزهراء واستفرغ وسعه في تنجيدها واتقان قصورها وزخرفة مصانعها انهمك في ذلك حتى عطل الجمعة بالمسجد الجامع فقرعه القاضي منذر بن سعيد قاضي الجماعة بقرطبة بخطبة على المنبر أمام جمهور المؤمنين ابتدأها بقوله تعالى (اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ثم افضى الى ذكر المشيد والاستغراق في زخرفته والسرف في الانفاق عليه

(١) ميسين هو نديم اغسطس قيصر الروماني استعمل نفوذ مولاه لتنشيط الآداب والعلوم فاغدق نعمه على فرجيل وهوراس وبروبروس واصبحت كلمة ميسين مرادفة لحامي الآداب والعلوم والفنون ومات في السنة الثامنة قبل المسيح .

فجرى في ذلك طلقاً وتلا فيه قوله تعالى (افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لايهدي القـــوم الظالمين لايزال بنيانهم الذي بنوريبة في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم) وامرف الخطيب في ترويع الخليفة وتقريعه ولم يحسن السياسة في وعظه فاستشاط الخليفة غضباً واقسم الا يصلي خلف الخطيب الجمعة ابداً فقال له الحاكم : وما الذي يمنعك عن عزل منذر بن سعيد والاستبدال به فزجره ابوه وانتهره وقال : امثـــل منذر بن سعيد في فضله وورعه وعلمه وحلمه لا أُم لك يعزل في ارضاء نفس ناكبـــة عن الرشد ...

مثال آخر : شنع احد المؤرخين على احد الملوك المعاصرين في الاندلس فحنق ابن الملك وهمّ بقتل المؤرخ فلما شعر ابوه بذلك قال له : اليك عن هذا الفكر الخبيث ولئن قتلته لاكونن انا المطالب بدمه . تقتله ليعيرنا الناس باننا نقتل مؤرخينا . حتى إذا مضت أيام دخل المؤرخ الحمام ليستحم فلما خرج ليلبس ثيابه رأى فيها صرة تضم الف دينار ورقعة من الملك يقول فيها ان الذي اوصل اليك هذه الدراهم وانت لاتشعر قادر ان يرسل اليك من يقتلك فكفّ غرب لسانك عنا واذا عدت فأرخت ثانياً لاتشنع علينا اعمالنا . قال دوزي إذا قيست حرية العرب بحـــرية الافرنج تشبه هذه الاستبداد .

ومازال هذا التسامح المحمود حتى انتقل ملك العرب في الاندلس الى المرابطين والموحدين وكانوا افريقيين لايخلون من شيء من التعصب وليس فيهم تسامح الامويين العرب فتبدلت الحال بعض الشيء وذهبت أو كادت طلاوة تلك المدنية التي اقاموها وكانت لا بالغربية ولا بالشرقية فبهر خبرها ومخبرها لولا ان قام الملوك من بني نصر في غرناطة ورأبوا الصدع وجبروا الكسر وكانوا كلما صغرت رقعة ملكهم زادت الرقعة الباقية ارتقاء فتنتقل القوة والنفوس من بلد زال عنها سلطانهم الى بلاد يرفرف عليها علمهم ويزيد ملوكهم تسامحاً مع ذمتهم ومجاوريهم وهمة في تعهد صناعاتهم وزراعتهم وعمران مدنهم التي حصنوها بالعدل والاحسان

* * *

(٨) العرب والاسبان

قال بعضهم لو لم يقم كلوفيس[١] بحروب دينية في القرن الخامس لتعذر على المسلمين فتح اسبانيا ونحن نقول لو لم يفتح العرب الاندلس ويحمل اليهم عبد الرحمن الاموي مدنية قومه لتأخرت المدنية الحديثة قروناً عن الظهور في ربوع اوربا[٢] وقد اجمع المنصفون ان العرب لو لم ينجلوا عن الاندلس لكانت حال اسبانيا اليوم ارقى مما هي بمراحل ولا يؤمل لهذا الشعب وقد رأى صنوف العذاب من رجال الدين ورجال الحكم وأكلت نوابغه الحروب والاستعمار وديوان التفتيش الديني ان تنشأ له نهضة كنهضة ايطاليا في القرن الخامس عشر تنتقل منها الى أوربا باسرها .

وان المرء إذا نزل اسبانيا اليوم ليشعر ولا سيما في القسم الجنوبي منها انه في بلاد عربية لو كان لسان القوم العربية . ويرى كثيراً من السحنات اشبه بوجوه العرب منها بوجوه الامم اللاتينية وبعض عاداتهم وطبائعهم تنمّ عن روح عربية على سعي رجال الدين في نزعها من بينهم منذ استعاد الاسبان ارض الاندلس أواخر المئة التاسعة . لاجرم ان اربعة قرون ونصفاً لم تكف لان تنزع من القوم ماتأصل فيهم في ثمانية قرون وتمثلوه وتمثل بهم من مدنية العرب .

ذكر بعضهم ان في الاندلس اهم آثار اسبانيا والاندلس من اسبانيا بمثابة اقليم البروفانس في جنوبي فرنسا وصقلية من ايطاليا وقد جمعت الاندلس جميع المحاسن والغرائب المبعثرة في طول اسبانيا وعرضها ولهجة الاندلس مائلة الى العربية كثيراً

---

(١) كلوفيس (٤٦٥ – ٥١١) ملك الفرنجة (فرنسا) سنة ٤٨١ افتتح صقع باريز واستخلصه على ايدي الرومان سنة ٤٨٦ واستولى على ولاية الاكيتين من الفيزيغوت وغلب الالمان سنة ٤٩٦ والبورغوند سنة ٥٠٠ ودان مع امته بالنصرانية سنة ٤٩٦ فكان أول من وحد بلاد غاليا (فرنسا) في دينها وسياستها .

(٢) من تاريخ الكنيسة تعريب هنري جسب قال موسهايم الجرماني : حق علينا ان نقول ان العرب ولا سيما عرب اسبانيا هم أصل وينبوع كل معرفة في الطب والفلسفة والفلك والتعاليم التي بزغت في اوربا منذ القرن العاشر فصاعداً .

والاحتفالات والاخلاق قد حفظت فيها الاساليب العربية .

نعم لا تزال تسمع في اللغة الاسبانية كثيراً من الالفاظ العربية من أسماء البلاد والانهر والنواحي وبعض المرافق والمصطلحات وكل كلمة تبدأ عندهم بأل التعريف العربية هي عربية لا محالة ومن الاسماء ما يبدأ ببني ومنها ما يبدأ بوادي فدخلت مئات من الالفاظ في اللغة الاسبانية وتأصلت فيها كما دخلت البرتقالية والايطالية والافرنسية لغات الامم اللاتينية وهي ظاهرة كل الظهور في اللغة الاسبانية وأقل منها في اللغة البرتقالية وإلى اليوم تسمع بوادي الرامة ووادي الحجارة ووادي القنال ووادي البياضة ووادي الكبير وقلعة وقليعة والرملة وقصبة وقصر ومدينة وجنة والمدور والبطاقة والقنديل والانبيق والساقية والمنارة والربض والمسجد والربع والشمسية والفندق والمحراب ومئات غيرها أفردها علماء اللغة منهم بالتأليف .

أخذ الاسبان عن العرب أشياء ظنوها بعد من مصطلحات أجدادهم وبنات أفكارهم وتأصلت فيهم من حيث يشعرون ولا يشعرون . حدثني الثقة ان احد علماء المشرقيات من الاسبان وهو موسيقار يحسن العربية ويطبع الآن كتاباً يثبت فيه بالادلة التاريخية ان الموسيقى الكنائسية في القرن الثالث عشر كانت مقتبسة من الموسيقى العربية ويخيل لمن يسمع الموسيقى الاسبانية والغناء الاسباني ويرى الرقص الاسباني انها عربية إلا قليلاً بحيث ساغ لنا ان نقول إذا كان الروسي شرقياً « تأورب » واستغرب فالاسباني عربي شرقي « تأورب » واستغرب أيضاً .

ولا تزال إلى اليوم ترى كثيراً من النابهين من الاسبانيين يدّعون أن أصلهم عربي يذكرون ذلك مفاخرين ويعدّون ذلك من امارات الشرف والتغني بذكرى القديم الجميل . وقد رأينا الاسبانيين في القرن التاسع عشر والعشرين نهضوا نهضة لا بأس بها للبحث عن ماضيهم أو ماضي اسبانيا الاسلامية وصرفوا في ذلك وقتاً ومالاً ، وتوفر على هذا العمل طائفة منهم حرصوا أجمل حرص على الاخذ من المدنية العربية ليكفروا عن سيئات أجدادهم الذين عوروا بعملهم مصانع العرب وخططهم وحرقوا ومزقوا أسفارهم وآثارهم .

اذكر مثالين من هذه النهضة يعدان في الباب الاول من أبواب تسلسل الفكر

الراقي والدؤوب المحمود وهو مما يقل الآن فينا بعد ان اورثنا الاسبانيين اخلاقنـا وطباعنا واليكم البيان : قال لي الاستاذ الأب آسين بلاسيوس مدرس العربية في جامعة مجريط واحد أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وأنا أنظر خزانة كتبه : جمع أكثر هذه الخزانة أستاذي ريبرا وفيها كتب كثيرة مطبوعة وأهمها الجزازات « الفيش » التي رتبها طول حياته وفيها أسماء ثلاثين ألف عالم من علماء الاندلس وقد استنسخها البرنس ليوني كايتاني الايطالي صاحب تاريـخ الاسلام الكبير ليطبعه في جملة ما يطبع من آثار العرب . قال لما كنت في بلدي وجئت مجريط لاعمل مع أستاذي أحمل ما تيسر لطالب جمعه من الكتب ضممت مجموعتي إلى مجموعته في هذه الدار ولما حانت وفاته وكان عزباً أوصى لي بكتبه على ان اشتغل بها مدة حياتي وافتح أبوابها لطلاب الاستشراق ثم اتركها كما تركها هو لمن أرى فيه الكفاءَة للعمل بعدي أو اجعلها في احدى دور الكتب العامة .

هذا هو المثال الاول ،والمثال الثاني مجموعة السنيور اوسما Osma ناظر مالية اسبانيا سابقاً وهي من الفسيفساء والقيشاني الاسباني والسلاح والرخام والسجاد والادوات والاواني الفضية والزمردية والأواني الخزفية والبلورية والالبسة والنقوش والتصاوير والاعمال الخشبية والنقود العربية والاسبانية ذهبية وفضية ونحاسية من صنع عرب الأندلس وصنع اسبانيا المسيحية في القرون الوسطى هذا عدا وثائق تاريخية وسجلات من القرن السادس عشر من الآثار النصرانية وقد بدأ بجمع هذه المجموعة عم السنيور اوسما والد زوجته واحد اشراف اسبانيا منذ زهاء خمسين سنة ودامت ابنته بعده وزوجهـا يطرسان على آثار هذه المغالي بالآثار الاسلامية والنصرانية . ولما جاءتها الوفاة أوصت بالقسم الذي جمعته في حياتها والذي ورثته عن أبيها لزوجها السنيور اوسما على أن تدعى المجموعة كلها باسم لقب والدها فسميت مجموعة مجمـع بلنسية للدوق خوان Iustituto de Valencia de Don Juan وصحـت عزيمـة الوزير الاسـباني ان يضيف إلى المجموعة ما جمعه في حياته ويجعله في دارين بنـاهما في أهم احياء مجريط الحديثة فبنى الدار الأولى على الطراز الاندلسي والثانية على الطراز المسيحي في القرون الوسطى وكلا الدارين متلاصقان جعلت كل مجموعة في الدار التي تناسبها

فاصبحت الداران متحفاً مرتباً ترتيباً علمياً راقياً بمعرفة صاحبها الآن واشارة من يختلف إلى داره من غلاة العاديات والآثار وحملة العلوم والفنون الذين يضمهم في ناديه مرة في الاسبوع يتفاوضون الصناعات والنفائس . وقد وقف الوزير المولع بالآثار مؤخراً بمجموعته البديعة وأقام عليها خمسة من الامناء منهم الأستاذ آسين المشار اليه ووقف عليها مبلغاً من المال لا يقل عن خمسة ملايين بستاس أو نحو عشرة ملايين فرنك بحسابنا اليوم واعطاها خزانة كتبه البالغة الفي مجلد على أن تبقى بمجموعته ويزاد فيها ليدرس تاريخ الصنائع والفنون في اسبانيا وقد توخى في وصيته تنشيط الطلبة الوطنيين والأجانب على درس هذا الفرع من العلم في اسبانيا وخص المولعين بهذا الشأن من الانكليز ممن يصرفون مدة في مجريط لهذا الغرض يدرسون بمجموعته فيعاونهم معاونة مالية وخص من الانكليز طلبة جامعة اكسفورد لأنه درس فيها في صباه فاراد أن يعني عناية خاصة بمن يتخرجون فيها .

هذان مثالان من عناية الخلف بآثار السلف ولو قام في أذهان خاصة الاسبان مثل هذه الأفكار منذ جلاء العرب عن بلادهم لكانت اليوم مجاميعهم ومجموعاتهم أعظم ثروة خلفتها أمة مغلوبة لأمة غالبة ولعدت في اسبانيا من أكبر موجبات فخرها كما تربح ولايات الاندلس اليوم من بقايا الآثار العربية التي يقصدها السياح من عامة أقطار الأرض

(للبحث صلة)

محمد كرد علي

المقعد المقيم جزءٌ من المدهش

وصف عالم العراق السيد محمود شكري الالوسي كتاباً اسمه المقيم المقعد (كذا) في صفحة ٢٠٩ من المجلد الرابع لمجلة المقتبس ونقل منه مقدمته وبعض فصوله وقال عنه انه يقع في ٤٠٠ صفحة بقطع الربع وإن نسخته عند احد طلبة العلم في بغداد واتى في تعاليقه على كتاب البشر الذي عني بنشره في ص ٣ م ٦ على ذكر ذلك الكتاب باسم المقعد المقيم ثم جاء السيد عبد القادر المبارك من لغويي دمشق على وصف كتاب المدهش في ص ٢٠٩ م ٦ وقال انه من خزانة كتب السيد عبد الباقي الحسني الجزائري وانه لايعرف له نسخة ثانية[1] واورد في خلال سطوره نفس العبارة التي ذكرهـا الالوسي في مقدمة المقيم المقعد وهي في الباب الثاني في تصريف اللغة وموافقة القرآن لها من المدهش وقال ان المؤلف قسم هذا الباب على ثلاثة عشر فصلاً فترجح لدينا ان المقعد المقيم هو جزء من المدهش بعد الذي رأيناه من تكرر العبارات وموافقة الفصول المذكورة وقد تأيد ظننا هذا برسالة صغيرة عثرنا عليها في خزانة الكتب الخالدية ببيت المقدس كتب باولها

جزء من المدهش لابن الجوزي ويسمى المقعد المقيم

ومقدمتها وفصولها عين مانُقل في وصف كتابي المقيم المقعد والمدهش وجاء في آخرها « تم المختصر من المسمى بالمقعد المقيم والحمد لله وحده على يد الفقير محمد ابن المرحوم محمود الميقاتي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي آمين وقت الظهر نهار الاثنين ٢٥ ربيع الاول سنة ١٠١٥ هجرية ١٦٠٦ ميلادية » وهذه الرسالة لاتزيد على الخمسين ورقة بقطع الربع فرجعنا الى كتاب المدهش فاذا برسالتنا هذه تؤلف منه البابين الثاني وهو في تصرّف اللغة وموافقة القرآن لها والثالث وهو في علم الحديث وهما منقولان

---

(١) من المدهش نسخة في دار الكتب الملوكية بالقاهرة واخرى باكسفورد في بريطانيا وثالثة بالخالدية في بيت المقدس واخرى فيها ناقصة

بالحرف فلم نعلم السبب الذي حمل الناسخ على قوله تم المختصر كما اننا لم نعلم كيف تكون نسخة طالب العلم البغدادي باربع مائة صفحة مع ان الفصول التي نقلها العلامة الالوسي هي عين مافي النسخة التي اطلعنا عليها .

بقي علينا ان نقول ان كتاب المدهش هو من تأليف الشيخ الامام ابي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ١٢٠٠ م صاحب التواليف الممتعة حيفا عبد الله المخلص

منتخبات

من مفاتيح العلوم لابي عبد الله الخوارزمي

« ديوان البريد »

« البريد » كلمة فارسية واصلها « بُريده دُنب » أي محذوف الذنب . وذلك ان بغال البريد محذوفة الاذناب فعربت الكلمة وخففت وسمي البغل بريداً والرسول الذي يركبه بريداً والمسافة التي بعدها فرسخان بريداً إذ كان يرتب في كل سكة بغال وبعد مابين السكتين فرسخان بالتقريب

« الفُرانق » الحامل للخرائط ويقال خادم بالفارسية پروانه

« الموقّع » الذي يوقع على الاسكدار اذا مرّ به بوقت وروده وصدوره

« السكة » الموضع الذي يسكنه الفيوج المرتّبون من رباط أو قبّة أو بيت أو نحو ذلك

« الاسكدار » لفظة فارسية وتفسيره « ازكوداري » أي من اين تمسك وهو مدرج يكتب فيه عدد الخرائط والكتب الواردة والنافذة واسامي اربابها

درس المعربات

كنت قد نشرت في هذه المجلة (١ : ١٣٨) مقالة بهذا العنوان ، ثم قيّض لي ان تغربت ، فكتب اليّ كثيرون من المستشرقين وجماعة من علمائنا ان أتابع البحث بما تيسر لي جمعه في هذا الباب ، إلا انني لم استطع ان البي طلبهم لتنقلي من موضع الى موضع وكثرة الاشغال التي كانت تحول دون مافي النفس من الاماني ، اما الآن وقد عدت الى الوطن،فاني اعود الى هذاالبحث لما يترتب عليه من الفوائد الجمة الجُلّى،فاقول:

(١٤) الظَّرْبُول . بفتح الظاء المشالة المعجمة ، ولم اجدها إلا في محيط المحيط ، مع كثرة المعاجم العربية التي بيدي . وهنا يظهر فضل محيط المحيط على سائر الدواوين اللغوية ، إذ نرى صاحبه قد دوّن شيئاً غير نزر من الالفاظ التي يظن انها عامية أو مولدة ولم يذكرها غيره . والحقيقة هي ان عدداً جماً من تلك الحروف هو معرّب أو مولّد ويجب ان يحرص عليها كل الحرص وان تدرج في كتب متون اللغة . ولا سيما تلك الدواوين التي يتداولها الطلبة أو سواد الناس والكتاب . نعم ان كثيرين يشمئزون من اتخاذ تلك الالفاظ ، لكن ذلك وهم إذا لم يكن لها مرادف في اللسان المبين . ومن جملة هذه الكلم المعدودة عامية هذه اللفظة وهي معربة عن اليونانية « اربول » بعد حذف سمة الاعراب كما هو المألوف في هذا الامر . وهي في تلك اللغـــة arbulê

قال في محيط المحيط : الظُرْبُول(وضبطها على وزن عصفور) حذاء ضخم . عامية . ولم يزد على هذا القدر . اما عندنا نحن العراقيين الذين على طف الفرات وفي البادية الشامية فالظربول تلفظ عندنا بفتح الاول وضم الباء ويريدون بها حذاء ضخم او كما يقولون : جزمة يلبسها شيخ الاعراب أو كبير القوم أو المتجند من أهل البادية .وكثيراً ماتكون صفراء اللون وفي مقدم رأسها المجاور للساق عثكولة أو عثاكيل وقد يكون في عقبها مهماز إذا كان لابسها ممن يركب فرساً . وسمعت بعضهم يقول فيها الأَرْبُول كأنه علم ان اصلها بالهمز لا بالظاء . واما الاقدمون من اليونان فانهم كانوا يريدون بها : الحذاء الضخم brodequin يلبسه القرويون والفلاحون والصيادون والمسافرون

إلى غيرهم ممن يعاني السير الكثير . ويراد به عندهم أيضاً خف المركبة ذلك الخف الذي تدخل فيه قَدَما الراكب سائق العجلة .

لكن كيف نقلت (أرْبُول) اليونانية إلى (ظُرْبُول)العربية. انهم أبدلوا الهمزة ظاءً على ما نص عليه علماء اللغة . فقد قال الازهري وتبعه جماعة من محققي اللغويين : ان العرب قد تعاقب بين الظاء والهمز . فقد قالوا : فلان مئِنّة في معنى المظنة وبيت حسن الاهرة والظهرة ، وقد افر وظفر أي وثب . الى غيرها . ففهم من هذا أن الكلمة معربة ، ويجوز لكل كاتب أن يتخذها وعلى اللغويين أن يرحبوا بها في كتبهم ويزيدوا لها معنىً جديداً هو المعنى المذكور في اللغة اليونانية ونقلناه عنهم هنا .

واما ان العرب يذكرونها بوزن عصفور فليس ذلك صحيحاً فان اللغة المشهورة هي بفتح الأول ، وكذلك هي في اليونانية . اما العرب فانهم اعتبروا هذا الوزن مضموم الأول إلمّ يكن هذا الأول ياء فيفتح فيقال يعفور ويعسوب ويبروح بفتح اوائلهن . مع ان سائر اللغات الاخوات تنص على الفتح ولو لم يكن الأول ياءّ فهذا الشحرور للطائر الصغير الأسود الحسن الصوت فانه إرَمي[1] لا عربي ومعناه في لسانهم الاسيود وأوله عندهم مفتوح بخلاف ما جاءَ في لغتنا فهو عندنا مضموم . فانت ترى من هذا ان السلف ضم الحرف الأول اعتباطاً وجرياً على لغة عندهم وان كان عند العرب المجاورين للارميين لغة أخرى هي لغة الفتح قديمة ومعروفة .

وقد جاءت لغة ثانية في الظربول وهي الزربول بالزاي وقد ذكرها محيط المحيط ولم يذكرها غيره . قال : الزربول (وضبطها كعصفور بالحركات) نوع من الاحذية . عامية . جمعها زرابيل . اهـ قلنا : وهي لغة فاشية في سورية ومصر وغيرهما من بعض

(١) لم يصرح أحد بانها ارمية مع وضوح هذا الأصل ومعناه في لغتهم «الأسيود» تصغير الأسود . وهذا الطائر مشهور بسواده . ولهذا يقول الفرنسيون من باب العزة rare comme un merle blanc أي نادر كالشحرور الأبيض وهو كقولنا : اندر من الكبريت ، واعز من الغراب الاعصم . وأعز من بيض الانوق . ولم يذكر فرنكل هذه اللفظة في كلمِه الارمية وكذلك لم يصرح بعجمة هذا الأصل سائر أصحاب الدواوين من عرب وعجم . فلتحفظ .

ديار العرب ، يجعلون الظآء زاياً . والمراقيون لا يعرفون هذه اللغة القبيحة . ومع ذلك فهي قديمة إلا أنها في غاية الندرة فقد قالوا : حَمَظَـهُ وحمزه أي عصره .

وسمعت أناساً يتلفظون بالظربول بصور شتى منها ظربون وزربون وهي لغة قديمة عند العرب يجعلون فيها اللام الأخيرة نوناً . (راجع أمثلة كثيرة في المزهر طبعة بولاق الأولى في ١ : ٢٢٢ ، ٢٦٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦) وهي كثيرة .

وقد ذكر دوزي في كتابه (الملحق بالمعاجم العربية) رأياً في كلامه عن الزربول ننقله إلى القراء من أبناء لغتنا الشريفة قال : ان اسم هذا الضرب من الحذاء من اليونانية serboula وهو اسم حذاء العبيد في القسطنطينية على ما قاله قسطنطين المولود على البرفير (أو قسطنطين برفيروجينيت) . وقد استشهد بكلامه دفريميري في مذكراته ١٥٦) ،الا أن الكاتب يزعم – وزعمه غير صحيح – ان هذه الكلمة من السربية serbloi وعندي انها تأتي – على خلاف ما يدعي – من سرفس servus كما ان سرڤلا servilla الاسپانية (وهي ضرب من الأحذية تكون من السختيان وذاتِ طراقٍ واحدٍ) تأتي من سرڤه Serva (أي أمة) لأن الإماء يستعملنها . والظاهر ان العرب ايضاً كان عبيدهم يتخذون نوعاً من الكَوْث (أو البابوج) لان القارىء يرى في كتاب الف ليلة وليلة في الليلة الثانية : ٢٥ : « ألبس زربولاً على عادة العبيد » ولما كان لابس الزربول يحتقر للبسه اياه اصبح الزربول كلمة شتم يشتم بها النصارى . راجع كتاب الف ليلة وليلة طبعة برسلاو ٧ : ٢٧٨ س ١٣ : « يازربول ، لماذا تتبعني » واما اليوم فيراد بالزربول حذاء ضخم كما في بقطر ومهرن ٢٩ ، إذ يقول هذا : « الزربول جزمة كبيرة حمراء ذات عنق واسع وانفها إلى فوق وفيها عقب من حديد » ولهذا لاتكون اليوم للعبيد بل للشيوخ وكبار القرى وهم كثيراً مايتباهون بها . راجع المجلة الالمانية ١١ : ٤٨٣ العدد ١١ . اه كلام دوزي .

وعليه انك ترى ان رأينا اصح لما فيه من صحة الانطباق على الاصل بخلاف مذهب دوزي فانه يحتاج إلى عَمَد يقوم عليها .

(١٥) العود بمعنى آلة من آلات الطرب مُعرَّب في نظري لان ليس في اصول هذه الكلمة مايثبت صحة اشتقاقه منه . وهو عندي من (ôdé, és) ومعناها الغناءُ والطَّرَق

والنشيد والانشودة وأصل وضعه آلة العود اي آلةالغناء فحذفواالضاف وابقوا المضاف اليه كما هو من جاري عادتهم ، ولا سيما لان اغلب آلات الطرب دخيلة . كالصنج والونج والارغن والقيثارة والناي والسرناي إلى غيرها .

ومن الغريب ان ابناء الغرب عادوا فأخذوا الكلمة من العرب وقالوا Luth (أي العود) وخصوها بالعود العربي .

(١٦) الحَرْبَة للآلة الجارحة من اليونانية harpè معنىً ومبنىً وتجيء الحربة عندهم أيضاً بمعنى المنجل والسيف المنحني والعَقّاف يسيّر به الفيل والابغث لطائر يُعرف بعدة اسماء عند العرب وهي البَلَح والبَلَت والهُماء والهُماي والهُما والهمايون والاغثر والمكلفة وكاسر العظام Aigle de mer .

(١٧) الخَرَب عندنا نحن العرب : ذكر الحبارى وقيل الحُبارى كلها(التاج)ذكرها او انثاها . والكلمة جاءتنا من اللغة الارمية فهي في هذه اللغة « حُورْبا » واختلفوا في معناها . فقد وجدتُ في « دليل الراغبين في لغة الآراميين » للقس يعقوب اوجين منّا الكلداني في ص ٢٦٠ مايقابلها في العربية : خرب ، لقلق ، ابو حُدَيْج (٢) وقيل عقعق . عقاب ، أو طائر آخر كالهدهد . انتهى . فاختلاف الاقوال في مسماه علامة بينة على عجمة اللفظة .

وذكر پاين سمث الانكليزي في مادة (حوربا) بين معاني اللفظة هذه ، اسماء أخرى قال : ardea (أي مالك الحزين) أواللقلق أوابوحُدَيج ciconiaو milvus (أي الحدأة) و caprimulgus (السُبَد) و pica (أي العقعق) وذكر بين اسمائه العربية الحَوْجج وابو خُدَيْش وهما من اسماء اللقلق عند عوام العراق في سابق العهد . وكل هذا الاضطراب في تعيين المعنى الاصلي ناشيء من عجمة اللفظة . وعندي ان المعنى الصحيح هوانه معرب harpè اليونانية أي الخَرَب بمعنى ضرب من عُقَاب البحر . ومما يزيدني يقيناً في هذا الامر قول الراجز وقد نقله سيبويه في كتابه :

تقضّي البازي إذا البازي كسر أبْصَرَ خِرْبَانَ فضاءٍ فانكدر

والبازي لايتقضّى ولا ينكدر لو كانت طير الفضاء من الطير غير الجارحة كالحبارى واللقلق والعقعق والسُبَد والحدأة ومالك الحزين ، وانمـــا ينكدر إذا رأى شيئاً من

الجوارح التي هي اقوى منه واشد باساً أي إذا كان الطائر مثلاً عقاب بحرٍ أو عقاب برٍ أو بازاً أو صقراً أو نحو ذالك .

والبغداديون وبعض العراقيين يريدون بالخرب (وهم يلفظونها على وزن ابــل) طائراً أسود اللون أحمر المنقار طويل الرجلين يغوص في الماء وربما عبر النهر وقد غط فيه . هذا ماقاله لي أحد الادباء . ولما وقفت على مايريده بهذا الاسم وجدته المسمى عند الافرنج Porphyrion أو Poule sultane وهذا الطائر لايغوص في المــاء وانما يعيش في البطائح والمستنقعات .

ومهما يكن من الامر فان العرب اعتبرت الخرب من الطير الجارحة مرة على ما مر بك . واخرى من الطير غير الجارحة ومنه المثل عندهم : « مارأيتُ صَقْراً يرصُدُهُ خَرَبٌ » يضرب للشريف يقهره الوضيع

ومن غريب امر هذا الطائر ان اسمه اليوناني نقل الى لغات المحدثين من الافرنج إلى معان مختلفة فمن قائل انه خرب البوم ومن ذاهب الى انه الزُمَّج ومن مصرح بانه السُبَر إلى غير هذه الآراء وقد يتمكن كل امرىء أن يقف عليها إذا ماقبض بيده على معجم يوناني افرنجي .

وقد مرَّ بك ان مثل هذ الامر وقع في الكلمة الارمية وتعيين معناهــا الحقيقي فلا ملامة بعد هذا إذا كان السلف الصالح اختلف في معناه ، فقد يقع لقبيلة انها تريد باللفظ مسمى لاتريده القبيلة الاخرى وهو مما يستطيع ان يلاحظــه كل اديب يتتبع اقوال المؤلفين الاقدمين .

(١٨) التُرْتُور الجلواز والشرطي . ولم يقل احد بانه دخيل والحال ان عجمته واضحة فهو معرب اللاتينية tortor وقد صحفه اللغويون بصور عديدة ، اذكر منها ما وقعت عليها وهي : التؤرور والثؤرور (بالمثناة والمثلثة) واليورور (بالمثناة التحية) والاترور .
(١٩) ذئب خُزْت وهو معرب واصله عند العرب : الذئب الُخرْت أو الخُرت الذئب أي أن الخرت هو الذئب أو بالعكس لكن ظنوا ان الخرت نعت للذئب وهو خطأ لانه تعريب Kerdô,oos والعرب قد تريد بالذئب الثعلب كما أوضحناه في غير هذا الموطن . ولهذا فالصحيح ان الخُرت هو الثعلب لا الذئب . وهو اسم لانعت فمن احب يرجع الى

الاصل ومن شاء يعمل بما اقرّته عليه العرب . فللكاتب الخيار بعد وقوفه على الحقيقة .

(٢٠) عامر وهو من الارواح عند العرب وهو تعريب اللاتينية Amor وكثيراً مايصور بصورة ملاك عند الاقدمين . ويقول الفرنسيون c'est un amor أي انه يحسن عامر (يقال عن الاشياء كما عن الناس) ومرادهم حَسَن في غاية الحسن ، أو بديع الجمال .

بغداد : الاب انستاس ماري الكرملي

فوائد لغوية

المِئناث = المعتادة ان تلد الانثى وكذلك الرجل لانهما يستويان في وزن مفعال

المِذكار = المعتادة ان تلد الذكور كثيراً

المِعقاب = التي من عادتها ان تلد ذكراً بعد انثى

العيَّار = الكثير الطواف أو الذي يتردد بلا عمل وهو المعروف بالمتشرد وقال ابن الانباري العيَّار من الرجال الذي يخلي نفسه وهواها لا يردعها ولا يزجرها

الهجوريّ = طعام نصف النهار وتسميه العامة الغداء

الشّبوب = ماتوقد به النار من دقاق العيدان

نُشافة اللبن = مايعلوه من الرغوة عند الحلب

الطُفاحة = مايعلو وجه القدر ويجتمع إلى شفتها والعامة تسميها الزفرة

السعوف = الاقداح الكبار وامتعة البيت

البتـات = الزاد يقال خذ بتاتك . والجهاز ومتاع البيت

المسبـار = الميل الذي يسبر به الجرح ومثله المدس

انيس سلوم

مباحث لغوية

النجاشي

كلمة حبشية محرفة شاع استعمالها في اللغة العربية لقباً لملوك الحبشة منذ عهد بعيد كما قيل قيصر لملوك الروم وغيرهم وامبراطور لبعض ملوك اوربا وشاه لملك العجم الخ . وجميع هذه الكلمات القاب لملوك عظماء يخضع لسلطتهم ملوك وامراء ادنى منهم سلطة . قلت ان النجاشي كلمة حبشية الأصل واليك بيان كيفية تحريفها حتى عمّ استعمالها بين المتكلمين بالضاد .

للاحباش لغة واحدة اصلية لم يبق منها الى اليـــوم الا الكتب الطقسية وبعض الشعر والتاريخ والمجادلات الدينية المنسوبة للحُبش الاولين . والكنيسة الحبشية إلى يومنا هذا متمسكه بهذه اللغة اشدتمسك فلا تقيم الصلوات والرتب الدينية الا بها .وهي من هذا القبيل اشبه باليونانية واللاتينية اللتين حافظت عليهما الكنيستان الشرقيـــة والغربية فلا تقيمان الرتب الدينية إلا بها وان لم يفهمها الشعب الذي يحضر الصلوات .

وكما ان اللاتينية ولدت بعض لغات اوربا المتعددة كالفرنساوية والايطاليـــة والاسبانية . واليونانية القديمة ولدت لغة الاروام الحديثة التي يكتبون بها ويقرأون ويتكلمون ،ولدت اللغة الحبشية الأصلية (ويدعونها بلغتهم گئزاي الجذر) للغات التي يتكلمها الأحباش اليوم ويكتبون بها واشهرها (الامحرية) وهي اللغة الرسمية السائدة اليوم . ثم (التغرية) التي لايتكلمها اليوم الاسكان مقاطعة تغره المتاخمة لمستعمرة الاريترة الايطالية وغيرهما من اللغات الحبشية القليلة الشأن كالهررية والقوجامية .

الملك في اللغة الحبشية الاصلية يدعى « نگوس » وبقيت الكلمة على وضعها نفسه في اللغة الامحرية إلا انها صارت « نكامي » في اللغة التغرية . وإذ ان بلاد الامحرة قلّ من دخلها من الاجانب في سابق الزمان قبل استيلاء الفرنساويين على أُبخ وتجرة وجيبوتي والانكليز على زيلع والصومال وفتح المواصلات فيما بين هـــذه المستعمرات وداخلية الحبشة كانت بلاد الحبش متصلة بمصر من طريق السودان وببلاد العرب

من جهة مصوّع على البحر الهندي وكلا الطريقين ينفذان الى مقاطعة (تغره) التي كانت صاحبة السيادة في ذلك الزمان للاسباب التي ذكرناها بعكس مقاطعة (امحره) المتوغلة في الداخلية لفقد الاتصال بينها وبين الساحل . لذلك كان الملوك والامراء والحكام في أكثر المقاطعات تغربي الاصل. اما الامبراطور « ويدعوه الحبش بلغتهم (نيكوس نكست)أي ملك الملوك إلى يومنا هذا وكذلك رجانهوي أيضاً وهي الكلمة الغالبة على اللسان في التكلم » فكان تارةً من (التغرة) وتارةً من (الامحرة) .

أول من كتب عن الاحباش من الاوربيين هم البرتغاليون في عهد فتوحاتهم الافريقيـــة قبل فتح قنـــاة السويس إذ دار بحاروهم واشهرهم ڤاسكودي كاما Vasco di Gama حول افريقية آتين من المحيط الاتلانتيكي الى المحيط الهـــادي لفّا خلف رأس الرجاءالصالح حتى بلغوا الهندوالبحرالاحمر .وهمأول من دخلوا ارض الحبشة ودرسوها ونقلوا أخبارها إلى العالم المتمدن وكانوا يعبرون عن الملك الحبشي باللقب المستعمل له في بلاده باللغة التغرية أي كلمة نكاسي فكتبوها Negassi فقرأها غير الواقفين على اللفظ الحبشي على أصول قراءة اللغة البرتغاليه فقالوا نكاشي ثم نقلت هكذا الى اللغة العربية فأبدلت الكاف الفارسية بالجيم المصرية التي تلفظ مثلها فصارت نجاشي .

دمشق — شڤاليه دي رعد

(المجمع العلمي)نشكرللكاتب عنايته بهذاالبحث وكشفه عن أصل كلمة (نجاشي) العربية وانه في اللغة الحبشية (نكاسي) لكن نأخذ عليه قوله الاخير ان العرب نقلوها إلى لغتهم من لغة البرتغاليين وظاهر ان مراده بهؤلاء العرب الناقلين عرب الاندلس أو مراده بهم عرب مصر بدليل قوله (فابدلت الكاف الفارسيـــة بالجيم المصرية) والحقيقة لاهذا ولا ذاك وانما كلمة (النجاشي) نقلت إلى العربية قبل فتح الاندلس وقبل فتحمصروهذه كتب الحديث الشريف ملأى بكلمة (النجاشي) واخبار(النجاشي) وعلماء اللغة العربية ذكروه في معاجمهم الأول وقالوا انها في الحبشية بمعنى ملك قال ابن دريد (فأما النجاشي فكلمة حبشية يقال الملك منهم نجاشي كما يقال كسرى وقيصر) . وقد سمى العرب انفسهم ابناءهم بالنجاشي منهم (النجاشيالحارثي)وكانمن رجّازالعرب . وإذا اردنا ان نعرف درجة مخالطة العرب لغيرهم من الامم نظرنا إلى لغتهم وما فيهـا

من الدخيل فبقدر ما نجد من الدخيل في لغة امة من الامم حكمنا بان هذه الامة هي أكثر الامم اتصالاً بالعرب ومخالطة لهم ومن ذلك اللغة الحبشية فان منها كلمات كثيرة دخلت في لغتنا العربية فاستعملها العرب قبل الاسلام وجاء منها كلمات كثيرة في القرآن والحديث . والعرب في الجاهلية كانوا يرحلون إلى بلاد الحبش كثيراً ثم لما جاء الاسلام كان أول من رحل عن مكة فراراً من اضطهاد الوثنيين طائفة من المسلمين هاجروا إلى الحبشة وهي هجرتهم الأولى لانهم فضلوا الحبشة على غيرها لما أن لهم عهداً واتصالاً تجارياً بها هذا من جهة ومن جهة ثانية هم متصلون بها من جهة الجنس السامي الذي يلف الفريقين معاً بلغته ومميزاته السامية ومن جهة ثالثة ان دين الحبش النصرانية وهي اخت الديانة الاسلامية الجديدة فالعرب إذن قبل الاسلام وبعده عرفوا كلمة (النجاشي) من أهلها انفسهم ونقلوها إلى لغتهم وتكلموا بها ككلمة عربية في ظاهرها حبشية في باطنها هذا ما عنّ لنا استدراكه على حضرة الكاتب راجين منه اتحافنا بما يعرف من لغة الحبش وآدابهم وعلاقتهم بالعرب .

مطبوعات حديثة

القضاء في الاسلام

محاضرة في هذا الموضوع ألقاها في نادي مجمعنا العلمي العربي بدمشق (في ٢٩ تموز سنة ١٩٢١) حضرة الفاضل عارف بك النكدي مفتش العدلية العـــام بدمشق الشام . وقد طبعها على حدة طبعاً حسناً على ورق جيد وهي تبلغ قرابة خمسين صفحة.

افتتحها بمقدمة ذكر فيها الباعث له على اختيار هذا الموضوع ثم انتقل الى الرد على من قال ان الشريعة الرومانية مصدر لجميع شرائع العالم حتى الشريعة الاسلامية . وقـد أتى في تفنيد هذا الزعم ببراهين سديدة لاتقبل النقض ثم افاض في الموضوع وقسمه إلى أربعة أقسام (١) القضاء قبل الاسلام (٢) القضاة والقضاء ومايؤخذ عليه (٣) آداب القضاء والقضاة (٤) مقارنة بين القضاء في الاسلام وقوانين هذه الايام . مستشهداً في كل فصل من هذه الفصول بصحيح الآثار واقوال الصحابة وكبار السلف . ومن مباحثه الممتعة ماذكره في الفصل الثاني من الرد على ماينتقد به بعضهم القضـــاء الاسلامي من جهة شهادة المرأة وشهادة غير المسلم . وبالجملة فان هذه المحاضرة من أكثر المحاضرات فائدة ويجدر بكل فقيه أو قانوني ان يجتني ثمرها الرطب ، ويستقي من منهلها العذب .

دروس الدين والاخلاق

اسم كتاب في التربية الدينية الفـــه حضرة الاستاذ الشيخ عبد الرحمن المجذوب . وقد اهدى إلى مجمعنا القسم الثاني من كتابه المذكور فاذا هو يشتمل على فصـــول في العبادات الدينية ثم على فصول تاريخية في الغزوات وبعض أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ويتلو ذلك فصول في مكارم الاخلاق (كالاستقامة والاخلاص) و (الاعتدال ومخالفة النفس) و (الهمة والثبات) و (ترتيب الاعمال وتنظيم الامور) و (احترام الناس ومعاونتهم) إلى غير ذلك مما يفيد الاحداث ويطبع نفوسهم على حب العمـل

وممارسة الفضيلة . والكتاب مطبوع طبعاً حسناً من حيث وضوح الاحرف وضبطها بالشكل الكامل فنشكر للاستاذ هديته وعنايته بهذا الاثر الجليل .

تاريخ التشريع الاسلامي

اسم كتاب في هذا الموضوع ألفه الشيخ محمد الخضري استاذ الشريعة الاسلامية في مدرسة القضاء الشرعي بمصر . وقد قال في فاتحته (انه لم يحذ فيه حذو احد سبقه في هذا الموضوع) وانه (يهدي كتابه هذا إلى أرواح العلماء العاملين ، والكملة المجتهدين)

والمؤلف عرفناه من أنبه علماء مصر وانبلهم مقصداً في كل ما يؤلفه وينشره من الآثار . وقد اشتهر خاصة بمحاضراته في التاريخ الاسلامي التي القاها في (الجامعة المصرية) وقد طبعت تفاريق ونشرت فكان منها للمولعين بالتاريخ فائدة طائلة ، ولذة غير زائلة . اما كتابه الذي نحن في صدد تقريظة فيبلغ زهاء ٤٠٠ صفحة في مجلد لطيف الحجم حسن الطبع . وقد قسم البحث فيه إلى ستة ادوار :

(١) التشريع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (٢) التشريع في عهد الخلفاء الراشدين (٣) التشريع إلى نهاية القرن الاول للهجرة (٤) التشريع إلى نهاية القرن الثالث : وفي هذا الدور صار الفقه علماً باصول ، وظهر فيه نوابغ الفقهاء والائمة الفحول (٥) العهد الذي دخلت فيه المسائل الفقهية المروية عن الأئمة — في طور الجدل والمناظرة من أجل تحقيقها والتمييز بينها . وينتهي هذا الدور بانتهاء دولة بني العباس (٦) عهد التقليد المحض الذي مازال المسلمون رازحين تحت وطأة كابوسه إلى اليوم . وقد تكلم المؤلف على كل دور من هذه الادوار بما هو من طبيعته ، ومميزات أحواله . ثم يسرد اسماء علماء كل دور وموجزاً من تراجمهم وما تركوه لنا من الآثار والتآليف وكثيراً ما نقل نبذاً من أقوالهم وأساليب المناظرات التي كانت تقع بينهم . ومن ابحاثه الممتعة إنحاؤه الشديد على التقليد الذي ظهر مرضه في الدور الخامس ووصف مناشىء هذا المرض وآثاره السيئة في حالة الأمة . وكان في كل مسألة من مسائل التشريع يقارن بين ماورد عن أئمة المذاهب الاربعة بشأنها . ولم يفته ذكر ما روي عن مذاهب الشيعة وفرقهم المختلفة .

وبالجملة فان الكتاب فريد في بابه ، مفيد في موضوعه . وقد كاد المؤلف يستوفي الكلام على هذا الموضوع ويستجمع الكمال فيه على حداثة عهده به ، وعدم سبق احد اليه . على اننا مهما اغتفرنا له من شيء فلا يصح ان نغتفر له إغفاله امراً هو من الخطورة بمكان : ذلك انه لم يتعرض للرد على من قال ان الشريعة الرومانية من جملة مصادر الشريعة الاسلامية : فهؤلاء الدققة (وهم متتبعو عيوب المسلمين بالباطل) يريدون ان يجعلوا منابع التشريع الاسلامي خمسة بعـــد ان كانت أربعة : القرآن والسنة والقياس والاجماع فياليت المؤلف عقد لهذا البحث فصلاً خاصاً ، فانه من أهم مايتناقش فيه علماء الحقوق والقانون اليوم

هذا وانا نشكر للمؤلف عنايته بابراز هذا الاثر المفيد ونرجو ان يوفق الى امثاله . وكتابه يطلب من (مطبعة دار احياء الكتب العربية لاصحابها عيسى افندي البابي الحلبي وشركائه في مصر) المغربي

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة

مـــن تأليف القاضي ابي علي المحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ عني بتصحيحه الاستاذمرجليوث طبع بمطبعة هندية بمصر سنة ١٩٢١ ص٣٠٢ اجاد صديقنا واحد اعضاء مجمعنا وعالم العربية في جامعة اكسفورد بنشره هـــذا الجزء الاول من كتاب نشوار المحاضرة عثر عليه في خزانة الكتب الوطنية بباريز منقولاً عن نسخة كتبت سنة ٧٣٠ هـ (والنشوار كلمة فارسية اصلها نشخوار ومعناها جرة الحيوانات المجترة وقد استعملها التنوخي بمعنى الحديث ص ٦٢ س ١٦ « طيب النشوار والادب » ص ٨٦ س ١٤ « حسن النشوار راوية الاخبار ») وقد اجـــاد الناشر في تصحيح هذا الجزء شأنه في كل مانشره كمعجم الادباء لياقوت وغيره فجاء نموذجاً من الحالة الاجتماعية في القرن الرابع فيه طرف من اخلاق أهله وعاداتهم وبذخهم ومعتقداتهم وتصوراتهم وفيه كثير من الفصح والشوارد والاشعار والرقائق وفيه ترجمة ابي فراس الحمداني وطرف من شعره قال الناشر واما ما تعذر علينا فهمه وتصحيحه من

اغلاط النسخة المنقول عنها فاثبتناه على حاله مقرين بالعجز وقد حذفنا حكايات ليست بكثيرة لم نر داعياً إلى تخليدها . قلنا وهذا مالا نوافق العلامة مصحح الكتاب عليه لان ذلك قد يرفع الثقة والناس اليوم يحبون ان يروا الاشياء كما الفها مؤلفها وعندنا انه اخطأ هنا وفي معجم الادباء في ترجمة ابي العلاء المعري بحذفه بعض رسائل له كان قد طبعها في اكسفورد على حدة سنة ١٨٩٨ أي قبل ان ينشر المعجم لان الامانة تقضي بذلك مهما اورث الكتاب تطويلاً ، والفائدة بهذا التطويل . وعلى كل فانا نشكره على عنايته وقد جعل له على عادة اخواننا علماء المشرقيات في نشرهم اسفار اسلافنا فهرساً للاعلام وغيرها جزاه الله خيراً .

رسائل السيد ماسنيون

لصديقنا الاستاذ السيد ماسنيون احد اعضاء مجمعنا ومدرس الاجتماع الاسلامي (في كوليج دي فرانس) بباريز همة عالية في بث الافكار الصحيحة بين قومه عن الاسلام والمسلمين وقد نشر بعد كتاب الطواسين ورسالة الامثال البغدادية العامة للقاضي ابى الحسن علي بن الفضل المؤيدي الطالقاني التي جمها في سنة ٤٢١ هـ — عدة رسائل بالافرنسية انتهى الينا منها مبحث في اساليب الفنون الجميلة عند الشعوب الاسلامية Les mèlhodes de réalisation artistiques des peuples de l'Islam واخرى في بعض المسائل الاسلامية كشف فيها القناع عن حالة المسلمين بعد الحرب اسمها Le probléme islamique وثالثة في المدخل الى درس مطالب المسلمين Introduction à l' etude des revendications islamiques ورابعة في اسماء الكتب والمصادر التي تعرضت لذكر الحلاج ليسهل بها البحث على طالبها Bibliographie Hallagienne

وبعض هذه الرسائل مما نشر في المجلات العلمية واخرج على حدة وحبذا لو يجمع في سفر أو اسفار جميع ماوقع له من الابحاث المحكمة في المجلات مما يتعلق بالعرب والاسلام خاصة

★ ★ ★

المجمـع الملوكي البلجيـكي

L'Académie royale de Belgique
depuis sa fondation (1722-1922)

نشر المجمـع العلمي الملوكي في بروكسل عاصمة البلجيك بمناسبة مرور قرن ونصف على تأسيسه كتاباً في سير أعماله منذ اجتمع وما تعاقب عليه من الادوار على حكم النمسا من سنة الف ١٧٧٢ – ١٧٩٤ وفي حكم هولاندة من سنة ١٨١٩ ومن هذا التاريخ الى اليوم وهو عهد الاستقلال البلجيكي وفيه تراجم رجاله من البلجيكيين وغيرهم وماعملوه من الاعمال وبيان ما وهبه المحسنون من الاموال ليجعلوها جوائز لفتيان العلماء أخذاً بايديهم وهذا المجمـع ينقسم إلى أقسام ترجع إلى رئيس دائم واحد يكون في الرئاسة مدة الحياة كسائر المجامع العلمية وينقسم إلى فروع فقسم العلوم يعنى بالعلوم الرياضية والطبيعيـة والتاريخ الطبيعي وعلم الحياة وعلم المعادن وقسم الآداب يعنى بالعلوم التاريخية واللغوية وعلوم الحـكمة والسياسة والشريعة والاقتصاد وفرع الفنون الجميلة يعنى بالتصوير والنقش والحفر والهندسة والموسيقى وعلائقها مع الصنائع النفيسة. فنهنىء المجمع العلمي الملوكي بما تم على يد رجاله الاجلاء من جليل الأعمال لخدمة العلم والآداب م.ك

اخبار وافكار

دعوة الجمعية الآسيوية

جاءنا من الأستاذ المسيو سنار رئيس الجمعية الآسياوية بباريز بالنيابة عن لجـان الاحتفال بعيد الجمعية الآسياوية المئوي ما تعريبه : في سنة ١٨٢٢ أسست الجمعية الآسيوية في باريز عميدة الجمعيات التي أخذت على عاتقها في الغرب العناية بالابحاث الشرقية خاصـة واشتهرت تلك السنة أيضاً بالاكتشاف العظيم الذي وفق اليـه شامپوليون أي حل الخط الهيروغليفي المصري القديم .

فرأت جمعيتنا بالاشتراك مـع جماعة علماء الآثار من الفرنسويين أن تحتفل بهذا العيد المزدوج يوم ١٠ و ١٣ تموز القادم .

وقد رأت لجاننا ان ترجو من رئيس المجمع العلمي العربي السوري أن يشرفها بالاشتراك بهذا العيد وذلك بارسال وفد يمثله في هذه الحفلات التي ترسل اليكم خططها فيما بعد باريز في كانون الثاني ١٩٢٢

فاطلعنا الحكومة على هذه الدعوة فرغبت الينا بانتخاب مندوب عن المجمع يحضر حفلات الجمعية المشار إليها فلذلك عقد مجمعنا جلسة عامة يوم ٢٥ أيار سنة ١٩٢٢ مؤلفة من رئيس المجمع والأعضاء العاملين وبعض أعضاء الشرف فانتخبوا باتفاق الآراء الدكتور مرشد بك خاطر أحد أساتذة المعهد الطبي في دمشق ومن أعضاء المجمع الشرفيين ليمثل المجمع في تلك الحفلات

فنهنىء الجمعية الآسيوية الفرنسية المشهورة بابحاثها المفيدة وآثارها الرائعة بهذا اليوبيل المئوي ونتمنى لها دوام السير في خدمة العلم والفضل

دعوة المجمع العلمي الملوكي البلجكي

جاءتنا دعوة أيضاً من هذا المجمع المشهور باعماله المفيدة احتفالاً بمرور مائة وخمسين سنة على تأسيسه . فوصلت الدعوة متأخرة ولذلك لم نتمكن من ارسال مندوب يحضر تلك الحفلة الشائقة فاعتذرنا اليه برسالة شكر خاصة . فنكرر له التهنئة لازال ملازماً للعلم والفضل

هدية للمتحف العربي

اهدى حضرة الوطني الغيور سامي بك البكري إلى المتحف العربي ديناراً ذهبياً جميلاً بقطع نصف مجيدي وقد نقش على احدى الصفحتين ما نصه :

(الحمد لله . محمد رسول الله . صلى الله عليه وسلم) وعلى الثانية (الامام — لااله إلا الله — . . . المستعصم بالله أمير المؤمنين بغداد) . ولم نستطع الاهتداء إلى فهم التاريخ

فنشكر لحضرة المهدي الكريم هديته هذه التي وضعناها باسمه في متحف النقود العربية

مجلة المجمع العلمي العربي

(١٩)

الجزء ٧ تمـــوز سنة ١٩٢٢ م الموافق ذي القعدة سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

كتاب تاريخ حكماء الاسلام

لو بقي المسلمون يشتغلون في العلوم الدنيوية ويتفننون في وضـع المصنفات فيها في عصورهم الاخيرة – على نسبـة ما فعلوا في عصرهم الاول – لما علم إلا الله كيف كان مبلـغ عمرانهم ، وإلى أي حد من الكمال وصل تمدنهم . لكن رجال الدين صدموا تلك العلوم الدنيوية ورجالها صدمةً زحزحتهم عن الطريق التي استقاموا عليها . فلم تلبث علوم الحكمة أن ذوت واضمحلت من بين المسلمين وقامت مقامها علوم الدين ووسائلها ، فكثر الاشتغال والتصنيف فيها وبلغت حداً لا فائدة ترجى من ورائه للامة مع ان الاسلام يحض على تحصيل العلمين وقد جعلها مناط الفوز بالسعادتين .

على ان ماتركه علماء الاسلام لنا من مصنفات الحكمة والطب والكيمياء والهيأة وغيرها ليس بالقليل لو وصل بتمامه الينا – لكنه – واضيعتاه لم يصلنا منه إلا القليل . ومعظمه قضى عليه الجهل أو التعصب أو أبادته الفتن العمياء . وبعضه نُقل إلى مكاتب اوروبا وما زال محفوظاً فيها إلى اليوم . هذه البقية الباقية في اوروبا هي التي أخذت تنجم من وقت إلى آخر وتصل إلينا مطبوعة مصححة على يد فئة من أفاضل المستشرقين . جزاهم الله عن العلم خيراً .

ومما يزيدنا بصيرةً وخبرة في معرفة علوم الحكمة وأدوارها في الاسلام أن نعرف قبل كل شيء تراجم علماء هذه العلوم الذين نقلوها ودوّنوها . والمصنّفات في تراجمهم كثيرة كما يظهر من كتاب الفهرست لابن النديم وكشف الظنون وتاريخ ابن خلـكان

وغيرهما. ومع هذا فانه لم يصل الينا منها إلى اليوم شيء سوى كتاب (طبقات الاطباء) لابن أبي أصيبعة المتوفى سنة (٦٦٨) هـ وكتاب (أخبار الحكماء) للوزير جمال الدين القفطي المتوفى سنة (٦٤٦)هـ وكلاهما مستنسخ عن نسخ محفوظة في مكاتب اوروبا ثم طبعا في مصر . ومن الكتب المشهورة في تراجم الحكماء كتاب (صوان الحكمة) لأبي سليمان محمد ابن طاهر السجزي (أو السجستاني) . ومثله كتاب (تاريخ حكماء الاسلام) للامام ظهير الدين أبي الحسن البيهقي المتوفى في حدود سنة (٥٧٠) للهجرة . ويوجد من هذا الكتاب الأخير نسخة في مكتبة برلين اطلع عليها رئيس مجمعنا (السيد محمد كرد علي) خلال رحلته الأخيرة إلى اوروبا فلم يشأ أن يدعها من دون أن يأخذ عنها نسخة مصورة بالفوتوغراف وقد فعل والنسخة اليوم محفوظة لدينا في مكتبة المجمع وهي ذات مئتين ونيف من الصفحات بقطع صغير جداً بحيث تبلغ الصفحة مقدار كف الفتى الصغير مركبة من خمسة عشر سطراً ولا يزيد السطر عن ست أو سبع كلمات مكتوبة بخط جميل واضح . لكنها لا تخلو من بعض تحريف وتصحيف واضطراب أو نقص في بعض المواطن .وقد قال المؤلف في المقدمة مانصه :(وها أنا ناسج في تصنيفي هذا على منوال مصنّف كتاب (صوان الحكمة) تأليف أبى سليمان محمد بن طاهر السجزي وذاكر من تواريخ الحكماء وفوائدهم ما قرب غرْب نجومه في مغارب النسيان الخ) ومما يلاحظ على المرحوم جورجي افندي زيدان قوله ان المؤلف جعل كتابه ذيلاً لصوان الحكمة مع أن المؤلف نفسه يقول انه حذا فيه حذوه ونسج على منواله كما سمعت . فلعل هذا السهو هو من المستر (بروكلمن) الذي اعتمد عليه جورجي افندي لا من جورجي أفندي نفسه .

والبيهقي مؤلف (تاريخ حكماء الاسلام) مقدّم في الزمن على كل من (القفطي) و (ابن أبي أصيبعة) بنحو مئة سنة : فان الأوّلين عاشا في أواسط القرن السابع اما البيهقي ففي أواسط القرن السادس : فيكون كتاباهما أجمع من كتابه . وصوابهما في الغالب أكثر من صوابه . والبيهقي ترجم للحكماء المسلمين : أطباء وغيرهم . ومعظمهم أعاجم من بلاد فارس . لأنه هو من (بيهق) وهي بلدة في نواحي نيسابور . و (القفطي) ترجم للحكماء أطباء وغيرهم مسلمين وغيرهم . اما (ابن أبي أصيبعة) فلم يترجم إلا للأطباء وطائفة من الحكماء الذين لهم نظر وعناية بصناعة الطب .

والبيهقي لم يلتزم في كتابه تبويب الاسماء وترتيبها بحسب حروف الهجاء ولاباعتبار الطبقات . بخلاف زميليه (القفطي) و (ابن ابي اصيبعة) فان الاول التزم حروف الهجاء . والثاني راعى طبقات الحكماء باعتبار أقطارهم وأزمانهم . فمن ثم كان كتاباهما أوفى وأوفر زمناً على المراجع والمطالع . ومن مواضع الملاحظة ان (القفطي) لم يترجم في كتابه (للبيهقي) مع أن البيهقي – على مايظهر من تضاعيف كتابه – قد اشتغل كثيراً بعلوم الحكمة والطبيعة والرياضيات . ومنها أيضاً ان ابن ابي اصيبعـــة ترجم للسجزي مؤلف (صوان الحكمة) لكنه لم يَعُدّ كتابه (صوان الحكمة) في جملة تآليفه الكثيرة التي سردها .

وإذا أعملنا المقارنة بين كتاب (القفطي) وكتاب (ابن ابي اصيبعة) وكتاب (البيهقي) ظهر لنا بينها بون بيّن ، واختلاف ليس بالهيّن : من ذلك الاختصار والايجاز في كتاب البيهقي . والإطالة والاسهاب في الكتابين الآخرين ومن ذلك أيضاً وهو المهم في نظر المحصّلين العناية والضبط والتحرير : فان في تاريخ البيهقي مالا يتفق مع الحقيقة ولا ينطبق على الواقع احياناً : يظهر ذلك لمن تصفح ترجمة (حنين بن اسحق) و (يحيى النحوي) و (يعقوب بن اسحق الكندى) في الكتب الثلاثة : فإنه يجد البيهقي قصّر كثيراً بل اخطأ خطأ كبيراً في أمـــور كان يجب التروي فيهـــا والتقصّي عنها . وإذا نقلنا للقارىء ماقاله (الثلاثة) في (الثلاثة) طال الشرح عليه ، وألقى مقالنا من بين يديه . وانما نحن نمثـل له تمثيلا : ذلك ان (البيهقي) يقول في ترجمة (يحيى النحوي) انه نصراني ديلمي نشأ في بلاد فارس وان عامل الامام علي رضي الله عنه أراد تخريب ديره فكتب (يحيى) الى علي يستعديه على عامله فأمر علي ابنه (محمد ابن الحنفية) فكتب اليه كتاباً بكفّ أذاه عنه قال البيهقي وقد رأيت نسخة كتاب الامام علي في يد الحكيم ابي الفتوح المستولي النصراني وتوقيع الكتاب هكذا (الله الملك وعليّ عبده) قال : وان خالد بن يزيد أخذ الطب من (يحيى النحوي)المذكور اه ملخصاً ولا يخفى ان (يحيى النحوي) كما حققه(القفطي)و (ابن ابي اصيبعة) وغيرهما هو اسقف الاسكندرية وصديق عمرو بن العاص وهو صاحب الحكاية معه في الخـــبر المكذوب اعني حريق مكتبة الاسكندرية فلم يكن في الحقيقة ديلمياً ولا معلماً لخالد

ابن يزيد بل إن معلم خالد كان ـ فيما زعموا ـ يسمى الراهب مريانوس . وقال البيهقي في (يعقوب بن اسحق الكندي) انه كان نصرانياً أو يهودياً فأسلم مع ان (القفطي) و (ابن ابي اصيبعة) قالا عنه وهو الصحيح انه العربي القح من سلالة (الاشعث بن قيس الكندي) رضي الله عنه وانه فيلسوف العرب الوحيد . ولم يكن في أمة الاسلام فيلسوف غيره . أقول وكأن الشعوبية أو الدّقة الكارهون للاسلام نَفِسوا علينا هذا الفيلسوف الاسلامي العظيم فأرادوا أن يسلبونا إياه في جملة ماسلبوا فالامر لله العليّ الكبير .

وبالجملة فان ماكتبه (البيهقي) في تراجم كتابه يشبه ان يكون تعليقات أو كما نسميها اليوم (مفكّرات) حفظها لنفسه فجاءت غير محرّرة ولا مهذّبة . ثم مات قبل ان يتسنى له تمحيصها وتخليصها من الشوائب ، على ان هذا القول في كتاب البيهقي ليس على إطلاقه : فإنه في بعض من ترجم لهم من العلماء لا سيما علماء بلاده الاعاجم أجاد وأفاد باكثر مما فعل زميلاه : انظر مثلا ترجمة (عمر بن الخيام) في كتاب (القفطي) تره مختزلاً موجزاً قد لاتخرج منه بفائدة . أما (البيهقي) في تاريخه (تاريخ حكماء الاسلام) فانه جوّد في ترجمة الخيام وأحسن كل الاحسان وذكر له من الاخبار والاطوار مالم يذكره غيره . وربما نقلنا ماقاله عنه في أحد اعداد مجلة المجمع . ومما رواه عنه انه دخل عليه يوماً في خدمة والده وذلك سنة (٥٠٧) هـ وكان المؤلف حدَثاً فسأله الخيام عن معنى قول الحماسي :

(ولايَرْعَوْن اكنافَ الهُوَيْنا إذا حلُّوا ولا أرض الهدون

وسأله أيضاً عن (انواع الخطوط القوسية) قال فأجبته عن السوآلين بما أعجبه وارتضاه . فالتفت الخيام إلى والدي وقال (شنشنة أعرفها من أخزم) . ومما ذكره عن الخيام اجتماعه بالامام الغزالي وسوآل الغزالي له عن مسألة في علم الهيأة . ثم وصف كيف كان موته وانه قال في سجوده الاخير (اللهم تعلم أني عرفتك على مبلغ إمكاني . فاغفرلي ، فانّ معرفتي اياك وسيلتي اليك) .

ومن مزايا كتاب البيهقي أيضاً انه ترجم لطائفة من الحكماء لم يترجم لهم القفطي كاسحق بن سليمان وابي الفرج ابن الطيب . وترجم لطائفة أخرى لم يترجم لها ابن ابي اصيبعة كيحيي بن منصور ومحمد بن جابر . وهناك طائفة كبيرة ترجم لها هو وأهملها زميلاه

المذكوران : كابي الحسن البسطامي وابي زيد البلخي وعبد الواحد القايني وظهير الدين عبد الجليل والامير السيد الامام زين الدين الحسيني الجرجاني . وقد قال عن هذا الاخير انه أحيا فن الطب وسائر العلوم بتصانيفه الممتعة التي سارت بذكرها الركبان . ومنها كتابه في الرد على الفلاسفة ، وانه رآه سنة (٥٣١) في مدينة سرخس بعد ان بلغ من العمر أطوريه (أي أقصى طرفيه) واورد له رسالة أرسلها إلى بعض اخوانه في تقبيح الملذّات البدنية والنعي على اصحابها غفلتهم واستهتارهم . من ذلك قوله فيها (أما علمتَ أن اللذّات الدنيوية كلها في الحقيقة آلام ؟ أليست هي في أكل الطيب ، وشرب العذْب ، ولبس اللين ، وركوب المهملج (المذلّل المنقاد من البرازين) وقهر العدو والتمتّع بالنساء . وهذه كلها حاجات متعبة وخصوصاً للعقلاء ، وضرورات مزعجة للمتيقظين من العلماء : لأن الاكل والشرب إنما هما لدفع الجوع والعطش ، واللبس أيضاً لدفع ألم الحر والبرد ، والركوب لمنع تعب المشي ، وقهر العدو لطلب التشفي من ألم الغيظ ، والتمتع . . . .

. فما أخسّ هذه اللذة عند العاقل المتيقظ وما أهونها عليه ! ! ! وما أقبحها عنده وما أفضحها لديه !!إلى أن قال: ولقد صحبتُ أخاً كان إذا صام صبر طويلا ، ثم إذا قُدّم اليه الطعام بكى ثم أكل وقال « اللهم أنت خلقتني . وأنت أحوجتني . وبالخطب اكرمتني . فهب لي ماوعدتني » وكان هذا الكلام شكاية من الصديق لألم الحاجة . ثم ختم الرسالة بهذا الدعاء وهو قوله :

(اللهم إني أسألك غير متحكّم عليك أن تكفيني مؤونة هذا الجسد الذي هو سبب كل مذلّة . وأصل كل حاجة . والجاذب إلى كل بليّة . والطالب لكل خطية . وأن تيسر الخلاص منه على أسهل وجه . وأفضل حال)

وبالجملة فان البيهقي في كتابه (تاريخ حكماء الاسلام) أتى على فوائد تاريخية في تراجم بعض الحكماء غابت عن زميليه (القفطي) و (ابن ابي اصيبعة) فلا بدع أن يكون في نشر هذا الكتاب من رمسه ، والاقبال على مطالعته ودرسه ، فائدة للمحصلين ، والمؤرخين المحققين . فلعل احداً من تجار الكتب وأرباب المطابع يروق له طبعه ونشره ، فتعم فائدته ويعبق نشره .

« المغربي »

الاثار القديمة الشرقية

(٣) آثار جبيل المكتشفة الاخيرة

كانت مدينة جبيل اللبنانية فينيقية على شاطىء البحر الرومي قديمة العهد يحج اليها الوثنيون لزيارة هياكلها ولا سيما عبادة ادونيس أي تموز في الغينه وعشتروت أي الزهرة في أفقا من ضواحيها فسمي نهر ابرهيم بنهر ادونيس وهناك كانت تجري الاحتفالات المعروفة عندهم .

ولما انتصرت المسيحية على الوثنية حتى القرن الخامس للميلاد وذلك بزمن الملكيين قسطنطين وثاودوسيوس الكبير حطموا تماثيلها وقوّضوا هياكلها استئصالاً لشأفـــة الوثنية الممتدة في تلك الانحاء .

ولما ملكها الرومان كانوا قد شيدوا في جبيل هياكل كثيرة منها الهيكل الكبير الذي يرجح بعض الاثريين ان موقعه كان في أعلى البلدة إلى جهة بيروت حيث ظهر في خريف سنة ١٩٠٣ م تمثال أبيض مجنح لنبتون اله البحر وهو يحمل عصا فيهاشوكة مثلثة على جنبه أو ملتفة عليها افعى وقربه دلفين في فمه سمكة وتلك الرموز هي شارتـــه المعروفة عند علماء الآثار . ولعل هذا التمثال مما اخفي عن عيون المسيحيين فلم يحطموه مثل كثير غيره مما حطموه أو شوهوه لكثرة تنكيلهم بالآثار الوثنية . ولهذا قلما تجد في جبيل وما يجاورها تماثيل سالمة .

وبقي في مدينة جبيل هذه اطلال ابنية ضخمة منهـــا قلعتها الشامخة وكنيستها الصليبية وغيرهما مما ذكره العلامة رنان الفرنسي وهو الذي بدأ بحفر آثارها ووصفها في كتابه (بعثة فينيقية) وكتب عنها غيره من الاثريين ووصفوا اطلالها وعادياتها مما ربما عدنا إلى تفصيله في فرصة أُخرى .

وسنة ١٩٠٨ م اكتشفت في جبيل قطعة من تمثال هرمس اله الطرق والمسافرين والتجارة عند اليونانيين ورسول جميع الآلهة . وقد بقي رأسه وجزء من صدره فقط ولعله من ايام السلوقيين خلفاء الاسكندر .

وفي خريف سنة ١٩٢١ م باشر المسيو ڤيرولو Virolleaud مستشار دائرة الآثار القديمة في المفوضية العليا في بيروت الحفر في أول طريق جبيل فظهرت له آثار شارع مرصوف بالحجارة

وعلى اثر ذلك عثر المسيو پير مونته P. Montet في حفرياته بين قلعة جبيل والبحر على أوان كثيرة من المرمر الابيض وقد قرأ على أحدها بالهيروغليفية (لغة مصر القديمة) اسم (هوناس) أحد الفراعنة من الاسرة الخامسة المصرية . فأيد اكتشافه هذا رأي الاثريين الذين ذهبوا إلى توغل الفراعنة المصريين في سورية وتملكهم عليها منذ القديم ونشر ديانتهم فيها . وظهر له كثير من الآنية النحاسية والبلورية والنقود الذهبية أشبه بما كان يوضع في هياكل المصريين أيضاً . واستنتج من الكتابة الهيروغليفية انهم شيدوا هيكلاً فيها لا يزيس معبودتهم [1] واكتشف الاب سپستيان رونزڤال اليسوعي مذبحاً للزهرة تبكي وبقربها اوزيريس بشكل الاجسام المصرية المحنطة وعلى صدره صولجان وذلك في بلدة قصوبة قرب جبيل . واستنتج أن أسرار ادونيس(تموز) كانت تقام على تل يشرف على جبيل أيضاً . فضلاً عما ظهر الدكتور جول روڤيه وغيره من الباحثين .

وكان في السنة الثانية للحرب العامة قد ظهر في جبيل ناووس حجري كبير طوله نحو مترين بعرض ثلاثة أرباع المتر إلى غربي القلعة على مقربة من البحر وفيه جثة بالية على وجهها

(١) ظهر لي عن تحليل بعض الاسماء القديمة تسميات أماكن كثيرة باللغة المصرية في تلك الجهات فليس ببعيد أن يكون اسم (الفتوح) في كسروان تحريف كلمة پتاح أو فتاح الاله المصري وفي درج نهر الكلب تقدمة لهذا الاله تؤيد هذا الرأي . ونهر (الموت) باسم (موث) الاله المصري أو الفينيقي . وهناك قرى بأسماء آلهة يونانية مثل (طاميش) لأرطاميس و (بلونه) لا بلون و (غينه) للزهرة . وباسماء لاتينية مثل (غسطا) لاوغسطه و (برقطا) أي برويكتنا بمعنى شلالة وبغيرها مثل (بيروت) بيت روت نسبة إلى الروتيين إخوة الآراميين، وروت المصرية هي لود السامية ، إلى كثير مما ربما عقدت له فصلاً خاصاً . ولقد أشار إلى شيء من ذلك رنان وذكره أحمد بك كمال في كتابه (العقد الثمين) ص ١٩٢ أيضاً .

سفيقة Masque وعلى غطائه المنحوت باتقان تمثال الميت ناتئاً يمثل امرأة يونانية هي دفينة الناووس فنقل هذا الغطاء الى دمشق وهو الآن في متحفنا العربي فيها على يمين الداخل إلى قاعة التماثيل في الرواق الخارجي وحجره أبيض أشبه بالرخام ضخم جميل النقش متقنه من عهـد السلوقيين . وفي معرض مرسيلية المقام منذ مدة لآثار سـورية نصب فينيقي من القرن الخامس قبل الميلاد يمثل ملك جبيل ايشافيميلل واقفاً امام بعلة جبيل يقدم لها كوباً عظيماً وهو مما اكتشف فيهـــا في السنة الماضية وقد وقف على بعضها الاب رنزڤال ورسمها وبينها قطعتا نصبين احدهما لرعمسيس الثـاني والآخر لتحوتمس (طوتميس) الثالث . وقطعة ثالثة تمثل تقدمة مصري للالهة (بنت) سيدة جبيل .

واكتشف في جبيل أيضاً بضعة نواويس أحدها موجود الآن في مغارة رمل عين ياسمين . والآخر قربها ... الخ . وصباح الخميس في ١٦ شباط ١٩٢٢ م انهار جانب من الارض التي في جوار اسكلة جبيل غربي قلعتها في آخر المدفن قرب سور المدينة في محلة (قبة بنت الملك) الملقبة بالشامية وهي على علو عشرين متراً فتدحرجت الصخور إلى البحر وظهر في سفح تلك الرابية مغارة بابهاصخري علوه نحو مترين وعرضه متر يطل على دهليز عميق يتغلغل تحت الجبل وعلى بضعة أمتار من المغارة داخل الدهليز ناووس من الحجر المصري وتلك المغارة تبعد عن الشاطىء نحو ثمانية أمتار .

فبادر المسيو ڤيرولو المذكور آنفاً وفتح الناووس فوجد فيه بعض آثار وآنية مختلفة الاشـكال من الرخام الابيض والخزف والشبه (البرونز) وبينها حلية اشبه بالحيـة شكلا وصحيفتان شكل كل منهما كالباشق وذلك من الرموز المصرية [1] . وكتابة

(١) اتخذ المصريون الحية عن الكنعانيين فصوروا معبودهم الأكبر « كينان » اي مهندس الكون بصورة حية في فمها بيضة، والمعبود «طوث » وهو اله الشفاء بصورة حية تعض ذنبها. وصوروا المعبود «هيجيا» وعلى عنقها حية تشرب من كأس في يدها، والمعبود « ايزيس » بصورة حية الى كثير من هذه الرموز الغريبة واما الباشق فرمزوا به إلى إلههم « حُوْر » وهو ابولون عند اليونان وكان معبده العظيم في مدينة « دب » المعروفة الآن بادفو في القطر المصري ولعل هيكله كان في قرية «عين حور » من وادي الزبداني في سورية

قصيرة فيها خمس علامات هيروغليفية على طرف كأس كانت موضوعة على صدر الميت داخل ناووسه ، اما رفاته فلا أثر له . ولكن ظهرت رقاع من كسائه وآنية مدفونة بقربه على عادة تلك الايام .

وعلى زوايا غطاءِ الناووس الأربع نواتىء اشبه بالفطر وحجره أبيض من مقاطع جبيل وقد حطمت احدى نواتئه مع زاوية الغطاء طلباً لما فيه من الكنوز على زعمهم .

ولعلّ هذا الرمس هو قبر لكاهن هيكل « ايزيس » الذي اكتشف آثاره منذ شهرين المسيو مونته قرب صخور جبيل كما مرّ آنفاً .

وفي المغارة رمس ضخم يكاد يملأها كبراً ولذلك يرجح انه انزل اليها من نافذة في السقف .

ولما فتح الناووس بقيت المغارة بلا خفير فنقب فيها بعض الأولاد الذين اختلفوا اليها لمشاهدتها فوجدوا ثقباً يوصل إلى شعب فيها فدخلوه فوجدوا هناك آثاراً خزفية مثل اباريق وآنية مختلفة . ووجد على مقربة من الناووس آنية خزفية أيضاً منها جرّتان اشبه بجرار المصريين وثلاثة اغطية كأنها المعاجن « الفخارية » الشائعة عندنا .

وظهر في الناووس بضع صفائح من الخزف وآنية خزفية محطمة وقطعة نحاسية عكفاء الرأس كالفأس ومقبضها من خشب ولها سوار ذهبي كأنها من أسلحة ذلك العهد ، وقطع أخرى من النحاس .

فكان هذا الناووس من أكبر ما اكتشف من نوعه طوله نحو مترين وثلاثة أرباع وعلوه نحو متر ونصف وارتفاع غطائه نحو ثلث متر .

فاعتنت الحكومة بعمل باب خشبي لتلك المغارة ووكلت خفارتها إلى مدير تلك الناحية حفظاً لها من عبث ايدي الجهلة بها [1]

عيسى اسكندر المعلوف

---

(١) ولقد اخبرني صديقي العلامة الاثري المسيو لوري ان ادارة الآثار تنقل ما كان منها غير اسلامي ويمكن نقله إلى دائرة البلدية في بيروت (امام ساحة السمك حيث المكتبة العامة) لحفظها في متحف هناك والآثار الاسلامية تنقل إلى دار آل العظم في دمشق لتعرض فيها مع غيرها مما يجمع هنا .

غابر الاندلس وحاضرها

(٩) العلم في الاندلس

قال لنا الدكتور روزيه[١] رئيس جامعة لوزان في سويسرا سابقاً انني طوفت بلاد الاندلس ورأيت آثارها الباقية من عهد العرب فأعجبت بها كل الاعجاب ومما شهدته السدود القائمة إلى اليوم في ولاية بلنسية فان اهل هذه الولاية من الاسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود ولم يتيسر لمدنية القرن العشرين أن تقيم أرقى مما أنشأه أبناء جنسكم في القرون الوسطى ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذي دك كثيراً من المعالم في أرض اندلس على نسف هذه السكور على وادي الاحمر وغيرها والا لهلك أهل ذاك الاقليم عطشاً ومن الاسف أن مدنية هذه بعض آثارها تذهب ولا من يبكيها فقبح من قضوا عليها وأوصلوكم إلى ما أنتم عليه من الانحطاط .

جملة لا يزال صداها يتردد في أذننا منذ فاوهنا بها العالم السويسري من بضع سنين وقد ذكرنا بها عهد الاندلس وعهد عمرانه الزاهر وارتقائه الباهر . ذكرنا بالامس أمة عربية اوروبية تشبه الغربيين في تصوراتها وآدابها وعلومها ولكنها شرقية عربية مسلمة باقامة شعائر دينها وأخلاقها وعاداتها وقلنا اننا معاشر العرب على كثرة عنايتنا أيام عزنا بتقييد علوم ديننا ولساننا وما إلى ذلك لم نكن في العناية بالعلوم التي هي اليوم العلوم الحقيقية كالرياضيات والطبيعيات والكيمياء والفلسفة والطب والفلك دون ذلك بكثير وإلا لما قامت مصانع الاندلس على النظام الذي يرى الناس أثره ويعجبون به على اختلاف العصور ولما أعجب الاستاذ روزيه اليوم بهندسة العرب لسدود بلنسية الباقية لعهدنا بعد انقراض دولة العرب من تلك البلاد زهاء أربعة قرون .

ولقد حدث الثقات ان الغربيين من المجاورين للاندلس كالفرنجة أي الفرنسيس

---

(١) من محاضرة « العرب في الاندلس » القيناها في النادي العربي بدمشق مساء ٢ حزيران ١٩١٩

والالمان وسكان بر رومية أي الطليان وكانوا أمثل الافرنج مدنية لذاك العهد لم يكونوا الا دون جيرانهم عرب الاندلس في العلم واعمال العمران والصناعات والزراعة ولو لا علماء الكيمياء والهندسة والنبات والطب من العرب لتأخرت المدنية في اوربا زمناً طويلاً .

ولذلك كانت الاندلس في عهد العرب كعبة العلم يحج إليها أذكياء الطلاب من فرنسا وايطاليا وغيرهما كما يحج اليوم طلاب العلم إلى كليات فرنسا والمانيا وانكلترا والبلجيك وسويسرا وهولاندة .

أخذ عشرات من الافرنج العلوم عن عرب الاندلس وترجموها باللاتينية ومنها ما فقد أصله العربي اليوم وبقيت ترجمته فقط [١] . وان العلوم التي تلقاها جربرت الذي أصبح باباروميه باسم سلفستر الثاني عن عرب الاندلس كانت موضوع اعجاب معاصريه حتى اتهموه بالسحر .

كانت الاندلس قبل تغلب بني أمية عليها سنة ٩٢ هـ خالية من العلم لم يشتهر عند أهلها أحد بالاعتناء به إلا أنه يوجد فيها طلسمات قديمة في مواضع مختلفة وقع الاجماع على انها من عمل ملوك رومية اذ كانت الاندلس منتظمة بمملكتهم . ولما استقر الامر لبني أمية عني جماعة من أهلها بطلب الفلسفة ونالوا أجزاءً كثيرة منها وفي أيام الامير الخامس من بني أمية وهو محمد بن عبد الرحمن أي في أواسط المئة الثالثة تحرك أفراد من الناس إلى طلب العلوم أي غير علوم الشريعة واللغة ولم يزالوا يظهرون ظهوراً غير شائع إلى قريب وسط المائة الرابعة .

ذلك لأن رجال الدين كانوا أصحاب صولة وتأثير في النفوس ومن عادة من جهل شيئاً أن يعاديه فتوهم بعضهم ان هذه العلوم الدنيوية مدرجة إلى الزهد في العلوم الاخروية فكانوا يشددون النكير على من يتعاطونها ولكن أكثر ملوك بني أمية ومن بعدهم من ملوك الاندلس كانوا أعقل من أن يطاوعوهم في النيل ممن يريدون الايقاع بهم لمخالفتهم لهم في العلوم التي يعنون بها .

اشتهر بين وسطي المئة الثالثة والرابعة من العلماءِ أبو عبيدة مسلم البلنسي المعروف

(١) راجع ما كتبه هوار في تاريخ العرب في أسماءِ نقلة الافرنج في العلوم عند العرب وما كتبه نالينو في كتابه علم الفلك عند العرب المطبوع في رومية .

بصاحب القبلة كان عالماً بحركات الكواكب واحكامها وصاحب فقه وحديث ومنهم يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة كان بصيراً بحساب النجوم والطب وغير ذلك متصرفاً في العلوم متفنناً في ضروب المعارف وكان معتزلي المذهب توفي سنة ٣١٥ ومنهم محمد بن اسمعيل المعروف بالحكيم وكان عالما بالحساب والمنطق نحوياً لغوياً توفي سنة ٣٣١

انتدب الامير الحكم في أيام أبيه عبد الرحمن صدر المائة الرابعة إلى العناية بالعلوم فاستجلب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار الشرق عيون التواليف الجليلة في العلوم القديمة والحديثة وجمع منها في بقية أيام أبيه ثم في مدة ملكه ما كاد يضاهي ما جمعته ملوك بني العباس في الازمان الطويلة فكثر تحرك الناس في أيامه إلى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذاهبهم .

وقام بعده ابنه هشام فعمد إلى خزائن أبيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها وأراد استخراج ما فيها من ضروب التآليف بحضر خواص من أهل العلم بالدين وامرهم باخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الاوائل حاشا الطب والحساب وأمر باحراق ما عدا ذلك وافسادها فاحرق بعضهاوطرح بعضها في آبار القصر وهيل عليها التراب والحجارةوغيرت بضروب من التغايير فعل ذلك تحبباً إلى عوام الاندلس وتقبيحاً لمذهب الخليفة الحكم عندهم إذ كانت تلك العلوم مهجورة عند اسلافهم مذمومة بألسنة رؤسائهم وكان كل من قرأها متهماً عندهم بالخروج عن الملة ومظنوناً به الالحاد في الشريعة فسكن أكثر من كان تحرك للحكمة عند ذلك واضمحلت نفوسهم وتستروا بما كان عندهم من تلك العلوم ولم يزل أولو النباهة من ذلك الوقت يكتمون ما يعرفونه منها ويظهرون ماتجوز لهم فيه من الحساب والفرائض والطب وما أشبه ذلك إلى أن انقرضت دولة بني أمية من الاندلس .

قال هذا القاضي صاعد وتؤيده رواية ابن سعيد في المغرب قال وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم فان لهما حظاً عظيماً عند خواصهم ولا يتظاهر بها خوف العامة فانه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة

اسم زنديق وقيدت عليه أنفاسه فان زلّ في شبهة رجموه بالحجارة أو حرقوه قبل ان يصل أمره للسلطان أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة وكثيراً ما يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت وبذلك تقرب المنصور بن أبي عامر لقلوبهم أول نهوضه وان كان غير خال من الاشتغال بذلك في الباطن على ما ذكره الحجاري .

قال ابن حزم : واما كتب الفلسفة فامامها في عصرنا أبو الوليد بن رشد القرطبي وله فيها تصانيف جحدها لما رأى من انحراف منصور بني عبد المؤمن عن هذا العلم وسجنه بسببها وكذلك ابن حبيب الذي قتله المأمون بن منصور المذكور على هذا العلم باشبيلية وهو علم ممقوت بالاندلس لا يستطيع صاحبه اظهاره وكان مطرف الاشبيلي قد اشتغل بالتصنيف في علم النجوم الا أن أهل بلده كانوا ينسبونه إلى الزندقة بسبب اعتكافه على هذا الشأن فكان لا يظهر شيئاً مما يصنف .

وقال أيضاً من رسالة أهل قرطبة انهم من التمكن في علوم القراآت والروايات فقط وكثير من الفقه والبصر بالنحو والشعر واللغة والخبر والطب والحساب والنجوم بمكان رحب الفناء واسع العطن متنائي الاقطار فسيح المجال . وقد ذكر ابن حزم في رسالته هذه من نبغ في الاندلس من المؤلفين في علوم الدين والنسب والتاريخ والطب وعد بعض كتبهم قال واما الفلسفة فاني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيوناً مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقسطي دالة على تمكنه من هذه الصناعة واما رسائل أستاذنا أبي عبد الله محمد بن الحسن المذحجي في ذلك فمشهورة متداولة وتامة الحسن فائقة الجودة عظيمة المنفعة . وقال لم يؤلف في الازياج مثل زيج مسلمة وزيج ابن السمح وهما من أهل بلادنا وكذلك أحمد بن نصر

وقال آخر واما كتب علم الموسيقى فكتاب أبي بكر بن باجة الغرناطي من ذلك فيه كفاية وهو في الغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالشرق وإليه تنتسب الالحان المطربة بالاندلس التي عليها الاعتماد وليحيي الخدج كتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لأبي الفرج وهو ممن ادرك المئة السابعة قال صاعد ولما افترق الملك في صدر المائة الخامسة من الهجرة بين ملوك الطوائف واقتعد كل منهم قاعدة من أمهات البلاد فاشتغل بهم ملوك الحاضرة العظمى قرطبة من امتحان الناس واضطرت الفتنة إلى بيع

ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع فبيع ذلك باوكس ثمن واتفه قيمة انتشرت تلك الكتب باقطار الاندلس ووجد في خلالها اعلاق من العلوم القديمة كانت افلتت من أيدي الممتحنين بحركة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر واظهر أيضاً كل من كان عنده من الرعية شيء ما كان لديه منها فلم تزل الرغبة ترتفع من حين ذلك في طلب العلم القديم شيئاً فشيئاً ثم أبيحت تلك العلوم الى أن زهد الملوك فيها وفي غيرها فقلّ طلاب العلم وصاروا أفراداً بالاندلس .

فمن أعلام هذه العلوم على ذاك العهد أبو غالب بن عبادة الفرائضي كان مشهوراً بعلم العدد وأبو أيوب عبد الغافر بن محمد أحد المهرة بعلم الهندسة ، وعبد الله بن محمد المعروف بالسري كان عالماً بالعدد والهندسة وكان ينسب اليه العلم بصناعة الكيمياء ومنهم أبو بكر بن أبي عيسى كان مقدماً في العدد والهندسة والنجوم وسائر العلوم الرياضية فكان يجلس لتعليم ذلك في أيام الحكم ، وعبد الرحمن بن اسمعيل بن زيد المعروف بالاقليدي كان متقدماً في علم الهندسة معتنياً بصناعة المنطق ، وأحمد بن حماد القرطبي (٣٣١) عالم بالحساب والهندسة ،وأبو القاسم أحمد بن محمد العدوي كان معلماً بعلم العدد والهندسة نافذاً فيها ،وأبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطي كان متحققاً اماماً في علم النحو واللغة وله تآليف في الموسيقى ورسائل في الفلسفة . وأبو القاسم مسلمة بن أحمد المعروف بالمرحيط كان امام الرياضيين في الاندلس في وقته واعلم ممن كان قبله بعلم الافلاك وكانت له عناية بارصاد الكواكب وله كتاب حسن في تمام علم العدد وهو المعنى المعروف بالمعاملات وكتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيج البتاني وعني بزيج محمد بن موسى الخوارزمي وصرف تاريخه الفارسي إلى التاريخ العربي ووضع أوساط الكواكب لأول تاريخ الهجرة وزاد فيه جداول حسنة توفي في سنة ٣٩٨ وقد أنجب تلاميذ جلة ولم ينجب عالم بالاندلس مثلهم فمن أشهرهم ابن السمح وابن الصفار والزهراوي والكرماني وابن خلدون .

فاما ابن السمح القاسم اصبغ بن محمد بن السمح المهندس فكان متحققاً بعلم العدد والهندسة متقدماً في علم هيئة الافلاك وحركات النجوم وكانت له مع ذلك عناية بالطب وله تواليف حسنة في الهندسة وعمل الاسطرلاب والازياج ومنها زيجه الذي ألفه على

أحد مذاهب الهند المعروف بالسند هند توفي سنة ٤٢٦ .واما ابن الصفار فهو ابو القاسم احمد بن عبد الله بن عمر كان متحققاً أيضاً بعلم العدد والهندسة والنجوم وقعد في قرطبة لتعليم ذلك وكان له أخ يسمى محمداً مشهور بعمل الاسطرلاب لم يكن بالاندلس قبله اجمل صنعاً لها منه .

واما الزهراوي فهو ابو الحسن علي بن سليمان كان عالماً بالعدد والهندسة معتنياً بعلم الطب . واما الكرماني فهو ابو الحكم عمرو بن عبد الرحمن من أهل قرطبة احد الراسخين في علم العدد والهندسة رحل إلى الشرق وانتهى الى حران من بلاد الجزيرة وعني هناك بعلم الهندسة والطب ثم رجع إلى بلاد الاندلس وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل اخوان الصفا ولم يدخلها احد من أهل الاندلس قبله ومحله من العلوم النظرية المحل الذي لايجارى فيه توفي بسرقسطة سنـــة ٤٥٨ .واما ابن خلدون (هو غير عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ) فهو ابو مسلم عمرو بن احمد بن خلدون الحضرمي من اشراف أهـــل اشبيلية في علوم الفلسفة مشهور بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبهاً بالفلاسفة في اصلاح اخلاقه وتعديل سيرته وتقويم سياسته توفي سنة ٤٤٩

ومن مشاهير تلاميذ ابي القاسم احمد بن عبد الله الصفار ابن برغوث والواسطي وابن شهر والقرشي والامظش المرواني وابن العطار . فاما ابن برغوث فهو محمدبن عمربن محمد المعروف بابن برغوث كان متحققاً بالعلوم الرياضية مختصاً منها بايثار علم الافلاك وهيئاتها وحركات الكواكب وارصادها وكان له مع ذلك تحقق بعلم النحو ومعرفة القرآن والفقه والوثائق وإشراف حسن على سائر العلوم توفي سنة ٤٤٤ . واما الواسطي فهو ابو الاصبغ عيسى بن احمد أحد المتمكنين من علم العدد والهندسة والفرائض وقعد بقرطبة لتعليم ذلك وله أيضاً بصر بجمل من علم هيئة الافلاك وحركات النجوم .واما ابن شهر فهو ابو الحسن مختار بن شهر الرعيني كان بصيراً بالهندسة في النجوم متقدماً في اللغة والنحو والحديث والفقه شاعراً متكلماً ذا دهاء ومعرفة بالسير والتواريخ.واما ابن العطار فهو محمد بن خيرة العطار فكان من تلاميذ ابن الصفار متقناً لعلم العدد والهندسة والفرائض وله بصر بصناعة النجوم وعناية بعلم حركاتها .

ومن مشاهير تلاميذ ابن السمح ابو مـــروان سليمان بن محمد بن عيسى بن الناشي

وهو بصير بالعدد والهندسة ممتن بصناعة الطب واحكام النجوم. وابو جعفر احمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار المتطبب . ومن نظراء هذه الطبقة عبد الله بن احمد السرقسطي كان نافذاً في علم العدد والهندسة والنجوم وقعد لتعليم ذلك في بلده توفي سنة ٤٤٨ ومنهم ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن ابراهيم الاشبيلي كان بصيراً بعلوم البرهان واللسان والمساءلة متفنناً في ضروب المعارف صنعاً لطيف اليد توفي سنة ٤٢٠

ومن مشاهير اصحاب ابن برغوث ابن الليث وابن الجلاب وابن حي. فاما ابن الليث فهو محمد بن احمد بن الليث كان متحققاً بعلم العدد والهندسة معتنياً بعلم حركات الكواكب وارصادها وكان مع هذا بصيراً بالنجوم واللغة والفقه توفي سنة ٤٠٥ واما ابن حي فهو الحسن بن محمد التجيبي من أهل قرطبة كان بصيراً بالهندسة والنجوم كلفاً بصناعة التعديل وله فيها مختصر على مذهب السند هند وخرج من الاندلس سنة ٤٤٢ ولحق بمصر ثم رحل إلى اليمن واتصل باميرها المسبحي وكان ملكه اذ ذاك يشتمل على بعض افريقية وجميع مصر والشام وجزيرة العرب والحجاز وتهامة ونجد واليمن حظي عنده وتوفي سنة ٤٥٦ واما ابن الجلاب فهو الحسن بن عبد الرحمن المعروف بابن الجلاب احد المتحققين بعلم الهندسة وهيئة الافلاك وحركات النجوم وله مع ذلك عناية بالمنطق والعلم الطبيعي.

ومنهم ابو الوليد هشام بن احمد بن هشام بن خالد الكناني المعروف بابن الوقشي من أهل طليطلة احد المتفننين في العلوم المتوسعين في ضروب المعارف من أهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقق بصناعة الهندسة والمنطق والرسوخ في علم النحو واللغة والشعر والخطابة والإحكام لعلم الفقه والاثر والكلام وهو مع ذلك شاعر بليغ ليس يفضله عالم بالانساب والاخبار والسير مشرف على جمل سائر العلوم ومن نظراء هؤلاء ابو جعفر احمد بن خميس بن عامر بن منيح من أهل طليطلة احد المعتنين بعلم الهندسة والنجوم والطب وهو من لدات القاضي ابي الوليد هشام بن احمد بن هشام وابي اسحق ابراهيم بن لب التجيبي المعروف بالقويدس قعد للتعليم بذلك زمناً وكان له بصر بعلم هيئة الافلاك وحركات النجوم ونفوذ في العربية توفي سنة ٤٥٤ .ومنهم محمد بن عبد الله بن مرشد مولى ابن طلس الوزير كان كاتباً كامل الصناعة يجمع الى ذلك النبوغ في علوم كثيرة من الحساب والتنجيم والهندسة توفي سنة ٤٤٨

وكان في القرن الخامس للهجرة أفراد من الاحداث في الاندلس مشتغلون بعلم الفلسفة ذوو افهام صحيحة وهمم رفيعة فمنهم من سكان طليطلة وجهاتها أبو الحسن علي بن خلف بن أحمر وأبو مروان عبد الله بن خلف الاستجي وأبو جعفر أحمد بن يوسف التهلاكي وعيسى بن أحمد بن العالم وابراهيم بن سعيد السهيلي الاصطرلابي . ومن أهل سرقسطة الحاجب أبو عامر بن الامير المقتدر بالله وأبو جعفر أحمد بن جوشن . ومن أهل بلنسية أبو زيد عبد الرحمن بن سيد .

وأبرع هؤلاء في الهندسة علي بن أحمر الصيدلاني وأبو جعفر أحمد بن جوشن واعلمهم بحركات النجوم وهيئة الافلاك أبو اسحق ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بولد الزرقيال -والزرقيال نسبة لآلة سموها الزرقلة وهي صحيفة لرصد الكواكب- فانه أبصر أهل القرن الخامس بارصاد الكواكب وهيئة الافلاك وحساب حركاتها واعلمهم بعلم الازياج واستنباط الآلات النجومية وأحمد بن يوسف يعرف بابن كاد (حماد ؟) كان من أهل المعرفة بالعدد وصناعة النجامة، وبنى أزياجه ومنها القبس والمستنبط على أرصاد أبي اسحق الطيلطلي المعروف بالزرقالة. واما أبو عامر بن الامير بن هود فهو مع مشاركته لهؤلاء في العلم الرياضي منفرد دونهم بعلم المنطق والعناية بالعلم الطبيعي والعلم الالهي .

وكان عبد الرحمن بن اسمعيل بن بدر المعروف بالاقليدس الأندلسي متقدماً في علم الهندسة معتنياً بصناعة المنطق . وموسى بن ميمون الاسرائيلي الاندلسي قرأ علم الأوائل وأحكم الرياضيات وشدا أشياء من المنطقيات وأبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة عالماً بعلوم الاوائل لم يبلغ أحد درجته من أهل عصره في مصره وله تصانيف في الرياضيات والمنطق والهندسة أربى فيها على المتقدمين .قال القفطي الا أنه يتمسك بالسياسة المدنية وينحرف عن الأوامر الشرعية استوزره أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة وكانت وفاته في سنة ٥٣٣

وممن اعتنى بصناعة المنطق خاصة من سائر الفلسفة أبو محمد بن حزم القرشي وكان أبوه أحد العظماء من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزر لابنه المظفر وكان ابنه أبو محمد وزيراً أيضاً لعبد الرحمن المستظهر بالله ثم نبذ هذه الطريقة واقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن وعني بعلم المنطق . ومنهم أبو الحسن علي بن اسمعيل بن سيده

الأعمى وكان أبوه أيضاً أعمى عني بعلوم المنطق عناية طويلة والّف فيها تأليفاً كبيراً ذهب فيه إلى مذهب متى بن يونس وهو بعد هذا أعلم أهل الاندلس قاطبة بالنحو واللغة والاشعار وله في اللغة تواليف جليلة منها المحكم والمحيط الاعظم والمخصص وشرح اصلاح المنطق وشرح كتاب الحماسة ٤٥٨

ومن أعاجيب النوابغ الاندلسيين الذين فقدوا بصرهم ولم يفقدوا بصيرتهم ابن الحناط الكفيف الذي قال فيه ابن حيان انه كان أوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والاسلام بصيراً بالآثار العلوية عالماً بالافلاك والهيئة حاذقاً بالطب والفلسفة ماهراً في العربية واللغة والآداب الاسلامية وسائر التعاليم الاوائلية .ولد أعشى ضعيف البصر متوقد الخاطر فقرأ كثيراً في حال عشاه ثم طفىء نور عينيه بالكلية فازداد براعة ونظر في الطب بعد ذلك فانجح علاجاً وكان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده فيهتدي منها إلى ما لا يهتدي البصير ولا يخطىء الصواب في فتواه ببراعة الاستنباط وتطبب عنده الأعيان والملوك والخاصة فاعترف له بمنافع جسيمة .

واما العلم الطبيعي والعلم الالهي فلم يعن أحد من أهل الاندلس بهما كبير عناية ومن المشتغلين بهما ابن النباش التيجاني وأبو عامر بن الامير بن هود وأبو الفضل بن حسداي الاسرائيلي . وأما صناعة الطب فلم يكن بالاندلس من استوعبها ولا لحق بأحد من المتقدمين فيها وأول من اشتهر منهم بالاندلس أحمد بن اياس من أهل قرطبة ومحمد بن عبد الله الاوسط ويعرف بالحراني ومنهم يحيى بن اسحق أحد وزراء الناصر لدين الله وسعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه مولى الامير هشام الرضى بن عبد الرحمن الداخل وهو ابن أخي أحمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر صاحب العقد وكان له بصر بحركات النجوم ومهاب الرياح وتغيير الاهوية . ومنهم عمر بن بريق واصبغ بن يحيى وأحمد بن حكم بن حفصون وكان هذا طبيباً نبيلاً دقيق النظر بصيراً بالمنطق مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومنهم محمد بن تمليخ وأبو الوليد محمد بن الحسين المعروف بابن المكناني كان عالماً بالطب حسن العلاج ومنهم عبد الملك الثقفي كان عالماً بالطب والهندسة وكان الطب أغلب عليه ومنهم عمر وأحمد ابنا يونس بن أحمد الحراني . ومنهم محمد بن عبدون الجبلي وكان قبل أن يتطبب مؤدباً في الحساب والهندسة ومنهم

سليان بن حسان المعروف بابن جلجل وعبد الله بن اسحق المعروف بابن الشناعة المسلماني الاسرائيلي وابو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الكناني المظفر وكان بصيراً بالطب متقدماً فيه ذا حظ من المنطق والنجوم وكثير من علوم الفلسفة، ومنهم ابو العرب يوسف بن محمد احد المتحققين بصناعة الطب توفي سنة ٤٣٠

ومن اشهرهم احمد بن ابراهيم الانصاري من أهل بلنسية كان من أهـل العلم بالفرائض والحساب لايجارى في التعاليم قعد لتعليم الحساب والهندسة ٥٩٣ ومنهم ابو عثمان سعيد بن البغونش عالم بعلم العدد والهندسة والطب ٤٤٤ ومنهم الوزير ابو المطرف عبد الرحمن اللخمي عني عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وارسطوطاليس وغيرهما من الفلاسفة وتمهر في علوم الادوية المفردة حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد في عصره وألف فيها كتاباً جليلاً لا نظير له جمع فيه ما تضمنه كتاب ديسقوريدوس وكتاب جالينوس في الادوية المفردة وكان له في الطـب منزع لطيف وذلك انه لا يرى التداوي بالأدوية ما أمكن التداوي بالأغذية أو ما كان قريباً منها فاذا دعت الضرورة إلى الأدوية فـلا يرى التداوي بمركبها ما وصل إلى التداوي بمفردها فان اضطر إلى المركب لم يكثر التركيب بل اقتصر على أقل ما يمكن منه .

ومنهم أبو مروان بن زهر الاشبيلي وأبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن الذهبي وأبو عبد الله محمد البجائي المعروف بابن النباش معتن بصناعة الطب ذو معرفة جيدة بالعلم الطبيعي ومشاركة في الالهي وتحقق بعلم الأخلاق والسياسة وبصر بصناعة المنطق . وممن عني بطلب الفلسفة والهندسة والمنطق أبو الحسن عبد الرحمن بن خلف ابن عساكر كان صنع اليدين متصرفاً في ضروب من الأعمال اللطيفة والصناعات الدقيقة .

ولم تزل صناعة احكام النجوم نافقة بالأندلس قديماً وحديثاً فمن مشاهير المشتغلين بها أبو بكر يحيى بن أحمد المعروف بابن الخياط وأبو مروان الاستجي أحد المتحققين بعلم الأحكام والمشرفين على كتب الأوائل والأواخر وله في التسييرات ومطارح الشعاعات وتعليل بعض أصول الصناعة رسالة فاضلة لم يتقدمه أحد إليها . ومن المذكورين أبو الاصبع عثمان القري من أهل قرطبة وكان علمه الذي ينسب اليه ويغلب عليه التنجيم ومنهم عبد الرحمن بن وافد اللخمي من أهل طليطلة رحل إلى قرطبة فلقي بها

القاسم خلف بن عباس الزهراوي واخذ عنه علم الطب وكان مع تقدمه في ذلك فقيهاً عالماً متفنناً وله في الفلاحة مجموع مفيد وكان عارفاً بوجوهها وهو الذي تولى غرس جنة المأمون بن ذي النون الشهيرة بطليطلة توفي سنة ٥٦٨ وممن لم يشتهروا محمد بن عيسى بن ينق ابو عامر من أهل شاطبة لازم ابا العلاء بن زهر باشبيلية واخذ عنه علمه وبرع في الطب والادب وتوفي سنة ٥٤٧

ومن الاطباء بالاندلس جواد الطبيب النصراني كان في ايام الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط وله اللعوق المنسوب إلى جواد وله دواء الراهب والشرابات والسفوفات. وكان خالد بن يزيد بن رومان النصراني بقرطبة صانعاً بيده عالماً بالادوية الشجارية وابن ملوكة النصراني كان في ايام الامير عبيد الله واول دولة الامير عبد الرحمن الناصر وكان يصنع بيده ويفصد العروق وكان على بابه ثلاثون كرسياً لقعود الناس وعمران بن ابي عمرو واسحق الطبيب المسيحي كان مقيماً بقرطبة وكان صانعاً بيده مجرباً يحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة وتحنك فاق به جميع أهل دهره ومنهم سليمان ابو بكر بن تاج كان في دولة الناصر وابن ام المؤمنين وابو بكر احمد بن جابر وابو عبد الملك الثقفي كان طبيباً أديباً عالماً بكتاب اقليدس وبصناعة المساحة وهرون بن موسى الاشبولي وعبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم . والرميلي كان بالمرية في ايام ابن معن المعروف بابن صمادح ويلقب بالمعتصم بالله .

ومنحم بن الفوال يهودي من سكان سرقسطة كان متقدماً في صناعة الطب متصرفاً في علم المنطق وسائر علوم الفلسفة ومروان بن جناح كان يهودياً وله عناية بصناعة المنطق وتوسع في علم لسان العرب واليهود ومعرفة جيدة بصناعة الطب. ومنهم اسحق بن قسطار وكان يهودياً أيضاً وكان بصيراً باصول الطب مشاركاً في علم المنطق مشرفاً على آراء الفلاسفة وله تقدم في اللغة العبرانية وبراعة في فقه اليهود وهو حبر من احبارهم . ومنهم حسداي بن اسحق وكان من احبار اليهود متقدماً في علم شريعتهم وهو أول من فتح لاهل الاندلس منهم باب علمهم من الفقه والتاريخ وغير ذلك وكانوا قبل يضطرون في فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت أعيادهم إلى يهود بغداد فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفون مداخل تاريخهم ومبادىء سنيهم فلما اتصل حسداي

بالحكم ونال عنده نهاية الحظوة توصل به إلى استجلاب ماشاء من تآليف اليهود بالمشرق فعلم حينئذ يهود الاندلس ما كانوا يجهلون واستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه .

ومنهم الفضل حسداي من ساكني مدينة سرقسطة ومن بيت شرف اليهود بالاندلس عني بالعلوم على مراتبها وتناول المعارف من طرقها فاحكم علم لسان العرب ونال حظاً جزيلاً من صناعة الشعر والبلاغة وبرع في علم العدد والهندسة وعلم النجوم وفهم صناعة الموسيقى وحاول عملها واتقن علم المنطق وتمرن بطرق البحث والنظر واشتغل أيضاً بالعلم الطبيعي وكان له نظر في الطب ومنهم ابو جعفر بن أحمد بن حسداي كان آية في الطب والمنطق. ومنهم ابن سمحون ابو بكر حامد .

وكان ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري من مرسية واعيان أهل الاندلس واكابرهم فاضلاً في معرفة الادوية المفردة وكان أبو جعفر الغافقي والشريف محمد بن محمد الحسني وخلف بن عباس الزهراوي وابن بكلارش من اكابر علماء الاندلس في صناعة الطب وابن الصلت امية بن عبد العزيز من بلد دانية من شرق الاندلس وهو من اكابر الفضلاء في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم وكان اوحد في العلم الرياضي متقناً لعلم الموسيقى وعمله جيد اللعب بالعود .

ومن أعظم فلاسفة الاندلس ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة وكان في العلوم الحكمية علامة وقته متميزاً في العربية والادب والطب متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود قالوا انه لم يكن بعد ابي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم فانه إذا قرنت اقاويله فيها باقاويل ابن سينا والغزالي وهما اللذان فتح عليهم بعد ابي نصر بالمشرق في فهم تلك العلوم ودوّنا فيها بان لهذا الرجحانُ في اقاويله وفي حسن فهمه لاقاويل ارسطو ، والثلاثة ائمة دون ريب ، ومن حكمائهم الالاهيين أو المتصوفين الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي صاحب الفتوحات دفين دمشق .

ومنهم ابو العلاء بن زهر كان غاية في علوم الاوائل والطب وابو مروان بن ابي العلاء زهر وكان من كبار الاطباء . والحفيد ابو بكر بن زهر كان متميزاً في العلوم ولم يكن في زمانه اعلم منه بصناعة الطب ومنهم ابو الحفيد محمد بن ابي بكر بن زهر وابو جعفر بن هارون الترجالي من اعيان أهل اشبيلية وكان محققاً للعلوم الحكمية متقناً لها

معتنياً بكتب ارسطو طاليس وغيره من الحكماء المتقدمين فاضلاً في صناعة الطب عالماً بصناعة الكحل . وأبو الحجاج يوسف بن موراطير من شرقي الاندلس ، وموراطير قرية من بلنسية ، كان فاضلاً في صناعة الطب والأمور الشرعية أديباً شاعراً . ومنهم ابن أخته أبو عبد الله بن يزيد وأبو مروان عبد الملك بن قبلال وأبو اسحق ابراهيم الداني وكان أمين البيمارستان وطبيبه بالحضرة وكذلك ولداه وأبو يحيى بن قاسم الاشبيلي كان صاحب خزانة الاشربة والمعاجين التي يأخذها الخليفة المنصور من عنده .

وأبو الحكم بن غلندو الطبيب وأبو جعفر أحمد بن حسان وأبو العلاء بن أبي جعفر أحمد بن حسان وأبو محمد الشذوني وله معرفة جيدة بعلم الهيئة والحكمة والطب مشهور بالعلم وأبو الحسين بن اسدون شهر بالمصدوم الطبيب وعبد العزيز بن مسلمة الباجي وأبو جعفر بن الغزال وأبو بكر بن القاضي أبي الحسن الزهري وابن الحلاء المرسي وأبواسحق ابن طملوس من جزيرة شقر من أعمال بلنسية وأبو جعفر الذهبي وأبو العباس بن رومية النباتي العشاب وأبو العباس الكنبنازي وابن الأصم وغيرهم من الأطباء الذين كانوا يجمعون إلى الطب أدباًوشعراً أو فقهاًوحديثاًوقرآناً أوفلسفةومنطقاً أو نجوماً أو كيمياء .

هذه جملة اجمالية في بعض رجال العلم غير الديني في الاندلس ذاك القطر الذي إليه تنسب نحو نصف المدنية العربية الذي نقل أهله المدنية القديمة إلى أهل المدنية الحديثة فكانوا خير صلة وعائد بين الرومان واليونان والفرس وبين الانكليز والطليان والالمان والفرنسيس وقد تم ما تم من ذلك بفضل عقول خلفاء العرب وملوكهم هناك فقد كان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أحد ملوك الاندلس عالماً مفنناً مكرماً للعلماء والشعراء ولم يزل يبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك المغرب وكان ممن صحبه من العلماء والمتفننين أبو بكر محمد بن طفيل أحد فلاسفة المسلمين وكان هذا متحققاً بجميع أجزاء الفلسفة يأخذ الجامكية مع عدة أصناف من الخدمة من الاطباء والمهندسين والكتاب والشعراء والرماة والاجناد إلى غير هؤلاء من الطوائف وكان يقول لو نفق عليهم علم الموسيقى لأنفقته عندهم ولم يزل أبو بكر يجلب إليه العلماء من جميع الأقطار وينبهه عليهم ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم وهو الذي نبهه إلى أبي الوليد محمدبن رشد وأشار إليه بتلخيص كتب الحكيم

ارسطاطاليس لأن أمير المؤمنين كان يشكو من قلق عبارته أو عبارة المترجمين عنه وغموض أغراضه .

ومن المتأخرين في هذه العلوم أبو علي الصعلعل حسن بن محمد رئيس الموقتين بالمسجد الاعظم من غرناطة (٧١٦) قال لسان الدين . وكان فقيهاً اماماً في علم الحساب والهيئة أخذ عنه الجلة والنبهاء قائماً على الاطلال والرخائم والآلات الشعاعية ماهراً في التعديل مداوم النظر ذا استنباطات ومستدركات وتواليف نسيج وحده ورجعة وقته . ومثل أبي جعفر أحمد بن حسن بن باصة السلمي الموقت بالمسجد الأعظم بغرناطة كان نسيج وحده وقريع دهره معرفة بالهيئة واحكاماً للآلة الفلكية ينحت منها بيده ذخائر يقف عندها النظر وتستدعي الحيرة جمال خط واستواء صنعة وصحة وضع وبلغ في ذلك درجة عالية ونال عناية بعيدة حتى فضل بما ينسب اليه من ذلك كثيراً من الأعلام المتقدمين وازرت آلاته بالحمائريات والصفاريات وغيرها من آلات المحكمين وتغالى الناس في أثمانها أخذ ذلك عن والده الشيخ المتفنن شيخ الجماعة في هذا الفن . ومثل أبي العباس أحمد بن مفرج النباتي المشهور (٦٣٨) وابن جابر الرياضي المشهور والوزير ابن الحاج (٧١٤) كان من العارفين بالحيل الهندسية بصيراً باتخاذ الآلة الحربية الجافية والعمل بها انتقل إلى فاس واتخذ الدولاب المنفسح القطر البعيد المدى والمحيط المتعدد الأكواب الخفي الحركة . ومنهم ابن خاتمة الأديب الطبيب من أهل المئة الثامنة الذي كتب في الوباء[1] كتاباً عرف فيه الميكروب والجراثيم وأثبت العدوى بما لا يقل عن عالم من علماء هذا العصر وفيه يقول ابن الخطيب انه حسنة من حسنات الاندلس . ومن رجالات الاندلس واعلامها ابن طملس الوزير كان كاتباً مهندساً ، إلى من ضارعهم في علمهم من الاطباء والفلاسفة والحكماء والكيماويين ممن لا يعدم أناس من المؤرخين في صف العلماء جهلاً وتعنتاً .

هذا في العلوم الطبية والطبيعية والفلسفية والفلكية والرياضية وقد نبغ في الاندلسيين من العلماء في التاريخ والجغرافيا والأدب والرحلات أفراد ما برحت كتاباتهم مرجعاً إلى اليوم لكل عالم ومؤلف .

---

(١) المقتطف م ٢٨ ص ٣٠٤

وقد اشبهوا علماء الغرب لهذا العهد في العناية بالعلوم المادية وبرزوا فيها حتى نشأ لهم أئمة عظماء على ما رأيت سابقاً وألفوا فيها فأحسنوا احسانهم في صنائع لا يحسنها إلا صنع الأيدي دقاق النظر وكثيراً ما كانوا يبسطون المسائل ويتوسعون في تحقيقها ومنهم من يؤلف العشرة والعشرين مجلداً في علم واحد كما فعل أبو حيان مؤرخ الاندلس فألف كتابه في ستين مجلداً وألف أحمد بن ابان صاحب شرطة قرطبة كتاب السماء والعالم في مئة مجلد وموضوعه اللغة جمعه على الاجناس في غاية الايعاب بدأ بالفلك وختم بالذرة . وكثر فيهم المكثرون من التآليف المجودون فيها ومنهم من كان له مئة تأليف جيد . وقالوا ان تآليف ابن حزم بلغت نحو أربعمائة مجلد وتواليف عالم الاندلس عبد الملك بن حبيب السلمي بلغت ألفاً .

ومن مشاهيرهم ابن جبير الكناني (٦١٤) الذي رحل إلى المشرق كما رحل كثير من علماء الاندلس قبله إلى مصر والشام والعراق والحجاز وغيرها في طلب العلم وأخذ الحكمة ثم عادوا إلى بلادهم وكتب رحلته المشهورة البديعة .

واشتهر في الجغرافيا أبو عبيد البكري المتوفى سنة ٤٨٧ ﻫ صاحب كتاب معجم ما استعجم والمسالك والممالك ومحمد بن أبي بكر الزهري الغرناطي من أهل المئة السادسة والشريف الادريسي صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ويقال له كتاب رجار وذلك لأنه صنفه باسم رجار الثاني صاحب صقلية وجنوبي ايطاليا سنة ٥٤٨ وغيرهم .

ومن مؤرخيهم الحميدي وابن حيان وابن خلدون وابن الفرضي وابن بسام وابن بشكوال وابن الابار وابن سعيد وابن الخطيب ومن أدبائهم المشهورين ابن جزي وابن هاني وابن سهل الاسرائيلي ويحيى القرطبي وابن رزين وابن عمار وابن لبون والباجي وابن الدباغ وابن الجد وابن القبطرنة وابن عبد البر وابن السيد وابن عصام وابن عطية وابن خفاجة وابن وهبون وابن اللبانة وابن الصائغ وابن سارة الشنتريني وعبادة وابن وهبون وابن خروف وابن خاقان والمصحفي والأشجعي وابن جهور وابن سلمة واللماني وابن برد وابن أبي أمية ومنذر بن سعيد والزبيدي وابن القوطية وابن العربي (أبو بكر) وابن الأعلم والرمادي . ومن أديباتهم حفصة بنت الحاج الركوبي وعائشة بنت قادم وفاطمة الشيلاري وولادة بنت المستكفي بالله ومريم الفيصولي (الفصولي) وصفية بنت عبدالله

التربي والغسانية والبلشية والوادي آشية ولبنى كاتبة الحكم بن عبد الرحمن ومزنة كاتبة الأمير الناصر لدين الله وغالية المعلمة وريحانة المقرئة وفاطمة المغامي وقمر البغدادية وحسانة التميمية وأم العلا بنت يوسف الحجارية وأمة العزيز الشريفة الحسنية وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح المرية . والعروضية مولاة أبي المطرف عبد الرحمن بن غلبون واعتماد جارية المعتمد المشهورة بالرميكية والعبادية جارية المعتضد وبثينة بنت المعتمد ابن عباد . وحفصة بنت حمدون . وزينب المرية . وغاية المنى وعائشة القرطبية وأسماء العامرية وأم الهناء بنت القاضي عبد الحق ومهجة القرطبية وهند جارية عبد الله بن مسلمة الشاطبي الشلبية . وحمدة بنت زياد المكتب وأختها زينب قال ابن سعيد انهما شاعرتان أديبتان من أهل الجمال والمال والمعارف والصون إلا أن حب الأدب كان يحملها على مخالطة أهله مع صيانة مشهورة ونزاهة موثوق بها . وسمدونة وغيرهن .

هذه حالة العلوم في تلك المملكة التي بادت وباد سلطانها وقد رأيت كيف كثر المهندسون في بلنسية وغرناطة وقرطبة واشبيلية وغيرها من حواضر الاندلس وبأعمال هؤلاء الأعلام زخر بحر العمران وقامت مدنية العرب على امتن بنيان حتى دهش بها ابن القرن العشرين العلامة روزيه السويسري على ما تقدم بك آنفاً .

للبحث بقية

محمد كرد علي

صدى اعمال المجمع

٢

اطلعنا في (جريدة الوطن) الغراء على مقالتين شائقتين في وصف المجمع العلمي وأعماله فآثرنا اقتطاف فقرات من الأولى ونشر الثانية برمتها في هـذه المجلة اظهـاراً لفضل كاتبهما منشىء الوطن وحسن تدقيقه في بيان كل ما يتعلق بالمجمع ودار الآثار والتحف ودار الكتب العربية بمنتهى الايجاز والبلاغة والامانة وحرصاً على ما فيهما من الفوائد التاريخية التي يرغب في الوقوف عليها كل من يهمه ارتقاء هذا الوطن العزيز .

فمما جاء في مقالته الأولى [١] قوله :

وخرجنا نطوف الربوع الدمشقية ونتفقد آثارها ومعالمها ومعاهدها العجيبة فلم يستوقف نظرنا قديمها كما استوقفه حديثها . لأن القديم مشهور وقد سبقنا إلى وصفه كثيرون . اما الحديث فقد قل من عرفه غير الدمشقيين وأهمه في نظرنا (متحف المجمع العلمي) الذي أعددنا له وصفاً موعدنا بنشره في هذا الاسبوع ان شاء الله .

أما المقالة الثانية [٢] الموعود بها فهذه هي بحروفها :

لما اجتمعنا بحضرة حقي بك العظم حاكم الشام العام سألناه عن الاشاعة الرائجة هناك حول الغاء المجمع العلمي فنفاها نفياً باتاً وأظهر لنا عنايته الخاصة به وقال اني على أمل كبير من انه لا ينقضي عامان حتى تكون (مكتبة المجمع العلمي) قد أصبحت آية في المكاتب الشرقية .

ولقد وعدنا القراء في العدد السابق بوصف ذلك المجمع ومتحفه ومكتبته وعملاً بوعدنا نوجز لهم الوصف بما يلي :

ان المجمع العلمي مقره مدرسة الملك العادل أخي صلاح الدين الأيوبي الشهير في باب البريد قبالة بناية الملك الظاهر بيبرس البندقداري حيث المكتبة الظاهرية .

---

(١) العدد الـ ٢٢٢ من السنة الرابعة عشرة بتاريخ ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٢ م

(٢) العدد ٢٢٣ منها بتاريخ ٢١ حزيران

فالمدرسة العادلية الكبرى هذه بناها الملك العادل في القرن السابع للهجرة ودفن فيها بعد موته وفيها ضريحه عليه قبة شاهقة إلى يسار الداخل وفي داخل المدرسة التي رممها المجمع العلمي الدمشقي (بعد أن كانت حجارتها كلها مشوهة لاحراق التترايا ها مرتين) تجد فناء دار متسعاً وإلى اليمين قاعة التماثيل وفيها اكثر من ١٥٠ تمثالاً بين فينيقي ويوناني وروماني وتدمري وحثي وسوري من اهمها (ميترة) معبودة الفرس واسكولاب اله الطب وباخوس اله الخمر والهة النصر ولها تمثالان كاملان قد قطع رأساهما وهناك آثار بديعة وكتابات يونانية قديمة وصفيحة حديدية كانت تخماً لملكتي مصر وحث .

وهناك آثار من صناعات دمشق النحاسية ولاسيا ما عرف منها (بالظاهري) نسبة إلى الملك الظاهر الموما اليه والخزفية والقيشانية والزجاجية من اشكال كثيرة .

وفي صدر المدرسة تحت غرف المجمع حيث يستغل اعضاؤه قاعتان احداهما للنقود فترى فيها نقود الامويين المسكوكة من اواخر القرن الأول للهجرة إلى مابعدها ثم نقود الدول العربية والايوبية والعثمانية في جهة وفي جهة اخرى نقود الفرس والبيزنطيين والسلوقيين والرومانيين وكلها مئات والوف بين ذهبية وفضية ونحاسية رائعة الاشكال والنقوش والكتابات وبينها دينارالامير فيصل وقوالبه وهي بديعة الطرز.

ثم قاعة الزجاجيات وفيها نحو سبعة آلاف قطعة نفيسة من اشكال مختلفة وعصور قديمة والوان بديعة واطرزة متلونة تأخذ بمجامع القلوب رونقاً ودقة حتى قال عنها احد الاثريين الكبار الذين شاهدوها انها من احسن المجاميع الزجاجية حتى في متاحف اوربا الكبرى .

وهناك بعض صناعات دمشق ومنها سيف الامام ابي عبيدة بن الجراح الذي وجد بضريحه في الغور وبعض سجاد قديم بديع وقطع من الآجر المكتوب باللغة الاسفينية وقطع من الاواني الخزفية البديعة

ومن هذه القاعة تدخل إلى قاعة داخلية في صدرها المحمل الشريف بطرازه البديع الموشى والمزركش بالقصب المذهب والمفضض والصناجق وجميع صناديق الآنية المتعلقة به وكلها بديعة الصنع والوضع .

وهناك اصناف القيشاني من صنائع دمشق البديعة التي لم يبق لها من أثر ولاسيما بعد غزوة تيمور ثم أنواع الاسلحة من الخوذة والدرع وجميع الآلات الجارحة إلى بنادق هذه الايام مرتبة احسن ترتيب .

وهناك مجاميع اخرى من قبريات بعض علماء دمشق الكبار كابن قيم الجوزية وغيره وصناعات الخشب الدمشقية والبناء بزمن ملوك مصر حكام سورية والآلات الفلكية العربية للارباع وغيرها والاوسمة وبينها وسام الامير فيصل الذي قدمه له المؤتمر السوري ونحو ذلك .

وفي مكتبة المجمع نحو ثلاثة آلاف مجلد معظمها باللغات العربية من مطبوعات أوربا وغيرها وباللغات الاوربية ولاسيما الفرنسية والانكليزية ومعظمها مما طبعه المستشرقون .

وبادارة المجمع (المكتبة الظاهرية) وهي حذاء القصر العادلي وفيها قبة حيث دفن الملك الظاهر بيبرس وولده الملك السعيد وكلها من ابدع ابنية الشرق بحجارتها الملونة ونقوشها بالفسيفساء المذهبة والملونة البديعة الممثلة نباتات مشتبكة وأشجاراً وابنية واشكالاً هندسية تأخذ بمجامع القلوب وهناك المكتبة وفيها نحو عشرة آلاف مجلد معظمها مخطوط من النفائس وأقدم مخطوطاتها كتب سنة ٢٦٦ هـ وربما كان من أقدم الكتب المخطوطة وفيها تواريخ مهمة مثل ابن عساكر والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني والضوء اللامع للسخاوي والكواكب السائرة للغزي إلى مئات من أمثال هذه النوادر وهناك كتب اللغة مثل لسان العرب في عشرة مجلدات من ابدع ما كتب واضبط ما وجد بالحركات وصحة النقل وهناك ابن ماجد في صناعة الملاحة وقد أرسل احد المستشرقين(١) الذي يطبعه في اوربا نسخة إلى المجمع ليقابلها على نسخته ويعارضها ويضبطها له فضلاً عن أنواع الكتب الاخرى والمطبوعات الحديثة .

وهناك غرف قراءة مجانية ومحل لنسخ الكتب للمستشرقين وغيرهم وقد رأينا اثنين ينسخان احدهما ينسخ كتاب شذرات الذهب في التاريخ وهو من النوادر .

ومما اعجبنا ان المجمع قد اعدّ سجلين لزائري المتحف والمكتبة تدوّن فيها الزيارة

(١) هو العلامة غبريال فران الفرنسي Gabriel Ferrand مجلة المجمع

والملاحظات والتاريخ فيحفظ ذلك أثراً للمشاهير يضاف إلى ما فيه من الآثار .

والمجمع يشتغل بتصحيح الكتب التي تطبع للمدارس ودروس المكتبين الطبي والحقوقي التي تلقى بالعربية . ويسدد لغة الاقلام ويعرب الالفاظ التي تعرض عليه .

وهو يقوم بخدمة المتحف والمكتبة والمجلة الشهرية ومفاوضة المجامع الاوربية الكبرى ومراسلتها ومراسلات المستشرقين والعلماء في اوربا والغرب والشرق .

ويستقبل الزائرين بكل بشاشة ويخدم الوطن وآداب الشرق كل الخدمة ورئيسه الاستاذ محمد كرد علي والاعضاء هم الاساتذة الشيخ عبد القادر المغربي وانيس افندي سلوم وعيسى افندي اسكندر المعلوف .

وقد جمعوا هذه الآثار بمدة ستة اشهر ورتبوها على طراز جميل وعندهم ردهة كبيرة للمحاضرات التي يلقونها وقد انقطعوا عنها موقتاً بداعي التظاهرات الاخيرة وسيعودون إلى متابعتها « ا هـ »

منتخبات لغوية

« من مفاتيح العلوم »

الشرطة = العلامة وجمعها شرط . والشرطيون هم اصحاب اعلام علامات سود ورئيسهم صاحب الشرط .

الحربة = حربة كان النجاشي ملك الحبش اهداها إلى رسول الله (صلعم) وكانت تقدم بين يديه إذا خرج إلى المصلى يوم العيد وتتوارثها الخلفاء . وتسمى (العنزة) أيضاً.

البردة = بردة كان كساها رسول الله (صلعم) كعب بن زهير الشاعر فاشتراها منه معاوية والخلفاء تتوارثها أيضاً

الأبناء = هم ابناء الدهاقين والنسبة اليهم بنوي

البعث = الجماعة يبعثون ليلا أو نهاراً

التجمير = ان يترك الجند بإزاء العدو طويلا

وضائع الجند = هي الشحن والمسالح واحدتها وضيعة

اخبار وافكار

مقالة الربوة لابن طولون

لقد عارضنا هذه المقالة التي نشرها العلامة الكبير أحمد باشا تيمور في الجزء الخامس صفحة١٤٧ بنسخة لها بخط المؤلف من دشت موجود في مكتبة عيسى افندي اسكندر المعلوف احد اعضاء مجمعنا وفيه مباحث كثيرة عن دمشق منها مقالة في (حاراتها) ايضاًولكي لايقع التباس بين نسخةالناشر والنسخة المعارضةبها اعلنّا ذلك بناء على طلب حضرة الناشر الكريم رعاه الله .

هدايا

تكرم حضرة الاريحي العلامة احمد باشا تيمور فاهدى إلى مكتبتنا تتمة (قاموس الالباء) الذي سبق وصفه في المجلد الاول من هذه المجلة في الصفحة ١٧٧ واستنسخ لها أيضاً تفضلاً منه كتاب (سر الصناعة لابن جني) برمته مع أن لدينا منه جزئين الأول والثاني وهما نسخة نفيسة مضبوطة قديمة كتبت سنة ٥٨٨ للهجرة عن اصل نقل من نسخة المؤلف وكان ينقصنا الجزء الثالث فقطمن حرف النون إلى آخر الحروف واطرفنا ايضاً بعشرة مجلدات من فهرست المكتبة السلطانية في القاهرة المعروفة قبلاً بالخديوية وببعض الكتب العلمية من مطبوعات مصر وهي الدروس الابتدائية في الكيمياء العضوية في أربعة اجزاء وجزء خامس في الكيمياء غير العضوية ومبادىء الطبيعة في جزء فتكون جملتها ستة عشر مجلداً مطبوعاً جزاه الله خيراً عن الادب والعلم فانه من اكبر انصارهما .

وتلطف حضرة الامير أحمد مختار الحسني الجزائري باهداء واحد وعشرين مجلداً من المخطوطات لمكتبة مجمعنا العلمي فنشكر لحضرته هديته النفيسة آملين من ارباب الفضل ان يؤازروا اعمالنا بمعاضدتهم الصحيحة اخذاً بيدنا لخدمة العلم والادب .

وهذه هي اسماء الكتب باختصار وسنعود إلى وصف بعضها بمقالات خاصة

(١) مجموعة ست رسائل لعطاء الله الاسكندري وللقونوي والقيصري وغيرهم

(٢) حاشية الابهري على شرح دلائل الخيرات للجزولي نسخ سنة ١١٦٥

(٤) حاشية الشيخ يسين الشامي على مختصر المعاني للتفتازاني نسخ سنة ١٠٥٩

(٥) حاشية الشيخ يوسف الصفتي على شرح العشماوية كتب سنة ١٢٢٩

(٦) كتاب اللآلي الدرية في شرح الاجرومية للامير محمد الحريري النحوي الحرفوشي سنة ١٠٩٧

(٧) كتاب شرح قطر الندى وبل الصدى له أيضاً كتب سنة ١١٣٤

(٨) ازهار الرياض في اخبار عياض للشيخ احمد المقري مؤلف نفح الطيب

(٩) شرح الفيروزابادي لرسالة الاستعارات مع حاشيته

(١٠) شذور الذهب لابن هشام

(١١) السيرة الحلبية في جزئين .

(١٢) روح الكبريت الاحمر للشيخ الاكبر (١٣) فتح المجيد في كفاية المريد شرح الجزائرية للقاني (١٤) صحيح البخاري (١٥) الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلي كتب سنة ١٢٤٩ (١٦) فتح المتعال في مدح النعال للمقري (١٧) اليسر المعجل والعقد المكلل في نصائح الخلفاء والملوك ثم الامثل فالامثل (١٨) كتاب المنلا جامي (١٩) شرح بانت سعاد في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) مخروم الاول لابن هشام الانصاري (٢٠) الجزء الاول من الفتوحات المكية للشيخ الاكبر (٢١) شرح التلخيص لعصام الدين الاسفرايني المسمى بالاطول .

واهدى اليها اخيراً حضرة الامير طاهر الجزائري الحسني نسخة نفيسة من كتاب (تحقيق الظنون في الشروح والمتون) تأليف محمد ابي الفتوح بن مصطفى الصديقي سبط الحسنين اتمه سنة ١١٨٠ هجرية وهي نسخة كتبت برسم المرحوم الامير الكبير السيد عبدالقادر الحسني الجزائري جد المهدي المشار اليه . وذلك عدا ما اهداه قبلا وهذا الكتاب فيه زيادات وترتيب حسن على نمط كشف الظنون .

مطبوعات حديثة

الذخيرة السنية

في تاريخ الدولة المرينية

طبع في الجزائر ١٣٣٩ — ١٩٢٠ ص ١٣٥

اجاد العلامة الشيخ محمد بن ابي شنب من علماء الجزائر واحد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق في نشر هذا التاريخ لمؤلف مجهول وفيه مادة مهمة عن الدولة المرينية وما كان لها من الفتوح في الغرب الاقصى وبلاد الاندلس في القرن السابع وذكر انساب بني مرين وقبائلهم والاحداث التي وقعت في ايامهم في بلاد الاسلام والاندلس وقد جاء فيه كثير من القصائد والكتب التي وضعت لاستنفار المسلمين في بر العدوة (الغرب الاقصى والادنى والاوسط) على قتال اعداء اخوانهم في الاندلس ومنها قصيدة لابراهيم بن سهل الاسرائيلي واخرى لابي الحكم ملك بن المرحل وثالثة لابي محمد صالح بن شريف الرندي يرثي بها الاندلس وهي مشهورة متداولة ومن الكتب كتاب الفقيه ابي القاسم العز — الى قبائل المغرب وصلحائهم يستنفرهم بها الى الجهاد الى غير ذلك من الفوائد التاريخية والادبية . وقد علق عليه ناشره بعض التعليقات والتحقيقات مثل اختلاف النسخ لكنه جعلها بالافرنسية والحق به في الآخر فهرسة اسماء الكتب وفهرسة الابيات . والكتاب من مطبوعات مدرسة الآداب بالجزائر وهو السابع والخمسون مجلداً مما نشرته باللغتين العربية والافرنسية وغيرهما في التاريخ واللغة والآثار ووصف البلدان . فجزى الله ناشره والذي لم يبرح يرينا كل حين أثراً من آثاره النافعة في العلم والادب .

مجلة المجمع العلمي العربي

(٢٠)

الجزء ٨ آب سنة ١٩٢٢ م الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

حاضر الاندلس وغابرها

(١٠) تفنن عرب الاندلس

لم تقف همة الاندلسيين عند حد الابداع في هندسة الدور والمصانع وعمل النقش والتزويق وتنجيد البناء والزخرف فيه وبناء الجسور وتعبيد الطرق وانشاء السكور والسدود . فان هذه الاعمال في العمران كانت نتائج لازمة للثروة العظيمة التي فاضت عليهم من زراعاتهم وصناعاتهم ومتاجرهم . فقد تفننوا انواع التفنن في الزراعة ونقلوا الى الاندلس من الشام انواعاً من الاشجار والازهار والغراس والبقول لم يكن لاسبانيا عهد بها ومنها انتقلت الى اوربا الغربية . ومن جملة ما ادخلوه من انواع الشجر والنبات الفستق والموز والنخيل والارز والقطن والتوت وقصب السكر والزعفران والهليون وزهر الكامليا الحمراء والبيضاء والورد الياباني وغير ذلك وتفننوا في هذا تفنن الغربيين لعهدنا بزروعهم وورودهم وثمارهم وبقولهم حتى كانت الاندلس المعتدلة الاقاليم الحسنة المناخ تعطي ثلاثة مواسم في السنة لحسن استثمارها فاقتدر على اهلها اخلاف الرزق والغنى سواءٌ في العناية عندهم الاعذاء اي الاراضي التي تسقى بالامطار او التي تسقى سيحاً اي بماء الانهار ذلك لانهم حفروا آباراً واسالوا المياه من القاصية وعمروا خزانات وسدوداً. وكان لهم بصر بالصنائع حملوا معهم من الشام ايضاً صناعة صقل السيوف وهي الصناعة التي نسبت الى دمشق حتى اليوم فقيل لها بالافرنجية Damasquinage او Damasquinerie أو Damasquinure اي تنزيل الذهب والفضة في الفولاذ

وقد اشتق منه الفعل عندهم Damasquiner كما نقلوا صنعـــة الاقمشة من الحرير والكتان مزينة بالرسوم من دمشق ايضاً فنسبت اليها عندهم وقالوا في فعلها Damasser اي عمل ثياباً على النمط الدمشقي .

واختصت قرطبة بدبغ الاديم اي الجلود واشبيلية بالحرير (كان فيها سنة ١٥١٥ ستة عشر الف نول يعمل فيها ١٣٠ الفاً من العملة فاصبح عددها سنة ١٦٧٣ اربعمائة نول فقط وذلك بعد جلاء العرب والاسرائيلين) وكان بمالقة يعمل الزجاج كما « يصنع الفخار المذهب العجيب ويجلب منها الى اقاصي البلاد » والى اليوم ينسبون هذا الصنف الى مالقة فيقولون في بلاد الشام المالقي للصحاف والاواني المعروفة . واشتهرت المرية بعمل الوشي والديباج والجوخ (كان فيها ٦٠٠٠ نول للاجواخ) و « لكورة باجة خاصية في دباغة الاديم وصناعة الكتان» وكان في المرية « لنسج طرز الحرير ثمانمائة نول وللحلل النفيسة والديباج الفاخر الف نول وللأسقلاطون [١] كذلك وللثياب الجرجانية كذلك وللاصفهانية مثل ذلك وللعنابي والمعاجر [٢] المدهشة والستور المكللة ويصنع بها من صنوف آلات الحديد والنحاس والزجاج مالا يوصف »

وكان الديباج والوشي يعمل اولاً في قرطبة ثم غلبت عليها المرية فلم يتفق في الاندلس من يجيد عمل الديباج اجادة اهل المرية . وانفردت سرقسطة بصنعة السمور والطف تدبيره وهي الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية خصوصية لاهل هذا الصقع « وفي جميع نواحيها يعمل الكتان والحرير الفائق » وكان في جيان ٦٠٠ نول للحرير ويعمل السجاد في رية والسلاح والحلي في قرطبة ومرسية وطليطلة وسرقسطة واخذت شاطبة تصدر الورق بكثرة منذ سنة ١٠٠٩ قال ياقوت وفي شاطبة يعمـــل الكاغد الجيد ويحمل منها الى سائر بلاد الاندلس وبالجملة فلأهل هذه الديار « خصائص كثيرة ومحاسن لاتحصى واتقان لجميع مايصنعون » قال ميجون : كانت في الاندلس عدة معامل مشهورة لصنع الفسيفساء ويسمونه المفصص ونقلت صناعة الفسيفساء عن الرومان

• • •

(١) بلد بالروم تنسب اليه الثياب السقلاطونية وقد تسمى الثياب بنفسها سقلاطوناً قال في التاج هي كلمة رومية (٢) المعجر ثوب يمني يلتحف به ويرتدى والجمع المعاجر

وهكذا رسخت الصنائع في امصار الاندلس برسوخ الحضارة وطول امدها قال ابن خلدون . فانا نجد في الاندلس رسوم الصنائع قائمة واحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد امصارها كالمباني والطبخ واصناف الغناء واللهو من الآلات والاوتار والرقص وتنضيد الفرش في القصور وحسن الترتيب والاوضاع في البناء وصوغ الآنية من المعادن والخزف وجمع المواعين واقامة الولائم والاعراس وسائر الصنائع التي يدعو إليها الترف وعوائده فنجدهم اقوم عليها وابصر بها ونجد صنائعها مستحكمة لديهم فهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الامصار . »

وذكر سيد يليو ان العرب من حيث الاخلاق والعلم والصناعة كانوا ارقى بكثير من الاسبان وهم امتن اخلاقاً وطبائع وفيهم الكرم والاخلاص والاحسان الذي لم يكن عند عداتهم كما ان فيهم عزة النفس التي امتازوا بها في كل زمن وكان الافراط المضر فيها داعياً إلى احداث البراز . وساعد على عظمة العرب في اسبانيا انتشار الآداب والعلوم والفنون على عهدهم انتشاراً كثيراً وكذلك الزراعة والصناعة وعم الذوق في اللذائذ العقلية جميع طبقات المجتمع . والشعر يرقي النفوس . وغدت المنافسة الشريفة على اتمها في الافكار . وكانوا يكتبون على جميع المصانع اسم من امر ببنائها واسم بانيها والامة تمدح المحسن بها والمحسن لبنائها وارتقت عندهم الهندسة والموسيقى والرقص إلى درجة ذات بال ولايزال إلى اليوم في الغرب يدرس اسلوب بنائهم ويعجب بما نقشوه فيها من النقوش وكان لدولة الموحدين في الاندلس ذوق خاص في البناء انشأوا الجوامع والمآذن والاماكن العامة والمستشفيات والرباطات في كل بلد من بلادهم واقاموا الطرق والجسور والسدود وحفروا الآبار واجروا الانهار اه .

ولقد كانوا يستخرجون من مناجمهم الزئبق والتوتياء والحديد والرصاص والفضة والذهب ويستقطرون السكر ويعملون اللبود « المشهورة في جميع الارض بالجودة والصبغ الحسن . ولهم من الالوان والاصباغ والحشائش التي يلونون بها الحرير وانواع الصوف والثياب ماليس في بلد من بلدان الارض له نظير حسناً وكثرة . » ويحملون حاصلاتهم ومصنوعاتهم إلى اقطار المملكة العربية بل إلى اقاصي البلاد الشرقية والغربية في البحار على سفن الاندلسيين التجارية وكان لهم منها اساطيل في كل فرضة من فرضهم

تقلع على الدوام من موانئ الاندلس لتحمل إلى شواطىء افريقية وآسيا واوربا مايروج فيها من سلعهم ومعادنهم وثمارهم وحبوبهم .

قال كاباتون : كانت مدنية العرب في اسبانيا ظاهرة في الامور المادية وذلك بما استعملوه من الوسائط الزراعية لاخصاب الاراضي البائرة في الاندلس من الاساليب العلمية التي اتخذوها لريها وهي اساليب ان لم تكن من اختراع العرب فهم الذين اكملوا نواقصها واحسنوا استخدامها كما انهم اسسوا معامل للحرير والجلود والبلور وغزل الصوف والقطن والكتان والقصب واقاموا ما لايحصى من المعاهد العامة وفيها ما يستدعي إعجاب الامم باسرها حتى بعد ثمانية قرون من انشائه اهـ .

وقال احد علماء الفرنجة : كان في الاندلس على عهد الحضارة العربية اربعون مليون نسمة من ارباب الصنائع والعمل (سكان اسبانيا اليوم نحو ٢١ مليوناً وسكان البرتغال ٦ ملايين) وعلى ذلك العهد قامت فيها المدن المهمة التي يعجب الناس إلى اليوم بخرائبها وعلى ذاك العهد كانت الزراعة ناجحة وبفضل هندسة العرب كانت المياه تجري إلى كل مكان في بسائطها فتحمل الخصب والإمراع . وقال آخر : ان عهد استيلاء العرب على اسبانيا كان اسعد ايامها لنجاح زراعتها بما قام فيها من اعمال السقيا وبفضل غراسهم وزروعهم وحسن استثمارهم لمعادن الارض ومناجمها ولما اغتنت البلاد كثر فيها سكان الدساكر والقرى كما كثر سكان المدن الكبرى .

• • •

ولاعجب ــ وحال البلاد من ارتقاء الصنائع والزراعة وتعدين المناجم واتساع التجارة قد بلغ هذا الحد ــ ان كانت جباياتها من حقوقها وغير واجبها إلى سنة ٣٤٠هـ نحو عشرين الف الف دينار قال ابن حوقل : ولست اشك على مايوجبه النظر وتواطأ به الخبر فيما جمعه الحكم بعد هلاك ابيه من خدمه والمصادرين الذين كانوا في جملته عن اسباب الاندلس ولوازمها وجباياتها وخراجها واعشارها وصدقاتها وجواليها تمام اربعين الف الف دينار وبلغ خراج الاندلس على عهد عبد الرحمن الثالث عدا ما كانت دولته تستوفيه عيناً ... ٦٬٢٤٥٬٠٠٠ دينار . وحكى ابن خلدون عن الثقات من مؤرخي الاندلس : ان عبد الرحمن الناصر خلف في بيوت امواله خمسة آلاف الف الف

دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقناطير خمسمائة ألف قنطار وكان هذا الملك يقسم الجباية اثلاثاً ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف الف واربعمائة الف وثمانين الف دينار ومن الستوق[1] والمستخلص سبعمائة الف وخمسة وستين الف دينار واما اخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان. وانتهت جباية قرطبة ايام ابن أبي عامر إلى ثلاثة آلاف الف دينار بالانصاف.

• • •

كان للاندلسيين حذق باستخراج العلوم واستنباطها من ذلك ان عباس بن فرناس حكيم الاندلس صنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود وهو الذي استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة واول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمثقال (؟) ليعرف الاوقات على غير مثال واحتال في تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومدّ له جناحين وطار في الجو مسافة بعيدة ثم سقط. فهو اول من حاول الطيران من بني الانسان.

وكان اهل قرطبة اول من عني بتبليط المدن وكذلك انارة الطرق في الليل عرفت لاول مرة في قرطبة ايضاً ولما ارتقت العلوم على عهد بني الاحمر في غرناطة اكتشفوا بل اخترعوا بارود المدافع وعرف منذ ذاك العهد ولاتزال مدافعهم التي دافعوا بها عن غرناطة محفوظة إلى اليوم في احد متاحف اسبانيا.

وفي الاندلس عرف الطبع فكان احد ابنائها هو السابق في مضمار هذا الاختراع الذي لم تنتفع الانسانية بافيد منه فكانت لهم فيه طريقة لم ينته الينا خبرها بالتفصيل بل عرف اجمالاً ان عبد الرحمن بن بدر من وزراء الناصر من أهل المئة الرابعة «كان ينفرد بالولايات فتكتب السجلات في داره ثم يبعثها للطبع فتطبع وتخرج إليه فتبعث في العمال وينفذون على يديه» فاذا كان هذا هو الطبع المعروف وما نظنه الا هو فيكون ابن بدر العربي قد سبق غوتمبرغ الالماني مخترع الطباعة بنحو اربعة قرون.

وذكروا ان ملوك غرناطة فرضوا جوائز المخترعين لينشطوهم ويلقوا المنافسة بينهم وربما ميزوهم بامتيازات خاصة على نحو مافعل لويز الرابع عشر وكولبر في فرنسا وعني

(١) الستوق الزيف البهرج الملبس بالفضة

الاندلسيون بتأليف رسائل يفهمها كل انسان تكون معواناً على الانتفاع بالاعمال العامة وهم انشأوا دساتير سهلة التناول يتدارسها الصناع والعملة فتفيدهم فيما هم بسبيله

واخترع الاندلسيون الخطوط المخصوصة بهم كما اخترعوا الموشحات التي استحسنها أهل المشرق وصاروا ينزعون منزعها وكانت طبقاتهم في نظمهم ونثرهم لاتخفى على بصير ولم يكن يخلو بلد من كاتب بليغ وشاعر مفلق بل « كان من مدنهم مثل شلب قل ان ترى من اهلها من لا يقول شعراً ولايعاني الادب ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر قرض من ساعته مااقترحت عليه وأي معنى طلبته منه » وخص أهل وادي آش بالادب وحب الشعر . وعلل ذلك احد العارفين بقوله إن أهل الاندلس اشعر الناس لما كثر الله تعالى في بلادهم وجعله نصب اعينهم من الاشجار والانهار والطيور والكؤوس لاينازعهم احد في هذا الشأن .

وكانت للاندلسيين عناية بنقد الشعر لا يجوز عليهم ساقطه ونبغ كثيرون منهم في هذا المعنى والفوا فيه التآ ليف الممتعة . وكانت لهم مدارس لتعليم القرآن والكتابة والحساب وتعلم العلوم على اختلاف ضروبها في الجوامع من غير نكير يعلمون الفلك والجغرافيا واللغة والطب والنحو ومبادىء الطبيعة والكيمياء والمواليد الثلاثة . ذكروا انه كان في قرطبة ثمانون مدرسة عامة ومكانها مليون نسمة وأن الموحدين أنشاوا في الاندلس مدارس عامة ومدارس عليا واغدقوا احسانهم على العلماء يريدون أن يعيدوا إلى الاندلس بهاءها على عهد الامويين وان الحكم انشأ في قرطبة سبعاً وعشرين مدرسة اتخذ لها المؤدبين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن واجرى عليهم المرتبات وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم وفي ذلك يقول ابن شخيص:

وساحة المسجد الاعلى مكللة ... مكاتب لليتامى من نواحيها
لو مكنت سور القرآن من كلم ... نادتك ياخير تاليها وواعيها

واحدث رضوان النصري (٧٦٠) المدرسة بغرناطة ولم تكن بها وكانوا كما قال ابن سعيد يقرأون في جميع العلوم في المساجد باجرة فهم يقرأون لأن يعلموا لا لان يأخذوا جارياً فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على ذلك أن يترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى يعلم .

وكثيراً ما كان ملوك الاندلس يقترحون على النـــاس حفظ الكتاب الفلاني من كتب الادب والعلم ومن حفظه فله كذا دينار فما هو الا ان يحفظه مئات طمعاً في الجائزة وعم التلذذ بالادب جميع طبقات المجتمع عندهم . وكثـــير من الشعراء كانوا ينتجعون بشعرهم الملوك والامراء يمدحونهم فيصلونهم ويؤونهم زمناً على نحو ما كانت الحال في القرون الوسطى في المتشاعرين المتغنين بالشعر المتكففين به في بلاد الافرنج ويسمونهم بالافرنسية التروبادور والتروڤير [1] Les Troubadours et les Trouvéres

• • •

وكان تعليم البنات شائعاً عندهم وكثير منهن يحفظن بضعـــة دواوين من دواوين العرب وينظمن ويترسلن كالاوربيات اليوم وإذا عرفت ان المدارس كانت مبذولة في المدن والقرى فلا تستغرب بعد ذلك ان قال احد مؤرخي الافرنج ان سكان اسبانيا الاسلامية الا قليلاً كانوا يقرأون ويكتبون على حين كان أهل الطبقة العليا في اوربا المسيحية أميين لايقرأون ماعدا افراداً قلائل من الشمامسة جعلوا الكتابة من شأنهم .

وكان للاندلسيين غرام بتسبيل الكتب على المطالعة ولهم خزائن كتب عامـــة وخاصة وكانت قرطبة أكثر بلاد الاندلس كتباً واهلها اشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب صار ذلك عندهم من آلات التعين والرئاسة فلا يكاد يخلو دار من خزانة فيها كتب قيمة وقد انشأ الحكم الثاني عـــدة مكاتب المطالعين فكان يرسل وكلاءه إلى المشرق يستنسخون الاسفار فما هو الا ان يؤلف المؤلف تصنيفه حتى تستنسخ منه نسخة أو نسخ لتحمل إلى خليفة الاندلس ولا يفوت بلاده شيء من حركة العقول وكانت دار كتبه تحتوي على اربعمائة الف مجلد جاء فهرسها في أربعة واربعين مجلداً ولطالمـــا اجزل ملوك الاندلس الصلات لبعض مؤلفي الشرق والاندلس حتى يذكروا في مقدمتها انهم الفوها برسم خزائنهم ومن المؤلفين من كانوا يرضون بذلك ومنهم من لا يرضون به

---

(١) التروبادور شعـــراء كانوا يقولون الشعر باللغة الافرنسية القديمة في القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر والتروڤير شعراء بلغة وال من القرن الحـــادي عشر إلى القرن الخامس عشر كانوا يختلفون إلى الملوك والعظماء ينشدون الاشعار ويضربون على الاوتار وربما اقاموا في قصورهم مدة ثم يتنقلون .

يقصدون أن يكون لمن يستفيد منه .

وكان للعلماء والمؤرخين والشعراء والادباء في الاندلس مجامع علمية وادبية أشبه بالمجامع أو الاكاديميات في هذا العصر وذلك لنشر العلم والمعارف ومفاوضة الحكمة بينهم فنتج من اجتماعهم فوائد مهمة للعلم والمدنية . وكان المظفر بن الافطس صاحب بطليوس من أعلم الملوك بالادب وله التصنيف المترجم بالتذكرة والمشتهر بالكتاب المظفري في خمسين مجلداً في الفنون والعلوم واستأدب لبنيه أبا عبد الله بن يونس وكان يحضره وأبا الحزم بن عليم وأمثالهما للمذاكرة والمباحثة فيفيد ويستفيد وكان لابي عامر أمير الاندلس في دولة هشام المؤيد مجلس معروف في الاسبوع يجتمع فيه أهل العلوم للكلام فيها بحضرته .

وقد أنشأ الحكم مجمعاً في قصر مروان وقلده غيره من أمراء الاندلس فانشأوا مجامع لهم . وأنشأ أحمد بن سعيد النصري مجمعاً في طليطلة فكان يجتمع عنده أربعون عالماً من طليطلة والبلاد المجاورة ثلاثة أشهر في السنة أي في شهر تشرين الثاني وكانون الأول وكانون الثاني يعقدون اجتماعاتهم في ردهة فرشت أحسن فرش فيبدأون عملهم بتلاوة آيات من الكتاب العزيز ثم يتذاكرون في تفسير ماقرأوا ويأخذ بهم الاستطراد إلى البحث في فنون شتى من العلم والحكمة .

• • •

وكان أمير المسلمين علي بن تاشفين لايقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء [1] فكان إذا ولى أحداً من قضاته كان فيما يعهد إليه أن لا يقطع أمراً ولايبت

(١) كان للقضاة في الاندلس مشاورون حتى لايصدروا الا عن آراء ناضجة واليك مثالاً من تقليدهم: « هذا كتاب تنويه وترفيع ، وانهاض إلى مرقى رفيع ، أمر بكتبه الامير الناصر للدين أبو جعفر بن أبي جعفر ادام الله تأييده ونصره ، للوزير الفقيه الاجل المشاور الحسيب الاكمل أبي بكر بن أبي جمرة ادام الله عزه ، انهضه به إلى الشورى ليكون عند ما يقطع بامر ، أو يحكم في نازلة ، يجري الحكم بها على مايصدر عن مشورته ومذهبه ، لما علمه من فضله وذكائه وجده في اكتساب العلم واقتنائه ، ولكون هذه المرتبة ليست طريفة له بل تليدة ، متوارثة عن اسلافه الكريمة وآبائه ، فليتحملها =

حكومة في صغير من الامور ولا كبير الا بحضر أربعة من الفقهاء فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغاً عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الاندلس . وأمير المسلمين هذا هو الذي اجتمع له ولابيه من أعيان الكتاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الاعصار فانقطع اليهما من الجزيرة من أهل كل علم فحوله حتى اشبهت حضرتهما حضرة بني العباس في صدر دولتهم . وكانت أيام بني المظفر بغرب الاندلس أعياداً ومواسم وكانوا ملجأً لاهل الآداب خلدت فيهم ولهم قصائد اشادت مآثرهم وابقت على غابر الدهر حميد ذكرهم .

كان أهل دانية اقرأ أهل الاندلس لان مجاهداً العامري كان يستجلب القراء ويفضل عليهم وينفق الاموال فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده فكثروا في بلاده . قلنا وإذا كان عرض للاندلس في بعض ادوارها مافرق جامعتها السياسية فاستفاد من ذلك اعداؤها فقد كان لتفريقهم إلى ممالك صغرى داعياً إلى التنافس احياناً حتى صار لكل أقليم مزية ليست لغيره واختص كل ملك بشيء فاتخذ أسباب النجاح فيه واستدعى أهل الاخصاء من رجاله .

ومن لطيف تدبيرهم في الانفاق على الجند دون تحميل الامة أعباءه وهو تحت السلاح ماعمله ابن جهور رئيس قرطبة من جعل أهل الاسواق جنداً وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بايديهم محصاة عليهم يأخذون ربحها فقط ورؤوس الاموال باقية محفوظة يؤخذون بها ويراعون في الوقت بعد الوقت كيف حفظهم لها وفرق السلاح عليهم وامرهم بتفريقه في الدكاكين وفي البيوت حتى إذا دهم أمر في ليل أو نهار كان سلاح كل واحد معه .

ومن أجمل اعمالهم في إقامة قسطاس العدل أن هشام بن عبد الرحمن الداخل كان يبعث إلى الكور قوماً عدولاً يسألون الناس عن سير العمال ثم ينصرفون إليه بما عندهم. واعترض له يوماً متظلم من أحد عماله فبدر إلى الشاكي وقال له : احلف على كل

= تحمل المستقل باعبائها ، اللحن بانبائها ، العالم بمقاصدها المتوخاة المعتمدة وانحائها ، والله يزيده تنويهاً وترفيعاً، ويبوئه من حظوته وتمجيده مكاناً رفيعاً ، وكتب في التاسع لذي حجة ٥٣٩ الثقة بالله عز وجل اه .

ماظلمك فيه فان كان ضربك فاضربه أو هتك لك ستراً فاهتك ستره أو أخذ لك مالاً فخذمن ماله مثله إلا أن يكون اصاب منك حداً من حدود الله فجعل الرجل لايحلف على شيء الا أقيد منه .

ولقد بنى الخليفة عبد الله بن محمد الساباط بين القصر والجامع بمدينة قرطبة وكان يقف فيه قبل صلاة الجمعة وبعدها فيرى الناس ويشرف على اجتهادهم وحركاتهم ويسير بجماعاتهم ويسمع قول المتظلم ولا يخفى عليه شيء من أمور الناس . وكان يقعد أيضاً على الابواب في أيام معلومة فترفع إليه فيه الظلامات وتصل إليه الكتب على باب حديد قد صنع مشرحباً مستطيلاً لذلك فلا يتعذر على ضعيف إيصال بطاقته بيده ولانهاء مظلمة على لسانه وفتح باباً في قصره سماه باب العدل وكان يقعد فيه للناس يوماً معلوماً في الجمعة ليباشر أحوال الناس بنفسه ولايجعل بينه وبين المظلوم ستراً . فكانت سيرة عمالهم مع الرعايا أن يتحفظوا من كل أمر يوجب الشكوى منهم وينقبضون عن التحامل على من دونهم .

وهكذا فانه لايكاد يخطر ببالك شيء من أدوات الحضارة ومقومات العمران وأساليب العلم والمعرفة الا قام به أو ببعضه ملوك الاندلس وأهلها حتى التماثيل فانها كانت تجعل في قصور العظماء والصور تزين بها غرفهم وردهاتهم لذلك أبقوا على أكثر ما كان في البلاد قبل الفتح من التماثيل للاعتبار بها خصوصاً بعد أن انغمسوا في الحضارة قال أبو عامر البرياني في الصنم الذي بشاطبة :

بقية من بقايا الروم معجبة ... أبدى البناة بها من علمهم حكما
لم أدر ما أضمروا فيه سوى أمم ... تتابعت بعد سموه لنا صنما
كالمبرد الفرد ما أخطا مشبهه ... حقاً لقد برد الايام والأمما
كأنه وأعظ طال الوقوف به ... مما يحدث عن عاد وعن إرما
فانظر إلى حجر صلد يكلمنا ... أشجى وأوعظ من قس لمن فهما

وقد أقاموا حدائق للحيوانات والنباتات وعنوا حتى بصراع الثيران فصارعوا الاسبانيين وربما فاقوهم وأولعوا بالرقص ولهم منه أنواع وكذلك آلات الطرب

كالخيال(١) والكرج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكثيرة والقيثار والزلامي والشفرة والنورة والبوق وكان في مدينة آبدّة من أصناف الملاهي والرواقص المشهورات بحسن الانطباع والصنعة ما تظنهن فيه أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدكر واخراج القزي والمربط والفتوخة .

أما الموسيقى فقد كان زرياب أدخلها الاندلس فكان يجري عندهم مجرى الموصلي في الغناء وله طريق أخذت عنه وأصوات استفيدت منه وعلا عند الملوك وأحسنوا إليه حتى كادوا يفرطون وشهر شهرة ضرب بها المثل . ولا عجب إذا قلنا إن تفرق الاندلس أصقاعاً وممالك كان أشبه بتفرق ألمانيا وايطاليا قبل وحدتها إلى امارات صغيرة تتنافس في مضمار العلم والصنائع والعمران . « للبحث تال » محمد كرد علي

«١» الخيال هو الذي يسمى خيال الظل أو الخيال الراقص أو خيال جعفر الراقص وجعفر اسم مخترعه يسميه العامة كركوز « قره كوز » بالفرنسية ,Marionnette polichinelle والكرج تماثيل خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف أقبية يلبسها النسوان ويحاكين بها امتطاءَ الخيول فيكررن ويفررن ويثاقفن وهي من آلات الرقص وتسمى بالفرنسية Carrousel, chevaux de bois والروطة ضرب من الرباب معربة عن الاندلسية Rotta أو ,Rota بالافرنسية rotte أو ,Rote والمؤنس قربة يركب فيها مزمار ولعلها من أصل اسباني يقابلها بالفرنسية Musette أو Cornemuse والكثيرة ضرب من السنطور تنقر أوتارها بالأصابع Cithare والقثار Guitare آلة ذات ستة أوتار ولها يد مقسومة إلى أنصاف ألحان يركب عليها دساتين والزلامي نوع من المزمار هو تصحيف الزنامي نسبة إلى زنام مستنبط الناي وكان زنام زماراً مشهوراً عند هرون الرشيد يضرب به المثل في حسن صناعته . والشقرة والنورة مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والعود معروف وبالفرنسية Luth و لرباب معروف وبالفرنسية Rebec والقانون مشهور وبالفرنسية Harpe والبوق معروف . والدكر نوع من الرقص او اللعب يعرفه الزنج والحبش وبالفرنسية Kalenda والقزي نوع من لعب المشعوذين والفتوخة جمع فتخة وهي خاتم كبير وهي لعبة الخاتم « من مقالة للعلامة انستاس ماري الكرملي : المقتبس م ١ ص ٤٣٥ »

كتاب الانصاف والتحري

في دفع الظلم والتجري

عن ابي العلاء المعري (١)

هو كتاب اهداه حضرة السيد محمد مرعي باشا الملاح من أعيان حلب وفضلائها إلى مكتبة مجمعنا العلمي منذ أشهر فنشكر له غيرته على الادب والمعاهد العلمية ونصف الكتاب بما يعرفه لقراء المجلة الكرام وهو يقع في ٨٥ صفحة بقطع ربع عادي بخط حديث .

لقد رمي أبو العلاء المعري فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة بالزندقة لما كان مطبوعاً عليه من حرية الفكر وعدم التكتم باعتقاده فكان يجري على قلمه ولسانه مايدور في خلده دون رياء أو مواربة ولهذا اعتقد بعضهم أنه كان ملحداً لما في أقواله أحياناً من المجاهرة بمثل ذلك فانقسم الناس في وصفه إلى فئتين فمنهم من خطأه وألف في ذلك كتباً ورسائل ومنهم من انتصر له وأظهر صحة مبادئه واعتقاده . ولقد ألفت فيه كتب ونشرت مقالات رائعة في المجلات الاوربية والشرقية وترجمت أشعاره باللغات المختلفة وآخرها « الرباعيات » و « لزوم ما لايلزم » وهما منتخبان من دواوينه ترجمها بالانكليزية صديقنا واحد أعضاء مجمعنا الشرفيين الكاتب المشهور أمين افندي الريحاني وطبعها .

وكتب بعضهم ترجمات للمعري وكان كاتب هذه المقالة الآن أحد مترجميه في المجلد الخامس من مجلة المقتبس فاطال في ما وصلت إليه يد البحث واحتمله المقام في نشأته واعتقاده وشعره وما يتعلق بذلك وكان العلامة أحمد باشا تيمور قد وضع له ترجمة بوّبها وكاد يتمها ثم انقطع عنها وهو يوشك أن يتفق بالتقسيم مع ابن العديم في كتابه الموصوف ونشر شيئاً منها في « المؤيد » رداً على الاستاذ لطفي بك السيد ولعلي بك

«١» اتفقت هذه التسمية بالحرف في نسختنا ونسخة تيمور باشا . أما في تاريخ ابن الوردي فسماها «العدل والتحري الخ» وفي كشف الظنون « دفع الظلم والتجري » الخ

كال العثماني مقالة في المعري نقلت إلى العربية . وممن كتب في الدفاع عن المعري أحدهم في رسالة معروفة باسم « دفع المعرة عن شيخ المعرة » ذكرها كشف الظنون وغيره [١] ولم يذكر اسم مؤلفها. وكذلك ألف آخرون مثل هذه الرسالة دفاعاً عن هذا الفيلسوف البصير الشهير .

ومن هؤلاء مؤلف تاريخ حلب الشيخ أبو حفص كال الدين عمر بن أبي جرادة عبد العزيز المعروف بابن العديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ١٢٦١م . فإنه ألف الكتاب الذي عنونت به هذه المقالة وقد كسره على فصول رائعة في شؤون المعري هاكها بحسب ورودها فيه نتكلم عليها باباً باباً لتعريف جميع أجزاء الكتاب الموجودة .

«١» المقدمة وفيها الداعي إلى وضع كتابه هذا بعد وقوفه على جملة من مصنفات شيخ المعرة أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المنتهي نسبه إلى النعمان الساطع بن عدي من سلالة تيم اللات وهو مجتمع تنوخ المنحدر من قحطان وهو جد قبائل اليمن جميعها . وقد توفي المعري سنة ٤٤٩ هـ ١٠٥٨ م .

«٢» باب في ذكر نسبه وقد استرسل بعد اثبات نسبته إلى ترجمة التنوخيين المعروفين بآل سليمان إلى زمن المؤلف في أواسط القرن السابع للهجرة . ومن رأيه أن معرة النعمان ليست بمنسوبة إلى النعمان بن عدي الملقب بالساطع بل إلى النعمان بن بشير الانصاري والي حمص وقنسرين في ولاية معاوية وابنه يزيد فمات للنعمان بها ولد وجدد عمارتها فنسبت إليه وكانت تسمى اولاً ذات القصور الخ : مما ملأ بضعاً وعشرين صفحة بقطع ربع

«٣» في ذكر مولد أبي العلاء ومنشئه وعماه وصفة خلقه ـ وهو باب حقق فيه اشياء كثيرة عن المعري مثل ولادته ومرضه وعماه وذكر وصفه كأنه يصوره نقلاً عن أبي محمد بن عبد الله بن الوليد بن عريب الايادي المعري الذي قال : دخلت على أبي العلاء وأنا صبي مع عمي أبي طاهر نزوره فرأيته قاعداً على سجادة لبد وهو يسبح فدعا لي ومسح على رأسي وكأني انظر إليه الساعة وإلى عينيه إحداهما

«١» وذكر ابن الوردي في تاريخه المطبوع في مصر « ١ : ٣٥٩ » الكتاب الموصوف وهذا الكتاب نقل عن ابن العديم قوله : « وقال فيه : إنه اعتبر من ذم أبا=

تاورة[١] والاخرى غائرة جداً وهو مجدر الوجه نحيف الجسم ... وروي عن ابن منقذ أنه رأى أبا العلاء وهو صبي دون البلوغ فوصفه بقوله: هو دميم الخلقة مجدور الوجه على عينيه بياض من أثر الجدري كأنه ينظر باحدى عينيه قليلا

«٤» في ذكر اشتغاله بالعلم وذكر شيوخه الذين اخذ عنهم ـ فأجاد المؤلف في ذكر العلماء الذين تناول عنهم المعري في المعرة وحلب وبغداد التي دخلها سنة ٣٩٩ هـ ١٠٠٨ م واقام فيها سنة وسبعة أشهر يتفقد مكاتبها وق ل في كلام له عن هذه الرحلة: « واحلف ما سافرت استكثر من النشب ولا اتكثّر بلقاء الرجال ولكن آثرت الاقامة بدار العلم فشاهدت انفس ما كان لم يسعف الزمان باقامتي فيه »

«٥» في ذكر من قرأ على أبي العلاء وروى عنه من العلماء والادباء والمحدثين من أهل المعرة وغيرهم من الغرباء من حلب وكفرطاب والاندلس وتبريز واصبهان وسروج والرقة وهكار وبغداد والمصيصة وأبهر ونيسابور والانبار من ائمة وعلماء وقضاة وادباء ورواة وحفاظ ثقات رووا عنه وكتبوا واخذوا العلم واستفادوا وعظموا قدره ومعارفه .

«٦» في ذكر شيء مما وقع الينا من حديث أبي العلاء المعري رحمه الله مسنداً ـ وفيه أمثلة كثيرة تبسط فيها المؤلف .

«٧» في ذكر كتاب المعري الذين كانوا يكتبون له ماينشئه من الرثايد[٢] والنظم والتصنيف والاملاء وكان عنده أربعة كتاب في جرايته وجارية يكتبون عنه ما يكتب إلى الناس وما يمليه من النظم والنثر والتصانيف وكتب له جماعة من المعرة اخصهم انسباؤه ومنهم ابن اخيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان فانه كان ملازماً لخدمته ويكتب له تصانيفه ويكتب عنه الاجازة والسماع لمن يسمع

= العلاء ومن مدحه فوجد كل من ذمه لم يره ولاصحبه. ووجد من لقيه هو المادح له ..،» ثم قال في وصف الكتابين : « وفي هذين الكتابين فصول من نوادر ذكائه وإجابة دعائه والاعتذار عن طعن اعدائه » إلى آخر قوله .

«١» كذا في الأصل ولعلها قاورة من قور الرجل أي عور

(٢) كذا في الاصل ولعلها « الرثاء »

منه ويستجيزه وكتب تصانيفه بخطه حتى يقع بخطه من المصنف الواحد نسختان واكثر وكان براً بعمه مشفقاً عليه فقال فيه المعري شعراً لما كان يمرّضه :

اعبد الله ما أسدى جميــلا ... نظير جميل فعلك غير أمي
سقتني درها ودعت وباتت ... تعوذني وتقرأ أو تسمي
هممت بان تجنبني الرزايا ... فرمــت وقايتي من كل همّ
كأن الله يلهمك اختياري ... فتفعــله ولم يخطر بوهمي
حمدتك في الحياة اتم حمد ... وأيامي ذممــت اتم ذمّ
أجدّك ما تركت وأنت قاض ... تعهد مقعــد اعمى اصمّ
جزاك الباريء ابن أخ كريماً ... أبرّ بمعجــز في برّ عمّ

وقال فيه لما مرّضه بمرضه الاخير :

وقاض لاينــام الليل عني ... وطول نهاره بين الخصــوم
يكون أبر بي من فرخ نسر ... بوالده والطف من حمــيم
سأنشر شكره في يوم حشر ... أجلْ وعلى الصراط المستقيم

ومنهم ابن اخيه اخو هذا وهو أبو الحسن علي بن محمد سمع على عمه أبي العلاء جميع أماليه ونسخها بخطه . ومنهم أبو الحسن علي بن عبيد الله بن أبي هاشم المعري متولي أوقاف الجامع بالمعرة لزم الشيخ أبا العلاء وكتب كتبه باسرها وكتب من المصنّف الواحد عدة نسخ وكان خطه مورقاً حسن الضبط والاتقان حتى قال فيه المعري : « لزمت مسكني منذ سنة أربع مائة واجتهدت أن اتوفر على تسبيح الله وتمجيده إلا من اضطر إلى غير ذلك فامليت أشياءَ وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبيد الله ابن أبي هاشم أحسن الله معونته فالزمني بذلك حقوقاً جمة وأيادي بيضاء لانه افنى فيّ زمنه ولم يأخذ عما صنع ثمنه والله يحسن له الجزاء ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء (اه) وكان ولده ابو الفتح محمد بن علي بن عبيد الله بن ابي هاشم من كتاب المعري أيضاً فوضع له الشيخ أبو العلاء كتاباً لقبه (المختصر الفتحي) وكتاباً يعرف (بعون الجمل في شرح شيء من كتاب الجمل) . ومن كتّابه جماعة من بني هاشم وقد وقف ابن العديم على رسالة لابي العلاء تعرف برسالة (الضبعين) كتبها إلى معز الدولة علي بن صالح يشكو

اليه رجلين احدهما الشريف بن المحبرة الحلبي كانا يؤلبان عليه وينسبانه الى الكفر والالحاد وقد حرفا بيتاً من لزوم مالا يلزم عن موضعه ليثبتا عليه الكفر بذلك قال فيها : وفي حلب حماها الله نسخ من هذا الكتاب بخطوط قوم ثقات يعرفون ببني ابي هاشم . . . . جرت عادتهم ان ينسخوا ما امليه . ومن كتّابه ابراهيم بن علي بن ابراهيم الخطيب وهو كاتب حسن صحيح الخط متقن في الضبط كتب معظم كتب المعري وتصانيفه بخطه وكتب عنه في السماع عليه والاجازة منه وقرأ عليه .

(٨) في ذكر تصانيفه ومجموعاته وتآليفه واشعاره المدونة ورسائله المفننة . يقع هذا الفصل في نحو احدى عشرة صفحة بقطع الكتاب ونود نشره بحرفه في مجلتنا لما فيه من التحقيق والتدقيق بقلم مؤلف كبير مثل ابن العديم وبنشره تعريف كامل له وان كان ياقوت الحموي الرومي قد اطال في وصف مولفاته عند ما ترجمه في الجزء الاول من كتابه (معجم الادباء) فابن العديم لم يشق له غبار في تقصيه وتبسطه .

(٩) في ذكر رحلته إلى بغداد وعوده الى معرة النعمان وانقطاعه في منزله عن الناس وتسمية نفسه رهن المحبسين . عدّد المؤلف ماحدث له في هذه الرحلة وذكر له رسالة وابياتاً كتبها من بغداد إلى أهله في المعرة منها :

أإخواننا بين الفرات وجلقٍ ... يد الله لااخبرتكم بمحال
انبئكم اني على العهد سالم ... ووجهيَ لما يُبتَذل بسؤال
واني تيممت العراق لغير ما ... تيممه غيلان عند بلال

واشار إلى انه وصلها يوم موت الشريف ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب والد الشريفين الرضي والمرتضى فنظم له مرثية بليغة فائية الروي عرّفت الناس به .

وطلب هناك ان تعرض عليه الكتب التي في خزائن بغداد فأدخل اليها وجعل لايُقرأ عليه كتاب الا حفظه .

واورد هنا قصائد قيلت في استقدام ابي العلاء الى بلاده لبعض انسبائه .

(١٠) في ذكر ذكاء ابي العلاء وفطنته وسرعة حفظه وألمعيته وتوقد خاطره وبصيرته . فاسترسل هنا الى ما امتاز به المعري من الحفظ حتى ان احدهم سأله عن

ذلك فاجابه : « ماسمعت شيئاً الا وحفظته وما حفظت شيئاً فنسيته » . واورد من دقة حفظه وروايته ما تلي أمامه بالاذربيجانية والفارسية باعادته بالحرف الواحد وهو لايعرف شيئاً من اللغتين . وقال ان البغداديين أرادوا امتحان حافظته فاحضروا دستور الخراج الذي في الديوان وجعلوا يوردون ذلك عليه مياومة وهو يسمع إلى أن فرغوا من ذلك فابتدأ ابو العلاء وسرد عليهم كل ماأوردوا عليه. وكذلك فعل ابن منقذ بخزانة الكتب في كفر طاب بالقرب من المعرة أو بحلب التي كان يختلف إليها أبو العلاء فقرأ عليه نحو كراسة واستعاده اياه فلم يخطىء بحرف وذكر المؤلف هنا شيئاً مفيداً عن مكتبة حلب فقال : كان أبو المتوج مقلد بن نصّر بن منقذ في حلب وله بها دار ومنزل وكان بها خزانة كتب في الشرقية التي بجامع حلب في موضع خزانة الكتب اليوم « أي بزمن ابن العديم » واتفقت فتنة في بعض أيام عاشوراء بين أهل السنة والشيعة ونهبت خزانة الكتب . وكان ذلك في زمن أبي العلاء ولم يبق في خزانة الكتب الا القليل وجدد الكتب فيها بعد ذلك الوزير أبو النجم هبة الله بن بديع وزير الملك رضوان ثم وقف غيره كتباً أخر بها وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي هذه الخزانة في قصيدته التائية التي كتبها من القسطنطينية[1] يداعب احد اصدقائه بها قال فيها :

ابلغ أبا حسن السلام وقل له ... هذا الجفاء عداوة الشيعيّه
فلاطرفن بما صنعت مكابراً ... وأبث مالا قيت منك شكيه
ولاجلسنك للقضية بيننــــا ... في يوم عاشوراء بالشرقيه
حتى أثير عليك فيها فتنه ... تنسيك يوم « خزانة الصوفيه »

ومن تحقيقات ابن العديم قوله : وقد ذكر بعض المصنفين أن أبا العلاء رحل إلى دار العلم بطرابلس للنظر في كتبها واشتبه عليه ذلك بدار العلم ببغداد ولم يكن بطرابلس دار علم في أيام أبي العلاء وإنما جدد دار العلم بها القاضي جلال الملك ابو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمار في سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة . وكان أبو العلاء قد مات قبل جلال الملك في سنة تسع وأربعين وأربع مائة . ووقف ابن عمار بها من

(١) في مكتبتي نسخة نفيسة من ديوانه المخطوط القديم

تصانيف أبي العلاء الصاهل والشاحج والسجع السلطاني والفصول والغايات والسادن واقليد الغايات ورسالة الاغريض .

قرأت في كتاب تتمة اليتيمة[1] لابي منصور الثعالبي وذكر أبا العلاء المعري فقال: وكان حدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر وهو ممن لقيته قديماً وحدثنا في مدة ثلاثين سنة قال: لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل كل فن من الجد والهزل يكنى أبا العلاء وسمعته يقول: أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر وقد صنع لي وأحسن بي اذ كفاني رؤية الثقلاء والبغضاء. وهذا ان صحّ عن أبي العلاء فقد كان ذلك في حال حداثته فان أبا العلاء رحمه الله كان بعيداً من اللعب والهزل .

كان أبو العلاء متوقد الخاطر على غاية من الذكاء من صغره وتحدث الناس بذلك وهو إذ ذاك صبي يلعب مع الصبيان فكان الناس يأتون إليه ليشاهدوا منه ذلك فخرج جماعة من أهل حلب إلى ناحية معرة النعمان وقصدوا أن يشاهدوا أبا العلاء وينظروا مايحكى عنه من الفطنة والذكاء فوصلوا إلى المعرة وسألوا عنه فقيل لهم هو يلعب مع الصبيان فجاؤوا إليه وسلموا عليه فرد عليهم السلام فقيل له ان هؤلاء جماعة من اكابر حلب جاؤوا لينظروك ويمتحنوك فقال لهم هل لكم (في المقافاة)[2] بالشعر فقالوا: نعم فجعل كل واحد منهم ينشد بيتاً وهو ينشده على قافيته حتى فرغ محفوظهم باجمعهم وقهرهم فقال لهم: اعجزتم أن يعمل كل واحد منكم بيتاً عند الحاجة إليه على القافية التي يريد. فقالوا له فافعل أنت ذلك . قال فجعل كلما أنشده واحد منهم بيتاً أجابه من نظمه على

(١) تتمة اليتيمة للثعالبي من الكتب التي ظن كثيرون انها مفقودة ولكن صديقي البحاثة المحقق المنسنيور جرجس منش من علماء حلب عثر على نسخة نفيسة منها ونشر في بعض المجلات امثلة منها وهو ساع بطبعها كما اخبرني في الصيف الماضي وكان قد زارني في زحلة ورغبته ملحاعليه بطبعها وهكذا طلب العلامة أحمدباشاتيمورلما اخبرته بذلك.

(٢) المقافاة فن يسميه الناس في عهدنا « مذاكرة الانفاس » وهي أن يتذاكر اثنان أو اكثر بان ينشد كل منهم بيت شعر فيأخذ الآخر رويّه وينشد عليه بيتاً أوله مثل ذلك الروي . هكذا يفعل الآخر إلى أن يعيي أحدهما الانشاد فينقطع ويُغلب

فافيته حتى قطعهم كلهم فعجبوا منه وانصرفوا .

واورد ابن العديم هنا أخباراً كثيرة عن المعري تدل على قصده من هذا الفصل الذي عقده في ذكائه ومن اغرب ذلك أن بعض أمراء حلب قيل له : ان اللغة التي ينقلها أبو العلاء انما هي من الجمهرة وعنده من الجمهرة نسخة ليس في الدنيا مثلها واشاروا عليه بطلبها منه قصداً لاذاه فسيّر امير حلب رسولاً إلى أبي العلاء يطلبها منه. فأجابه بالسمع والطاعة وقال : تقيم عندنا أياماً حتى تقضي شغلك ثم أمر من يقرأ عليه كتاب الجمهرة فقرئت عليه حتى فرغوا من قراءتها ثم دفعها إلى الرسول وقال له : ماقصدت بتعويقك الا أن اعيدها على خاطري خوفاً من أن يكون قد شذّ منها شيء عن خاطري فعاد الرسول وأخبر أمير حلب بذلك فقال : من يكون هذا حاله لايجوز أن يؤخذ منه هذا الكتاب وأمر برده إليه .

ومن غريب ما أورده عن قوة محفوظه أن رجلاً من طلبة العلم باليمن وقع إليه كتاب في اللغة سقط أوله واعجبه جمعه وترتيبه فبعد البحث والتنقيب عما يصحح به خرم كتابه أرشد إلى أبي العلاء فحمل إليه الكتاب وهو مقطوع الأول . فقال له أبو العلاء: اقرأ منه شيئاً فقرأه عليه . فعرّفه بالكتاب ومؤلفه و أملى عليه ماينقصه فتم الكتاب وانفصل الرجل إلى اليمن وأخبر أهل العلم بذلك . وقيل ان الكتاب هو « ديوان الادب للفارابي » والله أعلم .

وقيل انه أملى من ديوانه « لزوم مالايلزم » في ليلة واحدة نحو الفي بيت كان يسكت زماناً ثم يملي نحو خمسمائة بيت ثم يعود الى الفكرة والعمل الى أن كملت المدة المذكورة.

(١٠) في ذكر حرمته عند الملوك والخلفاء والأمراء والوزراء = وهو فصل لطيف أطال به ابن العديم على عادته في الاستقراء وحسن الوصف .

(١١) في ذكر اضطلاعه بالعلم والادب ومعرفته باللغة ولسان العرب ، حتى قال أبو زكريا التبريزي « ما أعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعري » وهي كافية في تعريف قدره اللغوي .

(١٢) في ذكر كرم ابي العلاء وجوده ، على قلة ماله ونزارة موجوده . فصل فيه حوادثه المتعلقة بهذا البحث .

(١٣) في ذكر قناعة نفسه وشرفها وعفتها عن أخذ صلات الناس وظلفها . ذكر من هذا الفصل نحو صفحة ونصف وانقطع كلام المؤلف هنا فجأة مما يدل اما على خرم نسخة الكتاب الاصلية أو انقطاع المؤلف عن تتمته لأسباب مجهولة ولقد فاوضت صديقي أحمد باشا تيمور بشأن هذه النسخة فأجابني رعاه الله بما يدل على انه وقعت له نسخة من الكتاب مخرومة من هذا الموضع وربما جرى ذلك بيد أحد أعدائه .

ولم نسمع بنسخة كاملة فيما بحثنا عنه ولعلنا لانعدم من القراء الكرام التنقيب عن نسخة تامة والافادة عنها لنصحح خرم نسختنا ونصف الباقي منها .

(الخلاصة)

ان الكتاب خرم قبل أن يدخل مؤلفه في بحث تبرئة المعري التي هي المقصود من الكلام ولعلّ الذين يرمون المعري بالكفر مزقوا أوراقه ليؤيدوا رأيهم في تكفيره[١] والله أعلم

عيسى اسكندر المعلوف

---

(١) ومما استدللت منه على وجود نسخة كاملة غير مخرومة الآخر أن طاش كبري زاده نقل عن هذا الكتاب شيئاً من أواخره في البحث عن المعري وتكفيره وهذا نص ما جاء في نسخة الهند المطبوعة آخراً (١ : ١٩٢) من (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) : قال ابن العديم في كتابه (دفع التجري على أبي العلاء المعري) : كان يرميه اهل الحسد بالتعطيل ويعملون على لسانه الأشعار ويضمنونها اقاويل الملاحدة قصداً لهلاكه وقد نقل عنه اشعاراً تتضمن صحة عقيدته وكذب ما ينسب اليه (اه)

وهذه اشارة صريحة إلى وجود باب البحث عن اشعاره وما فيها من الوهم بالذهاب إلى التعطيل ونحوه وتبرئة المعري من هذه الوصمة

ومن أغرب ما رأيت ان ياقوت في معجم الأدباء لم يذكر (هذا الكتاب) بين مؤلفات ابن العديم الذي ترجمه في الجزء السادس ولا اشار إليه في ترجمة المعري في الجزء الأول مع احتفاله بالمعري .

القضاء والزكاة والحج

الفاظ عربية الاصل والمعنى

رأيت شك بعض الباحثين في عربية هذه الكلمات الثلاث فاحببت ان اقيد ماعلق في خاطري من ذلك .

القضاء

القضاء في اصل اللغة يرادمنه الحتم ومنه القضاء أخو القدر ثم اطلق على معان لاتتعداه وبذلك قال ابن قتيبة في كتابه مشكل القرآن ونص كلامه « اصل قضى حتم فيمسك التي قضى عليها الموت أي حتمه ثم يصير الحتم بمعانٍ » وذكر من معانيه الامر كقوله : وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه، أي أمر . والأمرحتم . (والإخبار) وقضينا إلى بني اسرائيل أي اخبرناهم واعلمناهم . وخبر الله واقع لامحالةفكان حتماً . (والصنع) فقضاهن سبع سموات أي صنعهن قال أبو ذؤيب :

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود اوصنع السوابغ تبعُ

وقال آخر يذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

قضيت اموراً ثم غادرت بعدها ... بوايج في اكامها لم تفتق

أي صنعها داود . وعملت أموراً ومن عمل عملاً وفرغ منه فقد حتمه .

قال ابن قتيبة ومنه قيل للحاكم قاض لانه يقطع على الناس الامور ويحتم ومثل قضي قضاؤك أي فرغ من امرك وقالوا للميت قد قضى أي فرغ ثم قال « وهذه كلها ترجع إلى أصل واحد » انتهى

وقال الزهري « القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه » وكل ما احكم عمله أو اتم أو ادى اداءً أو اعلم أو انفذ فقد قضى

وقد اشتهر حداً اطلاق القضاء على الحكم وهو أول معانيه التي ذكرها صاحب القاموس قال : « القضاءُ ويقصر الحكم » وقال في لسان العرب « القضاء الحكم واصله

قضاي لانه من قضيت (يائي) . قال ابو بكر قال أهل الحجاز القاضي معناه القاطع للامور المحكم لها . . . وفي صلح الحديبية . هذا ما قضى عليه محمد وهو فاعل من القضاء الفصل والحكم لانه كان بينه وبين أهل مكة وقد تكرر في الحديث ذكر القضاء واصله القطع والفصل يقال قضى قضاءً فهو قاضٍ إذا حكم وفصل . . . وقضاء النبي احكامه وأمضاؤه . ثم قال . وقضى في اللغة على ضروب كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه ومنة القضاء للفصل في الحكم ومثل ذلك قولهم قضى القاضي بين الخصوم أي قطع بينهم في الحكم . انتهى .

وفي التنزيل في سورة النساء الآية ٦٤ (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت) وفي يونس ٩٣ (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم) ١٩ (لقضي بينهم فيما فيه يختلفون) ٤٧ (فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط) ٥٤ (وقضي بينهم بالقسط) و النمل ٧٦ ، ٧٨ (ان هذا القرآن يقصّ على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون . انربك يقضي بينهم بحكمه) ومثل ذلك كثير في هود وطه والزُمرَ والجاثية وغيرها وفي الحديث كثير يتعسر استقصاؤه . ومن شعر الجاهليين :

ومنا حكَمٌ يقضي فلا ينقض مايقضي

والظاهر من هذا كله ان القضاء كان يطلق في كلام العرب على الفصل بين الخصوم وليس هو من الاوضاع الاسلامية البحتة كما توهم .

نعم ربما يصح إذا قلنا بان كلمة الحكم كانت اكثر شيوعاً واعم استعمالاً وهذا لايجعل كلمة القاضي المشتقة اشتقاقاً صريحاً من القضاء غير عربية الاصل والمعنى والاستعمال ولا مانع من ان تكون الكلمة شائعة في عصر من اعصر العربية ثم يغلبها في الشياع غيرها مع مناسبة في الوضع ومع اختلاف الاوضاع والازمنة ولكنها لاتخرج بذلك عن كونها عربية قال أبو الحسين احمد بن فارس : كانت العرب في جاهليتها على ارث من ارث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ومسائلهم فلما جاء جل ثناؤه بالاسلام حالت احوال ونسخت ديانات وابطلت أمور ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فعفى الآخر الاول وكان مما جاء في الاسلام

المؤمن والكافر والمنافق وان العرب انما عرفت المؤمن من الامان والايمان وهو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط واوصافاً بها سمي المؤمن بالاطلاق مؤمناً . . . وكذلك كانت لاتعرف من الكفر الا الغطاء والستر وأما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم أبطنوا غير ما اظهروا وكان الاصل من نافقاء اليربوع ولم يعرفوا من الفسق الا قولهم فسقت الرطبة أي خرجت من قشرها (انتهى بتصرف) وقد عرف العرب من لفظ الصلاة الدعاء وربما استعملت في السجود والدعاء كقول الاعشى :

يراوح من صلوات المليك فطوراً سجوداً وطوراً جؤارا

وارادوا بالسجود الانحناء وطأطأة الرأس قال النابغة :

قامت تراءى بين سجفي كلة كالشمس يوم طلوعها بالاسعد
أو درة صدفيـــة غواصها بهـج متى يرهـــا يهل ويسجد

وانشدوا :

فقلن له اسجد لليلى فاسجدا

يريد البعير أي طأطىء رأسك ، وذاك لتركبه ليلى . قاله ابن فارس .

وكذلك الحال في الصيام والحج والزكاة وفي الاصطلاحات العلمية وكلها تقال على معنيين لغوي واصطلاحي . وقد استعملوا كلمة مخضرم من حضرمت الشيء أي قطعته فسموا بها من ادرك الجاهلية والاسلام لانه قطع ايام الجاهلية بادراكه ايام الاسلام .

على أن كلمة القضاء ليست بهذه المثابة فانها استعملت بمعناها المشهور اليـــوم ايام الجاهلية وزمن النبوه كما ان مادة الحكم استعملت أيضاً بمعنى القطع ومعنى الاتقان ومنه قولهم حكيم اي متقن ومنه احكم الامر اي اتقنه وفرغ منه فقطع عنه كل عمل سواه وفي القاموس حكمه وحكّمه منعه مما يريد واول ماافتتح به مادة حكم قوله الحكم بالضم هو القضاء كما قـــال في أول الكلام على القضاء انه الحكم مما يدلك على ان اللفظتين تتعاقبان على معنى واحد . فبعد هذا هل يبقى من محل للشك في عربية لفظة القضاء أو من حاجة للتفتيش عنها في معاجم اللغات الاخرى .

ان الدكتور مرغليوث استاذ اللغة العربية في جامعة اكسفورد تردد في ورود كلمة القضاء بمعنى الفصل بين الخصوم في القرآن وان ليس لها هذا المعنى في الارامية والحبشية

ثم استفهم « هل ان كلمة قاض من كرتيس باليونانية وأن العرب اقتبسوها محرفة إن لم تكن الكلمة العربية واليونانية من اصل واحد »

وحمل ذلك بعض اصحاب المجلات العربية وهم من المحققين في اللغة على القول بانها ليست بعربية ولعلهم جنحوا إلى أن اصلها هيروغليفي وأن كلمة كاتي بالهيروغليفية والقبطية تشبه كلمة قاض لفظاً ومعنى فانه يراد بها الرئيس او حاكم العمال ومن معانيها فهيم ومتبصر وهي الاصل من مادة كات او كوت ومعناها عمل أو صنع وهذا القول لبعض كتبة الاقباط الافاضل نشره في المقتطف .

أما كونها لم ترد في القرآن فحسبك ماذكرناه من الآيات وكلها واضحة الدلالة . واما كونها محرفة عن كرتيس اليونانية فهو ليس بجيد بعد ثبوت اصلها العربي وأما كونها مع الكلمة اليونانية من اصل واحد فهو محتمل .

وقد رأيت صديقنا الدكتور صروف صاحب المقتطف على اضطلاعه من العربية قد جعلها غير عربية مع الفاظ اخرى منها الزكاة والحج ولااراني ذا ميل لموافقته على ذلك.

أما الزكاة

فقد استغرب انها يونانية الأصل من ذكاتس أي العشر مع أنها لايراد منها العشر بالمعنى اللغوي ولابالمعنى الشرعي الا في بعض مواردها . أما الأول فان كلام ائمة اللغة صريح في ذلك لايحتمل الشك قال في لسان العرب « الزكاء ممدود النماء والريع وفي كلام علي عليه السلام والعلم يزكو على الانفاق... والزكاء ما اخرجه الله من الثمر » . ثم قال : وقال ابن الانباري في قوله تعالى:(وحناناً من لدنا وزكاة) معناه وفعلنا ذلك رحمة لابويه وتزكية له. قال الازهري : اقام الاسم مقام المصدر الحقيقي والزكاة الصلاح ورجل تقي زكي أي زاكٍ وزكّى نفسه تزكية مدحها . والزكاة زكاة المال معروفة وهو يطهره .. وقال غيره: والزكاة ماأخرجته من مالك لتطهره به وقوله تعالى وتزكيهم أي تطهرهم . وقال أبو علي :الزكاة صفوة الشيء وقال أبوزيد : وقيل لما يخرج من المال للمساكين من حقوقهم زكاة لانه تطهير للمال وتثمير واصلاح ونماء كل ذلك قيل . ثم قال: « واصل الزكاة في اللغة الطهارة والنماء والبركة والمدح وكله استعمل في القرآن »

وفي غير لسان العرب من كتب اللغة نحو ذلك فالمعروف اذاً من معناها عند العرب قبل أن توضع لمعناها الشرعي هو الطهارة والنماء والبركة والمدح ولم تستعمل للعشر كالكلمة اليونانية « ذكاتس »

وأما الثاني أي معناها الشرعي : فان الزكاة الشرعية المفروضة انما فرضت على النقدين والانعام والغلات وقد وضع معناها لما فرضت في بلاد العرب سواء قلنا ان الوضع كان بالتنصيص من الواضع أو بالاستعمال حتى صارت حقيقة . وبلاد العرب وهي بوادٍ ومراعٍ بلاد انعام وليست بلاد زراعة إلا قليلاً منها وإذا قلنا ان أكثر من ثمانية اعشار ما كان يجبى من الزكاة في زمن النبوة كان من زكاة الانعام لم يكن قولنا بعيداً عن الصواب وزكاة الانعام ليس للعشر فيها اسم ولا معنى، يعلم ذلك من يعرف نصب الزكوات.

وكذلك زكاة النقدين ومنها زكاة التجارة واما زكاة الغلات فقد ورد فيها ان في ما سقته السماء العشر وما سقي سيحاً فيه نصف العشر والظاهر من هذا كله ان توارد العشر والزكاة على معنى واحد لا يكون إلا في بعض موارد زكاة الغلات وقد عرفت انها كانت قليلة في بلاد العرب حيث وضع اللفظ للمعنى المذكور . ومن الزكاة زكاة الابدان وهي المعروفة بزكاة الفطر وهي على الأنفس كل نفس صاع من تمر أو زبيب أو حنطة أو شعير ولا أدري ما هي المناسبة بين هذه الزكاة وكلمة العشر ولكن المناسبة بين معناها ومعنى النمو واقعة لأن الأحاديث الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تدل على أن الزكاة تنمي المال وتطهره وتزكي الابدان وفي التنزيل (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) . والآيات والشواهد كثيرة .

ولعل في تسمية العرب للزوج أو للزوجين زكاً، مقصورة، اشارةً إلى الكثرة الملابسة لمعنى النماء فانهم يقولون للفرد خساً وللشفع زكا وعللوا ذلك بأن اثنين ازكى من واحد.

وأما الحج

فان معناه اللغوي المتبادر عند الاطلاق هو القصد يقال حج الينا فلان أي قدم قال المخبل السعدي :

واشهد من عوف حلولاً كثيرة يحجون بيت الزبرقان المزعفرا

٤

اي يقصدونه ويزورونه . قال في لسان العرب «وقال ابن السكيت : يقول الكثيرون الاختلاف إليه هذا الأصل ثم تعورف استعماله في القصد إلى مكة للنسك والحج إلى البيت خاصة » . .

ومنه سمي الطريق محجة لأنها مسلك ومقصد ومنه الحجة بمعنى البرهان لأنها تقصد للاثبات ومنه حج الشجة يحجها إذا سبرها بالميل ليعرف كنهها فيعالجها لأن السبر قصد للمعالجة .

فيكون اسم الحج بالمعنى المعروف واضح الأخذ من المعنى اللغوي فهل يبقى ثمة من حاجة إلى التعسف بأنه غير عربي فنطلبه في غير العربية من اللغات ؟

وان الحج عند العرب للنسك كان معروفاً بينهم من زمن ابراهيم الخليل ولما جاء الاسلام وضع شرائط وأركاناً فصار الحج يطلق على هذا المعنى الشرعي ولم نعلم انه كان له اسم غير هذا منذ وجد .

نعم لا يبعد أن تتفق مادتان في لغتين مختلفتين فتتقاربان لفظاً ومعنى ولكن ذلك لا يستلزم أن احداهما أخذت من الاخرى .

جبل عامل : أحمد رضا

موقع جبل المسقية

طالعت في جزء شهر آب الحالي في مجلة المشرق صفحة ٧٣٢ قول منشئه : « ولم نجد ذكراً لجبل المسقية » فراجعت كتابي المخطوط (تاريخ سورية المجوفة) فاذا فيه ما محصّله : ذكرت بعض التواريخ مراراً كلمة (درب المسقية) و (جبل المسقية) ولم أجد أحداً تعرّض لتعيين موقعه فبحثت عنه فوجدت ان (المسقية) تطلق على الصرد (الجرد) الواقع غربي قرية دير الاحمر قرب بحيرة اليمّونة وموقعه فوق (مرج حين) و (عيون أرغوش) من اسناد جبل المنيطرة (أي المحرس) وتقول العامة المسقية والمسقاية بمعنى المصقعة لشدة بردها وثلجها وسمي الجبل الذي يتصل بها (جبل المسقية) لذلك السبب.

هذا ما ظهر لي في البحث عن موقع هذا الجبل . والله أعلم

عيسى اسكندر المعلوف

آراء الاعضاء[1]

كتب الينا العلامة الدكتور يعقوب صروف أحد منشئي المقتطف الاغر في القاهرة ومن أعضاء مجمعنا يقول :

.. إلا أنني غير راضٍ عن اهتمام بعض الأعضاء بالترجمة حيث لا موجب لها . أي ترجمة بعض الأسماء الافرنجية التي لا مرادف لها عندنا . بالله مافائدة اللغة من ترك كلمة افرنجية شاعت بيننا والتفتيش عن كلمة قديمة حوشية يحتمل ان لايؤدي معناها معنى اللفظة الافرنجية ولو بعد المط .

ثم هل في الامكان أن نترجم أو نجد مرادفات لكل الكلمات الجديدة . عددت بالامس الكلمات الطبية في قاموس طبي اتاني حديثاً فوجدتها نحو ٤٢ الف كلمة ونحو أربعة اخماسها جديد لامرادف له في العربية فهل في طاقة صديقنا الاستاذ عيسى اسكندر معلوف أو غيره أن يجد مايترجم به عشرها في عشر سنوات . لقد حاولت الترجمة منذ خمسين سنة إلى الآن ووجدت أخيراً أن لابد لي من أن اعرب دفتيريا وتيفوئيد وتيفوس وبلهارسيا كما اكتب كلمة سل وصداع ويرقان .

لايعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

والاحسن أن ندع الترجمة والتعريب في كل علم إلى الذين يعلمونه ويعملون به . واللغة لاتقوم بما فيها من الاسماء بل بما فيها من الحروف والتصاريف فالتركية بقيت تركية مع أن نصف الاسماء والافعال فيها عربي اه .

وجاءنا من الاستاذ الامير شكيب ارسلان احد أعضاء مجمعنا العلمي في برلين :

... ولو كنت بين اظهركم لاقترحت أن يحمل عند قبول رصيف جديد حفلة يلقي فيها أحد أعضاء المجمع خطاباً ينوه فيه بعمل المنتخب وماسبق له من أثر في عالم العلم والادب ويجاوب هو بما يناسب المقام كما هو الشأن في أكادميات المغرب ولكن الغياب لايمنع من وضع الاقتراح موضع المذاكرة والسير على هذه الطريقة في الانتخابات الآتية فلكم في النظر في ذلك واعتماده أو عدمه الرأي العالي الموفق ان شاء الله اه .

---

(١) لنا في هذه لآراء كلمة ستأتي في جزء آخر

آراء وافكار

(١) اسئلة

وردتنا من الفاضل صاحب التوقيع الاسئلة الآتية :

١ - هل يجوز استعمال المشروع بمعنى المهمة والمسعى

٢ - » » » الوظيفة بمعنى المنصب أو المصلحة والموظفين بمعنى اصحاب المناصب

٣ - هل يجوز استعمال الشرطة بمعنى الشُرَط جمع شُرَطي

٤ - هل يجوز استعمال جلس بمعنى قعد

٥ - » » دفع « الدراهم » بمعنى ادى ونقد

٦ - » » فرصة مدرسية » عطلة

٧ - » » عبّد الطريق » حصّبها

٨ - » أن نجمع المصدر الاصلي كما نجمع مصدر المرة فنقول اغلاط ج غلط

٩ - هل تستحسنون النسبة إلى ماهو بجموع كاميركاني وكنائسي وأخلاقي

١٠ - » » » السريانية كروحاني وملوكاني ورباني ونصراني

١١ - أيجوز أن نسمي صانع الساعات أو عاملها ساعاتياً ونجمعه على ساعاتية والا فماذا نسميه

١٢ - هل من فرق بين الفعلين حبس وسجن

١٣ - هل يمكنكم أن تضعوا قواعد لجموع التكسير

١٤ - كيف نعرف أن وزن فعلال كضوضاء مذكر

١٥ - هل تطلبون من الكتّاب أن يستعملوا الالفاظ التي وضعها مجمعكم تلبية لاقتراح دائرة الشرطة صفحة ٨٠ - ٨٣ أو تقصدون عرضها على القراء لابداء رأيهم فيها قبل اثباتها واقبلوا احترامي وشكري سلفاً .

الداعي نقولا غبريل

منشىء جريدة النشرة

الاسبوعية

(٢) اجوبة

١ً ـ المشروع في اللغة ما وافق الشرع واستعماله بمعنى المهمة والمسعى فيه تسامح ولعل الاصل المشروع فيه فحذف الجارّ جوازاً .

٢ً ـ الوظيفة في اللغة ما يقدر لك في اليوم من طعام أو رزق ونحوه . يقال له وظيفة من رزق وعليه كل يوم وظيفة من عمل. ولما كان لكل منصب عمل معين استعملت الوظيفة بمعنى المنصب. قال ابن خلدون في كلامه على ديوان الاعمال والجبايات « اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك» وقال في موضع آخر « وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة » وكرر هذا الاستعمال مراراً كثيرة . أما التوظيف فهو في الاصل تعيين الوظيفة يقال وظف عليه العمل وهو موظف عليه ثم استعمل الموظف بمعنى صاحب الوظيفة على حذف الجارّ لان اصله الموظف عليه وهو جائز في ما نعلم .

٣ ـ الشرطة في اللغة طائفة من أعوان الولاة جمعها شُرط والنسبة إليها شُرْطي بسكون الراء . قال الزمخشري . وتحريك الراء خطأ ويؤيد ذلك قول الدهناء :

والله لولا خشية الامـــير وخشيـة الشرطيّ والفرتور

والمتحصل من ذلك أن الشرطي بسكون الراء واحد الشرطة والشرط جمعها .

٤ ـ الجلوس في اللغة الانتقال من سفل إلى علو والقعود هو الانتقال من علو إلى سفل فيقال للنائم اجلس وللقائم اقعد وفي بعض كتب اللغة الجلوس والقعود مترادفان فيجوز استعمال احدهما بمعنى الآخر .

٥ ـ يجوز استعمال دفع الدراهم إلى صاحبها بمعنى اداها . قال في القاموس دفع إليه مالاً اعطاه ومنه قول القرآن : فادفعوا إليهم اموالهم .

٦ ـ لايجوز استعمال فرصة مدرسية بمعنى عطلة لان الفرصة في اللغة النهزة والنوبة يقال اغتنم الفرصة أي الوقت والنهزة وجاءت فرصتك من السقي أي نوبتك ووقتك الذي تسقي فيه . والعطلة هي البقاء بلا عمل والفرق بينهما ظاهر .

٧ ـ لايجوز استعمال عبّد الطريق بمعنى حصبها لان التعبيد التذليل والتمهيد . والتحصيب بسط الحصباء أي الحصى والفرق بينهما بعيد .

٨ ـ يمتنع جمع المصدر إذا أريد به معنى الحدث مجرداً إذ هو للحقيقة المشتركة بين القليل والكثير فلا يكون لجمعه معنى ولكن إذا أريد به الدلالة على تكرر الحدوث كالضربات والنظرات . أو النوع كالاسقام والاهواء والبيوع . أو جعل اسماً لمدلوله مجرداً عن ارادة معنى الحدث كالاحقاد والأشواق والاشجان جمع كبقية الاسما، وكل ذلك وارد في كتب اللغة والصرف . أما الاغلاط فقد نص صاحب تاج العروس على أنها جمع غلط إذ قال : ويجمع الغلط على أغلاط . وعنون صاحب المزهر النوع الخمسين من كتابه بقوله (معرفة اغلاط العرب) .

٩ ـ إذا نسب إلى الجمع ردّ إلى مفرده ثم نسب إلى ذلك المفرد فيقال في النسبة إلى الكنائس كنسي وإذا كان الجمع شبيهاً بالمفرد في وضعه نسب إليه على لفظه وهواما أن يكون قد غلب فجرى مجرى العلم كالانصار أو سمي به كمدائن اسم بلد وكلاب اسم قبيلة أو لا واحد له كالقوم فيقال في النسبة إلى هذه المذكورات انصاري ومدائني وكلابي وقومي . وعندنا أنه يجوز قياس اخلاق على انصار فيقال في النسبة إليها اخلاقي وهي شائعة في استعمال بلغاء هذا العصر . اما النسبة إلى اميركان فهي عندنا غير جائزة لان هذه اللفظة في الاصل منسوبة إلى اميركا وهي في اللغة الانكليزية تدل على المفرد لاعلى الجمع بدليل تجردها عن علامة الجمع فالنسبة إليها إنماهي نسبة إلى المنسوب لاتوافق القياس ولاتفيد المعنى المطلوب فالصواب أن يقال في المفرد اميركي وفي الجمع اميركيون.

١٠ ـ النسبة السريانية الداخلة في بعض الالفاظ العربية كالروحاني والجسماني والرباني وغيرها هي سماعية لايقاس عليها ولايستحسن منها غير المسموع .

١١ ـ لايجوز قياساً أن يسمى صانع الساعات ساعاتياً ولكن المولدين اجازوا ذلك واستعملوه حتى ان الشاعر المشهور ابا الحسن بن رستم من أهل القرن السادس للهجرة كان معروفاً بابن الساعاتي وكثيرون غيره أيضاً عرفوا بهذا الاسم وهو يجمع جمع مذكر سالماً فيقال ساعاتيون .

وعندنا أن الافضل استعمال صانع الساعات بدلاً من الساعاتي

١٢ ـ قال صاحب القاموس : سجنه حبسه في سجن وحبسه سجنه فالظاهر أنه لافرق بين الفعلين إلا أن حبس يستعمل في السجن وغيره فيقال حبس الفرس أي وقفه

في سبيل الله وحبس الفراش بالمقرمة أي ستره بلاءة ونحوها ويقال حبسه عنه أي منعه وحبسه عليه أي وقفه .

أما سجن فلا يستعمل في غير السجن الا على سبيل المجاز .

١٣ ـ قواعد جموع التكسير مذكورة في كتب الصرف والنحو كالايضاح لابي علي الفارسي والتسهيل لابن مالك وكتاب شرح الالفية للاشموني والمغني لابن هشام وغيرها فراجعوها ان احببتم .

١٤ ـ يعرف وزن فعلال أنه مذكر بكونه خالياً من علامة التأنيث لفظاً وتقديراً وحكماً كالبلبال والزلزال والسلسال والصمصام . اما الضوضاء فيعرف أنه على وزن فعلال لا على وزن فعلاء بكونه مشتقاً من ضوضى يضوضي لا من ضاض يضوض لان هذه المادة الاخيرة لم تسمع عن العرب واصل الضوضاء ضوضاو فقلبت الواو همزة لتطرفها بعد الف وقد نص على ذلك صاحب المقصور والممدود .

١٥ ـ الالفاظ التي وضعها مجمعنا تلبية لاقتراح دائرة الشرطة وغيرها وافق عليها اعضاؤه الشرقيون المقيمون بدمشق ونشرت في المجلة والجرائد ليطلع عليها باقي الاعضاء والادباء فان وافقوا عليها استعملوها وان كان لاحد منهم رأي فيها ابداه فان وجدناه سديداً قبلناه بالشكر ونشرناه اتماماً للفائدة والا اهملناه

انيس سلوم

فوائد لغوية من مفاتيح العلوم

السرية ـ هم النفر يبعثون ليلاً للتناقر بالبيات اشتقت من السُرى والجمع السرايا .

السارية = النفر الذين يبعثون نهاراً وجمعها سوارب .

الثغور = من بلاد الشام هي التي تصاقب بلاد الروم .

العواصم = التي خلف الثغور كأنها تعصم الثغور وعوادل الثغور التي عدلت عنها .

مطبوعات حديثة

مجموعة مراث

اهديت الينا مجموعة المراثي التي قيلت في زين الشباب وحامل راية الآداب المرحوم محمد بك تيمور نجل صديقنا الابر أحمد باشا تيمور الذي فجعت به مصر في العام الماضي فكان رزء الفضل به جسيماً ، وحزن اصدقائه عليه عظيماً . والمجموعة قسمان قسم يتضمن القصائد الشعرية والخطب النثرية التي القيت في حفلة تأبينه في تياترو حديقة الازبكية وقد شهدها جم غفير من أهل العلم والادب والقسم الثاني يتضمن مانشر في الجرائد المصرية من خبر وفاة الفقيد وبيان مزاياه الادبية والاخلاقية وعظم وقع الفجيعة به في نفوس ذويه واصدقائه ومحبيه . وقد افتتحت المجموعة برثاء من نوع الشعر المنثور كتبه اخو الفقيد الاصغر محمود بك وقد سبكه في أسلوب يثير الشجون ويسيل العبرات من العيون . فنسأل للفقيد الرحمة والاجر الجزيل ولسعادة والده وسائر آله الصبر الجميل .

رموز الاختصار العربية

أهدى الينا الاستاذ الشيخ محمد بن أبي شنب الجزائري رسالة جمع فيها نحو مئة كلمة من الكلمات المستعملة في كتب مؤلفي العرب مابين نحو وفقه وحديث وفلسفة وذكر أمام كل كلمة طريقة اختصارها أي الحروف التي تختزل منها لتدل عليها قال في مقدمة الرسالة « انه وقف في اثناء مطالعاته على كثير من هذه الاختصارات العربية فرأى من المفيد أن ينشرها وهو لايعلم ان كان احد سبقه إلى جمعها على هذه الصورة » وكان يترجم كل كلمة إلى اللغة الافرنسية مع زيادة شرح وتفصيل في بعض الكلمات بهذه اللغة وقد تصفحنا تلك الكلمات واختصاراتها فوجدنا منها أشياء نعرفها نحن في بلادنا مثل « رحمه الله » « رح » و « رضي الله عنه » « رضه » و « المصنف » « المص » ومنها مالا عهدلنا به « التسلسل » « التس » و « أصلا » « أص » و « المشهور » « المش » ومنها ما بيننا وبين أهل المغرب فيه اختلاف مثل كلمة « انتهى » فاختصارها عندهم « ه » وعندنا « اه » فنحمد للمؤلف عنايته ونشكر له هديته

المغربي

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ٩ ايـلول سنة ١٩٢٢ م الموافق محـرم سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

شمبوليون والآثار المصرية

(١) الحفلة

في العاشر من تموز الماضي كانت باريس محط رحال علماء المشرقيات لاحتفال الجمعية العلمية الآسوية فيها بمرور مائة سنة على حل العلامة شمبوليون لحروف الكتابة الهيروغليفية التي سهلت للعلماء سبل التحقيق عن الآثار المصرية الكثيرة النفيسة المثبتة لتاريخها الصحيح. فرسمت تلك السطور التي قرأها محفورة بصورتها الأولى على اوراق الدعوات التي وزعتها إدارة متحف اللوفر على المدعوين. وانتشرت الدعوات في جميع الاقطار.

فكانت الوفود كثيرة من معظم الامم فاجتمع هناك من العلماء والادباء الانكليزي والاميركي والايطالي والاسباني والهولندي والتونسي والمصري وشاركت حكومة فرنسة جمعياتها العلمية فتصدر رئيس الجمهورية بالحفلة في قصر الصوربون وإلى جانبه وزير المعارف ثم أرباب الرتب وكان الحاضرون نحو عشرة آلاف فخطب المسيو دستورنيل دي كونستان مدير المتاحف الوطنية والمسيو سينار رئيس الجمعية الآسيوية والمسيو بنديت مراقب متحف الآثار المصرية . ورفع المسيو بيرار الستار عن حجر من الرخام نقش عليه ذلك الاكتشاف المفيد . ثم اختتمت الحفلات باجتماع عام في أحد الفنادق الفخمة على ضفة السين . وارفض المجتمعون يرددون ذكرى ذلك العلامة الشهير الذي أفاد علم الآثار باكتشافه ونال التاريخ منه أوفى نصيب . وعزمت الحكومة المصرية

على اقامة اثرله في مصر تخليداً لمأثرته التي خدم بها ذلك القطر ولغة الفراعنة وعلى ذكر هذا العيد المئوي نورد لمة عن الجمعية الآسوية والمكتشف وطريقة اكتشافه الكتابة المصرية مهنئين الجمعية الآسوية الموما اليها وحكومة فرنسا الفخمة بهذا العيد الذي أبقى لها فيه المكتشف اطيب ذكر لايمحى اثره .

(٢) الجمعية الآسوية الفرنسية

أنشأها في باريس العلامة سلفستردي ساسي S. de Sacy مع بعض تـــلامذته وأصدقائه سنة ١٨٢٢ فبثت روح حب الشرقيات في نفوس الاوربيين فحذوا حذوها وانشأت علماء جهابذة ومجلة مشهورة ملأتها بالمباحث المفيدة المتعلقة بالشرق وآدابه بلغت مائتي مجلد حتى الآن وكلها باقلام اعلام العلماء فكان للغة العربية نصيب وافر منها فتنبهت الخواطر إلى البحث عن نفائس المؤلفات الشرقية وطبعها وأرسلت البعثات للحفريات الاثرية . ولقد اشتهر ممن نبغوا في هذه الجمعية علماء أعلام منهم في فرنسة كوسين دي برسفال وسديليو وجوبير ورينو وفرجه ورينان وكاترمير واشباههم ممن لهم في خدمة الشرقيات افخر ذكر .

(٣) الهيروغليفية

إن اللغة الهيروغليفية Hiéroglyphe هي لغة كهنة المصريين المقدسة التي اخفوا حل رموزها عن الشعب وحصروه بهم وكان المصريون القدماء قد بلغوا منتهى الحضارة من نحو أربعة آلاف سنة قبل الميلاد واشتهرت آثارهم وكتاباتهم ثم انقرضت لغتهم هذه فخلفتها القبطية وشاعت على عهد الدولة الرومانية فالقبطية بالنسبة إلى الهيروغليفية كالفرنسية أو الايطالية بالنسبة إلى اللاتينية وللحروف الهجائية الهيروغليفية أكثر من ثلاثة آلاف صورة وتسمى العامية منهـــا البربائية أو الهرمسية وهي اشـكال دالة على صور موجودة وأشياء مفروضة وتكتب إما من اليمين إلى اليسار أو بالعكس وقد ترسم من الاعلى إلى الاسفل ايضاً وتقسم إلى ثلاثة اقسام حروف بسيطة وحروف مركبة وعلامات مخصصة . فالحروف البسيطة هي اشبه بحروف الهجاء العربي وعددها ستة وعشرون حرفاً بينها الحركات أيضاً . والحروف المركبة علامات ذات

مقاطع أي مخارج فهي حروف معان وحروف مبان وتنحصر في ٢٨ فصلاً . والعلامات المخصصة هي اشارات ترسم في آخر الكلمات لتخصيص معانيها فتكتب خطاً وتهمل لفظاً .

فاذا ارادوا التعبير عن القوة مثلاً صوروا جثة سبع برأس انسان . وعن الانتحار رسموا رجلاً يشج رأسه بفاس . وعن الامانة صوروا جثة انسان برأس كلب . وعن الصدق رسموا ريشة طاووس . وعن الأبدية نقشوا دائرة . وعن البر بالوالدين صوروا كركياً . وعن العقوق بهما مثلوا سمك الحيات . وعلى هذا النمط عبروا بهذه الرموز عن مقاصدهم فبقي هذا القلم مغلقاً عن الناس يتكهنون فيه ما شاء حذقهم .

(٤) حل هذه الكتابة

يروى أن أول من اشتغل بحل اللغة المصرية الاستاذ كرشر سنة ١٧٠٥ م وسار على أثره بعض العلماء إلى أن ظهر الدكتور يونغ Young الانكليزي سنة ١٨١٥ فصرف أربع سنوات في معالجة ذلك حتى اهتدى إلى شيء منه ولكنه غير كاف . فكان الذي حل رموزها كلها هو شمبوليون وإليك الخبر .

كان المسيو بوسارد المدفعي الفرنسي يحتفر خندقاً قرب ثغر رشيد سنة ١٧٩٧ م ليتحصن فيه فوجد هناك حجراً عرف بحجر رشيد وهو حكم أصدرته كهنة منفيس لتعظيم بطلميوس ابيفانوس (أي الماجد) في حفلة عامة وهو مكتوب بثلاثة اقلام هي البربائي الذي مر ذكره والديموطيقي (أي المختصر الدارج المصري) واليوناني فحاول العلماء حل رموزه فلم يفلحوا حتى حلها شمبوليون .

وهو جان فرنسوا شمبوليون J. F. Champollion الذي ولد سنة ١٧٩٠ م في فيجاك Figeac الفرنسية فاتقن من اللغات الشرقيه العربية والعبرانية والكلدانية والسريانية والحبشية واكب على القبطية فحذقها وعين مديراً للقسم المصري في متحف اللوفر فجاء مصر سنة ١٨٢٨ وتفقد آثارها بتدقيق فحقق ظنه في حل القلم الهيروغليفي الذي على حجر رشيد وكان قد اهتدى إليه في ١٤ أيلول سنة ١٨٢٢ بعد بحث ست سنوات صرفها في مقابلة اللغات الثلاث على الحجر ومعارضتها بادئاً بالاعلام فيها فانجلت له الحقيقة ووثق منها ووضع كتاب صرف ونحو لها ومختصر تاريخ

مصر ومعجماً للهيروغليفية اعجلته المنية عن إتمامه إذ توفي سنة ١٨٣٢ فانجزه ولده غوسطاف

ففتح هذا العلامة باباً فسيحاً لدرس آثار مصر وعرف من يدرسها باسم (الجبتولوك) Egyptologue وقام بعده نفر من العلماء بهذا العمل مثل ماريبت باشا المتوفى سنة ١٨٨٠ مؤسس المتحف المصري ثم العلامة مسبرو مؤلف كتاب شعوب المشرق القديمة ومكتشف آثار تل العمارنة وغيره . وادخل تدريس اللغة المصرية في مدارس مصر سنة ١٨٧٠

وكان نفر من العلماء الذين درسوا اللغة القبطية من خصوم شمبوليون قد انكروا عليه ماقرره بشأن الهيروغليفية وحلها حتى إنهم لم يشاؤوا ذكره ولا قراءة مؤلفاته لحسدهم ولكن ذكره لايزال عند جميع الامم شاهداً على فضله في ماخدم به اللغة المصرية وآثارها رحمه الله عداد حسناته .

عيسى اسكندر المعلوف

فوائد لغوية

المأبض من الانسان كالأبض = باطن الركبة

الأَبَق = القنّب أو قشره الذي تعمل منه الحبال

الأربية = أصل الفخذ

الأُربة = العقدة أو التي لاتنحل حتى تحل وبها سمى بعض العلماء ربطة الرقبة cravate

الأوارجة = معرب آوراه بالفارسية دفتر حساب الدخل والخرج يدوّن فيه ما كان مشتتاً من حسابات الديوان ج أوارجات

الأُرفه = الحدّ بين الارضين والعلامة والعقدة ج أرف

الإران = سرير الميت أو تابوته من خشب ج أُرن

الاصيص = اناءٌ كنصف الجرة تزرع فيه الرياحين وتسميه العامة حوضاً

أنيس سلوم

غابر الاندلس وحاضرها

(١١) مدينة مجريط

سار بنا القطار من باريز إلى جنوبي فرنسا ماراً باراض عامرة بزراعتها دالة على سلامة ذوق أهلها وتفننهم في ضروب الحياة المادية والادبية ولما اجتزنا جبال البيرنات «جبل الثنايا» دخلنا ليلاً محطة إرون الاسبانية قاصدين إلى مجريط عاصمة اسبانيا الحديثة كثرت لواعج الاشواق إلى الصقع الاندلسي واشتدت تباريح الذكرى

واكثر ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

تمثلت للعين تلك الامة العربية الغربية ، وما أثلته من الامجاد في هذه البلاد ، وظهرت فيه من مظاهر الحياة الراقية ، تذكرت جيلاً عظيماً . لم يبق سوى التحدث بطيب أخباره . والتطلع إلى جميل آثاره ، ذكرت عشرات الالوف من العظماء ، ضمت الاندلس اعظمهم ، وكان كل واحد أمة برأسه ومنهم من لم ينبغ أمثال لهم في أمة في القرون المتواصلة ووددت لو أمكن العمل بحكمة المعري حين قال :

خفف الوطء ما أظن اديم ال أرض إلا من هذه الاجساد

وحرام بنا وإن قدم العه د هوان الآباء والاجداد

مدينة مجريط او مدريد هي عاصمة اسبانيا منذ سنة ١٥٦٠ وسكانها اليوم يقربون من سبعمائة الف وهي العاصمة التي اختارها فيليب الثاني لتوسطها من البلاد وكانت على عهد العرب حصناً أو بليدة ولم ترزقها الطبيعة نهراً كبيراً ولا ضاحية بديعة مشجرة مثمرة بل كان قديماً في أرباضها بعض الغابات فحطمت ولم يبق منها إلا القليل . على أن فيها اليوم ما في جميع عواصم الغرب من المرافق والمصانع . زرت بعضها وهي لا تختلف عن مصانع الامم اللاتينية الا قليلاً بل هي أقل عظمة من مصانع ايطاليا وفرنسا وليس في مجريط أثر يعتد به من آثار العرب ، واما آثار الاسبانيين الحديثة فليست مما يعجب به كثيراً لانها حديثة عهد على الاغلب وتكاد تكون الصبغة الدينية متجلية في كل مصنع من مصانعهم .

واكثر احياء المدينة ضيقة وبيوتها مزدحمة كسائر المدن المنحطة في أوربا الا أن

بعض الاحياء والدور المستحدثة هي على الطراز الغربي الجديد ولها حدائق وساحات على جانب من السعة مستوفاة شروط الصحة . وقد انشئت في زمن الحرب العامة في مجريط وغيرها من مدن اسبانيا بيوت اقامها اغنياء الحرب أي الذين اتجروا فيها وربحوا وربحت بهم اسبانيا لحيادها وقد احسنت لنفسها بالتزامها خطة المسالمة ومن هذه البيوت مايقتضي الوفاً من الليرات . فلما أشتدت الازمة على أوربا عامة لحق اسبانيا من أثرها شيء بالطبع فوقف العمل في بعض تلك البنايات وكذلك كثير من المشاريع والمعامل التي احدثوها مغتنمين فرصة تقاتل جيرانهم

في مجريط تسعون كنيسة من الكنائس التي لاشأن لها في نظر التاريخ وعلم العاديات . وليس لها مقام رفيع في باب البناء الحسن . والمصانع التي من هذا القبيل ليست بالكثيرة العدد وقد قام القصر الملكي اليوم محل القصر العربي وكان هنري الرابع جعل هذا القصر محلاً للصيد . وفي متحفها الوطني بعض آثار العرب التي افلتت من أيدي الذين زهدوا فيها بصنع المتعصبين من رجال الدين وخربوها واتلفوها . أما تاريخ هذا الحصن العربي أي مجريط فليس بعظيم وخلاصته انه أخذ من العرب ثم استعادوه الى ان استولى الاسبان على طليطلة سنة ١٠٨٦ م فاصبحت مجريط يومئذ اسبانية وقد زادت مكانة مجريط فكبرت رقعتها في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر وذلك لاتصالها بالخطوط الحديدية مع الولايات ومع فرنسا والبرتغال وقد انشىء فيها في العهد الاخير تراموای کهربائي Mètropolitain تحت الارض على مثال تراموای باريز ولندرا وبرلين ونيويورك .

(١٣) دير الاسكوريال

اهم مافي ضاحية مجريط دير الاسكوريال على أحد وخمسين كيلو متراً منها بناه فيليب الثاني ونجزت عمارته سنة ١٥٨٤ وعمر فيه حفيده فيليب الرابع البانتيون مدفن العظماء من الآل الملوكي وقيل انه انفق على الدير خمسة عشر مليوناً ونصف مليون من البستاس اي الفرنك الاسباني .

والاسكوريال كما قال عنه واصفوه من الافرنج مثال مما تعمله الارادة ومما لاتعمله

فقد قيل ان الادارة قادرة في بعض الاحوال وعاجزة عن ايجاد عمل واحد يدل على نبوغ ، وعبقرية وهذه الشعلة الالهية قد نقصت في عمل باني الدير . فمن شقائه انه نشأ في عهد لم يشتهر بقوة الايجاد ولا بسلامة الذوق فجاء بناؤه جافاً رغم ماتماوره من ايدي المهندسين لم ينمّ عن لطف ولا حوى اسباب الجمال . وغلب على البناء تصنع الملك فيليب في مظاهر أبهته وعظمته ولطالما ضيّق صدور أسرته وحاشيته منه في هذا الشأن فلم يكن لهم همّ الا ان يدهنوه . وكان من طبعه ان يتدخل فيما لايعلم حتى افسد على المهندسين عملهم او كاد وجاء العمل الذي ابقاه للاعقاب حتى يفتخروا به وليس فيه كبير أمر من جمال الهندام والنظام ، اشبه بسجن مظلم وديماس منحوت .

واهم مايلفت النظر في هذا الدير دار كتبه وفيها خمسة واربعون الفاً من المجلدات حوت كثيراً من المخطوطات والنقوش والرسوم ومنها الكتاب المقدس الذي كان يقرأ فيه بعض ملوك اسبانيا في القرون الوسطى وبعضها كتب باللاتينية ومنها ماكتب بالاسبانيولية او اليونانية ومنها المزين باجمل الرسوم ومنها المذهب المكتوب على رق . ويهمنا من هذه المكتبة مجموعة الكتب العربية وهي الفا مجلد كانت السفن الاسبانية غنمتها من مركب لاحد ملوك مراكش المتأخرين . وكان في هذا الدير قبل القرن السابع عشر نحو ثلاثة آلاف مخطوط عربي فالتهمتها النار في الحريق الذي نشب في الدير مع ما التهمت من الكتب الاخرى .

فليست الكتب العربية في خزانة الاسكوريال اسبانية المصدر كلها كما اكد لنا احد علماء الاسبان وصاحب البيت أدرى بالذي فيه اخبرني ان الاسبان غنموا هذه الكتب من سفينة كانت لاحد سلاطين الغرب الاقصى فوقعت في أيدي الاسبان وقال آخر ان اصل هذه المجموعة كانت لاحد سفراء اسبانيا لدى الباب العالي ولما غادر الاستانة اهداها لملكه فوضعها في الدير الذي كان ملكاً له ولآله من بعده والرواية الأولى اصح .

وقد وصف هذه الكتب باللاتينية احد رهبان الموارنة من سنة ١٧٤٩ - ١٧٥٣ وفيها ١٩٥٥ مخطوطاً رأيت نموذجات منها وقرأت وصف الآخر فيما كتبه احد علماء

المشرقيات من الفرنسيس ولا سيما القسم الذي يهمني منها .

عراني في هذا الدير ماعرا كثيرين قبلي من السويداء ثم السكون والراحة والبرودة التي تدعو إلى العزلة والتفكر والانكماش والدرس وانك لتشعر وانت تسير تحت قباب الأسكوريال العارية من التفنن والزينة بهواء بارد من حياة الاديار كما تشعر في مدارس اكسفورد وبيمها ، والنازل هنا بطبيعته يرى دافعاً من نفسه يدفعه إلى ان يشغل نفسه بشيء ،وما من ملجأ ارفق لنسيان العالم يحمل ساكنه على البحث عن الحقائق وعلى الصبر في كشف المسائل المتعذرة المبهمة المجهولة مثل هذه المعاهد .

(١٣) قرطبة والزهراء

باربعة فاقت الامصار قرطبة ... منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة ... والعلم اعظم شيء وهو رابعها

لم يكتب لي ان ازور مدينة طليطلة لأشهد فيها قصور العرب القديمة ومساجدها القائمة إلى اليوم وعادياتها المأثورة وكانت من عظائم مدائن الاندلس وهي من قرطبة على عشرين يوماً فاكتفيت بزيارة ثلاث مدن من أمهات المدن الاندلسية قرطبة واشبيلية وغرناطة وهي العواصم الثلاث التي تأصل فيها حكم العرب وطالت ايامه .

وقرطبة كانت في عزها اعظم مدائن الاندلس فاصبحت الآن وليس فيها من السكان سوى ثمانية وخمسين الف ساكن وقيل ان مساجدها بلغت الفاً وستمائة مسجد وحماماتها ستمائة وذكر آخرون انه كان فيها مائتا الف دار وثمانون الف قصر دورها ثلاثون الف ذراع وكان بخارجها ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منبر وفقيه مقلص[1] تكون الفتيا في الاحكام والشرائع له ، يأتون كل جمعة للصلاة مـــع الخليفة بقرطبة ويطالعونه باحوال بلدهم .

قال المراكشي بلغت قرطبة من القوة وكثرة العمارة وازدحام الناس مبلغاً لم تبلغه

(١) المقلس هو الذي يلبس القالس او القلنسوة وكان يحق للمقلس وحده في الاندلس ان يفتي وكان عليه ان يستظهر الموطأ والمدونة أو عشرة آلاف حديث وللمقلسين الحق ان يلبسو القالس فقط وتكتب بالصاد (قاله دوزي في ملحقه على المعجمات العربية)

بلدة . حكى ابن فياض في تاريخه في أخبار قرطبة قال كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون أمرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي. هذا مافي ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها وكان الماشي يستضيء بسرج قرطبة ثلثة فراسخ لاينقطع عنه الضوء .

وفي تواريخ الافرنج أن قرطبة كانت منقطعة القرين بين مدن الغرب أي أوربا وليس مايشبهها بعمرانها وسكانها فكان فيها خمسمائة الف ساكن و٢٨٧ ربضاً وهي مكتظة بالسكان وقدقامت المتنزهات البهجة المغروسة بانواع الاشجار على طول الوادي الكبير والقصور والمصايف مغطاة بالخضرة وكان في هذا الوادي الكبير أربعة عشر ألف قرية .

فقرطبة كانت اعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب « لها شبه كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق » ووصفها المقدسي فقال : « وصف ماشئت من طيبها ورحبها فانها جنة الاندلس على ماحكي لي وهي مصر الاندلس وقد دلت الدلائل واتفقت الآراء على أنه مصر جليل رفيق طيب وأن ثم عدلاً ونظراً وسياسة طيبة ونعمة ظاهرة وديناً وهي في جهاد ونفير ابداً مع علم كثير وسلطان خطير وخصائص وتجارات وفوائد» وذكروا أن لاهل قرطبة رئاسة ووقاراً لاتزال سمة العلم والملك متوارثة فيهم .

ليس في قرطبة اليوم من آثار العرب سوى قطعة من مسجدها الاعظم بناه عبد الرحمن الداخل وكان معبداً للو يزغوت على اسم القديس منصور وقد ملكه المسيحيون واخذ المسلمون نصفه سنة ٧٨٥ م ولما شرع بالبناء ابتاع عبد الرحمن النصف الآخر منهم كما فعل الوليد الأموي في دمشق يوم بنى جامعها واستصفى النصف الآخر من أربابه المسيحيين وعوضهم عنه كنائس أخرى .

وزاد الناصر عبد الرحمن بن محمد في المسجد الجامع بقرطبة زيادته المشهورة وفيها القبو الكبير الذي يصطف المؤذنون أمامه يوم الجمعة للآذان وهو من اعجب البنيان . وحبس المستنصر بالله على الجامع بقرطبة لما كملت زيادته ربع جميع ماجرته إليه الوراثة عن أبيه امير المؤمنين في جميع كور الاندلس واقاليمها على ثغور الاندلس كافة تفرق غلات هذه الضياع عاماً بعد عام على ضعفائهم إلا أن تكون بقرطبة مجاعة فتفرق فيهم .

ومما قيل في آثار مدينه قرطبة وعظمها حين تكامل أمرها في مدة بني أمية أن عدة الدور التي بداخلها للرعية دون الوزراء واكابر أهل الخدمة مائة الف دار وثلاثة عشر الف دار ومساجدها ثلاثة آلاف وعدة الدور التي بقصرها الزهراء أربعمائة دار وذلك لسكنى السلطان وحاشيته وأهل بيته .

وقالوا إن المسلمين لمافتحوا قرطبة وجدوابها آثار قنطرة فوق نهرها على حناياوثاق الاركان من تأسيس الامم الداثرة قد هدمها مرور النهر على مر الازمان فتقدم إلى فضيلة النظر فيها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عندما اتصل به خبرها فأمر السمح بابتنائها فصنعت على اتم وأعظم مابني عليه جسر من حجارة سور المدينة . وربما كان هذا أول عمل في العمران قام على ايدي عرب الاندلس في القرن الاول للهجرة .

قال بعضهم لم يكن للعرب هندسة خاصة لما دخلوا قرطبة وكانوا يعتمدون على هندسة أهل البلادالتي تغلبوا عليها فنسجوا في بناء المسجد على مثال مساجد مصر ومسجد القيروان وكان هذا من اعظم مساجد الاسلام وقيل إنه بني على شكل مسجد دمشق وكان فيه ١٤١٨ سارية تشبه غابة ملتفة والباقي منها الآن ٨٦٠ وهي أدق من سواري الجامع الاموي اليوم وقال آخر إن الباني وأخلافه جلبوا هذه السواري من ابنية قديمة وبيع مسيحية في القاصية كجنوبي فرنسا وأفريقية أي قرطاجنة والاستانه وتبين أن اكثرها من مقالع اندلسية ومحراب هذا المسجد الجامع لايزال محفوظاً وهو دهشة إلى اليوم وإلى مابعد اليوم وعلو قبته تسعة امتار حفر في قطعة واحدة من المرمر وعمل بالفسيفساء وزبرت عليه آيات كريمة . وله اثنان وعشرون باباً معمولاً بالنحاس بقي الآن منها ١٢ باباً وعلى بعضها صورة نقوشها الاصلية وقد قام البرج الذي هناك مقام المنارة التي انشأها عبد الرحمن الناصر . يقول جوسيه لو اقيمت البيعة التي اقاموها وسط الجامع على عهد شارلكان في مكان آخر لصار لها شأن وهي هنا من ابشع آثار الهندسة إذ احدث بانوها بها ضرراً على بناء وحيد من نوعه في العالم .

وكان في جامع قرطبة سبعة آلاف مصباح تنعكس انوارها على النقوش المذهبة والزمرد والياقوت والمفصص وغيرها فتزيد في جماله وعلى ما أصيب به هذا المسجد من الاضرار بقي إلى اليوم من اغرب ابنية الارض

قال غوتيه : لاسبيل إلى وصف التأثر الذي يشعر به المرء عند دخوله هذا المسجد الاسلامي القديم فيتراءى لك أنك تسير في غابة مسقوفة لا في بناء مصنوع وحيث اتجهت يضيع بصرك في صفوف من السواري تلتقي وتمتد على مرمى البصر مثل غراس من المرمر ظهرت من تلقاء نفسها على اديم الارض اه .

نعم إن البيعة التي أقيمت وسط جامع قرطبة والبيع الصغرى التي جعلت في أكثر زواياه قد شوهت من محاسنه وابدلته عن أصله وفي نية ديوان الآثار فيما بلغني أن يرجع القديم كما كان وينقل الآثار المسيحية من جامع قرطبة ليبقى بدون زيادة ولا نقصان طرازاً في البناء منقطع القرين في الارضين الا أن البيعة الوسطى بيعة شارلكان يصعب نقل انقاضها لما فيها من الزخرف ولما صرف عليها من المال .

هذا مابقي من آثار الاجداد في قرطبة وقد زرتها وارباضها فرأيتها وهي على منبسط من الارض تشبه ضاحيتها ضواحي دمشق وهندسة أكثر بيوتها الجديدة على الطراز العربي البديع ولأهلها إلى هذا العهد حرمة له وغرام به وحرص عليه يعدونه من جملة مقدساتهم . وعلى أربعة أميال من قرطبة بنيت مدينة الزهراء سنة ٣٢٥ ﻫ بناها الناصر لدين الله الأموي في ست عشرة سنة وطولها الف وستمائة ذراع وعرضها الف وسبعون ذراعاً وجعل في سورها ثلثمائة برج وخص ثلثها قصوراً للخلافة وثلثها للخدم وثلثها بساتين وكان يدخل فيها كل يوم من الحجر المنحوت ستة آلاف صخرة سوى الآجر وغيره وحمل اليها الرخام من اقطار الغرب ودخل فيها أربعة آلاف وثلثمائة سارية وأهدى ملك الفرنج لبانيها أربعين سارية رخام واما الوردي والاخضر فمن إفريقية والحوض المذهب جلب من قسطنطينية والحوض الصغير عليه صورة اسد وصورة غزال وصورة عقاب وصورة ثعبان وغير ذلك والكل بالذهب المرصع بالجوهر وكان ينفق عليها ثلث دخل الاندلس وكان دخلها يومئذ خمسة آلاف الف وأربعمائة الف وثمانين الف درهم

وقال أحد المؤرخين إن مباني قصر الزهراء اشتملت على أربعة آلاف سارية جلبت من رومية وقسطنطينية وقرطاجنة وتونس وأفريقية فيها خمسة عشر الف باب ملبس بالحديد والنحاس المموه وكان عدد الفتيان فيها ثلاثة عشر الف فتى وسبعمائة

وخمسين فتى وعدد النساء بقصر الزهراء ستة آلاف وثلثمائة امرأة وأربع عشرة امرأة وكان على الحجر الذي جلب من مقالع الاندلس أو حمل من القاصية نقوش وتماثيل وصور على صور الانسان ولما جلبه أحمد الفيلسوف وقيل غيره أمر الناصر بنصبه في وسط المجلس الشرقي المعروف بالمؤنس ونصب عليه اثني عشر تمثالاً . وقال بعضهم عمل في الزهراء عشرة آلاف عامل خمساً وعشرين سنة . وفي الشرق من الوادي الكبير مدينة الزاهرة التي بناها المنصور بن أبي عامر التي يقول فيها ابن عربي لما دخلها ووجدها متهدمة :

ديار باكناف الملاعب تلمع … وما ان بها من ساكن فهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب … فتصمت أحياناً وحيناً ترجع
فخاطبت منها طائراً متفرداً … له شجن في القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكي … فقال على دهر مضى ليس يرجع

وقد حرقت الزهراء وهدمت في حدود سنة ٤٠٠ هـ وبقيت رسومها وخربت قرطبة وما فيها من القصور والمرافق في حرب البربر وسقطت قرطبة في أيدي العدو سنة ٦٣٣ هـ بعد أن كانت مدة خمسة قرون وخمس قرن في أيدي العرب ولم يعد حكمهم اليها بعد ذلك ولما خلت قرطبة من سلطان يرجع إلى أمره صار كل من قويت يده عمر مدينة فخربت قرطبة وعمرت اشبيلية .

(الباقي يتبع)

محمد كرد علي

★ ★ ★

عثرات الاقلام

٩

ومن عثرات الاقلام قولهم (وقد تهافتوا لمساعدة المنكوبين) صوابه على مساعدة المنكوبين لان معنى تهافتوا تساقطوا وتتابعوا على أن التهافت أكثر ما يستعمل في الشرور. فالاولى أن يقال تسابقوا أو تباروا أو تزاحموا على مساعدة المنكوبين .

ومنها (هربوا باموالهم خشية أن تطولها أيدي الثوار) صوابه تناولها أو تتناولها أيدي الثوار أما (تطولها) فلا معنى لها هنا إذ يقال طال زيد عمراً إذا علاه وترفع عليه.

ومنها قولهم (كالحلي وغيرها من الأشياء القيمة) يريدون بالقيمة الثمينة ذات القيمة والقيمة بتشديد الياء لاتفيد هذا المعنى لانها مؤنث قيم وهو القائم على الامر المدبر له ومن معانيها ايضاً المستقيم كما في الآية الكريمة (فيها كتب قيمة) أي مستقيمة تبين الحق من الباطل فالصواب أن يقال (الاشياء ذات القيمة أو الثمينة) .

ومنها قولهم (وقد القت الحكومة القبض على فلان) صوابه قبضت عليه أو ضبطته أو أمسكته .

ومنها (نفوس القوم تسممت بعداوة حكومتهم) لم يرد فعل (تسمم) في اللغة وإنما الوارد سم (ثلاثياً) فيقال نفوسهم سمت بعداوة حكومتهم . على أن الافضل أن يقال (اشربت قلوبهم عداوة حكومتهم) أو (خامرت عداوتها قلوبهم) .

ومنها (وقد أودعوا أموالهم في مصارف الحكومة) الصواب حذف (في) لان أودع يتعدى إلى مفعوليه بنفسه . وينبغي تقديم كلمة (مصارف) لانها التي تقبل الوديعة كما يقدم (زيد) في قولك (أودعت زيداً مالي) فيقال (أودعوا مصارف الحكومة أموالهم) .

ومنها (حكمت عليهم المحكمة بالأعدم) . (الإعدام) إذا اطلق كان معناه الفقر فالاظهر أن يقال حكمت عليهم المحكمة باعدام الحياة أو حكمت عليهم بالموت أو بالقتل وهو الاصوب .

ومنها (صوّت القوم لفلان) أي انتخبوه واختاروه (نظموا مضابط التصويت) اي الانتخاب والاختيار وقد يقولون (اعطى فلان رأيه لفلان) (وجمعوا الآراء) كما يقولون (جمعوا الاصوات) وكل هذا مراعى فيه الاستعمال الاعجمي فالصواب ان يقال انتخبوا فلاناً أواختاروه ونظموا مضابط الانتخاب أو الاختيار وحاز فلان عشرين انتخابة بدلاً من ان يقال عشرين صوتاً .

ومنها قولهم (لم يبق لهم طاقة على القتال) صوابه (طاقة بالقتال) ومنه الآية الكريمة (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وآية (ولا تحملنا مالا طاقة لنا به) أما (على) فتستعمل مع القدرة يقال (ليس لهم قدرة) على القتال .

ومنها قولهم (كرّس فلان أيام حياته لكذا) (أو كرّس نفسه لكذا) الاصوب ان يقال وقفها على كذا أو خصّصها لكذا .

ومنها قولهم (انفقوا اموالهم على اشادة القبور) صوابه تشييد أو بناء اما الإشادة فلها معان اخر اشهرها رفع الصوت بالثناء على الشخص أو التنديد به .

ومنها قولهم (ليس لهم موارد سوى من هذه الصناعة) و (لاسبب يحملهم على ذلك سوى لانهم متكبرون) الصواب ان يقال (سوى هذه الصناعة) بحذف (من) و (سوى انهم متكبرون) بحذف اللام لانه لايجوز فصل المضاف عن المضاف اليه بمثل هذا .

ومنها قولهم (تداولوا في الامر) . (تداولوا الشيء) أخذ هذا مرة وهذا مرة فالأولى ان يقال تذاكروا في الامر أو تباحثوا فيه .

فوائد لغوية

الأصف = شجر الكبر وتسميه العامة بالكبّار والقبّار

الأسرب = الرصاص . أو الرصاص الأسود الرديء وبه عرّب بعض العلماء المتأخرين لفظة plombagine ومعناها الرصاص الذي تعمل منه الاقلام .

الأَنَب = الباذنجان ومثله الكَهكَب .

بحث انتقادي

في

مختصر في تاريخ سورية

تأليف الاب هنري لامنس اليسوعي طبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٢١ مجلدان من قطع الوسط في ٥٥٦ صفحة .

H. Lammens, S. J. : La Syrie précis historique — Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1921; 2 vol. in-8, 556 pages.

هذا آخر ما خطته أنامل صديقنا الاب لامنس باللغة الافرنسية في التاريخ بعد ان نشر بها أبحاثاً في بعض خلفاء الامويين في الشام ونشر بالعربية كتاب تسريح الأبصار في مايحتوي لبنان من الآثار إلى غير ذلك من الكتب الجيدة والأبحاث المفيدة .

وقد قسم تاريخه هذا أدواراً وقسم كل دور إلى أبواب وفصول ونسقه تنسيقاً جيداً بحيث يعثر الطالب فيه من ايسر سبيل على المادة التي يريدها والعصر الذي ينوي الوقوف على أهم حوادثه . وكتابه هذا مختصر للمدارس مكتوب بأسلوب رشيق وفي آخر كل صفحة المصادر التي يعزى اليها القول .

الكلام في هذا الوجيز على تاريخ الشام قبل الاسلام مختصر للغاية اما الكلام على عهد الاسلام فقد تصرف فيه المؤلف حسب الاحوال فتوسع في أماكن حتى كاد يدخل كتابه في عداد المطولات واقتضب في أخرى حتى أوشك أن يخرج مصنفه عن موضوعه ويخل بتسلسل حوادثه .

استعمل المؤلف حريته في نقد الحوادث على أسلوب بعض المؤرخين المعاصرين ولكنه لم يكن إلى جانب الصواب في كل ما انتقد وعلق . ومثله، على تمكنه من التاريخ، لا يصعب عليه أن يورد حقائق تلقح عقل الطالب فكراً جديداً من تاريخ صحيح بريء من مؤثرات المعتقدات وتصورات المخالفات . فيكون شأنه في الكتابة على العرب شأن

رجل خالي الغرض يكتب تاريخ الحروب الدينية في اوربا مثلاً فلا يتحزب للبرتستانت المجددين ولا ينحي على الكاثوليك الباباويين بل يكتب الكوائن مجرداً عن الغاية فينال كلامه القبول من كل القلوب .

أما وتاريخه ستتناوله أيدي الطلاب فالأولى أن يجرد مما ينافي الحقائق ولذا فانا نستميح حضرة المؤلف بإيراد بعض ملاحظات على تاريخه عسى أن يصلح في طبعة ثانية ما يوافقنا عليه حتى يكون كتابه تاماً من كل وجه متصفاً بالاوصاف المطلوبة في التاريخ فقد قال مونتسكيو في روح الشرائع : ان المؤرخين في الحكومات الملكية المطلقة المتناهية في اطلاقها يكذبون لأنه ليس لهم حرية حتى يقولوا الحق اما في الدول الملكية المفرطة في حريتها فانهم يخونون الحق بسبب حريتهم نفسها التي توجد أبداً التفرقة فيصبح كل واحد منهم عبد أوهام حزبه كما كان لو عاش في ظل مستبد ظالم اه .

فمما لاحظناه ان المؤلف يأتي بجمل ينتزعها من عبارات بعض المحترمين من الخلفاء والسلاطين والفاتحين وغيرهم قيلت في أحوال خاصة لا تدرك على جليتها إلا إذا ذكرت العبارة مع سياقها وسباقها فيأتي المؤلف بجملة من المقول بالعربية ويترجمها بالإفرنسية ويستخرج منها موضوعاً قد يكون سبّة على قائلها ويستنتج من ذلك انها كانت دستوراً جرى العمل عليه مثل قوله (ج ١ ص ٦٠ و ٦١ و ٦٢) أخذاً عن الطبري من كلام عمر بن الخطاب « أخرب الله مصر في عمران المدينة وصلاحها » وعبارة الطبري لا يفهم منها كما ترى أن عمر أمر بخراب مصر ليعمر المدينة وهذا نص عبارته :

«وجاء كتاب عمرو بن العاص جواب كتاب عمر في الاستغاثة إن البحر الشامي حفر لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حفيراً فصب في بحر العرب فسده الروم والقبط فان أحببت أن يقوم سعر الطعام بالمدينة كسعره بمصر حفرت له نهراً وبنيت له قناطر فكتب له عمر أن افعل وعجل ذلك فقال له أهل مصر : خراجك زاجٍ وأميرك راضٍ وان تم هذا انكسر الخراج فكتب إلى عمر بذلك وذكر ان فيه انكسار خراج مصر وخرابها فكتب اليه عمر اعمل فيه وعجل أخرب الله مصر في عمران المدينة وصلاحها فعالجه عمرو وهو بالقلزم فكان سعر المدينة كسعر مصر ولم يزد ذلك مصر الا رخاءً ولم ير أهل المدينة بعد الرمادة مثلها حتى حبس عنهم البحر . »

وهكذا نسب اموراً للخليفة الثاني لايوافقه عليها التاريخ الصحيح ولكن المؤلف غريب في تسامحه واحكامه يحسن ظنه بيزيد وابيه وينسب العجز الاداري لابن الخطاب (٥٩) فقدقال ان يوم الجابية افلست سياسته وان فتح الشام لم يكن بناءً على خطة مرسومة بل يراد به غزو بلاد مفتحة الابواب ليس فيها شيء من أسباب الدفاع ! وإحداث مشغلة للعرب ثم ادّعى ان العربي اثبت انه جبان ضعيف في الجندية لايفكر في غير المغانم وقال انه ظهر البدو « ٢٢٧ م ٢ » كما كانوا على عهد الرسول انهم وسط في الجندية مستعدون للنهب يحجمون أمام الخطر . ولعمري ان جندياً هذه صفته كيف يستطيع أن يظفر بالجندي المدرب المهذب التقي من جنود الروم وباقراره ان جيش الروم يوم اليرموك كان ثلاثين ألفاً وجيش العرب خمسة وعشرين مع ان الثقات يقولون ان جيشهم كان أكثر من ذلك فقد قال البلاذري ان المسلمين يوم اليرموك كانوا ٢٤ ألفاً قتلوا من الروم ٧٠ ألفاً ومع ذلك علم حضرته ما كان من أمر اليرموك ومن تفاشل ذاك الجيش العجيب بكل صفاته أمام الجيش العربي الجبان الضعيف في أصول الكر والفر البعيد عن كل تصور إلا المغانم وكذلك كان حاله يوم فحل واجنادين وغيرهما من الوقائع التي انتهت بتغلب الجبان على الشجاع .

وقوله ان العرب « ص ٦٢ م ١ » تركوا للوطنيين محاكمهم ولسانهم ونظاماتهم البلدية وتقسيماتهم الادارية وابقوا في البلاد من لم يستطع من قدماء الموظفين ان يلحق بالروم وعلق على هذا العمل حاشية في آخر الصفحة معناها أن العرب لم يقدروا ان يستعيضوا عن هؤلاء الموظفين فهذا اذاً عجز منهم لا تسامح .

وتوسع في كلامه على النصارى (٧٠) الذين دخلوا في خدمة معاوية ومنهم ابن أثال الطبيب الذي كان يتولى خراج حمص ولم يقل لنا السبب الذي كان لأجله يستعمل ابن أثال الذي كان يدس السم لكبار الأمة حتى مات في زمانه كثير من أعيانها منهم عبد الرحمن بن خالد عامل حمص فكافأه معاوية بان ولاه خراجها فقوله اذاً ان معاوية (٧٢) اختار استمالة خصومه لا إهلاكهم بصورة وحشية كما فعل العباسيون مسألة لا تصح على اطلاقها . ودعواه أن مؤرخي العباسيين كانوا يكتبون بلسان رسمي تحت ضغط الملوك فيه ما يقال ولا نذكر اننا رأينا مؤرخاً ثقةً أثبت أن العباسيين كانوا

يضغطون على المؤرخين ليكتبوا لهم على الامويين مايحبون بل على العكس شاهدناهم يذكرون كل امرىء مقروناً بعمله والا ففي أي عصر كان محدث الامة ابن جرير الطبري الذي كتب الحسنات والسيئات وبلغ في التجويد بذلك إلى الغاية التي ليس وراءها غاية . فاذا زعم الناقد ان المؤرخين في العهد العباسي توخوا ارضاء الخلفاء فيما كتبوا فلماذا لم يكونوا يتوخون ارضاء الخلفاء من بني العباس في حياتهم بالكف عن اجدادهم وآبائهم فيوردون الفظائع التي اجترحوها غير متعتمين ولامجمجمين. ودعوى المؤلف « ص ٩٥ » ان منشأ مذهب القدرية الذين استعملوا حرية النظر في الاسلام وكثروا في الشام واشتد نفوذهم كان من اختلاطهم بالمسيحيين مستدلاً على ذلك بان المسلمين كانوا يختلفون إلى رؤساء النصارى بدمشق ويناقشونهم في هذه المسائل هذه الدعوى غير حقيقية .

وقد رأينا صاحبنا يحرص جد الحرص على نسبة كل شيء إلى سكان البلاد الاصليين وقد كرر غير مرة أن عالم قريش خالد بن يزيد الأموي تلميذ راهب ولم يقل كلمة واحدة فيما افضل فيه هذا التلميذ على الآداب العربية وكيف كان أول من ترجمت له العلوم من السريانية واليونانية والقبطية في دمشق وما هي منزلته من الخلفاء وهو عالم الامويين ومحدثهم ومستشارهم وشاعرهم ونظن عمل خالد بن يزيد هذا من التطورات المهمة في تاريخ الامة التي تستحق ان يشار اليها ولو بسطر واحد اكثر من اخذه عن راهب علماً ـ علم الكيمياء ـ لم يكن له معرفة به او غير ذلك من الاشياء التي وردت في عرض الكتاب وغيرها احق بالذكر منها .

ومما قاله في شيخ الاسلام ابن تيمية (ج ٢ ص ٢٧)انه صاحب المذهب الارتجاعي Ecole réactionnaire وان عمله مختل وانه كان لايفتر عـــن مقاتلة البدع وقضى حياته يسوق ابناء دينه في سبيل التعصب ونقل ما عزي إلى ابن بطوطة الرحالة من ان ابن تيمية كان مختل الشعور وعلل هذا بانه قضى من اجل ذلك معظم حياته في السجن وفي الجدال بالقلم واللسان وليت شعري كيف يعتمد قول عابر سبيل ربما لم يختلط بغير السوقة او ببعض المخالفين لابن تيمية ضاعت منه اوراق سياحته فكتبها له آخر ـ ابن جزي ـ وهو في بلده من ذهنه وحشاها الغث والسمين

ولايحكم على ابن تيمية بكتبه وما قاله كبار علماء الامة من معاصريه وغيرهم فيه وإذا كان ابن تيمية الذي اراد ارجاع الدين إلى نضرته وعمل في الاسلام ماعمله لوثيروس في النصرانية يعد من دعاة التعصب المضرين فمن يكون النافع في نظر المؤلف المحترم

نحن لانتطال الى ان يكتب المؤلف على رجال الاسلام بدون نقد ولا تمحيص ولا ان يقيد حريته في الحكم عليهم ولانطلب منه ان يعتقد في دينهم اعتقاد اهله بل نطلب منه ان ينصف التاريخ ويتجرد عن العواطف التي تذهب ببهجة العلم حتى لا يعد من المغالين في مذهبهم فقد قال في القرآن (١٦٢) واعجازه وتفسيره وبلاغته اشياء كان يقول بها متعصبة الاديار في القرون الوسطى وكنا نود ان لايقلدهم في آراء قال المعاصرون من غير المسلمين خلافها وفي كلامه حط من دين يؤمن به نحو ثلثمائة مليون من البشر وتاريخه يظهر بينهم وفي بلادهم

ثم ان دعواه « ١٦٦ » ان الفقه الاسلامي قد تأثر بالفقه القديم السابق ولاسيا بالفقه الروماني وذلك بواسطة الحقوق القانونية للكنائس المسيحية في الشرق هي دعوى ادعاها غيره قبله ولم يأتوا عليها بحجة مقبولة معقولة ولا نرى في دحض هذه الفرية عن فقه الاسلام الا ان نحيله على الرجوع الى المقالات الممتعة التي كتبها في مجلة المقتطف (في المجلدين الـ ٢٩ و ٣٠) صديقه وصديقنا العلامة المرحوم الشيخ سعيد الخوري الشرتوني اللبناني صاحب اقرب الموارد وبذلك يتبين له فساد هذا الزعم وان مصادر الفقه الاسلامي الكتاب والسنة والاجماع والقياس ليس الا .

ومن اغرب الآراء دعواه (١٦٧ م ٢) انه كان من انتشار المذهب الحنفي في الهند ان اهله قاموا في العهد الاخير ينصرون الخليفة العثماني ويعاونونه على توطيد عرشه في الاستانة لانه هو حنفي ايضاً وليس لهذه الظاهرة علاقة بالمذهب بل هي جامعة الدين ليس الا ، وها انّا نرى المسلم الافريقي يتأثر لما يحل باخيه الهندي او الافغاني او الايراني دون النظر إلى مذهب خاص بل الى مجموع اهل الاسلام بل ارتقى هذا الاشمئزاز في الشرق من الغرب ان دخل فيه اهل كل نحلة كما هو الحال في الهند فان براهمتهم ومجوسهم ومسلميهم سواء في كراهية الحكم الغربي والمناداة بالشرق للشرقيين . ومعلوم ان المذاهب الاربعة المشهورة اليوم تذهب من الاسلام والاسلام يبقى اسلاماً

لان المسلمين في القرن الاول والثاني لم يكونوا احنافاً ولاشوافع ولاموالك ولاحنابلة .

والمؤلف يصف كل واحد من المشاهير بصفة فقد وصف صلاح الدين يوسف بن ايوب بالطماع ولكنه وصف الحروب الصليبية بوقائع البسالة ! Héroiques aventures ووصف السيد جمال الدين الافغاني (١٩١ م٢) بالمهيج الافغاني وكان الانصاف يقضي عليه ان يصف ملوك الصليبيين بالاوصاف التي تليق بهم ولكنه صورهم كلهم على الغاية من النجدة والعقل كأنهم كلهم كانوا كفريديرك الكبير ولويس الرابع عشر ولو انصف لسمى تلك الحروب بحروب الجنون والطيش كما سماها المنصفون من مؤرخي الصليبيين ولذكر لبعض اولئك الملوك والامراء بعض صفاتهم في نقض العهود والعبث بالمهادنات وقتل الاسرى وغير المحاربين من الشيوخ العجزة والنساء والاطفال .

يقول روسو في اميل : ارى فرقاً ضئيلاً بين تواريخكم وقصص من يأتي بقصة معروفة ويفصلها بحسب نظره ويزينها بامور يخترعها هاوياً ويأتي باشخاص معدومة وصور موهومة ويجمع كذباً الى كذب لتلذ قراءة ماكتب هذا ان لم يكن القصصي يعمل بفكره الخاص اكثر من ذاك المؤرخ المستعبد لفكر غيره والى هذا اضيف ان الاول يتوخى مقصداً ادبياً صالحاً كان او طالحاً والآخر لايهتم لمثل ذلك ا ه .

وبعد فان المؤرخ اراد ان ينفي المنقبة التي اتاها صلاح الدين وربما عدت في نظر الغربيين من اهم اعماله الصالحة وهي ابقاؤه على الصليبيين يوم فتح القدس فلم يضع السيف فيهم كما قتلوا هم المسلمين يوم استيلائهم عليها وقال ان عمل المسلمين عجز وخوف ونفى الاب لامنس ماثبت من ان الصليبيين يوم فتحوا القدس قتلوا سبعين الفاً من المسلمين (ص ٢١٢ و ٢١٣) فقال ان هذا القول مما سلم به الباحثون بدون روية وادّعى ان هذا العدد يوازي في ميزان الحق ما ادعاه مؤرخو العرب من ان الصليبيين قتلوا في بليدة المعرة الحقيرة معرة النعمان مئة الف انسان وقال في باب الاعتذار عن فعلة الصليبيين في القدس ان هذه المدينة عوملت بما تقضي به الاخلاق الحربية لذاك العهد في معاملة المدن التي تؤخذ عنوة .

وماندري كيف يستطيع ان يفند اقوال مؤرخي العرب من ان الصليبيين قتلوا في المعرة مئة الف وهل يقيس يا ترى مايراه اليوم من خراب البلاد بما كانت عليه في

القرن الخامس للهجرة وكانت مدينة المعرة التي يصفها بالبليدة الحقيرة Bicoque من امهات مدن الشام كمنبج وانطاكية وصور وعسقلان كما اكد ياقوت ولا توازي اليوم جميع سكان هذه الخمس مدن على التحقيق ربع أو ثلث سكان احداها منذ ثمانية قرون والناظر إلى خطط مدينة المعرة اليوم يرى ان بُعد مابين ابوابها نحو ساعة على السائر فمدينة هكذا كانت مساحتها لايستعظم ان يتحصن فيهامئة الف من اهلها وارباضها.

ولذا يصحح العقل حكمه على المعرة فلا يحكم عليها بما يراه اليوم من انحطاطها على ان الصليبيين لم يقتلوا هذا العدد الدثر باقواسهم ونشابهم ونفطهم ومنجنيقهم فقط بل قتلوهم صبراً وخنقوا الاطفال الرضع والنساء والعاجزين فاصبحت كأن لم تغن بالامس .

وقد توسع في كلامه على نظام الصليبيين في الشام واقتدار القائمين بالامر فيها حتى صورهم كأنهم دول اوربا الراقية في القرن العشرين . ويذكرنا هذا بقول مونتسكيو ان الأب لوكوانت على ما ايدته الآثار والمصانع ينكر ان البابا رخص بهذا التبديل الكبير ومن حججه انه اذا امر بذلك فيكون عمله ظالماً . قال: ومن العجيب ان ترى مؤرخاً يحكم على ما اتاه الناس بما كان عليهم ان يفعلوه . ولاتقوم للتاريخ على هذه الصورة قائمة في اثبات الحجة اهـ .

ومن الغرائب في هذا التاريخ دعوى المؤلف ان دار العلم بطرابلس (ص ٢١٥ ج ١) لم تكن مدرسة جامعة بل مدرسة صغيرة لتلقين العلم الديني وقال : ومن رأينا ان حريق الجامع الاموي بدمشق سنة ١٠٦٩ م على عهد الفاطميين كان اشأم على العلم من اخذ طرابلس . بيد ان المؤرخين مجمعون على ان طرابلس كان فيها دار حكمة على مثال بيت الحكمة في بغداد وقد قال الاثري العلامة فان برشم في مفكراته « ازهرت طرابلس زمن القاضي ابن عمار وقد جعلها مركزاً من مراكز التشيع وانشأ فيها بيت حكمة جهزه بمائة الف مجلد من الكتب وكان فيها على عهده مدرسة جامعة ومدارس دينية وخزائن كتب وربما كانت طرابلس قبيل استيلاء الصليبيين عليها اول بلدة علمية في الشام».

ومن غرائب الاحكام (ص ٢٦٧ ج ١) ان اليهود كانوا في الحروب الصليبية ممتعين بحقوق الوطنيين عند الصليبيين بدون ادنى قيد وكانوا مساوين المسيحيين وشهادتهم امام القضاء تعادل شهادة المسيحي خلافاً لذلك عند المسلمين. وما نظن حضرة المؤلف الا

اطلع على ماكتبه ميشو Michaud في تاريخ الصليبيين وما كتبه لافيس ورامبو Lavisse et Rambaud في التاريخ العام وماكتبه رينـــاخ Reinach في تاريخ الاديان في سوء معاملة الصليبيين للاسرائيليين في اوربا يوم الشروع بالحروب الصليبية وابتداء هذه الفظائع إلى عهد ديوان التفتيش الديني بل إلى آخر ايامه فاذا استحل الصليبيون اذ ذاك قتل اليهود واخذوا اموالهم في الغرب وعاملوهم بكل منكر في الاديان السماوية والقوانين الوضعية كيف يساوونهم بانفسهم ويحمونهم ويحسنون اليهم في الشرق . ونظن هذا من باب الخيال لاتؤيده شواهد التاريخ .

وقد بعد المؤلف عن الحقيقة كثيراً بدعواه (ص ٢٦٩ ج١) ان دور الاكراد الايوبيين كان قليل البهاء Peu brillante période وماندري لعمر الحق اي بهـــاءٍ اعظم لهذه الدولة من كون صلاح الدين وأسرته يدفعون عادية اعدائهم من الصليبيين على قلة عددهم واسبابهم ثم تروج العلوم والمعارف في ايامهم حتى أنشئت على عهدهم معظم الجوامع والمدارس ودور القرآن والحديث والفقه والطب والهندسة والمستشفيات والزوايا والربط والخانقات في دمشق وحلب والقدس وغيرها من البلاد التي لم يستطع اعداؤهم استصفاءها وكلها او معظمها من حسناتهم وحسنات مواليهم وعتقائهم فقل لي بالله اي دولة تستطيع ان تأتي بمثل هذه الاعمال وتصلح الطرق والجسور وتقيم القلاع وتجر المياه من القاصية تسيلها إلى المدن والقرى وتخفف المكوس والضرائب عن رعاياها وتعاملهم على اختلاف نحلهم بالرفق والعطف ثم يقال لها انها دولة قليلة الزهو خفيفة الحال .

والغالب ان المؤلف سامحه الله اصدر حكمه على هذه البلاد في عهد العرب من اول ساعة وقاس كل ما رأى بعد ذلك على ذاك القياس فقال عند كلامه (ص ٢٠٧ ج٢) على الاحزاب التي نشأت في الشام لم تلبث ان أصيبت بالخلاف والمناقشات الشخصية وهو الارث الذي اورثها اياه ظلم ثلاثة عشر قرناً اي ان المؤرخ لايعترف بانه قامت للعدل سوق في هذه الديار منذ فتحها الفاتحون من العرب ونسي او تناسى على الاقل عهد الرشيد والمأمون ونور الدين وصلاح الدين . فقبح الاب لامنس الكل بقوله . وكنا نود لو خص في كتابه بضع صفحات بيضاء في عدل الروم والرومان في الشام لنرى

الفرق بين السابقين واللاحقين ، بيد انه صور العرب انهم سالبة كلية في هذا القطر و في غيره لا مدنية ولا صناعة ولاعدل ولا نظام وهذا مما لا ينطبق مع الوف من الشواهد ويكفي بان نذكره بقول سيديليو في تاريخ العرب : « لايسع احداً ان ينكر ان الخلفاء كانوا الى القرن التاسع للميلاد سادة مملكة عظيمة زاهرة وعجيبة بازدهارها وان ملوك بغداد كانوا يبعثون بالسفارات والهدايا الى الامبراطور شارلمان والى امبراطور الصين وانهم كانوا مثال العظمة الحقيقية بما انشأوه من معاهدهم الرشيدة وما بذلوه من الاخذ بايدي العلوم وان المدارس التي أنشئت في واسع ممالكهم كانت تجدد انارة مصباح المدنية من اقصى الشرق الى اعمدة هركول تاركة في كل مكان مصانع مدهشة من آثار الصناعة العربية ومؤازرة على تجديد دم العالم القديم . »

واصرح من ذلك ما قاله رنان[1] : لم تنج اوربا بتة من العمل العام الذي اثرته اللغة العربية . ومعلوم مقدار الكلمات في كل المطالب التي اخذها الاسبانيون والبرتقاليون من لغة جيرانهم المسلمين ، وفي اللغات الرومانية الاخرى عدد كبير من الكلمات العربية وكلها تعبر الا قليلا عن امور علمية او اعمال صناعية وتؤكد مبلغ انحطاط الشعوب النصرانية في القرون الوسطى عن المسلمين في العلم والصناعة اه

وقد افاض المؤلف في تاريخ لبنان حتى كاد يصبح كتابه تاريخاً لهذا الجبل والكلام على سائر اقاليم الشام جاء بالعرض مع ان الوقائع المهمة في تاريخ البلاد حدثت في دمشق وحلب والقدس وحمص وغيرها من الحواضر اكثر من قرى لبنان مثال ذلك انه ذكر فخر الدين المعني بتطويل لم يبلغ شأو بعض بعضه صلاح الدين بن ايوب فذكر من مزاياه أنه رخص للفرنسيس ببناء خان عظيم في صيدا وللفلورنسيين باقامة قنصل لهم وتوسع في الامتيازات الاجنبية ورخص للمرسلين الكبوشيين ان يبثوا دعوتهم في الشوف وعمر لهم اديارًا وقال ان النصارى تنفسوا الصعداء في عهده وبعد ان عدد للامير اللبناني آثر من هذا القبيل وذكر بُعد نظره وجرأته في اعماله التي ربما عدت في نظره

(١) رنان في كتابه تاريخ اللغات السامية

Ernest Renan : Histoire générale et système comparé des langues sémitiques

تهوراً في الاحايين، قال انه في الحقيقة جاء قبل أوانه وسابق عصره وان هذه الصفات يجب ان تنسى معها شدته في اساليبه ويغضى عن الطرق التي عمد اليها في ادارته – ولعله يقصد بذلك الى ان الغاية تبرر الواسطة – ثم قال ان هذا النقص كان من تربيته ونشأ من المحيط الذي عاش فيه وهو محيط افسدته بضعة قرون مضت في الاستبداد على عهد العناصر التورانية قال : وكان ابوه وجده ضحايا الاستبداد التركي فرأى ان يقابل الشدة بمثلها والرشوة بما يشا كلها ولم يصل مع هذا الى المقام الذي احرزه في هذا الشأن الباشاوات الاتراك (٨٤ و ٨٦ ج٢) الخ

ونظن ماأتاه الامير المعني من هذا القبيل في تقليد حكام الترك في مشاربهم الادارية ليس مما ينطبق مع قانون الاخلاق الذي هو بالطبع قانون جميع الشرائع فالقاتل اذا قتل والسارق اذا سرق والكاذب اذا كذب مع اعتقادنا بسوء ما ارتكبوا في الحال والمآل لانقلدهم في عملهم المضر واذا فعلنا فنكون مثلهم او اردأ منهم .

ومن ذلك مانقله عن تاريخ الامير حيدر (١٤١ ج ٢) من ان الانكشارية في حلب سنة ١٧٩٧ انقضوا على السادة اولاد الرسول واهلكوا منهم ٢٥٠ شخصاً والحقيقة اشراف البلدة اي اعيانها وكان هناك حزبان حزب الانكشارية وحزبهم وكذلك قوله (٢١٩ ج ٢) ان الامير عمر الذي صلب في الحرب العامة مع المصلوبين من رجال البلاد هو حفيد الامير عبد القادر والحقيقة انه ابنه . وقوله ان عظام الامير عبد القادر اثناء الحرب ذريت في الريح وليس هذا بصحيح بل ان قبره فقط درس ثم اعاده الاتراك الى احسن مما كان عليه . وقوله (١٨٣ ج ٢) ان الامير عبد القادر انقذ في فتنة الشام المشؤومة ١٥٠٠ مسيحي فحاول وحده ان ينقذ شرف الاسلام . والحقيقة ان الامير الكبير رحمه الله انقذ اكثر من هذا العدد وشاركه في هذا الغرض الشريف اعيان دمشق وعلماؤها وتجارها وغيرهم وقلما خلا بيت مسلم ذي منزلة اجتماعية من فتح بابه وصدره لحماية مواطنيه المسيحيين وحريمهم واولادهم على ما يأمرهم بذلك دينهم .

ومن ضعف الاستنتاج في تاريخه استشهاده ببيتي حميدة ابنة النعمان بن بشير الانصارية في تقزز عرب الشام من عرب الحجاز وهما :

كهول دمشق وشبانها احب الينا من الجاليه

صنان لهم كصنان التيو س اعيا على المسك والغاليه

فقول شاعرة ان صحت نسبة البيتين اليها لاتكون قاعدة كلية في فك عرى الارتباط بين العرب كما ان قول تلك الشاعرة التي قالت :

ولبس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف

الى آخر الابيات لايصح قاعدة في ميل العرب كلهم لسكنى البادية والا فكيف غصت الشام ومصر والعراق وفارس والاندلس وشمالي افريقية بالعرب فعربوا تلك البلاد ودانت بدينهم مع طول الزمن وتخلت عن مشخصاتها السابقة راضية مختارة .

ولم يذكر المؤلف في المدارس التي نهضت بالبلاد (ص ٢٠١ ج ٢) الا مدارس اليسوعيين ومدرسة الدومنيكيين العالية في القدس التي تدرس الآثار التوراتية واللغات الشرقية . والانصاف يقضي بان تذكر المدارس الاخرى التي كان لها شأن مهم في انهاض البلاد مثل المدارس الوطنية في بيروت ولبنان ودمشق وغيرها ومدارس الاميركان ولا سيما الجامعة الاميركية التي سبقت غيرها في تهذيب الناشئة وكان من أفضال أمثال الدكتور فانديك وورتبات وغيرهما على العرب والعربية مالاينسى وتخرج بها وباساتذة الجامعة مئات من رجال سورية فقبضوا على أزمة المالية والتجارة وكان لهم شأن في الحركة الفكرية في الشام ومصر واميركا . وان من واجب المؤرخ أن يتجرد عن عواطفه الخاصة فاما ان يذكر المحسنين اياً كانوا أو يتخلى عنهم كلهم . ولعمري ان دمشق مثلاً تستحق ان تذكر بكلمة في نهضتها العلمية الأخيرة خصوصاً وهي قلب الشام وعاصمته منذ قرون متطاولة ونهضتها قامت بايدي ابنائها أنفسهم لم تستند إلى قوة خارجية ومعاضدة أجنبية .

هذا بعض مارأيت ملاحظته على تاريخ العلامة اليسوعي مجتزئاً به مخافة التطويل وذلك حرصاً على التاريخ الصحيح غير ناظر فيما كتبت لمقصد سواه . واعوذني من هوى الغض من مكانته ومن حب الجدل في غير محله فان وجد فيه حقاً وتقبله بقبول حسن فهذا ماانوخاه وان رأى غير ذلك فليطوه على غره إذ الخير أردت ولا عصمة الا لله

محمد كرد علي

٤

آراء الاعضاء

كتاب تاريخ (حكماء الاسلام) للبيهقي
و (صوان الحكمة) للسجزي

الضنّ بالعلم غير محمود ولا مبارك فيه . فلذلك وجب عليّ ان أذيل ذيـــلا على الرسالة المهمة في كتاب (تاريخ حكماء الاسلام) التي نشرهـــا الشيخ « المغربي » في الجزء السابع من المجلد الثاني من هذه المجلة : فانه قال فيها ص ١٩٤ : انه ممـــا يلاحظ على المرحوم جورجي أفندي زيدان قوله ان مؤلف كتاب تاريخ حكماء الاسلام جعل كتابه ذيلاً لصوان الحكمة مع أن المؤلف نفسه يقول : انه حذا فيه حذوه ونســـج على منواله . فلعل هذا السهو هومن المستر (بركلمن) الذي اعتمد عليه جورجي أفندي لا من جورجي أفندي نفسه . ولكني اخاف ان يكون الشيخ المحترم نسي انه واجب على من شاء نقد مصنف ان يبحث عن أصل مقالاته . فلو فعل ذلك السيد المغربي لوجد ان أصل تسميتي تاريخ حكماء الاسلام بذيل (Nachtrag) لصوان الحكمة هو وصف النسخة البرلينية للشيخ المرحوم (آلورد) العلامة المدقق في فهرست النسخ العربية الموجودة في الكتبخانة البرلينية عدد (١٠٠٥٣) في المجلد التاسع . فان هذا هـــو الذي سمى أولاً كتاب البيهقي بذيل (Nachtrag) لصوان الحكمة . وقال ان الشيخ البيهقي جمع في كتابه تراجم الحكماء الذين لم يذكرهم السجزي في كتابه ومن فوائدهم ما قرب غروب نجومه في مغارب النسيان . ولكنه لم يذكر العلماء الذين ترجمهم السجزي على الكفاية . فلذلك كان كتابه حرياً حقيقة ان يسمى بـ (Nachtrag) لصوان الحكمة فان كان المرحوم جورجي أفندي ترجم ذلك بذيل فليس هذا بسهو منه . وان كان الشيخ البيهقي نفسه لم يسم كتابه بذيل صوان الحكمة .

« بروكلمن »

آراء وافكار

التعريب

قال العلامة الدكتور يعقوب صروف في كتابه المنشور في الجزء السابق من هذه المجلة « انه غير راض عن اهتمام بعض اعضاء المجمع بترجمة الالفاظ التي لامرادف لها عندنا لأنه لايرى موجباً لذلك ولا فائدة منه للغة الخ »

فمع اعترافنا بفضل صديقنا المشار اليه وثنائنا على وفرة اجتهاده في خدمة العلم والادب سنين عديدة واعجابنا بسعة معارفه العصرية وسداد آرائه العلمية ومعرفتنا باخلاص قصده لابدّ لنا من استئذانه في بيان رأينا في هذا الشأن فنقول :

لا مشاحة في انه ليس في اللغة العربية مرادفات للالفاظ الاعجمية الدالة على الاشياء الحديثة كالمكتشفات الطبيعية والمخترعات العلمية والمصنوعات الغربية كأنواع الملبس والمفرش وأدوات الزينة والترف وآلات الصناعة والزراعة وسائر المستحدثات الكثيرة التي نقرأ عنها في الكتب والمجلات المختلفة ونشاهدهافي أسواقناوبيوتنا ولانجد لشيء منها اسماً عربياًلأنها لم تخطر على بال أحد من واضعي لغتنا إذ لم يتنبأوا بماسيحدث بعدهم من المسميات حتى يضعوا لها أسماء قبل وجودها .

فان اتبعنا رأي الدكتور صروف واستعملنا كل كلمة جديدة لامرادف لها عندنا بلفظها الموضوع لها في لسان واضعيها أصبحت لغتنا خليطاً من العربية واللغات الغربية فتشوشت محاسنها البديعة وانحطت منزلتها الرفيعة . وإذا دام النقل اليها بهذه الطريقة ازدادت فيها الكلمات الأعجمية بازدياد المكتشفات العلمية والمصطلحات الفنية والتجارية والصناعية والسياسية وغيرها على توالي الأيام والسنين حتى تغلبت عليها وكان ذلك مدعاةً إلى سقوطها ولحاقها بلغات الغابرين فلا يبقى منها إلا ما حفظته الخزائن من كتب الاولين .

واي أديب يريد ان تكون لغته كلغة أهل مالطة ؟ بل أي عربي يرضى بما ينشأ عنه

موت لغته الذي يترتب عليه موت أمته لأنه لاحياة لأمة إلا بحياة لغتها كما يشهد التاريخ بذلك .

فان قيل ان اللغة العربية قاصرة عن مجاراة اللغات العصرية في خدمة العلم الحديث ولذلك لابدّ من نقل الالفاظ الاعجمية اليها بلا ترجمة ولاتغيير قلنا ان الذين ينسبون القصور إلى اللغة لم يحيطوا بما فيها من فرائد الكلم ولا طرق الاشتقاق والمجاز ولو أمكنهم استقراء كلام العرب والوقوف على ما كان لهم من سعة التصرف في ابراز المعاني على اختلاف مناحيها لعلموا ان القصور من جهتهم لامن جهة اللغة . ولا نعني بذلك ان في اللغة لفظاً موضوعاً لكل معنى جديد لاننا صرحنا بخلوها من الألفاظ الدالة على المعاني الحديثة التي لم تخطر على بال الواضعين الأولين وإنما نعني ان في أوضاعها مايتسع لان يشتق منه الفاظ لما شئنا من المعاني لأنها قابلة الاتساع إلى مايفي بالمطالب العصرية وإذا جاز للغربيين ان يضعوا اسماءً جديدةً لمسميات لم تكن في عهد اسلافهم ويحيلوا الكلمات التي يقتبسونها من اليونانية أو اللاتينية إلى صِيَغٍ تناسب قواعد لغاتهم مع اشتقاقها من أصل واحد وتقاربها في الألفاظ والمعاني فلماذا لايجوز لنا ان نحذو حذوهم فنضع اسماءً عربية لتلك المسميات أو نحيلها إلى صيغ تناسب قواعد لغتنا مع مابينها وبين تلك اللغات من شدة التباين ومع ماهي عليه من كثرة الاشتقاقات وقبول الاتساع بطرق عديدة . وكيف يصح القول « ان ترجمة الألفاظ الافرنجية التي لا مرادف لها عندنا لاموجب لها ولا فائدة منها للغة »

وأي موجب أشد من تحرير الألسنة من ربقة العجمة واي فائدة اعظم من المحافظة على حياة اللغة وتوسيع نطاقها وتبرئتها مما ترمى به من القصور

وبعد فلو كانت ترجمة الألفاظ الأعجمية غير مفيدة للغة لما كان الدكتور صروف نفسه يعنى بها والا فلماذا يستعمل في كتاباته الألفاظ الجديدة كالاستهواء ومناجاة الأرواح والعلاج بالأشعة بدلاً من الهبنوتزم والسبرتزم والرديوثرابيا .

لاجرم ان ذوقه العربي مجّ هذه الألفاظ الأعجمية ففتش عن ألفاظ عربية مأنوسة تؤدي معانيها بدون « مطّ » فوجدها وآثرها على الافرنجية . وهذا يدل على اننا لسنا في حاجة إلى الكلمات الحوشية أو الوحشية كالحيزبون والدردبيس لكثرة مافي

اللغة من الكلمات الفصيحة والمترادفات المأنوسة . على اننا إذا اضطررنا إلى كلمة حوشية قديمة لعدم وجود كلمة غيرها تؤدي معناها اخترناها على الاعجمية لأنها ذات صيغة ومقاطع عربية موافقة لذوقنا وإذا تكرر استعمالها أصبحت مألوفة كغيرها

نحن نعترف بأنه ليس في الامكان ان نجد مرادفات لكل الكلمات الجديدة ولا سيما أسماء الجواهر وما أشبهها من أجناس المصنوعات التي لا يتأتى نقلها على الغالب الا محكية بلفظها ولكن ما لا يدرك كله لا يترك اقله وفي ما وضعه السلف في العصر العباسي وغيره من الالفاظ العلمية وما وضعه المعاصرون وشاع استعماله كالمنطاد والدراجة والمجهر والمرقب والمحبَّب للبالون والبسكليت والمكرسكوب والتلسكوب والفرانيت حجة قاطعة على امكان وضع ألفاظ أخرى علمية تفي ببعض الحاجات العصرية. فالخلل الذي يرى في لغتنا اليوم لا يستحيل سده على تراخي الأيام اذا بذل العلماء جهدهم في خوض بحارها وكشف أسرارها واتبعوا سبيل المتقدمين في وضع ألفاظ عربية المستحدثات أو سبك ألفاظها في قالب عربي لا تتشوه به هيئة اللغة، أما القول « بان اللغة لا تقوم بما فيها من الاسماء بل بما فيها من الحروف والتصاريف » ففيه نظر لأن المعروف عندنا انه لا يتم قوامها بغير الاسماء ولا يصح قياس العربية الكثيرة المواد والاشتقاقات على التركية التي لقلة مادتها وضيق نطاقها كثرت فيها الألفاظ الدخيلة فأصبحت خليطاً من لغات شتى حتى يسوغ لنا ان نقول انها لم تبق تركية الا بالاسم وقد شعر بعض أنصارها بذلك فحاولوا أن ينبذوا منها الألفاظ العربية وغيرها ويستغنوا عنها بالالفاظ التركية القديمة رغبةً في احيائها ومحافظةً على كيانها ولكنهم لم يفلحوا لتغلب الكلمات الدخيلة وشيوعها وشدة الافتقار إليها .

فليس من الصواب أن يتساهل في استعمال الالفاظ الاعجمية إلى حد يتنكر به وجه العربية لئلا يصيبها ما أصاب التركية . وليس « الاحسن أن يترك التعريب في كل علم إلى الذين يعلمونه ويعملون به » لأن كثيرين منهم لا يعرفون أصول اللغة ولا اشتقاقاتها ولا أساليب الفصاحة فيها لتلقيهم العلوم باللغات الاجنبية وعدم عنايتهم بلغتهم فكيف يمكنهم أن يحسنوا الترجمة ويضعوا الألفاظ المناسبة للمعاني التي ينقلونها . والذي نراه ولعلنا مصيبون أن أرباب العلوم العصرية لا يستغنون في الترجمة عن معاونة

علماء اللغة ليكونوا على بيّنـة من صحة الألفاظ التي يستعملونها كما ان علماءَ اللغـة لا يستغنون في وضـع الألفاظ الجديدة في كل علم عن معاونة أربابه ليكونوا على بينة من تحقيق المعاني التي يضعون لها تلك الألفاظ وكل ذلك قد أثبته لنا الاختبار كما أيده التاريخ .

ان الخليفة المأمون حين عرّب كتب اليونان والفرس والسريان والهنود في الطب والحكمة والعلوم الطبيعية والرياضية وغيرها استدعى قوماً من نساطرة العجم ليتولوا له نقلها لأنه لم يجد في علماء أمته من يستطيع استخراجها إلى العربية لعدم معرفتهم بلغات اولئك الاقوام ولكنه لم يقتصر على ذلك بل جعل للمعربين يوماً في الاسبوع يجتمعون فيه لتعرض أعمالهم على علماء اللغة فما وجدوه منها سديداً أقروه والاّ صححوه .

وكفى بذلك برهاناً على أن أرباب العلوم لا يستطيعون وحدهم الترجمة الصحيحة بدون معاونة علماء اللغة إلا إذا كانوا هم أنفسهم عالمين بأوضاع اللغة واشتقاقاتها وطرق المجاز فيها وهذا نادر .

جملة القول ان الكاتب أو المعرب لا يمكنه وحده أن يجد مرادفات للأسماء الأعجمية الكثيرة التي يضطر إلى ترجمتها لما في ذلك من الصعوبة وبعد المنال ولو زاول الترجمة السنين الطوال . ولا يسعه نقلها إلى لغته بصورها لأنها تباين أوضاعها في المقاطع والأوزان فتؤدي إلى تشويه وجهها وافساد محاسنها كما سبقت الاشارة إليه .

ولا يحسن أن يكون كل مترجم حراً في وضع الألفاظ التي يختارها لئلا تتسع المذاهب وتتعدد الآراء وتعم الفوضى في التعريب فلم يبق إلا أن يوكل هذا العمل الصعب إلى جماعة من أدباء اللغة المستبحرين فيها الواقفين على أسرارها فيتعاونون على البحث في ما تمس الحاجة إليه من الأوضاع المحدثة ويواصلون الجد في تقليب صحف اللغة وتتبع موادها ليمكنهم وضع الألفاظ المناسبة لتلك المستحدثات بعد تحقيق معانيها بمعاونة أرباب العلوم والفنون العصرية . ولذلك أنشىء بعض المجامع اللغوية في مصر وغيرها لتتولى سد هذا النقص العظيم في اللغة وتكون مرجعاً للكتاب وأهل العلم في كل ما يعرض لهم من مسائلها ومشكلاتها إلا أنها لم تثبت إلا قليلاً لأسباب لا حاجة إلى ذكرها . ولما تألف مجمعنا في دمشق وجد أن الحاجة إلى التعريب تشتد على توالي

الأيام وان الواجب يقضي عليه بتدارك ما فات فاهتم بهذا الأمر وشرع في سد جزء صغير من هذه الثلمة متشبهاً بمن سبقه من العلماء وان لم يكن مثلهم آملا أن يفلح في مسعاه .

ولم يكل العمل إلى أحد الأعضاء بل جعله مشتركاً بين العاملين منهم وأعضاء الشرف جميعاً وفيهم من لهم معرفة تامة باللغات القديمة والحديثة ومن اتقنوا العلوم المصرية ومن عنوا بالترجمة ومع ذلك لم يكتف بآرائهم بل رغب إلى العلماء والأدباء في كل الأقطار العربية أن يؤازروه بأفكارهم السديدة ومباحثهم المفيدة ليكون صنيعه نافعاً مقبولاً وهو لا يدّعي الاصابة بكل ما يضعه من الألفاظ أو يعربه من الكلمات أو يصححه من الأغلاط لأنه عرضة للخطا والخطأ من لوازم الانسانية . ولا يطمع في انجاز هذا العمل العظيم وحده في زمن قصير لأنه يعلم ان دون ذلك خرط القتاد وانه من الأعمال التي لا ينجزها إلا العدد العديد في الزمن المديد وانما قصاراه أن يضع حجراً صغيراً في الأساس ويرجو من العلماء المعاصرين والذين يأتون بعدهم أن يواصلوا السعي لاتمام البناء ولو في المستقبل البعيد .

هـــذه كلمتنا التي وعدنا بها في الجزء السابق من هذه المجلة بسطناها للقراء الكرام ليطلعوا على رأي المجمع وطريقته في التعريب .

ومأمولنا في أصدقائنا الأفاضل أن يشجعونا على متابعة العمل ويتحفونا بما يكون عوناً لنا على تحقيق الأمل والله المسؤول ان يسدد خطواتنا إلى سبيل الصواب ويؤتينا الحكمة وفصل الخطاب انه الكريم الوهاب .

انيس سلوم

مطبوعات حديثة

كتاب التكملة
لكتاب الصلة

طبع بالمطبعة الشرقية في الجزائر ١٣٣٨ – ١٩٢٠ ص ٤٦٢

طبع كتاب الصلة لابن بشكوال سنة ١٨٨٢ طبعه في مجريط المستشرق الاسباني كودرا في جملة الكتب التي طبعها في تراجم الاندلسيين وسماها المكتبة الاندلسية العربية . وهذه التكملة لابي عبد الله محمد القضاعي البلنسي المعروف بابن الابار وهو القسم الأول المفقود من طبعة الشيخ فداره زيدين في مجريط سنة ١٨٨٦ – ١٨٨٩ وقد طبعه الشيخ ڤنزالش بلنسية في مجريط سنة ١٩١٥ عني بطبعه وتعليق حواشيه الشيخان العالمان الفريد بل مدير مدرسة تلمسان والشيخ محمد بن أبي شنب المدرس بمدرسة الجزائر ووضعا له فهرسة اسماء الرجال والنساء واخرى في اسماء الأماكن وثالثة في اسماء الكتب ورابعة في الأبيات التي ورد ذكرها في هذا الكتاب . وفي هذا الجزء ٦٥٢ ترجمة مختصرة على الأغلب لعالم اندلسي أو مغربي أو مشرقي وأكثرهم من رواة الأثر ومن أجمل ما فيه التعليق على اسماء البلدان كما كانت على عهد العرب وايراد ما يقابلها اليوم في اللغة البرتقالية أو الاسبانية أو بالافرنجية مما دل على علو كعب الناشرين في الأدب العربي واستحقا به شكر العلم وأهله على عنايتهما باحياء آثار السلف على هذه الصورة الجميلة من الاتقان والتحقيق

مختصر في العربية المراكشية

تأليف كودوفري ديومبين ولويس مرسيه بباريز صفحة ٢٤٢

جمع هذان المؤلفان بعض معلومات عن بلاد مراكش وعن لغتها العربية واللغة البربرية وذكرا بعض محاورات تفيد الداخل حديثاً إلى تلك البلاد ولا سيما اللهجة البربرية لغة السواد الأعظم وهناك معلومات عن تاريخ البلاد وسكانها وجغرافيتها كلها باسلوب عملي وهاك اسم الكتاب بالافرنسية واسم المؤلفين الفاضلين

Gaudefroy - Demombynes et L. Mercier ; Manuel d'Arabe Marocain, Paris, Librairie Orientale et Américaine,

(م . ك)

مجلة المجمع العلمي العربي

(٢٢)

الجزء ١٠ تشرين أول سنة ١٩٢٢ م الموافق صفـــر سنة ١٣٤١ هـ المجلد ٢

تفسير الالفاظ العباسية

في نشوار المحاضرة

نشوار المحاضرة من خير كتب المحاضرات وأمتعها ، كنا نسمع به فنشتاقه ونرى نقولاً عنه فنزيد اليه شوقاً حتى أتيح له العالم العامل الاستاذ مرجليوث صاحب الايادي الكثيرة على العربية فاتحف قراءها بجزئه الاول مطبوعاً طبعاً متقناً وهو كل ماوجده من الكتاب في خزانة باريس .

وقد طالعت هذا الجزء اخيراً فعثرت فيه على طائفة من الالفاظ العباسية الكثيرة الورود في أخبار ذلك العهد وغالبها مما لم تتعرض المعاجم التي بايدينا إلى ذكره او لم تفسره تفسيراً شافياً يميط اللثام عن معناه ويكشف عن الغرض منه . وانما قلنا العباسية من باب التغليب لان جلها من الالفاظ الحادثة في العصر العباسي الاول إما بالتوليد والتعريب او بالاستعمال في غير ماوضعت له بضروب من التجوز والتوسع .

ولم يكن اقدامي على تفسيرها الا باشارة صديق لاتسعني مخالفته وكان الاولى بي الاحجام لاني اقدمت في وقت انا فيه جم المشاغل والبلابل بعيد عن قماطري وكتبي فجاء العمل على ما تيسر لا على ما ينبغي ان يكون. على اني بعد ولوج الباب صادفت من الصعوبة مالم أكن اتصوره لاسباب أهمها قلة المواد المعينة على امثال هذه المباحث ومنها عدم الوثوق بكل ما جاء بالنسخة والامان فيه من مسخ الناسخ فكنت اذا توقفت

في لفظ استنفد مني وقتاً كبيراً في البحث عنـــه بعد تقليبه على ماتحتمله صورته من وجوه التصحيف والتحريف وفي هذا من العناء مالايعرفه الامعانيه . فعسى بعد هذا الجهد الجهيد ان لايصادف عملي اهمالاً من حملة الاقلام وجهابذة اللغة فاني ماكتبت الذي كتبت الا اعتماداً على انه معروض لديهم على المحك ومتناول منهم بالنقد حتى يتميز الصحيح من الزيف .

وقد اكتفيت في هذه الالفاظ ببيان أصولها وتوضيح معانيها غير متعرض لحكم استعمالها عند أئمة اللغة ولا ملتزم ذكر مايقابلها من الفصيح تجنباً لايقاظ فتنة نائمة واثارة جدال عقيم جربناه مراراً فلم نفترق فيه على وجه جميل . فاذا ندّ القلم في بعضها عن هذا الشرط فليحمل ذلك على قصد الزيادة في البيان والايضاح او مجرد المقارنة بين لغة قوم ولغة آخرين لا افتياتاً على السادة المستعجمين والله الهادي الى سواء السبيل .

(التنّاء و الأكرة)

ذكر في « ص ٤ » في اصناف الناس الذين أورد اخبـــارهم في الكتاب « التنّاء والمزارعين . وارباب الخراج والارضـــين . والاكرة والفلاحين » . التناء والاكرة لفظان كادا يكونان خاصين بالعصر العباسي الاول ولو تتبعتهما لوجدتهما كثيري الورود في اخباره ثم يأخذان في القلة بعد ذلك الى ان لاترى لهما اثراً من الذكر . اما التناء بضم الاول وتشديد النون فجمع تانىء وقد ورد في قوله (ص ٨٨) وكان ابوه شاهداً جليلا تانئاً [١] موسراً » . وورد التناء في احسن التقاسيم للمقدسي في وصفه لشيراز وأهلها (ص ٤٣٠) بما نصه :

« لهم خصائص وصنائع وعقل ودهاء ومعروف وصدقات وبهاء ومشايخ ووجوه وتناء » . وفي تاريخ الوزراء للصابىء « ص ٢١٠ أنفذ في درجه كتاباً في جلد يضمن فيه المال والدم وقد اشهد فيه جماعة الشهود والوجوه والتنـاء في البلد » . ومعنى التانىء الدهقان اي رئيس القرية وحاكمها والظاهر انهم اطلقوه ايضاً على العين من

(١) لعله « وتانئاً » بواو العطف .

اعيان الزراع وان لم يكن متولياً شؤون قريته كما يطلق المصريون الآن (العمدة) على دهقان القرية وعلى الوجيه السري من أعيان الريف .

اما الاكرة بفتحتين فجمع اكّار بالفتح وتشديد الكاف وهو الزرّاع ويقال له الخبير ايضاً واصله من الاكر بمعنى الحفر ثم خص العرف المؤاكرة والمخابرة بالزارعة على نصيب معلوم مما يزرع بالارض كالثلث او الربع او غيرهما . والعامة في مصر تستعمل في هذا المعنى « المرابعة » وهي في الاصل المزارعة على الربع ثم جعلت للمزارعة على أي نصيب يتفق عليه ويقال لمن يباشرها المرابع .

(اصحاب الستائر والمقيّسون)

وذكر في (ص ٥) . « الرقاصين والمخنثين . واصحاب الستائر والمقيسين . والمتقاينين والمستمعين . واهل الهزل والمتخالعين » . اما الستائر فالمراد بها هنا مجالس الغناء التي للقينات لأنهم كانوا يضربون ستارة تحول بينهن وبين المستمعين ويغنين من ورائها فالمراد من وراء الستائر لا الستائر واستعمال مثله جائز ومنه يفهم معنى قولهم عند فلان ستارة واتخذ فلان ستارة ولابن قلاقس في تشبيه الطيور في اوراق الأشجار بقيان خلف ستائر

والورق في الاوراق قد هتفت على عذب الغصون بأعذب الالحان
فكأن اوراق الغصون ستائر وكأن اصوات الطيور اغانِ

وكان الخلفاء إذا أرادوا سماع الغناء سمعوه من وراء ستار يحجبهم عن الندماء والمغنين .

أما المقيّسون فلم أجد في مادة هذا اللفظ مايتلاءَم مع المعنى هنا ولا إخاله إلا محرفاً عن « المقينين » بمعنى المتخذين قياناً لسماعهن أو للكسب من غنائهن فيكون ذكره لهم بعد أصحاب الستائر من عطف المرادف . وأصل التقيين التزيين يقال قينت فلانة صاحبتها أي زينتها فاستعماله في اتخاذ القيان من المولد . ومما يرجح ذلك ذكره بعدهم (المتقاينين) وسنبين انهم المستهترون بمصاحبة القيان والانفاق عليهن وهو أيضاً استعمال مولد. وقد يظن ان التحريف عن (المقلسين) بمعنى المضحكين ولكن يمنع منه ذكره لهم مع أصحاب الستائر بعد الرقاصين والمخنثين وقبل المتقاينين والمستمعين ولو كان

ارادهم لاحترم لأهل الهزل والمتخالمين فالسياق يقتضي ماذكرنا فضلاً عن أنه أقرب إلى صورة اللفظ .

(المتقاينون)

وذكر في « ص ٥ » أيضاً : « المتقاينين والمستمعين » على ماتقدم . وقد ذكرنا ان المراد بهم المستهترون بمصاحبة القيان وانفاق المال عليهن وهو اشتقاق مولد مأخوذ من القينة أي المغنية والظاهر أنهم توسعوا في التقاين بعد ذلك فجعلوه لمطلق الاسراف على اللهو لأن الغالب فيه أن يكون على القيان وأمثالهن وقد تكرر ذكره في الكتاب . ففي (ص ٨٨) « وكان هذا الفتى ابن جانخش قد ورث مالاً جليلاً ودخل الديلم الأهواز عقيب ذلك فتقاين بالمال وعاشر الديلم فانفق اكثره عليهم » . وفي (ص ٨٩) « ومن طيّب اخبار متخلفي المورثين ماالخبرت به من ان أحدهم ورث مالاً جسيماً فتقاين وعمل كل مايشتهي » . وفي (ص ٩٤) « وقد جرى ذكر رجل عندنا بالبصرة ورث مقدار مائة الف دينار فتقاين بها في سنين قريبة وعاد فقيراً » . وفي (ص ٩٨) « ورث في حداثته مالاً جليلاً فتقاين بجميعه » .

(القمائحيون)

وذكر أيضاً في (ص ٥) : « الآسية والمجبرين . ومعالجي الجراح والقمائحين » هكذا بالنسخة والصواب « القمائحيين » نسبة الى القمائح جمع قميحة وهي في الأصل لما يستف يقال قمحة واقتمحه بمعنى استفه ثم أطلقت في لغة الطب على نوع من السفوفات فقول القاموس القميحة الجوارش كأنه نظر فيه إلى معناه اللغوي وهو الدواء الهاضم لأن الجوارش معدود عند الأطباء في المعاجين لا السفوفات وسيأتي الكلام عليه . فالقمائحيون صانعو القمائح أو المعالجون بها وقد شاعت عند المولدين النسبة إلى الجمع في أمثال هذه الصناعات كالجرائحي والحشائشي والطبائعي .

(المقالون)

وذكر أيضاً في (ص ٥) : « أصحاب الزجر والزراقين . وأهل القرعة والمقالين والطواف بالسهام والمفسرين » . أما أهل القرعة فالذين يخرقون بالقرعة المنسوبة

للامام جعفر الصادق وغيرها ومثلهم الطوّاف بالسهام لأن عملهم ضرب من القرعة وأصل السُهمة كالقرعة وزناً ومعنًى والمفسرون والمعبرون . وبقي المقالون ولا يصح اشتقاقهم من القول ولا من المقل بمعنًى يناسب ماهنا، وعندي ان اشتقاقهم من الفأل بالفاءِ غير أن غالب هذه الالفاظ لما كانت مولدة لا نستطيع الجزم بما صاغوه من هذه المادة للدلالة على المشتغلين بالفأل وأقرب الصيغ إلىصورة اللفظ أن يكونوا « الفئآلين » بوزن فعال بتشديد الثاني أي باحدى صيغ النسبة لذوي الصناعات وتكون الميم زيادة من قلم الناسخ .

وهذه الطوائف ترجع جميعها إلى طائفة واحدة سماهم الجوبري في المختار في كشف الأسرار بأصحاب السير وبالمنجمين وبالغرباء وذكر منهم أصحاب الموائد وأصحاب الفأل وأصحاب الحديدة وأصحاب القرعة وأصحاب التكلم على الرمل وغيرهموشرح أعمال كل صنف منهم بما يبينها .

(الزرّاق)

وذكر في (ص ٥) : « أصحاب الزجر والزرّاقين » على ماتقدموجاءَ في (ص٢٦٦ — ٢٦٧) « قال لي أبو معشر المنجم وقد جرى حديث الزرّاقين »وتكرر ذكر الزرّاق بالقصة بما يعلم منه أنه المنجم . وجاء في حكاية أبي القاسم البغدادي لأبي المطهر الازدي طبع هيدلبرج (ص ٤) « ودرس علم الزراقين والمشعبذين » . وقد فسره الخفاجي في شفاء الغليل فقال « أكذب من زراق وهو الذي يقعد على الطريق فيحتال وينظر بزعمه فيالنجوم، وزرقت عليهأي موهت عليه قالهأبو بكر الخوارزمي فيأمثالهولميذكر كونه مولداً لكنه مذكور في اللغة الساسانية وهو يدل على انه مولد » ونقل المحبي هذه العبارة بنصها في « ما يعول عليه » في كلامه على « كذب الزرّاق » وفي «قصد السبيل» ولم يعزها فيها للخفاجي . وقد أعاد الخفاجي ذكر الزرّاق في كلامه على ساسان واللغة الساسانية فقال :« ومنها الزرق وهو تعاطي التنجيم وصاحبه زرّاق والزرق الرياضة » انتهى . قلنا فهو كالذي يعرف عند عامة مصر « بالرمّال » لأنه ينجم بالخط على الرمل

ويقعد على الطريق ومثله عندهم « الضمار » وهو من يعاني هذه الصناعة بطرق الودع لأنه يكشف عما في الضمائر بزعمه .

أما اللغة الساسانية فألفاظ مولدة اخترعها بنوساسان وهم قوم من العيارين والشطار ونظم فيها أبو دلف قصيدة طويلة مذكورة في اليتيمة وكان الصاحب ابن عباد يتحاور معه بها ويقع من لغاتهم كثير في اشعار المولدين فلا يعرفها الناس كذا في شفاء الغليل . قلنا ويقال لها ايضاً لغــة المكدين ولغة الغرباء لطواف اصحابها على البلاد للكدية . اما نسبتهم لساسان فلم أجد من تعرض لها من اللغويين سوى أن شارح القاموس قال في المستدرك على « سوس » : وقال ابن شميل يقال للسؤّال هؤلاء بنو ساسان » . وزعم المطرزي في شرحه على المقامات الحريرية المسمى بالايضاح في شرح المقــامة الثانية أن ساسان رأس الشحاذين وكبيرهم هو ساسان بن بهمن أحد ملوك الفرس المعروف بساسان الاكبر ، عهد أبوه بالملك لأخته فأنف من ذلك وانطلق فاشــترى غنماً وأقام يرعاها بالجبال ويعاشر الرعيان فعيّر بذلك ثم نسب اليه كل من تكدّى أو باشر أمراً حقيراً من العمي والعور والمشعوذين والكلابين والقرادين وأمثالهم . اما القصيدةالتي اشار إليها الخفاجي فهي في اليتيمة « ج ٣ ص ١٧٦ — ١٩٤ » وأولها :

جفونٌ دمعهــا يجري لطول الصــد والهجــر

ولم يــذكرها الثعالبي كلها بل اقتصر على منتخبها وهو كثير . ورأيت في ديوان صفي الدين الحليّ « ص ٤٤٤ — ٤٤٨ » قصيدة له نونية ضمنها الفاظاً من لسان الغرباء ولكنها غير مفسرة وعندي نسخة مخطوطة من هذه القصيدة فسّرت الفاظها بين السطور إلا انها كثيرة التحريف . وفي المختار السائــغ من ديوان ابن الصائغ[١] ثلاث قصــائد من هذه اللغة وذكر معها للمناسبة ابياتاً للصاحب ابن عباد ضمنها الفاظاً منها ويقــول ناظم الديوان ان اكثر الفاظ هذه اللغة من السريانية . وفي الكلام على « إربل » من معجم البلدان لياقوت قصيدةفيها الفاظ غريبة سماها بالفاظ البغداديين والاكراد وهي من نظم نوشروان البغدادي المعروف بشيطان العراق واولها :

---

(١) هو محمد بن الحلي بن الصائغ الطبيب من فضلاء القرن السادس .

تبـــا لشيطاني وما سوّلا لانـــه انزلني اربلا

وقد سرت عدوى التظرف باستعمال هذه الالفاظ إلى ادباء المغرب فنظم اديب الاندلس الفقيه عمر صاحب الأزجال قصيدته النونية التي اولها :

تعال نجدّدها طريقة ساسان نقـّص عليها مايوالي[1] الجديدان

وقد وطأ لها بنثر مثلها وجعل الجميع مقامة ساسانية سماها تسريح النصال الى مقاتل الفصال وأوردها صاحب نفح الطيب في « ج ٣ ص ٢١ – ٢٤ من طبعة بولاق ».

وانما نبهت لذلك رجاء أن يعنى احد اللغويين بجمع هذه الالفاظ في معجم بعد تصحيحها وتفسيرها لاشتداد الحاجة الى مثله في فهم مايرد منها في اشعار المولدين وتآ ليفهم وكأن هذه اللغة في العربية تشبه لغة الارغو (Argot) في الفرنسية وهي عندهم لغة خاصة بالاوباش واللصوص والمكدين وامثالهم .

(الانبجات)

وفي (ص ٥) : « الادوية والعلاجات . والرقى والانبجات » . الانبجات بفتح فسكون فكسر المربيات الطبية عند الاطباء وهو من غريب توسعاتهم لانها في الاصل جمع الانبج وهو ثمر كانوا يربونه بالعسل فاطلقها الاطباء على سائر المربيات التي تدخلها الادوية . وفي القاموس « الانبج كاحمد وتكسر بآؤه ثمر شجرة هندية معرب أنب » وقال غيره معرب « أنبه » فأبدلوا الهاء الاخيرة جيماً على ماهو معروف . قلنا وهو المعروف الآن عند عامة المصريين بالمنجة أخذوه من الافرنجية منجو (Mango) أو منج (Mangue) وهو دخيل فيها من لغة الملايو [2] وسماه بعض المؤلفين في الزراعة من المصريين « بالانبي » وكان الأولى ان يقول الانبج على ماعربوه به قديماً . وورد بلفظ (الانب) في (ج ١ ص ١٥٨) من نزهة الجليس الموسوي وأنشد فيه لاحمد ابن علان :

لطائف الهنـد ثلاث أتت الأنب والنرجس والبان

(١) في الاصل « توالي » .

(٢) لفظه في هذه اللغة (منك) ولكن بثلاث نقط على الغين وثلاث على الكاف

قال « والأنب أحسن فواكه الهند وأطيبها وعندي انه احسن الفواكه على الاطلاق وهو اصناف » .

ومنهم من عرب « الانبه » بالعنبة اي بابدال الهمزة عيناً كما عربوا الانزروت بالعنزروت والهمزة والعين تتعقبان في بعض الالفاظ كقولهم أربون وعربون وأباب وعباب واباديد وعباديد واشكال وعشكال واستأديت واستعديت ، وفي ازاهير الرياض المريعة للبيهقي ان عنفوان الشباب اصله انفوان فابدلت الهمزة عيناً في قول الا ان هذا التعاقب سماعي لايطرد في كل الالفاظ . ومن هذا الابدال عنعنة تميم وهي معروفة لاحاجة لذكرها . وممن استعمل العنبة بالعين ابن بطوطة في رحلته فقال في كلامه عن اشجار الهند (ج ٢ ص ١٠ من طبعة مصر) « فمنها العنبة (بفتح العين وسكون النون وفتح الباء الموحدة) وهي شجرة تشبه اشجار النارنج [1] الا انها اعظم اجراماً واكثر اوراقاً وظلها اكثر الظلال الا انه ثقيل فمن نام تحته وعك وثمرها على قدر الاجّاص الكبير » الى ان قال « فاذا نضجت العنبة في اوان الخريف اصفرت حباتها فاكلوها كالتفاح فبعضهم يقطعها بالسكين وبعضهم يمصها مصاً وهي حلوة يمازج حلاوتها يسير حموضة ولها نواة كبيرة يزرعونها فتنبت منها الاشجار » انتهى . وتكرر ذكره لها بعد ذلك الا انها رسمت بالالف في آخرها ووردت بهذا الرسم ايضاً في نخبة الدهر لشيخ الربوة (ص ١٥٩)وفي ترجمة الدماميني من الضوء اللامع للسخاوي فقال انه مات بالهند مسموماً في عنبا ، وذكرها ابن البيطار في مفرداته بلفظ الانبج والعنبا اي في موضعين . وانفرد القلقشندي في صبح الاعشى (ج ٥ اول ص ٨٣) بمدها فقال العنباء من فواكه الهند ، ووردت في سلسلة التواريخ (ص ٢٤) بلفظ العنب ومثله في سلوة الغريب لابن معصوم الا انه قال شجر الانبا أو العنب . والاصوب ان نقول الانبج على ماعربه به السلف . « لها بقية »

احمد تيمور

(١) لو قال كشجر الجوز كما قال صاحب اللسان نقلاً عن ابي حنيفة الدينوري لكان اشبه .

غابر الاندلس وحاضرها

(١٤) مدينة اشبيلية

على شاطىء الوادي الكبير في اجمل بقاع الاندلس واعدلها هواء وازكاها تربة قامت هذه العاصمة التي كانت من اعظم مدن الاندلس بعد سقوط قرطبة في ايدي الاسبان وكانت مدينة الحظ والسرور على اختلاف الدهور والعصور . وليس اليوم في اشبيلية بقايا كثيرة من آثار العرب الا الجيرالدا او منارة الجامع الاعظم وهي اعجوبة اشبيلية ترى من مكان بعيد بناها مهندس عربي من سنة ١١٨٤ - ١١٩٦ لابي يوسف ابن يوسف من دولة الموحدين وهي من الآجر يدق حجمها كلما ارتفعت في الهواء وقاعدتها عبارة عن مربع ذي ١٣ متراً و٥٥ سنتمتراً ويزيد سمك الجدران على مترين وقد تشوهت بما زاد عليها الاسبان بعد خروجها من ايدي العرب وهي الآن قبة جرس البيعة الكبرى .

قال في ذيل اللباب : فدخل (يعني امير المؤمنين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن) اشبيلية في غرة صفر سنة ٥٩٣ فاخذ في اتمام بناء الجامع وتشييد مناره وعمل التفافيح من املح مايكون من عظمة لاعرف له قدراً الاان الوسط منها لم يدخل على باب المؤذن حتى قطع الرخامة من اسفلها وزنة العمود الذي ركب عليه اربعون ربعاً من الحديد وكان الذي صنعها ورفعها في اعلى المنار المعلم ابو الليث الصقلي وموهت تلك التفافيح بمائة الف دينار ذهباً ا هـ .

ومن اجمل ما في كنيسة اشبيلية اليوم والجامع امس ناووس من الصلب فيه بقايا خريستوف كولمبس الملاح الجنوي الذي اكتشف اميركا يحمله من اربعة اطرافه ملك قشتالة وملك ارغون وملك ليون وملك نافار وهو من صنع ميليدا سنة ١٨٩٢ كان في كنيسة هافان ثم نقل الى اشبيلية سنة ١٨٩٨ بعد ان تحررت كوبا من اسبانيا.

تقرب اشبيلية من البحر ولا ترتفع عن سطحه اكثر من ثمانية امتار وقد قال

الفرنجة فيها : ليست الجيرالدا ولا سائر مصانع اشبيلية ولا كنوز آثارها وجميل نقوشها على الحيطان هي التي اشتهرت بها اشبيلية البديعة ورددت المثل الذي سار فيها « من لم ير اشبيلية لم ير غريبة » بل ان ما اشتهرت به في جميع اسبانيا مظاهر سرور الحياة فيها من مراقص وافراح ومواسم وحركة البهجة الدائمة التي تنبعث من سكانها على الدوام .

جرت مناظرة بين يدي منصور بن عبد المؤمن بين العالم ابي الوليد بن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في كلامه : ماادري ماتقول غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها واذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته حملت إلى اشبيلية . وبهذا عرفت ان اشبيلية بلدة طرب وسرور في معظم ادواها . ولطبيعة الاقليم دخل كبير في هذا الشأن .

في اشبيلية قصور كما في قرطبة مصايف زرتها وزرت حدائقها وطوفت في اعطافها وهي ملك لاناس من اغنياء البلاد تتناقل من سيد فيهم إلى سيد ومنها ماجعل كما هو بيت بيلاتوس على الداخل اليه جعْلٌ يتقاضاه الحارس ليصرف على الفقراء كما جعلت الحكومة على كل داخل الى معهد من معاهد العرب وغيرهم جعلاً من النقود لتصرف منه على الترميم فليس في البلاد ما يعفي الناظر اليه والزائر له من دفع النقود من متاحف وآثار الا اذا كان بعض المغاور والحصون والسدود الخربة التي قامت في كل ناحية من انحاء البلاد التي ظل فيها حكم العرب نافذاً دهراً طويلاً .

كانت اشبيلية تعد من العواصم بكثرة سكانها ولما سقطت في ايدي الاعداء هاجر من مسلميها فقط زهاء ثلثمائة الف مسلم الى قرطبة وجيان وبلنسية وغرناطة حيث كانت راية بني نصر تخفق . وناهيك ببلدة يهاجر من سكانها هذا العدد وسكانها اليوم ١٤٨ الفاً وتعد من المدن المتجددة وليس لها مسحة من القديم الا ما كان من بعد عهد العرب وقد سقطت من بعد جلائهم عنها الى الحضيض .

(١٥) مدينة غرناطة

بلد تحف به الرياض كأنه ... وجه جميل والرياض عذاره
وكأنما واديه معصم غادة ... ومن الجسور المحكمات سواره

هذا ماقاله ابن الخطيب في هذه العاصمة آخر ماحكمته العرب من ارض الاندلس من عواصمها وحواضرها جمعت فيها بقاياهم وجالياتهم فظلوا فيها نحو قرنين ونصف قرن وعمروها فادهشوا العالم بعمرانها . جاءها جميع المسلمين الذين لم يحبوا ان يبقوا في البلاد التي وقعت في قبضة العدو يحتمون بملوكها من بني نصر جاؤها الوفاً الوفاً من قرطبة واشبيلية وبلنسية يحملون اليها ما كان مبعثراً من الصنائع والثروة في تلك الارجاء .

قالوا ان غرناطة قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها وخارجها لانظير له في بلاد الدنيا وهو مسيرة اربعين ميلاً يخترقه نهر شنيل المشهور وسواه من الانهر الكثيرة والبساتين والجنات والرياضات والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة . وحكى ابن سعيد ان غرناطة تسمى دمشق الاندلس لسكنى اهل دمشق بها عند دخولهم الاندلس وقد شبهوها بها لما رأوها كثيرة المياه والاشجار وقد اطل عليها جبل الثلج ـ Sierra Nevada ـ كما اطل جبل الثلج أو جبل الشيخ أو جبل حرمون على دمشق ـ وفي ذلك يقول ابن جبير :

يادمشق الغرب هاتيـ　　ـك لقد زدت عليها
تحتك الانهار تجري　　وهي تنصب اليها

قال ابن سعيد : اشار ابن جبير الى ان غرناطة في مكان مشرف وغوطتها تحتها تجري فيها الانهار ودمشق في وهدة تنصب اليها الانهار وقد قال الله تعالى في وصف الجنة (تجري من تحتها الانهار) . اما غوطة غرناطة اليوم فليست كغوطة دمشق باشجارها الملتفة ولا كما كانت كذلك على عهد العرب بل هي جرداء مرداء ولذلك كان منظرها اشبه بمنظر سهل البقاع اذا اطللت عليه من سفوح لبنان الغربي .

وغرناطة في كورة البيرة من اشرف كور هذا الاقليم نزلها جند دمشق .

قال الرازي : وفحص البيرة اي سوادها وريفها لايشبّه بشيء من بقاع الارض طيباً ولاشرفاً الا بالغوطة غوطة دمشق .

وقال ابن الخطيب : وفحصها اي فحص غرناطة الافيح المشبه بالغوطة الدمشقية حديث الركاب وسمر الليالي قد دحاه الله في بسيط سهل تخترقه المذانب وتتخلله الانهار والجداول وتزاحم فيه الغرف والجنات في ذرع اربعين ميلاً ونحوها تنبو العين فيها عن

وجهه ولاتتخطى المحاسن منها مقدار رفعة الهضاب والجبال المتطامية منه بشكل ثلثي دائرة قد علت منه المدينة فيما يلي المركز من جهة القبلة مستندة الى اطواد سامية وهضاب عالية ومناظر مشرقة فهي قيد البصر ومنتهى الحسن ومعنى الكمال .

وينزل الثلج شتاء وصيفاً على جبل غرناطة وينبجس منه ستة وثلاثون نهراً كما تنبجس من سفوحه العيون . قال ابو الحجاج ابن حسان :

احنُّ الى غرناطة كلما هفت	نسيم الصبا تهدي الصبا وتسوق
سقى الله من غرناطة كل منهل	بمنهلّ سحب ماؤهن هريق
ديار يدور الحسن بين خيامها	وارض بها قلب الشجيّ مشوق
اغرناطة العلياء بالله خبري :	ألِلهائم الباكي اليك طريق ؟
وما شاقني الا نضارة منظر	وبهجـــة داء للعيون تروق
تأمل اذا املت حوز مؤمل	ومد من الحمرا عليك شقيق
واعلام نجد والسكينة قد علت	وللشفق الاعلى تلوح بروق
وقد سل شنيل فرنداً مهنداً	نضى فوق در ذرّ فيه عقيق
اذا نمّ منه طيب نشر اراكه	اراك فتيت المسك وهو فتيق
ومهما بكى جفن الغمام تبسمت	ثغور اقاح في الرياض انيق

ولما غدت غرناطة عاصمة ابن الاحمر من دولة بني نصر بالسيف تارة وبحسن السياسة مع الاحزاب المعادية أو بمحالفة القشتاليين الاسبانيين وبني مرين المراكشيين تارة اخرى جعلها العرب الذين طردوا من المدن المجاورة وطناً لهم ونشط ملوكها الصنائع والتجارة وعمروا الطرق والمجاري وتسلسل ذلك فيها فأتم الثاني ما بدأ به الاول وزينوا البلاد بابنية بديعة فاصبحت غرناطة اغنى مدينة في شبه جزيرة ابيريا وبحكمة امرائها انبعثت منها شعلة المدنية المغربية في اسبانيا وانست عنايتهم بالزراعة والصناعة عهد قرطبة وما كان فيها من العلوم والصناعات وجمال البناء واصبحت قصورهم مثابة العلماء والادباء والفلاسفة« فصارت المصر المقصود والمعقل الذي تنضوي اليه العساكر والجنود» ولما استولى عليها الاسبان سنة ١٤٩١ م بعد ان حاصروها سبعة اشهر فنيت في خلالها ازواد المحاصرين من العرب وفنيت خيلهم كما فني كثير من نجدة الرجال بالقتل والجراحات

ـ كان سكانها نصف مليون نسمة (نفوسها اليوم ٧٦ الفاً) فانحطت على عهد الاسبان بعد حين واقفرت من السكان بما اصدره الملوك الكاثوليك من الاوامر الخرقاء . ولما اشتدت فيها وطأة ديوان التفتيش الديني ظل الحكم والرهبان يستأصلون شأفة العرب حتى لم يبقوا منهم باقية وكان لها على عهد العرب ١٠٣٠ برجاً متزاحمة بالبيوت وقال ابن الخطيب ان الابراج بلغت الى مـــايناهز اربعة عشر الفاً وكان في جوارها ماينيف على ثلاثمائة قرية عدا مايجاور الحضرة من قرى الاقليم أو ما استضيف اليها من حدود الحصون المجاورة « وكان اكثرها امصاراً فيها ماينا هز خمسين خطبة تنصب فيها لله المنابر وترفع الايدي وتتوجه الوجوه ويشتمل سورها وما وراءه من الارحاء الطاحنة بالماء ماينيف على مائة وثلاثين رحـىً »

(١٦) قصر الحمراء

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها ... من بعـــدهم فبألسن البنيان
أو ماترى الهرمين قد بقيا وكم ... ملك محاه حوادث الازمان
ان البناء اذا تعاظم شأنه ... اضحى يدل على عظيم الشان

الحمراء ويقال لها القصبة الحمراء ومعنى القصبة عندهم القلعة وتسمى حمراء غرناطة وهي مطلة على مدينة غرناطة إطلال الصالحية من سفح قاسيون على دمشق . سميت بالحمراء لاحمرار جدرانها بل للون التربة التي قامت عليها في سفح جبل غرناطة ومعظمها مبني بالخزف والكلس والحصباء . وفي قصبة الحمراء قصور العرب وهي ثلاثة قصور منفصلة عن القلعة وتدخل فيها المدينة الصغرى القائمة على تلك الاكمة وقد بني كل قصر منها في زمن غير زمن القصر الآخر وبقي من القصر الاول شيء قليل وهي المقصورة والكنيسة وكان جامعاً بناه محمد الثالث من ملوك بني نصر قال فيه ابن الخطيب : ان اعظم مناقبه المسجد الجامع بالحمراء على ماهو عليه من الظرف والتنجيد والترقيش وفخامة العمل وإحكام انواع الفضة وابداع اثرها انفق عليه من مال الجزية فظهر بها منقبة له يتيمة فاق بها من تقدمه من تأخره من قومه .

والقصر الثاني قصر الآس وفيه الآس الكثير كان مقر السلطان ومجلس الحكم أو دار السلطنة يقعد فيه للمظالم ويستقبل السفراء وكبار رجال المملكة . والقصر

الثالث منعزل عن القصرين الآخرين قليلا وكان فيه دائرة حرمه ومساكنه الخاصة وفي هذا القصر صحن الأسود وهو في الجزء الاوسط منه .

فقاعة السفراء عبارة عن مربع مساحته ١١ متراً بعلو ١٨ كان الملك يستقبل بها وفيها ، عرشه إلى الشمال امام المدخل وهي تطل على ربض البيازين ومدينة غرناطة وقد ركبت في كل نافذة وسطى اعمدة صغيرة من العجمي أو الشمسية تدفع حرارة الشمس . ونقش هذه القاعة من اجمل ماحوت الحمراء وكان فيها ١٥٢ صورة مختلفة طبعت بالجص الطري على الجدران في قوالب من حديد وهي إلى الحمرة والزرقة المشبعة .

اما فناء الاسود فهو صحن واسع فيه اثنا عشر اسداً رابضاً من الرخام تحمل الاناء العظيم القائم وسط الدار ويخرج الماء من افواهها وتسيل الفوارات من اعلى الصحن الذي جعل قطعة واحدة كبيرة كأنه حوض واسع من احواض بيوت دمشق القديمة وكأن ابن حمديس الصقلي وصف هذه الدار عندما وصف دار المنصور ببجاية فقال :

واعمر بقصر الملك ناديك الذي ... اضحى بمجدك بيته معمورا
قصر لو انك قد كحلت بنوره ... اعمى لعاد إلى المقام بصيرا
واشتق من معنى الحياة نسيمه ... فيكاد يحدث للعظام نشورا
نسي الصبيح مع المليح بذكره ... وسما ففاق خورنقاً وسديرا
ولو ان بالايوان قوبل حسنه ... ما كان شيئاً عنده مذكورا
اعيت مصانعه على الفرس الأولى ... رفعوا البناء واحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا ... لملوكهم شبهاً له ونظيرا
اذكرتنا الفردوس حين اريتنا ... غرفاً رفعت بناءها وقصورا
فالمحسنون تزيدوا اعمالهم ... ورجوا بذلك جنة وحريرا
والمذنبون هدوا الصراط وكفرت ... حسناتهم لذنوبهم تكفيرا
فلك من الافلاك الا انه ... حقر البدور فاطلع المنصورا
ابصرته فرأيت ابدع منظر ... ثم انثنيت بناظري محسورا
وظننت اني حالم في جنة ... لما رأيت الملك فيه كبيرا

وإذا الولائد فتحت أبوابه   جعلت ترحب بالعفاة صريرا
عضت على حلقاتهن ضراغم   فغرت بها أفواهها تكسيرا
فكأنها لبدت لتهصر عندها   من لم يكن بدخوله مأمورا
تجري الخواطر مطلقات اعنة   فيه فتكبو عن مداه قصورا
بمرخم الساحات تحسب انه   فرش المها وتوشح الكافورا
ومحصب بالدر تحسب تربه   مسكاً تضوع نشره وعبيرا
يستخلف الاصباح منه إذا انقضى   صبحاً على غسق الظلام منيرا
وضراغم سكنت عرين رئاسة   تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها   واذاب في أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك   في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما   أقعت على أدبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها   ناراً وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول   ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه   درعاً فقدر سردها تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها   عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعت إلى   سحر يؤثر في النهى تأثيرا
قد صولجت أغصانها فكأنما   قنصت لهن من الفضاء طيورا
وكأنما تأبى لواقع طيرها   ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها   ماءً كسلسال اللجين نميرا
خُرس تعدُّ من الفصاح فان شدت   جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأنما في كل غصن فضة   لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موضع قطرها   فوق الزبرجد لؤلؤاً منثورا
ضحكت محاسنه اليك كأنما   جُعلت لها زُهر النجوم ثغورا
ومصفح الأبواب تبراً نظّروا   بالنقش بين شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النضار كما علت   فلك النهود من الحسان صدورا

خلعت عليـه غلائلا ورسية ... شمس ترد الطرف عنه حسيرا
وإذا نظرت إلى غرائب سقفه ... أبصرت روضاً في السماء نضيرا
وعجبت من خطاف عسجده التي ... حامت لتبني في ذراه وكورا
وضعت به صناعه أقلامهـا ... فأرتك كل طريدة تصـويرا
وكأنما للشمس فيه ليقـةٌ ... مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكأن ماء اللازورد مخرمٌ ... بالخط في ورق السماء سـطورا
وكأنما وشوا عليـه مـلاءَة ... تركوا مـكان وشاحها مقصورا
يامالك الأرض الذى اضحى له ... ملك السماء على العداة نصيرا
كم من قصور للملوك تقدمت ... واستوجبت لقصورك التأخيرا
فعمرتها وملكت كل رياسة ... منها ودمرت العدا تـدميرا

وهناك قاعـة الحكم وقاعة بني سراج المقصورة . تخرج من واحدة فتدخل في أخرى فتخالك في جنة عالية قطوفها دانية لا تستطيـع وصفها لبدائعها الكثيرة وهناك قاعة اسمها قاعة الاختين كانت على ما يظهر لجلوس نساء الملك في الشتاء ونقشها من أقصى ما بلغه النقش العربي من الاتقان وأهم ما فيها المقرنص الذي حوى نحو خمسـة آلاف شكل مختلف بعضها عن بعض تألف منها مجموع يصعب وصفه لجمـاله وقبتها أعجوبة البناء ومثال الصبر والعمل وكأنها كانت في يد صانعها كالعجين يعمل فيهـا ما شاء من الصور أو كأنها خلقت خلقة ولم تمسسها يد بشر .

وبالقرب من قصور الحمراء جنة العريف وهي حديقة كبرى فيها جميـع أشجارالقطر وأزهاره قامت هندستها في منحدراتها وا كاتها وبسائطها على أسلوب يأخذ بمجامـع القلوب وفيها سطوح ومغاور ومخابىء وفوارات وسياج تشبه المصايف الايطالية في عهد النهضة وفيها كثير من شجر السرو ومن جملتها سروة يدعونها سروة السلطان عمرها نحو ستمائة سنة وتحتها فيما يقال تواعدت امرأة أبي عبد الله مع ابن سراج .

ولقد كان للسلطان أوائل المئة الثامنة في غرناطة ما يناهز مائة جنة مثـل جنـة العريف على ما روى صاحب الاحاطة وناهيك بمدينة فيها مثل هـذا العدد الدثر من الجنان وذلك في الحقيقة من امارات المدنية والرفاهية .

ورد ذكر الحمراء لأول مرة في واقعة حدثت سنة ٢٧٧ هـ فاعتصم بهـا القيسيون من العرب وقد تأثرهم عصاة من الاسبانيين فنجـا الامير الاموي بحيلة غريبة وخرج مخرجاً مدهشاً مع رجاله ولما استولى الموحدون على غرناطة التجأ المرابطون إلى هذا القصر . واشتهرت الحمراء على عهد دولة بني نصر أو بني الأحمر الذين استقلوا بامارة غرناطة بعد سقوط قرطبة واشبيلية وجعلوها عاصمتهم فانشأ محمد بن الأحمر قصره الملكي بالقرب من السور والقلعة وفي عهد الامبرطور شارلكان جعل جامع الحمراء كنيسـة فابدلت صورة القصر الملكي القديم وانشىء باب المدخل الذي يجتاز منه السور الذي طوله ٣٥٠٠ متر وفيه عدة ابراج .

وقالوا ان فرديناند وايزابيلا الكاثوليكية عنيا كل العناية بالحمراء لما اغتنما فرصة اختلاف العرب وامرائهم وعزما على اخراج جميع العرب من اسبانيا وقد امرا بترميم نقوشها الداخلية ورمما جدرانها وكان شارلكان على شدة حرصه على آثار الحمراء والابقاء عليها عمر مباني ليخلد فيها اسمه ولكنها لم تتم واوردوا في معرض البرهان على ولوعه بالآثار العربية مانسب اليه من القول عندما وقع بصره على آثار الحمراء : يالشقاء من اضاع كل هذا .

جاء في دائرة المعارف الإسلامية : وإذا وقع التنظير بين قصر الحمراء والقصور والجوامع التي بنيت على ذاك العهدفي القاهرة مثـلا كجامع السلطان حسن الذي بني سنة ١٣٥٦ م تبين الفرق العظيم بين البنائين فانك ترى لهندسة جامع القاهرة امثالاً كثيرة في حين بني قصر الحمرء على غير مثال محتذى ولا يوجد في مملكة من الممالك قصر اسلامي مثل الحمراء وبقدمه لم يبنَ له شبيه مع انه شيد بمواد سريعة الانحلال اللهم إلا أبنية العصر الأموي التي عثر عليها الباحثون في بادية الشام شرقي بلاد موآب وبعض الخرائب من العصر العباسي في سامراء والرقة .

وقصارى القول ان الحمراء مصيف تحف به حدائق واسعة ومتنزهات وفيه المياه الجارية والنبات والحيوان الكثير ونقوشه تبهر الأبصار . وفي مسالك الأبصار : ان الحمراء كثيرة المباني الضخمة والقصور ظريفة جداً يجري بها الماء تحت بلاط كما يجري في المدينة فلا يخلو منه مسجد ولابيت وبأعلى برج منها عين ماء وجامعها من ابـدع

الجوامع حسناً وأحسنها بناءً وبه الثريات الفضية معلقة وبحائط محرابه احجار ياقوت مرصعة في جملة ما نمق به من الذهب والفضة ومنبره من العاج والآبنوس .

ولما استولى ملوك قشتالة على الحمراءِ سلموها إلى مهندسين من العرب بلغ من حذقهم انك لا تعرف ما أدخلوه فيها من الاصلاح ولا تميزه عن الاصل الذي كانت عليه من قبل . ودام هذا الترميم في الحمراء إلى ثورة العرب سنة ١٥٦٩ وفي سنة ١٥٢٢ أُصيبت بهزة أرضية وفي سنة ١٥٩٠ بحريق في مطحنة بارود سببت خراب أقسام منها ثم تركت وشأنها في القرن السابع عشر والثامن عشر وقد نسف جنود نابوليون سنة ١٨١٢ قسماً منها بالمواد الملتهبة معتبرين الحمراءَ حصناً وذلك عند جلائهم عن اسبانيا ثم أخذت همة حكومة اسبانيا تتجدد لاعادة الحمراء إلى حالتها الأولى .

ويقول جوسيه إن ملوك اسبانيا لما دخلوا الحمراء لم يعاملوا آثار خصومهم معاملة أعداءٍ بل معاملة أصحاب . وبعد أن ذكر كيف كانوا يتعهدونها وكيف عهدوا إلى مهندسين من العرب استخدموهم لترميمها قال: وأهملت الحمراء من بدءِ القرن السابع عشر إلى أواسط القرن الثامن عشر فأخذ يسكنها جنود بياطرة وأرباب حرب وحاكة وفاخرانيون وأسرات فقيرة فكانت الأوساخ فيها وفي جدرانها والناس يعبثون بما فيها وربما اصابها شيءٌ من البارود والقذائف فتبدلت محاسنها وبليت بعض حيطانها ونقوشها ورسومها ومعالمها ثم صحت نية حكومة اسبانيا على تعهد تلك القصور وارجاعها إلى حالها وكانت الهمة في هذا الشأن تفتر ثم تتجدد بحسب سلطان ملوك اسبانيا ودرجتهم من العقل والفهم .

وفي هذا القصر أو المدينة البديعة ماعدا الآثار العربية قصر شارلكان أراد أن يوسع به دائرته سنة ١٥٢٦ بناه من الجزية التي كان يتقاضاها من العرب للسماح لهم باجراء بعض شعائرهم . ومن أعمال شارلكان أبنية لم تتم لقلة المال فيما يظهر والغالب انه حاول بما انشأه من الأبنية ان يطمس آثار العرب ليجعل لبنائه الرجحان فلم يتم له ما أراد وبقيت الحمراء أجمل مثال في القصور على مر العصور والدهور .

وليس في الحمراء من الفرش والأواني الباقية من عهد العرب سوى جرة طولها

اكثر من متر صنعت من تراب بالميناء ولها لمعان لازوردي وذهبي رسم عليها حيوانات ونقوش عربية وهي من صنع معامل غرناطة في القديم .

هذه صورة مصغرة من وصف هذا القصر وما طرأ عليه الى يومنا هذا وهو مقصد السائحين من أهل الارض وكأن ابن حمديس وصفه إذ قال :

قصر يقصر وهو غير مقصّر — عن وصفه في الحسن والاحسان
وكأنــه من درة شفافــة — تُعشي العيون بشدة اللمعان
لايرتقي الراقي إلى شرفاتــه — الا بمعراج من اللحظـــان
عرج بارض الناصرية كي ترى — شرف المكان وقدرة الإمكان
في جنـــة غنـــاء فردوسية — محفوفة بالروح والريحان
وتوقدت بالجمر من نارنجهـــا — فكأنما خلقت من النيران
وكأنهن كرات تبر احمر — جعلت صوالجها من القضبان
ان فاخر الأترج قال له ازدجر — حتى تجوز طبائع الأيمان
لي نفحة المحبوب حين يشمني — طيباً ولون الصب حين تراني
مني المصبّغ حين يبسط كفه — فبنان كل خريدة كبناني
والماء منـــه سبـــائك فضية — ذابت عَلَى درجات شاذروان
وكأنما سيف هناك مشطب — القته يوم الحرب كف جبان
كم شاخص فيه يطيل تعجباً — من دوحة نبتت من العقيان
عجباً لها تسقي الرياض ينابعاً — نبعت من الثمرات والاغصان
خصت بطائرة على فنن لهــا — حسنت فافرد حسنها من ثان
قس الطيور الخاشعات بلاغةً — وفصاحة من منطق وبيان
فاذا أتيح لها الكلام تكلمت — بخرير ماء دائم الهملان
وكأن صانعها استبد بصنعة — فخر الجماد بها على الحيوان
اوفت على حوض لها فكأنها — منها إلى العجب العجاب رواني
فكأنها ظنت حلاوة مائهـــا — شهداً فذاقته بكل لسان
وزرافة في الجوف من أنبوبها — ماء يريك الجريَ في الطيران

مركوزة في الرمح حيث ترى له — من طعنة الحلق انعطاف سنان
وكأنها ترمي السماء ببندق — مستنبط من لؤلؤ وجمان
لو عاد ذاك الماء نفطاً أحرقت — في الجو منه قميص كل عنان
في بركة قامت على حافاتها — أسد تذل لعزة السلطان
نزعت إلى ظلم النفوس نفوسها — فلذلك انتزعت من الابدان
وكأن برد الماء منها مطفىء — ناراً مضرمةً من العدوان
وكأنما الحيات من افواهها — يطرحن انفسهن في الغدران
وكأنما الحيتان اذ لم تخشها — اخذت من المنصور عقد امان
كم مجلس يجري السرور مسابقاً — منه خيول اللهو في ميدان
يجلو دماه على الخدود ملاحةً — فكأنه المحراب من غمدان
فسماؤه في سمكها علوية — وقبابه فلكية البنيان

«١٧» كتابات الحمراء

تقرأ في قصر الحمراء كثيراً من الآيات والمواعظ والاشعار زبرت على الحجر أو بالجص بالخط الاندلسي المشبك وهو اقرب إلى النسخ المتعارف في هذه البلاد الشرقية منه بالخط المغربي ومما تقرأه على احد الابواب « امر ببناء هذا الباب المسمى بباب الشريعة اسعد الله به شريعة الاسلام كما جعله فخراً باقياً على الايام مولانا امير المسلمين السلطان المجاهد العادل ابو الحجاج يوسف ابن مولانا السلطان المجاهد المقدس ابي الوليد ابن نصر كافى الله في الاسلام صنائعه الزاكية وتقبل اعماله الجهادية فشيد ذلك في شهر المولد المعظم من عام تسعة واربعين وسبعمائة جعله الله عزة واقية وكتبه في الاعمال الصالحة الباقية . »

ومنها « الملك الدائم والعز القائم » ومنها « الحمد لله على نعمة الاسلام » ومنها « عز لمولانا ابي عبد الله » ومنها « ولاغالب الا الله » ومنها « وما بكم من نعمة فمن الله » ومنها « النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا ابي عبد الله امير المسلمين » ومنها «وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » ومنها « فالله خير حافظاً وهو ارحم الرحمين »

ومن الابيات التي رسمت على احدى القباب في مدح ابي الحجاج يوسف الاول

تبارك من ولاك امر عباده   فاولى بك الاسلام فضلا وانعما
فكم بلدة بالكفر صبّحت اهلها   وامسيت في اعمارهم متحكما
وطوقتهم طوق الاسار فاصبحوا   ببابك يبنون القصور تخدما
وفتحت بالسيف الجزيرة عنوة   ففتّحت باباً كان للنصر مبهما
ولو خير الاسلام فيما يريده   لما اختار الا ان تعيش وتسلما

إلى ان قال :

فامّنت حتى الغصن من نفحة الصبا   وارهبت حتى النجم في كبد السما
فان رعشت زهر النجوم فخيفة   وان مال غصن البان شكرك يمما

ومنها : ومن قبلها استفتحت عشرين معقلا   وصيرت مافيها لجيشك مغنما

وكتب في قاعة السفراء

انا مجلاة عروس   ذات حسن وكمال
فانظر الابريق تعرف   فضل صدقي في مقالي
واعتبر تاجي تجده   مشبهاً تاج الهلال
وابن نصر شمس فلك   في ضياء وجمال
دام في رفعة شان   آمنا وقت الزوال

وكتب ايضاً

وحكيت كرسي العروس وزدته   اني ضمنت سعادة الازواج
من جاءني يشكو الظماء فموردي   صرف الزلال العذب دون مزاج
فكأنني قوس الغمام اذا بدا   والشمس مولانا ابو الحجاج
لازال محروس المثابة ما غدا   بيت الإلاه مثابة الحجاج

وكتب على القبة

تحييك مني حين تصبح أو تمسي   ثغور المنى واليمن والسعد والانس
هي القبة العليا ونحن بناتها   ولكن لي التفضيل والعز في جنسي

جوارح كنت القلب لاشك بينها وفي القلب تبدو قوة الروح والنفس
وان كان اشكالي بروج سمائها ففيّ عدا ما بينها اشرف الشمس

ومما كتب ايضاً على بركة صحن الاسود وهو من نظم الوزير ابي عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك تلميذ لسان الدين ابن الخطيب :

تبارك من اعطى الامام محمدا مغاني زانت بالجمال المغانيا
والا فهذا الروض فيه بدائع ابى الله ان يلفي لها الحسن ثانيا
ومنحوتة من لؤلؤ شف نورها تحلي بمرفض الجمان النواحيا
يذوب لجين سال بين جواهر غدا مثلها في الحسن ابيض صافيا
تشابه جار للعيون بجامد فلم ندر ايا منهما كان جاريا
الم تر ان الماء تجري بصفحها ولكنها مدت عليه المجاريا
كمثل محب فاض بالدمع جفنه وغيض ذاك الدمع اذ خاف واشيا
وهل هي في التحقيق غير غمامة تفيض إلى الآساد منها السواقيا
وقد اشبهت كف الخليفة اذ غدت تفيض إلى اسد الجهاد الاياديا
فيا من رأى الآساد وهي روابض عداها الحيا عن ان تكون عواديا
ويا وارث الأنصار لاعن كلالة تراث جلال تستخف الرواسيا
عليك سلام الله فاسلم مخلداً تجدد اعياداً وتبلي اعاديا

ومما كتب في احدى القاعات ايضاً من نظم الوزير ابن زمرك

انا الروض قد اصبحت بالحسن حاليا تأمل جمالي تستفد شرح حاليا
اباهي من المولى الامام محمد باكرم من يأتي ومن كان ماضيا
ولله مبناه الجميل فانه يفوق على حكم السعود المبانيا
فكم فيه للابصار من متنزه تجد به (؟) نفس الحليم الامانيا
تبيت له خمس الثريا معيذة ويصبح معتل النواسم راقيا
به القبة الغراء قلّ نظيرها ترى الحسن فيها مستكناً وباديا
تمد لها الجوزاء كفّ مصافح ويدنو لها بدر السماء مناجيا
تهوى النجوم الزهر لو ثبتت بها ولم تك في افق السماء جواريا

ولو مثلت في ساحتيها وسابقت إلى خدمة ترضيه منها الجواريا
ولاعجب ان فاقت الشهب في العلى وان جاوزت فيها المدى المتناهيا
فبين يدي مولاي قامت لخدمة ومن خدم الاعلى استفاد المعاليا
بها البهو قد حاز البهاء وقد غدا به القصر آفاق السماء مباهيا
وكم حلة قد جللته بحليها من الوشي تنسي السابري اليمانيا
وكم من قسي في ذراه ترفعت على عمد بالنور بانت حواليا
فتحسبها الافلاك دارت قسيها تظل عمود الصبح إذ لاح باديا
سواري قد جاءت بكل غريبة فطارت بها الامثال تجري سواريا
به المرمر المجلو قد شف نوره فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
إذا ما أضاءت بالشعاع تخالها على عظم الاجرام منها لآليا
فلم نر قصراً منه أنعم نضرة وأعطر أرجاءً وأجلى مجانيا
مصارفة النقدين فيه بمثلها أجاز بها قاضي الجمال التقاضيا
فان ملأت كف النسيم مع الضحى دراهم نور ظل عنها مكافيا
فيملأ حجر الروض حول غصونها دنانير شمس تترك الروض حاليا

ومن الأبيات المزبورة

وجاد بها برد الهواء نسيمها فصحت هواءً والنسيم قد اعتلا
وقد حزت من كل المحاسن غاية تقبس عنها الشهب في الأفق الاعلا
واني بهذا الروض عين قريرة وانسان تلك العين حقاً هو المولى

وفي الاندلس إلى اليوم على كثرة ما انتاب مصانعها وقلاعها ومدارسها وتربها وجسورها وسدودها من التخريب لا تزال ترى بعض كتابات من النظم والنثر وبعضها مثال البلاغة والفصاحة لأن الاندلسيين عاشوا وتنعموا في أرض معتدلة الهواء جميلة الطبيعة فلا بدع أن جادت القرائح على تلك النسبة وظهرت في كتابهم وشعرائهم آثار الابداع والاعجاب .

له بقية

محمد كرد علي

الاثار القديمة الشرقية

(٤) آثار حلب وضواحيها

ان مدينة حلب عريقة في القدم وضواحيها متصلة بشطوط الفرات حيث امتد العمران نطاقاً فسيحاً في العصور القديمة فكانت مبعثاً الآثار ومهداً للعاديات والحضارة الشرقية ولقد كثرت فيها الحفريات فنشرت من بطون الأرض نفائس رائعة تحدث عن مجد الأمم القديمة ولا سيا الحثيين .

فهناك اطلال مدن اشتهرت بالتاريخ مثل قنسرين وأثارب واعزاز وجرابوليس أي كركميش عاصمة الحثيين المشهورين وقد وصفت آثارها المجلات والصحف منها مقالات رائعة لصديقي المونسنيور جرجس منش الحلبي نشرت في مجلة الآثار. ودفنه التي فيها هيكل ابّولون من خشب السرو البري بغاية الاتقان ومسرح أولمبي وكذلك سلوقية (السويدية) . وقلعة خروز « أي الديك » التي تسمى قديماً سنديوم وفيها كتابة يونانية . ومرعش « جرمانيقية » التي وجد فيها الأسد الحثي المشهور الذي تمكن آخراً الاثري سايس من قراءة أسماء الملوك المنقوشة عليه. والرستن التي قرأ الاستاذ سايس الآنف الذكر الحجر الذي وجد فيها فرأى أن اسمها ينوام كما ذكرتها كتابات تلّ العمارنة . وعينتاب وبيلان وشيزر « سيجر » التي فيها قلعة مشهورة كان فيها الامراء آل منقذ . والرقة التي ظهر فيها منذ خمس عشرة سنة آثار خزف عربي متقن نقل منه خمسة عشر صندوقاً إلى متحف الاستانة وقد اشتهرت الرقة انها كانت مصايف للخلفاء العباسيين . وفيها آثار من عهد هارون الرشيد حفظتها الحكومة الافرنسية بالاسلاك الحديدية الشائكة ولقد ضم متحفنا قسماً من آثار الرقة الخزفية في قاعة التماثيل. واستخرج كثير من آثارها وانتشر في المتاحف والبيوت . وقربها اطلال سرجيو بوليس وهي الآن روسابا وفيها أعمدة كورنثية عليها كتابات يونانية منها اسم الاسقف سرجيوس مؤسسها . وهناك خطوط كوفية قديمة . وانطاكية التي فيها آثار نفيسة

وقد ظهر منذ خمس عشرة سنة فيها ثلاثة نواويس أحدها من مرمر قديم عليه نقش ثور واسد يتصارعان ورأس قد هشم فنقلت إلى الاستانة . ومَنبج المعروفة قديماً باسم هيروبولس أي المدينة المقدسة التي وصفها المؤرخ اليوناني لوسيان : انها قديمة وفيها هيكل لجميع الآلهة معدداً تماثيلها الكثيرة في أيامه وهي بلدة خربة يسكنها الشركس وبعض العرب وفيها اخربة منها قصور البنات خارج السور إلى غربيها حيث يوجد تل فيه انقاض اتربة وتحته ينبوع ماء قديم واشجار ضخمة تبعد عن حلب نحو ساعة ونصف إلى جنوبيها . وقد ظهر فيها منذ احدى وعشرين سنة باب من الحجر المنحوت وهو قطعة واحدة فاذادخلت فيه رأيت باباً آخر مثله ولكنه اتقن نحتاً واضخم حجماً وبعد ان تنحدر نحو خمس دقائق تصل إلى ازقة عديدة مختلفة الانخفاض والارتفاع تتشعب منها ازقة اخرى معظمهامعمور بالحوانيت المنحوتة والأبنية المتناسقة وبعد أن تجتازمسافة نصف ساعة في هذه الاطلال تسمع خرير الماء وترى جسراً فوق الماء ولم يتمكن المجتازون من معرفة ماهنالك .

وفي شهر شباط من السنة الحالية وجد ضابط افرنسي تماثيل وعاديات نفيسة في منبج هذه فنقلت إلى مدينة حلب ووضعت في باب الفرج في الطبقة السفلى من دار فسيحة حيث هناك مقرأة « غرفة قراءة » ومعرض للمنسوجات والصناعات الحلبية المتقنة فمثلت متحفاً صغيراً وهذا أهم الآثار المذكورة (١) خزفيات كبيرة الحجم وصغيرته نفيسة من اباريق وجرار صلبة غريبة الشكل واسرجة ونحوها (٢) تمثال المشتري « جوبتير » جالس على كرسي أشبه بالمتكإ « الفوتيل » مستند عليه وبيده شبه شوكة وهو مشوّه الوجه قليلاً (٣) تيرا وهي امرأة مسخها المشتري نسراً فتمثلت برأس نسر على جسم امرأة مجنحة يكسوها ريش حتى رجليها المشبهتين قائمتي الطائر علوها نحو متر (٤) امرأة أشبه بجوبتير في شكلها (٥) أسد كبير مشوّه الرأس طوله أكثر من متر .

وفي مدينة حلب آثار امم قديمة من آشوريين وبابليين وكلدان وحثيين وعبرانيين وفرس ويونان ورومان وعرب واتراك نقل كثير منها إلى الاستانة وهو عاديات ثمينة من تماثيل واطباق وأوانٍ ومراوح وغيرها .

ومن آثار الروم فيها سورها الذي ذكر ابن شحنة ان فيه ١٨٠ برجاً ارتفاع كل منها

أكثر من أربعين ذراعاً وسمته نحو خمسين ذراعاً وبقية السور الآن في حارتي اليهود والمسلمين . وكنيستها الكبرى التي شيدت في القرن الخامس للميلاد وحولت إلى جامع الحلوية الآن وفيه مذبح رخامي عليه كتابة يونانية . وقلعتها حشية رممها العرب آخراً وفيها كتابات عربية . وبمسجد قلعتها محراب من خشب الارز عليه كتابة كوفية . وفي جدار جامع القيقان حجر عليه كتابة قديمة قرأها الاثري الشهير سايس وعلى بابي قنسرين وانطاكية كتابات ونقوش وعلى بعض بقايا السور صورة الأسد . وعند باب النصر كتابة يونانية تدل على وقف هيكل لارطاميس إلى كثير من أمثال هذه الاطلال .

وفي دورها آثار صناعات رائعة ففي دار آل جنبلاط « جان بولاد » فسيفساء بديعة وفي داري آل صادر وشناعة سقوف مزخرفة بالاصباغ المتقنة ونقل كثير من صناعاتها النفيسة من آنية زجاجية وخزفية وقيشانية إلى اوربة . ومن أقدم مدارسها صتقنة « المدرسة الزجاجية » وغيرها ولقد اشتغلت البعثة الفرنسية بواسطة المسيو كلود المست الذي أرسل لهذه الغاية بعد الاحتلال بكشف بعض آثارها . وفي خريف السنة الماضية رممت الحكومة قلعتها القديمة . واذاعت آخراً بلاغاً تحظر فيه بيع العاديات الحفرها والعبث بها وتهدد المخالفين بالعقاب فليحرص المواطنون على آثارهم وليحفظوها في متحف يحيي ذكر اسلافهم ويدون لهم على صفحات التاريخ شكراً وافياً .

عيسى اسكندر المعلوف

قانون البلاغة

تأليف فخر الدين ابي طاهر محمد بن حيدر البغدادي

المتوفى سنة ٥١٧ ﻫ

لدينا نسخة منه نريد طبعها ونشرها فنرجو ممن اطلع على نسخة من هذا الكتاب ان يرشدنا إلى مكان وجودها فنعارض نسختنا عليها ونعمل على نشرها .

★ ★ ★

الالفاظ الحبشية

الانجيل

كلمة حبشية الأصل وهي (وَنـكِل) في لغتهم الاصلية ومعناها البشارة وفيها اشتقاقات كثيرة منها ونكلاوي أي المبشر وفعل وَنـكَل أي بَشَّرَ مع جميع تصريفه ومزيداته واشتقاقاته .

نقل هذه الكلمة الرسل الأحباش إلى افريقية وبلاد العرب . والأحباش أول من استناروا ببشارة القديس مرقص الانجيلي في صدر النصرانية إذ تفرق الحواريون مبشرين بديانة المسيح فكانت مصروالسودان والحبشة حصة مرقص الرسول وكانت إذ ذاك فراعنة هذه البلاد الثلاث من السلالة الحبشية المعروفة (وهي على ما أظن السادسة والثلاثون) وقد أرسل مرقص نوابع تلامذته ليبشروا الأمم في الأقطار الافريقية والعربية واسطع شاهد على ذلك بقاء فرع الكنيسة الحبشية إلى اليوم عند عبيد مقاطعة الاورانج المتوغلين في داخليتها .

فنقلت الأمم المتنصرة هذه الكلمة إلى لغاتها مع بعض النحت أو التحريف في كل واحدة منها فكتبوها بالجيم المصرية التي تلفظ كالكاف الفارسية فقال العرب انجيل واليونان إوانجلوس واللاتين إوانجيلي وهكذا تفرعت إلى جميع لغات العالم (مع بقاء جذرها على أصله) وفي جميعها تدل هذه الكلمة على كتاب البشارة المسيحية المعروف بالانجيل

الحواريون

تطلق هذه الكلمة باللغة العربية على صحابة المسيح الذين أرسلهم من بعده ليبثوا دعوته بين الأمم والشعوب .

أصل هذه الكلمة في لغة الأحباش الأصلية « هواريا » أي رسول وهي تجمع عندهم بالف وتاء كجمع المؤنث السالم عندنا فيقولون هواريات وصيغة هذا الجمع في اللغة الحبشية الأصلية للمذكر السالم لا للمؤنث كما عندنا .

وما قلبت الهاء حاءً إلا لأن في اللغة الحبشية الأصلية (التي يدعونها الكئز اي

الجذر كما أشرت سابقاً في شرح كلمة نجاشي) نوعين من الهاء يكتبان بصور مختلفة ولهما اليوم لفظ واحد (كحرف i في اللغة الافرنسية الذي له صورة أخرى وهي y يعبرون عنها بقولهم i grec أي اليونانية) . وهكذا الأحباش يعبرون عن احدى صور الهاء في حروف هجائهم بقولهم « هاكُنز » أي هاء أصلية . على أن هذين الحرفين اللذين لهما اليوم عند الأحباش لفظ الهاء على السواء لم يكونا كذلك في القديم بل ان احدهما كان يلفظ حاءً والآخر هاءً فخفف العامة لفظ الأول جهلاً منه حتى ساد اللفظ على هذه الصورة المخففة . ولا يزال قسيسو الحبشة إلى اليوم ينددون بهذا التخفيف وبعضهم (وهم الأوفر علماً بينهم) يلفظون الأول مشدداً كالحاء عندما يقرأون في الكنيسة .

فكلمة هواريا بالمفرد وهواريات بالجمع انما تكتب عندهم بالهاء التي نحن بصددها ولا عجب إذا كانت نقلت حاءً إلى اللغة العربية إذ ان هذا النقل حدث في عهد لم يكن بعد قد ساد تخفيف لفظ الحرف عند الأحباش .

أما الذين نقلوا الكلمة إلى بلاد العرب فهم الأحباش الذين بشروا بالنصرانية بين العرب كما سبق الكلام في كلمة انجيل .

المصحف

(بفتح الميم) اسم مفعول ميمي حبشي من فعل « صَحَّفَ » أي كَتَبَ فيكون معنى الكلمة المكتوب أو الكتاب . وهذه الكلمة مستعملة اليوم في اللغة الحبشية الأصليــة وفي الأمحرية المشتقة منها على السواء ويعنون بها أيّ كتاب كان الا انهم اليوم خففوا لفظ الحاء كماذكرناسابقاً فيلفظونه « مَصْهَف »ولكنهم يكتبونهاويكتبون فعل صحف وجميع مشتقاته ومزيداته وتصريفه بالهاء الكُنزية التي كانت تلفظ حاءً على ماسبق لنا القول . وبعضهم بالغ في التخفيف فقلب الهاء الفاً فقال صاف بـــدل صهّف ومصاف عوض مَصْهَف. علىان هذا التخفيف المبالغ به وانيكن قد فشا اليوم عندهم فيالكلام فالهاء باقية في الكتابة .

لها تابع

شقاليه دي رعد
رأس صيادلة الاسعاف العام
وعضو المجمع العلمي

عثرات الاقلام

- ١٠ -

ومن عثرات الاقلام قولهم « احتفل بجنازة فلان احتفالاً شائقاً » الشائق من الشوق وهو نزوع النفس وحنينها إلى الشيء المستحسن والاحتفال بالجنائز ليس مما تشتاق إليه النفوس وتتمنى مثله فالصواب ان يقال احتفالاً عظيماً أو مؤثراً .

ومنها قولهم « استعذرنا إلى القراء بتعطيله » صوابه عن تعطيله على ان فعل « استعذر » لايكون بمعنى الاعتذار الذي اراده الكاتب هنا انما معناه ان يريد شخص الانتقام من آخر لسوء صدر منه فيستعذر إلى الناس أي يطلب منهم ان يعذروه إذا انتقم منه ولا ريب ان هذا المعنى ليس مراداً هنا فالصواب اذاً ان يقال اعتذرنا إلى القراء عن تعطيله .

ومنها قولهم « وفي ذلك الكفاية على صحة نظرنا » صوابه الكفاية لصحة نظرنا باللام ،وأما « على » فتستعمل مع الدلالة ونحوها فيقال في ذلك الدلالة على صحة نظرنا .

ومنها قولهم « اسكان فقرائهم في القرى والاديرة » صوابه والاديار لانه هو جمع « الدير » وأما الاديرة فلم يرد .

ومنها قولهم « عقاراتها المرصودة للاعمال الخيرية » صوابه المرصدة من ارصد الشيء اعده وهيأه وفي الحديث « الادرهماً ارصده لدين » أما المرصودة فهو اسم مفعول من رصد الشيء راقبه وقعد على طريقه .

ومنها قولهم « عمدوا إلى تشييعهم عنا اننا خالفنا عواطف الانسانية » صوابه اشاعتهم يقال اشاع فلان عن فلان الخبر الفلاني إذا اشاعه وافشاه أما التشييع فمصدر شيعه إذا سار معه مودّعاً .

ومنها قولهم «ولقد انطلى عليه المحال »يريدون انخدع به وصوابه قبل المحال وجاز عليه ولم ينتبه إليه .

مطبوعات حديثة

مقدمة لدراسة بلاغة العرب

تأليف أحمد بك ضيف المدرس بالجامعة المصرية

طبع في مطبعة السفور بالقاهرة سنة ١٩٢١ ص ١٨٧

ان اساتذة الجامعة المصرية يتحفون الحين بعد الآخر العلم العربي بمصنفات جليلة تربي الملكات وتنهض بالامة إلى مستوى الامم الناهضة بعلومها وآدابها وآخر ما اتصل بنا من تآليفهم النافعة هذا السفر الممتع في موضوع ظريف افاض في جملة ماافاض فيه في احدث آراء النقاد والادباء في طريقة تدريس البلاغة « الادب » وصلة ذلك بالادب والاجتماع والتاريخ وابان الفرق بين الادب والبلاغة وآراء العرب والآراء الحديثة في ذلك . وبحث في تقسيم العرب لأنواع الشعر وتقسيم الشعر والنثر إلى اجتماعي ووجداني ومافي بلاغة العرب من ذلك وكيف بدأ الشعر الجاهلي واقوال علماء المشرقيات فيه وتكلم على صلة البلاغة بالاجتماع والآراء الحديثة وعلى اثر التربية العقلية في الكتاب والشعراء وعرف النقد الادبي واختار طريقة مثلى له والم بالنقد الادبي في فرنسا وبتاريخه من ظهور مذهب رنسار إلى بوالو وبتاريخ اعظم حركة في النقد الادبي في فرنسا من القرن السابع عشر إلى اواخر القرن التاسع عشر وفصل مذهب تين في النقد الادبي وذكر البيئة واثرها في العقول وخواص الاجناس البشرية واثرها في الافكار وحكى مذهب التدرج والانتقال في انواع البلاغة ومذهب برونتيير فيه ومذهب التأثير والانفعال في النقد الادبي ومذهب جول لمتر . وختم مباحثه بالنقد الادبي عند العرب فوازن بين النقد في البلاغتين الفرنسية والعربية وعرض حركة النقد الادبي عند العرب وعين اشهر كتب النقد المعروفة وبحث في اطوار الشعر العربي .

هذه مباحث خاض الاستاذ المؤلف عبابها احسن خوض واستخرج دررها فدل انه من صيارفة النقد في الآداب العربية والافرنسية واتى، جزاه الله عن اللغة خيراً، بمادة جديدة لاحياء آدابها على طريقة مستحدثة قريبة المتناول ففتح للدارسين والمدرسين بل وللشعراء والمتأدبين طريقاً مهيعاً . وانا نستميحه العفو على ايراد الفاظ وقعت له في

عرض كلامه نابية عن مألوف العرب في الفصاحه عساه ينظر فيها فيجيء كتابه في طبعته الثانية غاية الغايات من كل وجه . استعمل بعض المترادفات والبلاغة تقضي بعكس ذلك مثل قوله (ص ٣) « مشوش مختلط مرتبك » . والاولى الاكتفاء باحدى هذه الالفاظ أو بثنتين (ص ٥) « العواطف والاحساسات » وهذه ليست من مألوف كلام العرب . « يجب ان نضحي بكل شيء في سبيل هذا الواجب » تركيب افرنجي في اللغة مندوحة عنه والتضحية لامعنى لها فالاولى ان يقال المفاداة وكذلك (ص ١٦٥) « لايضحي بكل شيء في الدفاع » . «٦» قاموساً لنا ونموذجاً لبلاغتنا » . القاموس هنا ليس في محله فالأولى ان يقال معجماً . وقوله « اذلابد له من الاطلاع على كل ماكتب ولديه اكثر من « مليونين من المجلدات التي تجب دراستها » نظن هذا القدرمـــن الكتب في الادب العربي لايخلو من مبالغة وإذا قال مئة الف أو مئتي الف فالمسألة فيها نظر ايضاً (ص ٨) « لان الادب فن من الفنون الجميلة الحكم فيه موكول إلى الذوق » تركيب مشوش (ص٩) « الميول والاهواء » تكررت هاتان اللفظتان مرات في كلام المؤلف وفي اللغة مندوحة عن استعمال لفظ واحد كل مرة « تجعله يفهم الكاتب بذوق الكاتب ويفهم الشاعر بنفس الشاعر » تركيب غير عربي « الظروف والاحوال التي احاطت بالكاتب وقت كتابته » التركيب اعجمي ولفظ الظروف ليس محلها هنا . (ص١٥) « اذ لو كان من الضروري الاستدلال على اطوار البلاغة بدراسة التاريخ فذلك الزم ما يكون في بلاغة العرب » تركيب غير مألوف . (ص ٢٢) « حفظ الاشعار وانساب الشعراء عن ظهر قلب » حفظ عن ظهر قلب من تراكيب العامة فالأولى ان يقال استظهر . واختار (ص ٣٨ و ٤١) التعبير بوجداني عـــن كلمة Romantique كا اختار لفظة الايجابيين (ص ٣٨) للقائلين بالمحسوسات Littérature lyrique Les positivistes ومـــذهب الحقائق Rèalisme « ٧٢ » « ص ٤٦ » « يذكر نعوت وشروط هذه المعاني » ولاوجه للفصل بين المضاف والمضاف اليه فيقال نعوت هذه المعاني وشروطها وقد وقع له مثل هذا التركيب (ص ٥٨) راضية بصدق وصحة ماترى«٧٧» «تقدير وقبول البيت»،(ص ٩٦) «توضيح وترتيب ما في الكتابات»

(١٠٩) كبار كتاب وشعراء وادباء القرن إلى كثير غيرها . (ص ٤٨ و ٩٩) « وجّماع القول » بتشديد الميم والأولى كسر الجيم وتخفيف الميم إذا كان يراد به الجمع . (ص ٥٣) « الفضاء اللانهائي » الأولى اللامتناهي . « ٧٢ » « ستائر واثاثات » الاثاث اسم جنس يطلق على الكثير والقليل فلا حاجة لجمعه . (ص ٩٣) « إقدار هذا الكلام قدره » ليس في اللغة اقدر وفي التنزيل وما قدروا الله حق قدره . (ص٩٢) « فكأنه انما وجدفي مايقرأ نفسه لانفس الكاتب » تركيب افرنجي .(ص ٩٦) « القصة البلاغية » (١٠٩) « بفوقانهم عليهم »(ص ١٥٠) « فليس له أي صبغة علمية » ص ١٨٣ « إذ لم يكن لديه اي فكرة ادبيه » كله من تراكيب العامة والافرنج

محمد كرد علي

تحفة المجاهدين

في بعض أحوال البرتكاليين تأليف الفقيه الشيخ زين الدين

من جملة ماتحف به الاستاذ دافيد لوبيس Lopés من كلية لشبونة في البرتقال خزانة كتب مجمعنا هذا الكتاب الذي نشره سنة ١٨٩٨ في مكتبة الامة في لشبونة Lisboa ou Lisbonne مع ترجمته بالبرتقالية والتعليق عليه والفهارس اللازمة وهو سفر مفيد ذكر فيه مؤلفه زين الدين احوال الجهاد ودخول البرتقاليين إلى مليبار من بلاد الهند وكان ابتداء وصولهم سنة اربع وتسعمائة من الهجرة وقد افاض في عادات البرتقاليين وما عملوه في طريقهم وعند وصولهم إلى بلاد الهند بقصد ابتياع الفلفل والزنجبيل وذكر ان قانصوه الغورى صاحب مصر ارسل اليهم سفناً لكشف خبرهم وان كثيرين من ملوك المسلمين انتبهوا لما يريده البرتقاليون من استعمار الشرق وان السلطان سليمان العثماني ارسل سليمان باشا « في استعداد عظيم تام في نحو مائة من الغربان والبرشان وغيرهما إلى بندر عدن وقتل سلطانها الشيخ عامر بن داود رحمه الله مع بعض كبرائها وجعلها في قبضته ثم وصل إلى جزرات فشرع في حرب ديو وكسر اكثر القلعة بالمدافع العظام السلطانية ثم القى الله هيبة الافرنج في قلب سليمان باشا فرجع من غير فتح إلى مصر ثم الى الروم . » والكتاب في ٩٤ صفحة وهو من افيد الصفحات في تاريخ المستعمرات .

م . ك

مجلة المجمع العلمي العربي

٢٣

الجزء ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ م الموافق ربيع الأول سنة ١٣٤١ هـ المجلد ٢

تفسير الالفاظ العباسية

— في نشوار المحاضرة —

٢

« الطيـــار »

وفي (ص ١٦) : « فرأيته على روشن داره على دجلة في وقت حار من يوم شديد الحرارة وهو حافٍ حائر يعدو من أول الروشن إلى آخره فطرحت طياري اليه وصعدت بغير اذن» . وفي (ص ٣٩): « فعدل في الازقة إلى سيحان[1] ليركب منها طياره » . وفي (ص ١٠٣): « فعبر في طيار وانا معه » . وفي (ص ١٠٤): « وأنفذ في إشخاصي خادماً من كبار خدم السيدة فجاءَ في طيار وأمر هائل » . وفي (ص ١١٩): « ونهض والكتّاب معه وجاء إلى طياره وهو لا يشك في الصرف فصعد إلى ابن الفرات » . وفي (ص ١٣١ — ١٣٢): « فكنت جالساً يوماً اذ جاءني بوابي وقال : طيار عريب بالباب وهي تستأذن فعجبت من ذلك وارتاح قلبي إليها فقمت حتى نزلت بالشط فاذا هي جالسة في طيارها » . وفي (ص ١٣٣) :« ثم قامت لتنصرف فشيعتها إلى دجلة فلما ارادت الجلوس في طيارها » . وفي (ص ١٣٨): « حضرت في بعض أيام المواكب باب دار الخلافة فوقفت في طياري والقضاة في طياراتهم » وفي آخر الصفحة : « وكنا

(١) اسم نهر بالبصرة كما في حاشية الكتاب .

في طياراتنا اذ خرج خلفاء الحجاب يطلبونني » وفي (ص ١٤٩) تكرر ذكر الطيار مرتين وكذلك في (ص ١٥٠) . وفي (ص ٢١٢) : « فلما نزل في طياره قال أخبرني بما جرى » .

قلنا : وورد الطيار في مواضع أخرى من الكتاب لم نر فائدة من الاشارة إليها . ويفهم من بعض ما تقدم انه شيء يركب ومن بعضه انه نوع من السفن ولم يرد بهذا المعنى في معاجم اللغة التي بايدينا . ومما يؤيد انه نوع من السفن قول هلال الصابىء في تاريخ الوزراء (ص ١٩) « ارزاق الملاحين في الطيارات والشذآءات والسميريات والحراقات والزلالات وزواريق المعابر » . فان قيل قد انشد الراغب في محاضراته (ج ٢ ص ٨) لجحظة البرمكي :

قل للوزير ادام الله دولته — اذكر منادمتي والخبز خشكار
اذ ليس بالباب برذون لدولتكم — ولا غلام ولا بالباب طيار

ويؤخذ منه انه أراد به غير السفينة . قلنا ان صحت هذه الرواية فالمراد بالباب الثاني باب القصر المشرف على دجلة على أن رواية صاحب اليتيمة في البيتين وذكرانهما قيلا في الوزير المهلبي (ج ٢ ص ٩) :

قل للوزير أدام الله دولته — اذكرتنا أدمنا والخبز خشكار
اذ ليس في الباب بواب لدولتكم — ولا حمار ولا في الشط طيار

انتهى . ويكثر ورود الطيار في كتب الأدب والتاريخ بما يفهم منه انه زورق فخم لركوب العظماء والظاهر انهم سموه بذلك لأنه من السفن الخفيفة السريعة الجريان كأنها لسرعتها تطير على وجه الماء ، ومنه تسمية ريسان الخولاني لفرسه بالطيار لسرعة عدوه أو تفاؤلاً له بذلك . واستعمال الطيران للسرعة مألوف في كلام العرب والمولدين ومنه قول ابن نباتة السعدي في فرس أدهم اغر محجل واجاد :

وادهم يستمد الليل منه — وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشياً — ويطوي خلفه الافلاك طيا
فلما خاف وشك الفوت منه — تشبث بالقوائم والمحيا

وفي أحسن التقاسيم للمقدسي في اختلاف لغات أهل الاقاليم (ص ٣١) ان الطيار

هو الزبزب وذكر أسماء كثيرة له تختلف باختلاف الاقاليم منها المعبر والقارب. ولم تفسر المعاجم الزبزب بسوى ضرب من السفن إلا أن صاحب شفاء الغليل قال فيه عن ياقوت انه سفينة صغيرة وأنشد لبعضهم :

زبازب تحكي إذا سيّرت عقارباً تجري على زئبق

وفي الأغاني (ج ٢١ ص ٢٣٧) : « وحدثني رجل من أهل البصرة كان يألف مخارقاً ويصحبه قال : كنت معه مرة في طيار ليلاً وهو سكران فلما توسط دجلة اندفع بأعلى صوته فغنى فما بقي أحد في الطيار من ملاح ولا غلام ولا خادم إلا بكى من رقة صوته ورأيت الشمع والسرج من جانبي دجلة في صحون القصور والدور يتساعون بين يدي أهلها يستمعون غناءَه » .

وفي مروج الذهب (ج ٢ ص ٤٢٠ - ٤٢١ من طبعة بولاق . وج ٨ ص ٣٧٧ من طبعة باريس) ان المستكفي لما بويع بالشبق وهي على نهر عيسى انحدر في الماء راكباً في الطيار الذي يسمى الغزال[1] . الا أنه ذكر في خلافة المتقي ما يعلم منه اطلاق الطيار على نوع من سفن القتال أيضاً فقال : « واشتد أمر البريديين بالبصرة ومنعوا السفن ان تصعد وعظم جيشهم وكثرت رجالهم وصار لهم جيشان جيش في الماء في الشذوات[2] والطيارات والسميريات والزبازب وهذه أنواع من المراكب يقاتل فيها صغار وكبار » .

فوضح بهذا معنى الطيار والمراد منه وبقي شيءٌ عن لفظه وقد بينا انه مشتق من الطيران والمراد به السرعة أي أنه عربي المادة والصياغة بما لا يحتمل الشك فلا يضره كونه مولداً في الاستعمال إلا أننا رأينا المعاجم الفارسية ذكرت (الطياره) مضبوطة بفتح الاول وتخفيف الياء لنوع من السفن فهل لنا أن نقول بتعريب الطيار عنها بعد تغييره تغييراً قليلاً . اللهم إنا لا نذهب لذلك ولا نقول به وان اتحدا في اللفظ والمعنى بل الأظهر أن تكون (الطياره) دخيلة في الفارسية من العربية ولا غرابة في ذلك فان الفارسية الحديثة دخلتها ألفاظ عربية كثيرة ولا سيما بعد اختلاط الامتين في العصر

(١) في نسخة بولاق الغزالة . (٢) تقدم في عبارة تاريخ الوزراء والشذآءات والذي في معاجم اللغة ان الواحدة شذاة أو شذاوة والجمع شذا أو شذاوات .

الاسلامي فلا ينبغي لنا التسرع في الحكم بتعريب لفظ عنها إلا بعد التدقيق الشديد وقيام الادلة القاطعة على اصالته في الفارسية .

ولزيادة الفائدة نذكر أنهم استعملوا الطيار أيضاً لمعيار الذهب لأنه على شكل طائر واستعملوه أيضاً لنوع من الموازين لا لسان له ذكر ذلك المطرزي في شرحه على المقامات .

(المزمّلة والخيازر)

وفي (ص ٢٣) : « أنا وجدنا له في جملة قماشه سبعمائة مزمّلة خيازر فما ظنك بمروءة وقماش يكون هذا في جملته » . وفي (ص ٦٠) : « عمد إلى ما عنده من دبيقي وقصب وحرير ومزملات وآلة صيف فيفعل به مثل ذلك » . وربما يسبق إلى الذهن من ذكر المزملة في العبارتين مع القماش والدبيقي والحرير انها نوع من الثياب الثمينة والصحيح أن المراد بالقماش هنا متاع البيت وبالمزملة اناء الماء . ومما يرشد إلى معنى المزملة قول هلال الصابىء في تاريخ الوزراء (ص ١٥٩) « ودار كبيرة للشراب وفيها ماذيان[1] يجعل فيه الماء المبرد ويطرح فيه[2] الثلج كدراً ويسقى منه جميع من يريد الشرب الرجالة والفرسان والاعوان والخزان ومن يجري مجرى هذه الطبقة من الاتباع والغلمان . ومزملات فيها الماء الشديد البرد » ولكن غاية ما أرشدنا إليه انها اناءٌ فيه ماء بارد ولم يذكر لنا من وصفها شيئاً . وإذا بحثنا في المعاجم التي بايدينا وجدناها تقول « المزملة كمعظمة التي يبرد فيها الماء من جرة أو خابية خضراء قال المطرزي في شرح المقامات وهي لغة عراقية يستعملها أهل بغداد كما في العباب » كذا في القاموس وشرحه ولم يذكرها اللسان بهذا المعنى . ولا يخرج ما في شفاء الغليل وقصد السبيل عن ذلك وقولهم عراقية أي في اطلاقها على هذا الاناء وان كانت عربية المادة والصياغة لانها مشتقة من التزميل وهو تلفيف الشيء بثوب ونحوه ومن شرط هذا الاناء ان يجعل له غلاف يحيط به كما سيأتي بيانه . وأما قولهم نقلاً عن المطرزي انها جرة يبرد فيها الماء ففيه

(١) كذا في الاصل وترجم في آخر الكتاب بانه شيء يبرد فيه الماء .

(٢) في الاصل (في) .

اقتضاب لعبارته وصرف لهاعما أراد واليك نص ماقاله في شرح المقامة الثانية والاربعين « المزملة عند البغداديين جرة أو خابية خضراءُ في وسطها ثقب مركب فيه قصبة فضة أو رصاص يشرب منها سميت بذلك لأنها تزمل أي تلف بشيء من الخيش أو غيره ويجعل فيما بينه وبين خزفها التبن تكون في دورهم أيام الصيف يبرد الماء ليلاً بالبرادات ثم يصب في هذه المزملة فيبقى بارداً » وبه يتضح معنى المزملة تمام الوضوح ويعلم منه انها ليست اناءً يبرد فيه الماء كما زعموا أي ليست كالتي تسميها عامة مصر (الثلاجة) [1] بل هي اناء يصب فيه الماء بارداً فيبقى كذلك .

فاذا عرفنا معنى المزملة وانها اناء مغلف بغلاف خاص يجعلها تحفظ مايصب فيها من الماء كما هو عرفنا ان اسلافنا سبقوا للاهتداء إلى ما لم نهتد اليه إلا من وقت قريب فانها بهذا الوصف عين الزجاجة الحافظة لدرجة الماء وان اختلف نوع الجهاز فيها وهي التي نسميها في مصر بالترموس اخذاً من اسمها الانكليزي Thermos bottle . إذا عرفنا هذا بقي علينا ان نعرف معنى الخيازر أهو نوع من الثياب الثمينة التي كانت تجلل بها مزملات العظماء أم شيء آخر . والصحيح انه جمع خيزران كانت تنسج من قضبانه الدقيقة مثل سفيفة تغلف بها المزملات ونحوها على مايظهر ويرجحه ما جاء في النشوار (ص ٢٣) « وانا وجدنا فيها ثلاثين جامة بجازي كل جامة فتحها [2] شبر وكسر في غلف من لب الخيازر مبطنة بالحرير والديباج » أي مغلفة بقصب الخيزران بعد قشر لحائها .

وانشد الراغب في محاضراته للرفّاء في وصف مزملة (ج ٢ ص ٣٣٢)

مجروحة الخصر غير دامية ... كما تكون الجراح والندب
كأنما الماءُ حين تبعثه [3] ... ذوب لجين ميزابه ذهب

وليس فيها شيء من وصفها سوى ان صنبورها في وسطها وانه مذهب . ومن

---

(١) أي التلاجة والعامة تبدل الثاء المثلثة تاءً مثناة في الاكثر .

(٢) لعله (فتحتها) .

(٣) في الأصل (يبعثها) ويجوز ان يكون الصواب (تبعثها) أي انت والمراد تميلها لصب الماء .

مستطرف ماروي عنها في كتاب الظراف والمتماجنين لابن الجوزي ان رجلا سقي ماءً بارداً ثم عاد فطلب فسقي ماءً حاراً فقال لعل مزملتكم تعتريها حمّى الربـع .

وقد استعملت المزملة في بعض العصور للحوض الذي يشرب منه ابناءُ السبيل كما يفهم من وصف مزملة عملها المستنصر العباسي ببغداد وورد ذكرها في جزء مخطوط من تاريخ مجهول عندنا . وفي خطط المقريزي (ج ٢ ص ٥٢ من طبعة بولاق) في كلامه على دار المظفر وعثورهم فيها على عتبة من صوان « فبعث بالرجال لهذه العتبة وتكاثروا على جرّها إلى العمارة فجعلها في المزملة التي تشرب منها الناس المـاء بدهليز المدرسة الظاهرية » ، والظاهر ان هذه الأماكن كانت توضع فيها مزملات فيها الماء البـــارد ليشرب الناس منها ثم سمي المـكان بها تجوزاً من تسمية المحل باسم الحالّ .

أما ذلك الجهاز الذي يتخذ حول المزملات لجعلها صالحة لحفظ درجة الماء فيجوز لنا ان نسميه بالزمال بكسر الأول وتخفيف الثاني ولكن بشيء من التوسع لأنه في الأصل يقال للقافة الراوية . وقد شاع اطلاق المزمل عـلى الماء المبرد باحاطته بالثلج وسنذكره في كلامنا على (البرادة) .

(المِسْوَرَة)

وفي (ص ٢٧) : « وكانا يشاهدان ابا الحسن في آخر الأوقات في المجالس الحافلة عند باب مفتوح وبين (١) الناس مسورة يستند اليها وعلى الباب ستر قد أرخي حتى بلغ الأرض وغطى المسورة وصار حجاباً بين الناس وبينها » وبعده « مادخلت اليه قط وهو مكشوف الرأس الا اخذ القلنسوة من خلف المسورة ولبسها » . وفي آخر (ص ٢٠٣) « وشرب بعد ذلك رطلا آخر واتكى على مسورته وكذا كانت عادته إذاسكر» . وفي (ص ٢٥٩) « فيقول له الرجـــل أيش وراء مسورة مولانا » . وكل ذلك يدل على ان المراد منها نوع من المتكآت أو المساند وفي القاموس وشرحه ان المسور كمنبر والمسورة متكأ من أدم سميت بذلك لعلوها وارتفاعها من قول العـرب سار إذا

(١) لعله وبينه وبين الناس .

ارتفع ومثله في الزاهر[١] للزجاجي الاانه جعلها للجلوس او للاتكاء ووردت في الاغاني كذلك (ج ٢١ ص ٣) ونص العبارة « شهدت اسحاق يوماً في مجلس انس وهو يتغنى بهذا الصوت (خليليّ هبّا نصطبح بسواد) وغلامه زياد جالس على مسورة يسقي » . وذكر هلال الصابيء في تاريخ الوزراء (ص٣٢٥)عن ابي الحسن اتخاذه المسورةعندالباب للاتكاء عليها بنحو ماورد في العبارة الأولى الواردة في النشوار ولكن جاء في (ص ٣٥٣) « إذ خرجت ام موسى القهرمانة فجلست على مسورة » . فالظاهر انها كانت تتخذ لهذا ولذاك أو كان منها نوع للاتكاء ونوع للجلوس ومن يتتبع ذكرهم للوسادة في كتب الادب والتاريخ يجدهم يعبرون بها تارة عما يستند اليه واخرى عما يجلس عليه كما فعلوه في المسورة .

(الروز)

وفي (ص ٤٢) : عن اسقاط مال عن رجل كان مطالباً به « فقال المهلبي لابي علي يجب الساعة ان تتقدم إلى الجهبذ ان يكتب له ايده الله روزاً بها وان تجعل انت لها وجوهاً في الخرج » وبعده « فاستدعى الجهبذ واخذ روزه سلمه اليه » . قلنا الجهبذ يقال للنقاد الخبير ولخازن المال المسمى في دواوين مصرا لآن بالصراف . ومعنى الروز في الفارسية اليوم وقد وجدته في بعض التواريخ معبراً به عن صك يكتبه الجهبذ بقبضه المال كما هنا . وهو مختصر في الروزنامج معرب روزنامه أي كتاب اليوم لانه يكتب فيه مايقع كل يوم من دخل أو خرج أو حادثة أو غير ذلك فكأنهم أرادوا بالروز الصك الذي يكتب يوم القبض هكذا يظهر لي .

(الرهداري)

وفي (ص ٦٠) : « ثم يعمد إلى من يبيع يسيراً مثل نقلي ورهداري ومن رأس ماله دينار وديناران » وفي (ص ١٨٧) : « اجتزت برهداري بمصر فرأيت عنده

(١) منه نسخة قديمة بها خروم في دار الكتب المصرية واصله الزاهر لابي بكر محمد الانباري فاختصره الزجاجي وحذف شواهده وشرح مافيه وبين اوهامه وزاد فيه فوائد ولم يغير اسمه .

حجراً أعرفه يكون وزنه خمسة دراهم مليح المنظر وقد جعله بين يديه في قماشه وكنت اعرف ان خاصيته في طرد الذباب » . وفي (ص ١٩٠) : « فلما كان بعد سنة اجتزت برهداري على الطريق وإذا بين يديه قناة تشبه قناتي وتأملتها فاذا هي[1] ورطلتها فاذا ثقلها بحاله » . فنرى انه جعله في العبارة الأولى من صغار الباعة وفي الثانية من بائعي الاحجار ذوات الخواص وفي الثالثة من بائعي العصي في الطرق . وكل ذلك صحيح لان الرهداري يعاني التجارة في كل شيء وهو مركب من كلمتين فارسيتين من راه بمعنى الطريق ومن دار بمعنى صاحب والمراد من يطوف بسلعه على الناس في الطرق أي من يسمى عند العامة بمصر (بالسّرّيح) . والفرس تقول فيه راهدار وتطلقه على من يحافظ على الطريق ويخفره في معنى الديدبان وعلى الذي يقبض المكوس على السلع الداخلة من مملكة إلى اخرى لانه يكون في ملتقى الطرق بين المملكتين . والياء التي بآخره هي ياء التنكير عندهم فلما استعمله المولدون ابقوها بآخره كما فعلوا بالروزكاري وهو العامل في البناء بالمياومة أي من يقال له عند العامة (الفاعل) . وذكر ابن خلكان في ترجمة أحمد الغزالي انه نسبة إلى الغزال عند من يشدد الزاي قال وهذه النسبة على عادة أهل خوارزم وجرجان فانهم ينسبون إلى القصار القصاري وإلى العطار العطاري ومثله في الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي في ترجمة البقالي الا انه قال بان هذه الياء زيادة العجم لانسبة. قلنا وماهي الا هذه الياء التي للتنكير كانوا يلحقونهابنسب اصحاب الصناعات ثم لما لقب بها اشخاص معينون بقيت في القابهم .

(الباب)

وفي (ص ٦٥) : « وجدنا كل جريب خس يزرع فيه ستة ابواب يقلع من كلّ باب من الأصول كذا وكذا » الجريب معروف وهو كالفدان بمصر الا انه أقل مساحة منه . واما الباب فالظاهر انهم يريدون به احد الاجزاء التي يقسم اليها الجريب وقت الزرع أي مايسمى عند الزراع بمصر بالبيت وبالحوض . أحمد تيمور

(١) لعله فإذا هي هي .

غابر الاندلس وحاضرها

(١٨) ذكرى مؤلمة

مضت اعوام تلتها أعوام ، والنفس تتحدث بالارتحال إلى الاندلس المحبوبة ، تستنفض معالمها ومجاهلها ، وتستبطن معاهدها ومصانعها ، فتتدبر ، وتدكر ، وتستفيد ، وتفيد . ولما اتاحت لها الاقدار ، بلوغ تلك الامصار ، عرض لها ما كدّر صفو تلك الذكرى ، ذكرى التطواف في الاندلس بعد عزها للاعتبار ، بالدمى والاحجار ، واستنطاق الآثار ، واستقراء الاخبار ، لمعرفة عمل العرب في تلك الديار . .

اتفق نزولي غرناطة في اليوم الثاني من كانون الثاني ، اليوم الذي خرج فيه أبو عبد الله آخر ملوك بني الاحمر من عاصمة الاندلس ، وانتقلت احكامها إلى ايدي الغالبين من الاسبانيين ، والجرس يدوي في كنيسة الحمراء دوياً متواصلاً لامتساوقاً مدة اربع وعشرين ساعة ، احتفالاً بهذا اليوم الذي بعده أهل اسبانيا عامة وسكان غرناطة من بينهم خاصة من اسعد ايامهم الغر . احتفلوا به ضروب احتفال ، ومن جملة مظاهر سرورهم مأدبة ادبها يومئذ شيخ مدينة غرناطة في النزل الذي حللته في جوار الحمراء واسمه نزل « واشنطون » على اسم واشنطون محرر اميركا الشمالية وقد حضر المأدبة عظماء المدينة وشربوا وطربوا على ذكر استيلاء اجدادهم على آخر أرض احتلتها العرب من شبه جزيرتهم .

تذكرت ذاك اليوم المشؤوم ، وقد رفع الصليب الفضي على اعلى برج في الحمراء اشارة إلى ظفر الاسبان الاخير وخروج العرب من هذه الديار ، وقد اخذ ابو عبد الله بن الاحمر يتحفز في حاشيته ليخرج من الحمراء قبل ان يبغته العدو فيها ، ويتلفت وهو يجتاز جبل الثلج إلى غرناطة البديعة فيتنهد ويبكي ، وامه ترافقه وتقول له : لاتبك كالنساء ملكاً لم تستطع ان تحافظ عليه كالرجال .

كل سنة يبالغ القوم هنا بعيد غرناطة السنوي وقد احتفلوا به حتى اليوم اربعمائة وثلاثين سنة يتذكرون كل مرة نصرتهم على اعدائهم ويوماً تمت لهم فيه وحدتهم القومية

والدينية ، وقد مثلوا افظع مأساةارتكبتها انفس متعصبة جاهلة ، وسلكوا للخلاص من مخالفيهم طرقاًبشعة،لم يسلكها هؤلاء معهم يوم استصفوا ارضهم وحلوا دياراتهم ، وهمفي رفعة ومنعة ، وغبطة وسعة . يحشدون يوم الحفل رجالهم ونساءهم وذراريهم يحفزون ارواحهم ليوقظوها ، ويهيجون كوامن الصدور ليعتبروا بما وقع لهم في سالف العصور وليعلموهم ان غلبة سنة ١٤٩٢ وان كانت من باب تسلط الجهل على العلم الا انها دلت على ان الثأر لاينسي ولو بعد ثمانية قرون .

وما كان اجدر بالعرب ان يعدوا آخر يوم خرجوا فيه من الاندلس من ايام البؤس ، المشتملة بالحزن ، المملوءة بالاستعبار ، يتناشدون فيه التعازي والمراثي . ويتطارحون حديث محنة مضت ، وتذكارها المؤلم لم يبرح يتجدد ، وشرر شرها لم يزل يتولد ويتوالد .

قيل ان اناساً من جالية الاندلس في بر العدوة ما برحوا إلى اليوم وقد انقضت أربعة قرون على مغادرتهم بلداً نبت لهم فيه العز ، واثمر المجد والسعد ، يخلف الوالدمنهم لبنيه في جملة مخلفاته ، مفاتيح داره في الاندلس على امل ان يعود اولاده اليها ذات يوم ويفتحوهاوينزلوها.تذكاران عدهبعضهم في بابالهزل ، وقيده في سجل المستحيلات يحوي ولاجرم في مطاويه اجمل العظات ، واعظم التذكارات .

وحقيق بكل بلد للعرب فقد استقلاله ان يقيم كل سنة المآتم على ماحل به خصوصاً في البلاد التي يعبث فيها المتغلبون بمشخصات المغلوبين فان بعض العناصر الاوربية كالاسبان لم يكتفوا بطرد العرب من بلادهم بل يحاولون اليوم في الريف من بلادمراكش ان يجلوهم عنها بعد ان تأصلت كلمتهم فيها منذ ثلاثة عشر قرناً اقاموا خلالها مدنيات وانشأوا امجاداً لهم ودولات .

ان العرب الذين انشأوا من العدم مدنية الاندلس وقاموا في عصور الظلمات باعمال لايكاد يصدق الناظر اليها انها بنت قرائحهم ، وثمرة عقولهم ، لو لم تتناصر على ذلك اصدق الروايات ، لايعجزهم اليوم ، والعصر عصر النور ، ان يقوموا بمثل ما عمله اجدادهم ،لو نفس خناقهم ، وملكوا زمناً قياد انفسهم . بعض أهل الغرب اليوم حرب على الشرق وسوف تكون لهذا الغلبة للاحتفاظ بدياره وآثاره ، وامامه اسبانيا

والبورتقال اللتان ثارتا لنفسهما من مستعبديهما بعد قرون ولم تكونا في رقي العرب اليوم عدداً وعدداً ، ومضاءً وغناءً .

أضعف أمة اليوم في الغرب لا يبلغ عدد أهلها عدد أهل اقليم واحد من أقاليم العرب أو قطر من أقطارهم تتناغى الليل والنهار بآثارها وتتحدث بمفاخر أجدادها وتقدس أعمال نوابغها ورجالها ولا تنسى يداً للمحسن اليها ، ولا اساءة مجرم جانٍ عليها . العرب توغلوا يوم اشتد سلطانهم في جنوبي أوربا ونشأت لهم حكومات في شبه جزيرة ابيريا وجزيرة صقلية وسردانية فارتكبوا بذلك جناية في عرف أهل تلك الديار ، افليس من العدل أن تغتفر لهم هذه الهفوة أو الغزوة ، في جانب ما حملوه إلى من غلبوهم من ضروب المعارف والصناعات ، ومستحسن الآداب والاخلاق .العرب حملوا إلى الاندلس حضارة رائقة ، ونظاماً محكماً ، أحلوهما محل الفوضى والتوحش ، والسخافات والخرافات .

تود كل أمة اليوم مهما بلغ من تراجع الحضارة بينها أن تحكم نفسها بنفسها وتمثل مشخصاتها ومقدساتها ، فهل ينال العرب هذه الامنية وهم ليسوا دون بعض الامم الاوربية التي أخذت تتمتع الواحدة تلو الاخرى باستقلالها منذ قرن من الزمن فليس كل أمم أوربا بحضارتهم الانكليز والالمان والفرنسيس ولا كل الشعوب العربية على مستوى واحد في الحضارة والنور .

(١٩) جلاء المسلمين وتنصيرهم

لما استولى العرب المسلمون على الاندلس لم يكرهوا أحداً من سكان البلاد الاصليين على الدخول في دينهم ، بل أظهروا التسامح المقبول الذي يأمرهم به الدين الحنيف ، واطلقوا للناس حريتهم في ذلك ، فكان بعض الاسبانيين يدينون بالاسلام برضاهم .

فعهد العرب إذاً في الاندلس كان عهد تسامح وحرية ، لم تعهده من قبل ولا من بعد ولم يمنع عن بث الدين المسيحي إلا دعاته المفرطون ، ممن كانوا يقفون على أبواب المساجد والجوامع ، ويدعون المسلمين إلى دينهم ، ولا جوزوا أخذ مال أحد من أهل ذمتهم بل اكتفوا بجزية بسيطة ، وساووهم في جميع الأمور بأنفسهم .

مثال من لطف الحكم تعلمه الفاتحون من كتابهم فلم يحيدوا عنه قيد غلوة ، وهم في

عز سلطانهم ، والقول الفصل في الأرض كلها لهم ولقومهم مدة قرون طويلة .

هكذا فعل العرب في ابان قوتهم ، فانظر ماذا صنع الاسبان يوم قوي سلطانهم وكيف عاملوا العرب نقلاً عن شاهد العيان قال :

لما استولى صاحب قشتالة على مدينة بلّش عام اثنين وتسعين وثمانمائة ودخلت في ذمته جميع القرى التي تلي بلش وقرى جبل منتميس وحصن قمارش خرج أهل بلش من بلدهم مؤمّنين ، وحملوا ما قدروا على حمله من أموالهم فمنهم من جوّزه العدو إلى أرض العـــدوة ومنهم من أقام في بعض تلك القرى ومنهم من صار إلى أرض المسلمين التي بقيت بالاندلس .

ولما استولى الغالبون على مدينة مالقة وبلش وجميع الجهات الغربية لم يبق للمسلمين في تلك الناحية ملجأ . وفي عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة خرج العدو نحو حصون الشرقية وكانت في صلحه فاستولى على تلك الحصون كلها وفي سنة ٨٩٤ خرج نحو حصن موجر فاستولى عليه وعلى الحصون القريبة منه ومن مدينة بسطة .

وكان صاحب قشتالة كثيراً ما يستعين بالمرتدين والمدجنين على قتال المسلمين يدلونه على عوراتهم ، ولطالما أمر بهدم المدن والقرى التي يستولي عليها يبني بانقاضها مسوّرات في بضعة أيام كما فعل في غرناطة . ومن جملة الشروط التي شرط أهل غرناطة على ملك قشتالة أن يؤمنهم في أنفسهم ونسائهم وصبيانهم ومواشيهم ورباعهم وجناتهم ومحارثهم وجميع ما بأيديهم ولا يغرمون إلا الزكاة والعشر لمن أراد الاقامة ببلدة غرناطة . ومن أراد الخروج منها يبيع أصله بما يرضاه من الثمن لمن يريده من النصارى والمسلمين من غير غبن ، ومن أراد الجواز لبلاد العدوة بالغرب يبيع أصله ، ويحمل أمتعته ، ويحمله في مراكبـه إلى أي أرض أراد من بلاد المسلمين من غير كراء ولا شيء يلزمه لمدة ثـلاث سنين ، ومن أراد الاقامة من المسلمين بغرناطة فله الامان على نحو ما ذكر وكتب لهم بذلك كتاباً ، وأخذوا عليه عهوداً ومواثيق في دينه مغلظة . وبعد ذلك أخلى المسلمون مدينة الحمراء كما أخلوا غرناطة ودخلها الاسبانيون . ولما سمع أهل البشرة ان أهل غرناطـة دخلت تحت ذمة النصارى أرسلوا بيعتهم إلى ملك الروم ودخلوا في بيعته فلم يبق للمسلمين موضع بالأندلس .

ولقد سرح صاحب قشتالة للمسلمين بالجواز إلى الساحل فصار كل من أراد الجواز يبيع ماله ورباعه ودوره فكان الواحدمنهم يبيع الدار الكبيرة الواسعة المعتبرة بالثمن القليل وكذلك يبيع جنانه وأرض حرثه وكرمه وفدانه بأقل من ثمن الغلةالتي كانت فيه فمنهم من اشتراه منه المسلمون الذين عزموا على الدجن ومنهم من اشتراه منه النصارى وكذلك جميع الحوائج والامتعة ومن المسلمين من طمعوا في عناية ملك النصارى فاشتروا أموالاً رخيصة وأمتعة وعزموا على المقام في الاندلس .

ثم ان الملك أمر الأمير محمد بن علي بالانصراف من غرناطة إلى قرية اندرش من قرى البشرّة فارتحل بعياله وحشمه وأمواله واتباعه ثم ظهر له أن يصرفه فبعث المراكب تأتي لمرسى عذرة واجتمع معه خلق كثير ممن أراد الجواز فركب الأمير محمد ومن معه في تلك المراكب حتى نزلوا مدينة مليلة ففاس من عدوة المغرب .

وأخذ ملك الاسبان بعد حين ينقض الشروط التي اشترطها عليه المسلمون ، وشرع يفرض عليهم الفروض ، وثقلت عليهم المغارم ، وقطع لهم الأذان ، وأمرهم بالخروج من مدينة غرناطة إلى الارباض والقرى وبعد ذلك دعاهم إلى التنصر وأكرههم عليه وذلك سنة أربع وتسعمائة فدخلوا في دينه كرهاً وصارت الاندلس كلها نصرانية . وامتنع بعض أهل الاندلس من التنصر كأهل قرية ونجر والبشرّة واندرش وبلفيق فاحاطبهم ملك قشتالة وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأخذ صبيانهم وسلب أموالهم ونصّرهم واستعبدهم . وامتنع أناس في غربي الاندلس من التنصر وانحازوا إلى جبل وعر منيع فلما امتنعوا عليه وقاتلهم فلم ينل منهم منالاً أعطاهم الامان على أن يجوزهم لعدوة المغرب مؤَمنين على أن لا يسرح لهم شيئاً من أموالهم غير الثياب التي كانت عليهم وجوزهم لعدوة المغرب كما شرطوا ولم تقم للاسلام والمسلمين بعد ذلك قائمة .

قال السلاوي : التزم أهل غرناطة طاعة صاحب قشتالة لما استولى عليها سنة سبع وتسعين وثمانمائة والبقاء تحت حكمة ولما نقض الشروط وهي سبعة وستون شرطاً عروة عروة ومنها اقامة شريعة المسلمين على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعتهم وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك إلى أن آل الحال لحملهم على التنصر فتنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة وكان أهل الاندلس كثيراً ما يهاجرون إلى بلاد

الاسلام غير أن عامتهم كانوا قد تخلقوا باخلاق العجم (غير العرب من الاسبان) واثر فيهم ذلك أثراً ظاهراً لطول صحبتهم لهم ونشأة أعقابهم بين أظهرهم إلى أن كانت سنة ست عشرة والف فهاجر جميع من لم يتنصر منهم إلى بلاد المغرب وغيرها وفي خلال ذلك منع العرب من التكلم بالعربية [١]

قال المقّري : كان النصارى بالاندلس قد شددوا على المسلمين بها في التنصر حتى انهم أحرقوا منهم كثيراً بسبب ذلك ومنعوهم من حمل السكين الصغير فضلاً عن غيرها من الحديد وقاموا في بعض الجبال على النصارى مراراً ولم يقيض الله لهم ناصراً إلى ان كان اخراج النصارى اياهم أعوام سبعة عشر وألف فخرجت ألوف بفاس وألوف اخر بتلمسان ووهران وخرج جمهورهم بتونس وخرج طوائف بتطاوين وسلا والجزائر وعمروا القرى واغتبط بهم الناس وتعلموا حرفهم وقلدوا ترفههم[٢] ووصل جماعة منهم إلى القسطنطينية وإلى مصر والشام وغيرها من بلاد الاسلام .

• • •

(١) لما انقرضت دولة العرب وبقي بعضهم فيها حافظوا على دينهم مع شدة الاضطهاد ولكنهم نسوا أو ألزموا باهمال اللغة العربية وصارت اللغة القشتالية اي الاسبانية ملكة متوارثة فيهم فكتبوا علومهم بها لكن بحروف عربية وسموها (الخميادو — Aljamiado) ووجه التسمية ان العرب يسمون كل ما ليس بعربي أعجمياً وجرى على منوالهم الاندلسيون فكانوا يسمون اللغة القشتالية أي الاسبانية باسم «الاعجمية» ثم انتقلت هـذه اللفظة إلى اللغة الاسبانية بغير حرف العين لعدم وجود ما يقابله في اللغات الافرنجية فصارت الكلمة مقابل هذا الصوت (الاجاميا) ولما كان أهل اسبانيا يقلبون أغلب الجيات خاآت قالوا (الاخاميا) أو (الخميا) ورسموها بحروفهم هكذا بعد أن سكنوا حركة اللام (Aljamia) وعلامة النسبة عندهم do توضع في آخر الكلمة فلذلك قالوا (Aljamiado) أي الاعجمي . (السفر إلى المؤتمر)

(٢) قال ابن أبي دينار ان المهاجرين من الاندلس إلى تونس سنة ١٠١٧ — ١٠١٨هـ كانوا خلقاً كثيراً فاوسع لهم عثمان داي في البلاد وفرق ضعفاءهم على الناس واذن لهم ان يعمروا حيث شاؤوا فاشتروا الهناشير وبنوا فيها واتسعوا في البلاد فعمرت بهم واستوطنوا=

هذا مارواه مؤرخو العرب واليك ماقاله مؤرخو الافرنج في هذه الكارثـــة : جاء في التاريخ العام للافيس ورامبو : صحت النيـــة سنة ١٦٠٩ على نفي العرب Les morisques وكانوا يؤلفون عنصراً خاصاً عصى على التمثل ولم ينزل عـــن مشخصاته وميزاته على كثرة مابذل فيليب الثاني من الجهد فوقع الاتفاق على التذرع بكل مايمكن لاهلاكهم فعمدت الحكومة إلى الخروج عن القانون بدعوى قيامها بما فيه سلامتها ولانجاز وحدة اسبانيا وانقاذ البلاد من أولئك المحالفين سراً للاتراك والانكليز والفرنسيس على حين اشتدت شوكة قرصان البحر من البربر وهنري الرابع يضع خططه السرية فحاذرت اسبانيا العواقب وقام رئيس اساقفة بلنسية يدعوا إلى طرد العـــرب مدعياً ان منهم تسعين الفاً يستطيعون حمل السلاح وإذا أغار على اسبانيا عدوها تسوء حالها ويحرج موقفها . وإذ كان القشتالي كسلاناً فقيراً كان يكره من العرب منافستهم الشديدة له التي اكسبتهم غنـًى بفضل اقتصادهم نادى رئيس الاساقفة ان مما يخشى منه ان يحتكر هؤلاء العرب جميع ثروتنا ويؤدوا بالمسيحيين إلى العدم والشقاء . وقال غيره انهم يدخرون على الدوام وعلمهم عبارة عن سرقتنا فهم الدودة التي تقرض اسبانيا . وعلى هذا كان منالتعصب الديني ان قضى على العرب . ولما تعذر تنصيرهم رأوا أن الطريق الوحيد الى الخلاص من خطرهم المادي والمعنوي يكون بطردهم فقوي نفوذ رجال الكهنوت على ممثلي طبقات الاشراف في البلاد وكانت عقول هؤلاء أكثر استنارة يحرصون على الاحتفاظ بالعرب في بلادهم لانهم عاملون ينفعونهم بعملهم ويدرون عليهم ريعاً كبيراً فقاموا ينكرون الشدة التي ارتأى ان يعمد اليها المجلس والحبر نديم الملك فلم يلبث بقايا العرب في بلنسية والاندلس ومرسية وقشتالة وارغون وكتلون ان غربوا (ايلول

= في عدة اماكن وبنوا أكثر من عشرين بلداً فصار لهم مدن عظيمة وغرسوا الاشجار ومهدوا الطرقات بالكراريط للمسافرين وصاروا يعدون من أهل البلاد . وذكر السيد حسن حسني عبد الوهاب من علماء تونس في رسالة بالافرنسية ذكر فيها أصول التونسيين انه دخل تونس في القرنين ونصف القرن الذي انتهى بها جلاء العرب عن الاندلس لا أقل من مئة الف اندلسي وان الطبقة المتمدنة الغنية من الاندلسيين نزلت مدينة تونس واختلطت باهلها وقلدهم ملوك بني حفص فيها خطط القضاء والادارة والتعليم .

١٦٠٩ تموز ١٦١٠) وحملوا إلى افريقية حيث هلك عدد كبير منهم وثار أربعون الفاً منهم فاعتصموا في جبال بلنسية فذبحوا أو استعبدوا ففقدت اسبانيا بهم على اقرب تقدير من خمسمائة الى ستمائة الف من أحسن العاملين في الزراعة والصناعات وعجلت بذلك خرابها وبعملها هذا ابتاعت وحدتها الدينية بالثمن الغالي وفرح الرأي العام الاسباني اذ ذاك بما تم في هذا الشأن وعدوه من أعظم الأعمال التي قامت في عهد ملكهم ومنهم من رأوه نعمة من السماء ! وقال مؤرخ اسباني : يالسعادة ملك توفق إلى أن يعمل هذا العمل من طرد العرب . ولكن الامم خارج اسبانيا عدوا عمل الاسبانيين من تغريب العرب جنوناً بل وصفه ريشليو بانه افظع عمل بربري ذكره تاريخ القرون .

وفي التاريخ العام أيضاً أن خضوع العرب في اسبانيا قد اقلق ملوك الكاثوليك (١) وفتح امامهم مسألة تطالوا إلى حلها بما عهد في عنصرهم من المضاء الوحشي وبما اشتهرت به قرون التدين من التعصب وعدم التسامح فرأوا ان بعض مئات الالوف من الاسرائيليين والمسيحيين يكثرون سواد المخالفين وهم كثير نسلهم لايعلم ماذا يكون منهم . وهم على ماهم فيه من النمو يغتنون ويعملون فاشتد القلق من قوم يخالفون الاسبانيين بحضارتهم بل يعجبون بها ولهم ميول وعقائد وعواطف تخالف ماعليه الجمهور فبدأوا بالاسرائيليين حتى ان ميل لوكاس اعظم سادات قشتالة ذبحه سكان جيان أمام المذبح في الكنيسة سنة ١٤٧٣ لاتهامه بالعطف على الاسرائيليين .

وكان من مذابح سنة ١٣٩٠ ان اضطر الوف من اليهود في معظم مدن قشتالة ان يتنصروا ومنهم من دام على نصرانيته ومنهم من رجع الى دينه الأصلي أو كان ظاهره مسيحياً، وقلبه وعاداته قلب اسرائيلي وعاده . وكان منهم طبقة غنية محترمة . وفي سنة ١٤٨١ وقع تخييرهم بين التنصر والجلاء فآثروا الثاني إلا أن ديوان التفتيش لم تأخذه بهم رحمة كما لم يشفق على المسلمين سنة ١٤٩٢ فشقوا عصا الطاعة بما رأوه من تعصب

(١) يريد ملوك اسبانيا فان ملك اسبانيا لايزال إلى اليوم يدعى في الرسميات صاحب العظمة الكاثوليكي : Sa Majesté' Catholic

الكردينال كسيمنس [١] الذي عمد إلى تنصيرهم بابشع الطرق من الحبس والشدة وأخذ الأولاد ولما فرغ صبرهم وعمدوا إلى السلاح نقض ما أعطوه من الشروط يوم تسليمهم غرناطة ولئن فضلوا أن يتنصروا على أن يهجروا بلادهم فانهم لم يسلموا أيضاً واشتد ديوان التفتيش في مراقبتهم وكان الاسبانيون يرون في عمل هذا الديوان الديني سلامة عنصرهم وسلامة دينهم ولذلك كانوا شاكرين لعمله مهما قسا وغرم .

وقالريناخ : لم تكتف اسبانيا بما قامت به من المظالم باسم الدين واحراق البشر وقتلهم وتعذيبهم بل رأت أن توهم الناس أنه لا سبيل إلى قيام وحدتها إلا بنفي اليهود سنة ١٤٩٢ ونفي العرب (١٦٠٩) فسار مئات الألوف منهم يهجرون بلادهم وهلك منهم في الطرق عشرات الألوف فحرمت اسبانيا من أحسن العاملين فيها وفقدت تجارها الماهرين وأطباءها الحاذقين وقد قتل في اسبانيا وحدها بفعل ديوان التفتيش الديني نحو مئة ألف انسان على الأقل ونفي منها مليون ونصف وبذلك خربت مدنية تلك البلاد الجميلة .

وقال سيديليو : كان طرد العرب من اسبانيا من موجبات تأخرها كما وقع لمدينة نانت يوم طرد منها من كان مخالفاً للكثلكة فأضرّ ذلك بالصناعة الفرنساوية وقد تمكن الكردينال كسيمنس من تعوير جميع آثار المسلمين وأمر باحراق ثمانين ألف مخطوط عربي في ساحات غرناطة .

(٢٠) سقوط الاندلس

كان العرب في الاندلس في جهاد دائم مع أعدائهم منذ وطىء طارق بن زياد وموسى ابن نصير أرضها ، ورفعوا علم الامويين على ربوعها، ودفعوا باعدائهم إلى أقصى الشمال . يسكن الجلالقة وغيرهم حيناً إذا وجدوا العرب مستمسكين بعروة الوحدة، ومتى شاهدوا اختلاف أمور العرب أو آنسوا من بعضهم ميلاً إليهم أو نزوعاً إلى الاحتماء بهم لينالوا

(١) هو مرشد ايزابيلا الكاثوليكية ملكة قشتالة حكم اسبانيا بعد موت فرديناند الكاثوليكي مات سنة ١٥١٧ وقد كان من أعظم من قضوا على العرب ومدنيتهم على ما مرّ بك في الفصول السابقة .

من خصومهم يحملون حملات منكرة ، ويقاتلون أعداءهم بكل ما فيهم من قوة ولذلك قلت غارات الاسبانيين والبرتقاليين على البلاد التي نزلها العرب على عهد دولة بني أمية أوائل المئة الخامسة وان كان الثوار لم ينقطعوا تماماً في الداخل عن مجاذبة الامويين حبل السلطة .

ثم فسدت عصبية هذه الدولة من العرب واستولى ملوك الطوائف على الاندلس واقتسموا خطتهاوتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانتزا كل واحد منهمعلى ما كان في ولايته وشمخ بانفه وبلغهمشأن العجممع الدولة العباسية فتلقبوا بألقاب الملك ولبسوا شارته واستبد كل واحد منهم بجانب من الاندلس ودعى نفسه ملكاً فتلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمعتضد والمظفر وأمثالها حتىنعىعليهم ابن شرف عملهمبقولهالمأثور

مما يزهدني في أرض أندلس | أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها | كالهريحكي انتفاخاً صورة الاسد

أو كما قال ابن حزم : فضيحة لم يقع في الدهر مثلها أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها يسمى كل واحد منهم بامير المؤمنين ويخطب لهم في زمن واحد أحدهم في اشبيليه والثاني بالجزيرة الخضراء والثالث بمالقة والرابع بسبتة . وأصبح العرب والبربر في خصام مستديم والجميع في خلاف مع أهل المغرب الاقصى من الجنوب وفي حروب مع بقايا الامم الاسبانية والبرتقالية من الشمال والغرب .

سقطتالاندلس لتشتت أهواء أمرائها وأصبح بعضهم «ولاهمّ لهسوى كأس يشربها وقينة تسمعه ، ولهو يقطع به أيامه » واسترسلوا إلى اللذات ، وركنوا إلى الراحات ، واغفلوا الاجناد ، واحتجبوا عن الناس ، ولم يعودوا ينظرون في الملك ، ومنهم من قتل كبار قواده ، ووسد الأمور إلى الضعاف ، فكثرت المظالم والمغارم، وكثر الثوارمرات بشرق الاندلس وغربها من القضاة وغيرهم ،وهكذا تبدد شمل الجماعة «فضبط اشراف العمالات أزمة أمورهم ، وركبوا ظهور غرورهم ، فاتوا من ذلك بكل شنيعة » .

قال ابن حزم : كانت طرطوش وسرقسطة وافراغه ولاردة وقلعة أيوب في يد بني هود وبلنسية في يد عبد الملك بن عبد العزيز والثغر اي ما فوق طليطلة من جهة الشمال في يد بني رزين وطليطلة في يد بني ذي النون وقرطبة في أيدي أبناء جهور

واشبيلية في يد بني عباد ومالقة والجزيرة الخضراء في يـــد بني برزال من البربر والمرية في يد زهير العامري ثم ابن صمادح ودانية واعمالها والجزائر الشرقية (الباليار) في يد مجاهد العامري وبطليوس ويابرة وشنترين ولشبونة في يد بني الافطس وأصبح كل امرىء وما اختار من الالقاب والاسماء حتى ان المستعين لما جلس على عرش الخلافة قـــال للناس اجمعين : ارتعوا كيف شئتم ، وارتسموا بما احببتم من الخطط ، فتسمى بالوزارة في ايامه منفردة ومثناة (أي الوزير وذي الوزارتين) اراذل الدائرة ، واخابث النظار ، فضلاً عن زعانف الكتاب والخدمة .

قسمت الاندلس بعد سقوط الامويين ، إلى تسع عشرة مملكة منها قرطبة واشبيلية وجيان وقرمونة والغرب والجزيرة الخضراء ومرسية وبلنسية ودانية وطرطوشة ولاردة وسرقسطة وطليطلة وباجة ولشبونة وغيرها . ولقد كان يخشى بعد هذا التفرق وتراجع امر الدولة الاموية ان تسقط الاندلس دفعة واحدة ولكن قدر الله ان يكون ملوك الجلالقة وقشتالة وغيرهم مشتتة كلمتهم متفرقة اهواؤهم وقيض للبلاد دولة اخرى جديدة قوية جاءتها من الجنوب أي من المغرب الأقصى وهي دولة المرابطين فافرج بها عـــن العرب بعض الفرج فجاء يوسف بن تاشفين وقاتل الادفنش سنة ٤٨٠ وانتصر عليـــه وكانت البلاد الى البوار بسبب استيلاء النصارى عليها واخذهم الاتاوة من ملوكها قاطبة .

ثم عادت أحوال الاندلس فاختلت اختلالاً مفرطاً آخر دولة أمير المسلمين علي بن يوسف أوجب ذلك « تخاذل المرابطين وتواكلهم ، وميلهم إلى الدعة ، وايثارهم الراحة وطاعتهم النساء ، فهانوا على أهل الجزيرة ، وقلوا في اعينهم ، واجترأ عليهم العدو ، فاستولى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم . » . حتى جاء الموحدون كما كان المرابطون من قبل بدعوة عقلاء الاندلس وامرائها وقد كانوا يدعونهم إلى نصرتهم بضروب الفصاحة من الشعر والنثر ويستنفرون الناس من العدوة .

لما اشتد الحصار على أهل اشبيلية سنة ٦٤٥ صنع ابراهيم بن سهل الاسرائيلي قصيدة يستنفر بها الغزاة من العدوة ويستنصر بامراء العرب وذلك إذ كان العدو عليها قال فيها :

يامعشر العرب الذين توارثوا　　شيم الحمية كابراً عن كابر
ان الاله قد اشترى أرواحكم　　بيعوا ويهنئكم وفاء المشتري

أنتم أحق بنصر دين نبيكم | وبكم تمهد في قديم الاعصر

إلى أن قال :

والخيل تضجر في المرابط عرة | الا تجوس حريم رهط الاصفر
كم نكروا من معلم ، كم دمروا | من معشر ، كم غيروا من مشعر
كم أبطلوا سنن النبي ، وعطلوا | من حلية التوحيد صهوة منبر

إلى أن قال :

عندالخطوب النكر يبدو فضلكم | والنار تخبر عن ذكاء العنبر
لو صور الاسلام شخصاً جاءكم | عمداً بنفس الوامق المتحير
ولو انه نادى النصير لخصكم | ودعاكم يا أسرتي يا معشري

نعم كانت التفرقة بين أمراء العرب في الاندلس مما علم أعداءَهم كيف يتّحدون ليدفعوهم عن أرضهم كما وقع للعرب في صقلية سنة ٤٣١ فانهم بعد أن دفعوا عنها جيوش البيزنطيين والنورمانديين والروسيين والفاكريكيين قسموا صقلية إلى امارات صغرى فانشأوا جمهورية في بلرم وأخرى في سرقوزة وكان ذلك من أكبر الدواعي في زوال سلطانهم . لا جرم أن ضعف الوازعَين الديني والمدني من ميل القوم إلى الراحة والدعة وضعف الأخلاق الحربية فيهم وانتشار الفوضى في أحكامهم كان منه أن تأذّن الله بذهاب ريحهم لا كما يدعي بعض العامة من أن رواج سوق الشعر كان السبب في زوال الاندلس وتبديد شمل أهلها فقد كان الشعر عندهم من جملة المسليات لأن للعرب عامة غراماً به والأدب وسيلة إلى العلوم كافة والعرب أمة أُولعت منذ عرف تاريخها بالفصاحة والبلاغة .

ومن تدبر سير الحروب بين العرب والاسبان والبرتقاليين في المدة التي ارتفعت فيها أعلام المسلمين على الاندلس يدرك أن القوتين قوة الغالب والمغلوب كانت متعادلة في أكثر الأيام ولكن تكتب الغلبة للفريق الذي كان جنده منظماً أحسن من جند خصمه وكان بعض خلفاء الأندلس يعتمدون على جنودهم من الرقيق كالصقالبة وغيرهم ويعفون رعاياهم من التجند على حين كان زعماء الاسبان يصرفون أيام شبابهم في تعلم الضرب بالسيف

والرمح لقتال اعدائهم [١] والعرب لايجوزون ان يستبدلوا العادات الحربية باعمال الزراعة ومافي المدينة الراقية من التمتع والهناء فكان الناس في الممالك النصرانية يضطرون إلى الخدمة في الجندية ويرافق الاشراف ملوكهم إلى الحرب مع اتباعهم .

أما العرب فلا يخرج احدهم الا إلى الجهاد وإذا خرج فيكون خروجه على الاغلب متكارهاً لمدة معينة فكانت اوضاع الاسبان حربية محضة تكون لهم بها الغلبة في القتال اما في البحر فكان العرب اشدبأسا واقوى اساطيل ولهم في كل فرضة من فرض الاندلس سفن معدة وقد اقاموا لهم دور صناعة في المرية وطرطوشة وطرخونة وكانت معامل اشبيلية وقرطاجنة تخرج كل سنة سفناً جديدة تمخر في عرض البحار .

استولى الملوك من بني الاحمر قرنين ونصف قرن كما تقدم لنا الكلام في ذلك وهم الذين استولوا على بقايا مجد العرب بعد ان انتصر سلطانهم سنة ٦٦٣ هـ على الفرنج واسترجع منهم اثنين وثلاثين بلداً من جملتها اشبيلية ومرسية ثم عاد العدو واخذ بمخنقهم ولكن لم ينل منهم لاجتماع كلمتهم في الداخل على الجملة . ولما دب الهرم في جسم دولتهم وقوي الاسبان باتحاد ايزابيلا ملكة قشتالة وفرد يناندملك الاراغون أي باتحاد المملكتين الرئيستين في الشمال تأذن الله بفناء الاندلس فلم يبق امامهم الا التسليم والاستسلام وفي ذلك كان هلاكهم وبوارهم .

(٢١) جبل طارق وطنجة

كان جبل طارق الذي نسب إلى طارق بن زياد فاتح الاندلس وهو المكان الذي

(١) وصف لسان الدين امة قشتالة بقوله : وحال هذه الامة غريب في الحماية الممزوجة بالوفاء والرقة ، والاستهانة بالنفوس في سبيل الحمية . عادة العرب الاول . واخبارهم في القتال غريبة من الاسترجال ، والزحف على الاقدام ، اميرهم ومأمورهم ، والجثو على الارض ، أو الدفن في التراب ، والاستظهار في حال المحاربة ببعض الالحان المهيجة ، ورماتهم قسيهم عربية جافية ، وكلهم في دروع ، ولا لجام عندهم ، والتقهقر مقدار الشبر ذنب عظيم وعار شنيع ، ورماتهم يسبقون الخيل في الطراد ، وحالهم في باب التحلي بالجواهر وكثرة آلات الفضة غريب اهـ .

بلغه في جيشه اواخر المئة الاولى بايدي العرب مدة استيلائهم على الاندلس فلما دالت دولتهم عاد إلى الاسبان ولبث في حكمهم إلى القرن الثامن عشر واستولى الانكليز عليه في سنة ١٧٠٤ واحتفظوا به رغم محاولة الاسبان في سنة ١٧٠٤ - ١٧٧٩ بمعاضدة الاسطول الفرنسوي للاستيلاء عليه فلم يستطع الاسطولان الفرنساوي والاسباني تخليص هذا الحصن من ايدي الانكليز .

يعلو جبل طارق عن سطح البحر ٤٢٥ متراً وهو متصل مع القارة الاوروبية بسهل من الرمل فيه بطائح ويشرف على المدينة . وقد جعل الانكليز فيه قلعة شحنوها بالمدافع فجاءت من احصن مافي العالم من الحصون. فهو في الحقيقة قطعة من ارض اسبانيا ولكنه انكليزي الحكم والنظام. يشرف على البحرين المحيط والمتوسط ويأخذ بخنق السفن الغادية والرائحة بين القارات الثلاث اوربا واميركا وافريقية .

يبلغ سكان جبل طارق اليوم ٢٢ الفاً ماعدا الحامية الانكليزية واهلها مزيج من شعوب اوربا واميركا وآسيا وافريقية وكذلك ابنيتها مزيج من طراز الابنية عند الامم الكثيرة واللغتان الشائعتان هنا الاسبانية والانكليزية . ولا يحق اليوم لغير الانكليزي التبعة ان يقتني ملكاً في هذا المرفأ الضيق النطاق ويراقب الاجانب فيه مراقبة شديدة والمدينة كلها عبارة عن شارع واحد ضيق بُني في الغالب منذ قرنين وعلى مقربة من جزيرة طريف وهي اشبه بقلعة كبيرة مشرفة على البحر .

جئت جبل طارق من غرناطة وانتهيت بالجزيرة الخضراء آخر عمل اسبانيا والمسافة بين هذه الجزيرة وجبل طارق بضع دقائق يجتازها المجتاز على ظهر سفينة .

وعلى بضعة اميال من جبل طارق ترى مدينة طنجة قائمة على البحر في بر العدوة من ثغور الغرب الاقصى واول ارض افريقية يقع نظر الخارج من القارة الاوربية عليها فينتقل السائح انتقالاً فجائياً من مدنية راقية إلى مدنية مشعثة منحطة وليس بين القارتين الاوربية والافريقية الاجاز صغير كان العرب يسمونه الزقاق .

اغتنمت فرصة انتظار الباخرة الانكليزية التي تسافر من جبل طارق إلى مارسيليا في يومين فزرت طنجة وطوفت في ارجائها وسكانها اليوم نحو اربعين الفاً فيهم كثير من الاسبانيين والبرتقاليين والطليان والفرنساويين وهي من المدن التي استعمرها الفينيقيون

فيما مضى ولا تزال محتفظة بطرازها الشرقي على كثرة ماتداول عليها من الامم بعد الاسلام فقد استولى عليها البرتقاليون سنة ١٤٧١ م والانكليز سنة ١٦٦٢ وحاصرها الفرنسيس سنة ١٨٤٤ وبقيت منذ ذاك الحين في يد المراكشيين وهي الآن مشاع لكل الدول أو تحت حمايتهم ويتنازعها الفرنسيس والاسبان كما يتنازعون على السبق في حماية بلاد الغرب الاقصى . ويقيم فيها كثير من معتمدي الدول والسلاطين المخلوعين من امراء المسلمين في الغرب الاقصى امثال مولاي عبد العزيز ومولاي الحفيظ .

نعم ان المراكشيين مازالوا في هذا الثغر وماوراءه من البلدان على تصلبهم في عاداتهم رغم التيار الشديد الهاجم عليهم من اوربا وهم منها على ثلاث ساعات بحراً لايفصلهم عنها الا بحر الزقاق وبين طنجة والجزيرة الخضراء اثنا عشر ميلاً « وهو اضيق موضع فيه واوسع موضع فيه نحو ثمانية عشر ميلاً » قال الفقيه المرادي المتكلم القيرواني بعد خلاصه من بحر الزقاق ووصوله إلى مدينة سبتة :

سمعت التجار وقد حدثوا بشدة اهـــوال بحر الزقاق
فقلت لهـم قربوني اليــه انشفه من حـــر يوم الفراق
فلمـــا فعلت جرت ادمعي فعاد كما كان قبل التلاق

(٢٢) علم المشرقيات في اسبانيا

كان على اسبانياوتاريخها مرتبط بتاريخ العرب ثمانية قرون انتكون اول دولة غربية تعنى باللغة العربية ولكنها تعد من الاواخر لان الارتقاء يتبع بعضه بعضاً ولاتنفق امة الا مما عندها ومع هذا حدثنا التاريخ ان اول مدرسة[١] عربية انشئت في طليطلة اوائل القرن الحادي عشر ومن هذه المدرسة نشأت تربية الاسبانيين على مناحي العرب وفي سنة ١١٣٠ انشأ رئيس اساقفة طليطلة مدرسة للتراجمة في هذه المدينة وبها رسخت اللغة العربية والافكار العربية في اسبانيا المسيحية . وكان من نتائج وقعة العقاب ان حررت اسبانيا من رق العبودية للمسلمين وادرك ملوك قشتالة ان ليس من العقل مقاطعة الماضي القديم وانهم في حاجة بعد إلى ان يتعلموا من معلميهم القدماء ومنافسيهم الالداء

(١) مجلة المقتبس المجلد الرابع .

من العرب فحاول الفونس العاشر ان يعمل لاسبانيا المسيحية ماعمله العرب لاعلاء شأن الاسلام وذلك بالاخذ باحسن مافي الحضارتين ومزجها بالحضارة الاسبانية فأسست سنة ١٢٥٤ في اشبيلية مدرسة عامة لاتينية عربية وحفظ لمدينة مرسية رونقها العربي الصرف واستدعى إلى عاصمته العلماء من جميع الملل والنحل ليؤسس مدرسة طليطلة الثانية وقوامها اختيار احسن المعارف النافعة وهي اقرب إلى التسامح من المدرسة الاولى إذ كانت تجمع إلى التقاليد اللاتينية الحضارة العربية والعلم العبراني .

كان لليهود يد طولى في نقل العلوم من العربية إلى اللاتينة لان المرابطين والموحدين الذين استولوا على الاندلس بعد الامويين كانوا إلى التعصب . بددوا كتب الفلسفة واحرقوها ليرضوا بذلك العامة والفقهاء ولولا تراجم الاسرائيليين لضاع كثير من اوضاع مدنية العرب في الاندلس .

ثم بدا لرجال الدين من الاسبان ان يسعوا في نشر دينهم بين المسلمين فاخذوا يعنون باللغة العربية ليتعلمها الرهبان ويجادلوا مخالفيهم بالبرهان فوضع احد الدومنيكيين اول معجم عربي باللغة الاسبانية سنة ١٢٣٠ وفي سنة ١٣١١ ــ ١٢ امتدح البابا اكلمنضس الخامس في احد المجامع الدينية من انشاء درس لتعليم العربية في مدرسة صلمنكة وفي اواسط القرن الثالث عشر كان الدومنيكيون مثال الغيرة في نشر اللغات الشرقية بين ابناء رهبنتهم ومنها العربية وانشأ صاحب اراغون مدرسة لتعليم اللغات الشرقية في ميرامار وانشأ المجمع الديني في طليطلة ينفق على طغمة من الرهبان مؤلفة من ثمانية اشخاص انقطعوا لدراسة العربية وعلى هذا ظلت الجمعيات الدينية ولاسيما الفرنسيسكانية إلى القرن الثامن عشر في اسبانيا هي القائمة بدعوة المستشرقين إلى درس آداب الشرق ولغاته وتاريخه .

ولم تنل مدرسة صلمنكة شهرة طائلة في اوربا حتى غدت احدى المراكز العلمية الاربعة باريز واكسفورد وبولون الا انها بتأثير العلم العربي اقامت على اساس معقول تعليم العلوم الطبيعية والطب ولم يكن في مدرسة صلمنكة في اواخر القرن الثالث عشر غير خمس وعشرين حلقة للتدريس منها حلقة لليونانية واخرى للعبرانية وثالثة للعربية فاصبحت في القرن السادس عشر سبعين حلقة فيها سبعة آلاف طالب .

ولما اعلن الأسبانيون الحرب على جنسية العرب ومدنيتهم ودينهم ضعفت العناية باللغة العربية ولم يكتف القوم باستصفاء جميع الجوامع وجعلها كنائس بل اخذوا ينصّرون المسلمين بالاكراه وفي سنة ١٥٠١ – ٢ طردوا من مملكتي قشتالة وغرناطة كل من ظلوا محافظين على الاسلام ولم يعد للدومنيكيين والفرنسيسكانيين من حاجة لتعلم العربية ليتمكنوا من مجادلة الفقهاء وتخلوا عن علومهم لانها افسدت افكارهم وزهد المسيحيون في علوم المسلمين وقام في اذهانهم انها خطر عليهم .

صدر امر الكردينال كسيمنس سنة ١٥١١ بعد ان احرق في ساحات غرناطة كمية من الكتب العربية ان تباد كتب العرب من بلاد اسبانيا عامة فتم ذلك في نصف قرن ولولا المترجمات منها إلى العبرية واللاتينية لبادت مدنية العرب من تلك البلاد . واخذ ديوان التفتيش الديني على نفسه ابادة كل اثر للعرب وما كان متنصرة المغاربة الذين دانوا بالنصرانية مكرهين ليستطيعوا ابداء اسفهم إلا سراً وفي الكتب العربية المكتوبة بالعجمية أي المكتوبة بحروف اسبانية دليل على تعلق اولئك المتنصرة بقديمهم.

وفي سنة ١٥٥٦ منع فيليب الثاني متنصّرة المسلمين من استعمال اللغة العربية وارادهم على ان تنزع من اسمائهم التراكيب العربية وعن اجسامهم الالبسة الشرقية ليمزجهم بزعمه في سواد ابناء المذهب الكاثوليكي ثم طردوا على عهد فيليب الثالث وكان عددهم نحو مليون نسمة على صورة قاسية سخيفة ولم يبق من الحضارة العربية واللغة العربية في اسبانيا غير ذكراها وزهد القوم في القرنين السابع عشر والثامن عشر في تعلم العربية في اسبانيا اللهم الا على طريقة افرادية وغدا الاطلاع على العربية نقصاً ولربما اتهم من يتعلمها بالالحاد بعد ان كان اهل الطبقة العليا من الاسبان ايام عز العرب يحلون باقوال فلاسفة العرب كلامهم ويدرسون الفلسفة العربية درس مستبصر مستفيد لادرس ناقد عنيد ويعدون الاطلاع على الآداب العربية من امارات الظرف والكياسة .

وعلى هذا لم يبق لمدرسة الفرنسيسكان في اشبيلية من اساليب تعلم العربية الا اثر ضئيل واراد شارل الثالث ان يعيد إلى اسبانيا عهد الآداب العربية فاستدعى لذلك رهباناً موارنة من سورية ليعلموا الاسبانيين لغتهم الاصلية الثانية ويحق للنصف الثاني من القرن الثامن عشر ان يباهي باساتذة متمكنين من اسرار العربية في اسبانيا .

ولما ادخل الاصلاح إلى الكليات القديمة في اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر عادت العربية تدرس في جامعات اسبانيا رسمياً ولما استلمت الحكومة الاسبانية سنة ١٨٥٧ زمام اصلاح التعليم من دون رجال الدين أو الملك أو الاشراف ربحت اللغة العربية حتى كادت تعود اليها حياتها التي كانت لها في شبه جزيرة اسبانيا من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر فاخذت معرفة اللغات والآداب العبرية والعربية تدخل من تلقاء نفسها في قائمة دروس التعليم العالي واخذ المستعربون ينتفعون من المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الاسكوريال ومكتبة الامة ومكتبة المجمع العلمي التاريخي ومن المخطوطات العربية المكتوبة بحروف عبرية المحفوظة في كاتدرائية طليطلة. دع مكتبة خزائن كايانكوس وكودرا وريبرا وآسين وغيرهم من رجال المشرقيات.

والعربية اليوم تدرس رسمياً في كلية مجريط وغرناطة وبرشلونة وصلمنكة وبلنسية واشبيلية وغيرها ولكن التدريس فيها مهمل والمدرسون غير كفاة الا في العاصمة وبعض الولايات وقد نشر المستشرقون من الاسبان منذ اواخر القرن التاسع عشر كتباً عربية كثيره متعلقة بتاريخ الاندلس وتراجم رجاله وبعض العلوم التي اشتغلوا بها ومنها الجيد واكثره مملوء بالاغلاط والتحريف وهو دون ما نشره الهولانديون والجرمانيون والبريطانيون والطليان من هذا القبيل من حيث الصحة والاتقان .

وانت ترى ان الاستشراق العربي كان الدين هو الداعي اليه كما كان في معظم بلاد اوربا ثم امتزج الدين بحب المدنية ثم امتزج كلاهما باسم الاستعمار ولكن المحصول في شبه جزيرة ابيريا أي اسبانيا والبرتقال قليل . وفي جامعة لشبونة عاصمة البرتقال درس عربي اليوم ومدرسه الاستاذ لوبيس الذي نشر بعض الكتب العربية فهو المرجع في البرتقال اليوم كما ان الاستاذ آسين مرجع الاسبان في مجريط وكلاهما عضو في المجمع العلمي العربي .

بقي مبحثان ضاق النطاق عن نشرهما وهما (اسبانيا بعد العرب) و (البرتقال بعد العرب) ننشرهما في كتاب على حدة مع مقالات الاندلس وغيرها .

محمد كرد علي

الانتقـاد

والدروس التاريخية في سورية

كتب حضرة الأب هنري لامنس في الجزء الحادي عشر من السنة العشرين لمجلة المشرق مقالاً مطولاً تحت هذا العنوان رد فيه على ردنا عليه في تاريخه المختصر عن سورية مزج فيه ما آخذناه عليه من الاغلاط والمغالطات في تاريخه متوهماً اننا ارتكبنا مثله في مقالات (غابر الاندلس وحاضرها). وانا لنشكره لاعترافه ضمناً باكثر ماوقع له من الشطط والاستقراء الناقص في كتابه الاخير عن الشام وأن لم يصرح بذلك .

وقد تشبث باشياء وتقوّل علينا اموراً إذا كان فيها مايقال في نظره فاللوم يعود على من كتبوها من مؤرخي الافرنج في الاكثر وهم قد استندوا إلى نصوص لاتقبل الانكار . وغريب منه كيف يسلب العرب مزاياهم على ماتقتضيه تعصبات الشعوبية وينال من مؤلفي الغرب الذين انصفوا العرب ويزيف اقوالهم ويتهمهم بامانتهم وعلمهم . وليس الثقة في نظره الا من وثّقه . وهذا ضرب غريب من المماحكة في الحقائق .

فقد قلّل بكتابته من شأن الطبري والبلاذري وابن سعد والاصفهاني وابن الاثير وابن خلدون وابي الفدا من ثقات مؤرخينا ووثق الواقدي ومادسه عليه القصاص والوضاعون ! وطعن بسيديليو وميشو وغيرهما ممن كتبوا على الاسلام والمدنية العربية وقال انه لايركن إلى ماقاله العرب الا إذا قورن بكتابات المؤرخين المعاصرين من اللاتين واليونان والأرمن وقال في مكان آخر « اليونان والسريان والافرنج » وهـذا أيضاً من المغالطة التي نربأ بصاحبنا عن اتيانها .

فان هؤلاء الأعاجم ما كانوا يعرفون عن العرب إلا بقدر مانعرف نحن اليوم عن القطب الشمالي وسكان المريخ فما هذا المرجع البعيد الذي يحيلنا عليه وهو يحتاج على رأيه إلى دراسة خاصة وعلم واسع ! من هؤلاء الائمة الذين يقتدى بهم وفي كل صفحة من كلام المتعصبين نقرأ روح الغرض ؟ فكيف نأمنهم على تاريخنا ومتى كان الغريب أعرف بالدار من صاحبها ؟ واما إذا كان حضرته يريد ان يلقي الشك في

كل ماقاله العرب اللهم إلا ما كان له مساس بالقضايا التي يهمه تأييدها على أي صورة كانت فهذا لايوافقه عليه أقل الناس ذوقاً في تاريخ الامم واحرى بمثل هذا التاريخ الذي يعليه ان يسمّى كتاباً في بث دعوة دينية أو مذهب خاص .

ومن المغالطات أيضاً اصرار الاب لامنس على النيل من صلاح الدين ووصفــــه له بالطمع بزعمه فان صلاح الدين لم يكن خادماً عند نور الدين بل كان أكبر قواده ، وهو فاتح مصر ومبدد شمل الفاطميين بل وفاتح أكثر الشام والجزيرة وجامع شمل المسلمين لتكون كلتهم واحدة لعلمه وعلم جميع من لهم مسكة من العقل في عصره انه إذا وسّد الملك الى طفل تمزقت كلمة الجماعة لامحالة على اننا رأينا صلاح الدين قد احسن الى أولاد نور الدين واعطاهم قلعة جعبرالتي طلبوهاواغضى عن قلعة حلب ولو كتب للملك الصالح ان يعمر لجعله صلاح الدين في دولته كما كان هو في الدولة النورية . والغالب انحضرة المؤرخ لم ينظر الى هذه الاعتبارات واحب ان يرى الفشل بادياً على الدولة العربية لتتمتع البلاد بعدل الصليبيين كما تمتعت من قبل بعدل الروم والرومان .

أما دعواه أن ابن تيمية كان يحكم بالموت على كل من يخالفه في رأيه وكذلك تلميذه ابن قيم الجوزية فلا يقوم عليها دليل معقول خصوصاً بعد ان عرفنا حرص ابن تيمية على وقاية أهل الذمة كما ذكر ذلك في الرسالة القبرصية . وإذا افتى بتأديب الكسروانيين فلأنهم خرجوا على السلطان صاحب الوقت وآذوا ابناء وطنهم وعبثوا اذ ذاك بنظام المجتمع السوري ومثلهم بعملهم يقتل في كل شرع وسياسة مهما كانت نحلتهم واسف من بعدهم على ما حل بهم .

وقد آخذنا على قولنا ان المسلمين نحو ٣٠٠ مليون نسمة وادعى ان عددهم لايتجاوز المائتي مليون وانهم آخذون بالاضمحلال في كثير من الجهات الا في البلاد التي سقطت تحت الحكم الأجنبي ولم يُخرِج المسلمين في الصين عن السبعة الى الثمانية ملايين مع أنهم باجماع الثقات نحو الثلاثين مليوناً وقال ان مسلمي مراكش ثلاثة ملايين مع انهـــم زهاء سبعة ملايين . على اننا لم نورد هذا الاحصاء على انه حقيقة لاجدال فيها بل قلنا انهم نحو ثلثمائة مليون كما هو الشائع على ان قلة عددهم أيضاً لاتسمح لحضرة المؤلف ان يطعن في مقدساتهم فسواء كانوا مئة أو مئتين أو ثلثمائة مليون لاتجوّز الآداب التاريخية

أن يعبث باصول يقدسونها في كتاب ينشر في ديارهم . واذا كان لايرضى الاب لامنس الا أن يضعف من أمر المسلمين ويدعي انقراضهم ويروقه استصفاء أرضهم فلنسكت على حواره مرجّعين محوقلين .

وقد اتهمنا في نقلنا عن الافرنج عدد سكان الاندلس على عهد العرب وما رويناه عن ثروة الناصر وثبت على زعمه أن الصليبيين لم يقتلوا مئة ألف من أهل المعرة واللاجئين اليها . وحجنا بما نقل عن البلاذري في فتوح البلدان من الأرقام المحرفة بالطبع بشأن سكان قيسارية على عهد معاوية واتخذ من ذلك دليلاً على أن مؤرخي الاسلام يروون الأرقام الخرافية إلى غير ذلك مما غالط فيه بدون اقامة الحجة الداحضة ، وعجيب والله من مؤرخ ينكر كل ما يرد من غير طريق أبناء مذهبه او ممن لم يضرب على وتره ، ولا يغتفر لهم زلة واحدة في جانب ألف صواب ويقبل ما يهرف به القائلون بقوله على علاته قضية مسلمة .

هذا ما دار عليه محور المناقشة . اما ما بدر منه خلالها من ألفاظ السخرية فاننا نصون قلمنا عن كتابة مثله لمناقشنا . فقد وسمنا بكولمبس الاندلس كأننا ادعينا اننا نحن اكتشفنا الاندلس في هذا العصر واتهمنا باننا آسفون على كوننا خلقنا في القرن العشرين ولم نخلق في أيام عز الاندلس ونحن لم نورد كلمة تشعر بهذا ولكننا اسفنا على مدنية العرب وندبناها وأهلها ونعينا على أعدائهم أعمالهم وهذا ما لا يروق في نظر دعاة التعصب الديني الذين يضربون كل علم على سندان النحل والمذاهب . ونسب قلة البضاعة في العلم لمن يستشهد بسيديليو وقال اننا طالعنا نيفاً وثلاثين مؤلفاً (بينهم صديقنا سيديليو) وعدة مؤلفين اسبانيين وأخذه الشك في اطلاعنا عليها وادراكنا لمضموناتها وقال اننا أخطأنا في تفسيرنا للنصوص الافرنسية .

وعلى ذلك نجيبه اننا لا نستنكف عن مطالعة أمثال سيديليو والاستشهاد بالجيد من كلامه وان أدى ذلك إلى رمينا بقلة البضاعة وقد طالعنا زهاء ستين مؤلفاً لا ثلاثين في تاريخ الاندلس ولم نطالع شيئاً بالاسبانية اللهم إلا بعض كتابات عربية وشرحها بالاسبانية او ترجمت من الاسبانية للافرنسية فادركنا مضمونها وعساه يبين لنا اوجه الغلط فيها ولا سيما في تفسيرنا للنصوص الافرنسية حتى نشكره على صنيعه علناً . والقول المجرد لا يقنع القارىء المنصف . لاجرم اننا لم ندّع قط ونحن نكتب ونؤلف منذ خمسة

وعشرين عاماً اننا نحسن لغة من اللغات ونحن لا نعرف منها إلا كلمات خلافاً لمن يعرفون بعض ألفاظ من لغة ويدعون الاحاطة بها . والغالب ان حضرة الاب لامنس على طول مقامه في هذه البلاد ودراسته الليل والنهار كتب العرب لم يصل حتى الآن إلى فهم اللغة العربية حق الفهم فضلاً عن أن يكتب فيها فمن أجل هذا لم يفهم ما نكتبه إلا بواسطة المترجمين ونختم هذه العجالة بتقديم الشكر له على حسن ظنه بنا وثنائه على علمنا في آخر مقاله ضارعين إليه سبحانه أن يعلمنا علماً نافعاً نفتتح به صفحتنا للحق ولو كان علينا، ورحم الله من اهدى إليّ عيوبي .

محمد كرد علي

مطبوعات حديثة

المرأة العربية
في جاهليتها واسلامها

تأليف السيد عبد الله العفيفي الجزء الأول طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر سنة ١٣٣٩ هـ — ١٩٢١ م ص ٢٣٦

اجاد مؤلف هذا الكتاب في وصف المرأة العربية في عهد جاهليتها فذكر نصيبها من الوجود وسمو أدبها ونفاذ لبها وعامة حياتها وفصاحتها وسماحة منطقها إلى غير ذلك من جليل المباحث التي تجلت بها حالة المرأة العربية في الجاهلية والصدر الأول للاسلام بعبارات متينة دلت على تمكن المؤلف من أدب العرب واضطلاعه بموضوعه أحسن اضطلاع وقد أحسن في رد كل نقل لصاحبه وتفسير العويص من ألفاظ اللغة سواء كان كلامه أو كلام القدماء فجاء كتابه كتاب أدب ومنجم بلاغة يستفيد منه مطالعه أجل الفوائد من أقرب الطرق وفق الله هذا العالم إلى اتمام الأجزاء الباقية على هذا الطراز البديع في الوضع والطبع .

م ك

المجلة الهندسية

تلقينا بضعة أجزاء من هذه المجلة لسنتها الثانية وهي مجلة فنية هندسية شهرية تصدر بمصر مديجة باقلام لجنة من أكابر المهندسين المشهورين وقدتصفحنا هذه الأجزاء فوجدناها حافلة بالمقالات الممتعة منها مقالة في قانون حركة المياه ومقالة في النقل الكهربائي ومقالة في الهاتف اللاسلكي ومقالة في فرقعة المراجل البخارية ومقالة في أبطال العلوم والفنون وخطاب شائق لرئيس جمعية المهندسين ومبحث المهندسين الاسلاميين للعلامة أحمد تيمور باشا .

ولا حاجة إلى بيان ما لهذا الفن من المكانة العالية في الشؤون المدنية وما يتوقف عليه من الأعمال العمرانية كتخطيط المدن وانشاء الطرق والسكك الحديدية والتنوير بالكهربائية وتعمير الاسواق والقصور والمطاحن والجسور وجر المياه واصلاح المناجم واستخراج المعادن واتقان الزراعة والصناعة فنحن نثني الثناء الطيب على الأفاضل اصحاب هذه المجلة المفيدة ونود أن تكثر أمثالها في هذه البلاد المفتقرة إليها .

ونحض طلاب الهندسة وغيرهم من الراغبين في توسيع معارفهم على الاشتراك فيها للانتفاع بما تحويه من الفوائد الفنية ونتمنى لها الثبات والرواج . أنيس سلوم

★ ★ ★

سورية ملتقى الامم

لمؤلفه القائد هنري ماميسيه ومعربه السيد نسيب شهاب

طبع بمطبعة الترقي بدمشق سنة ١٩٢٢ ص ٩٣

هذه رسالة في جغرافية سورية وثروتها الطبيعية ومواصلاتها ومناخها وآدابها وعاداتها وأديانها وبعض مسائلها الاقتصادية كمسألة اليد العاملة ورؤوس الأموال والمصارف وكلام على زراعة هذا القسم الذي وقع تحت الانتداب الافرنسي من سورية وعلى صناعته وتجارته وبيان الطرق التي تؤدي به إلى الارتقاء في الزراعة والصناعات والتجارة الى غير ذلك وقد استند المؤلف إلى أوثق المصادر الحديثة في ارقامه وبيان أحكامه ولا سيا تقارير المهندسين والجيولوجيين والمستشارين الفنيين بالمفوضية العليا في بيروت

وقد جاءفيه انه اكتشفت في لبنان عدة آثار تدل على استخراج المستحجرات النباتية. لا تزال تحت الدرس والتجربة لأن منها الجيد ومنها دون ذلك والمعادن التي تستحق الذكر هي في قضاء جزين والمديرج على مسافة خمسة كيلو مترات من محطة المريجات وفي كفر سلول في سلسلة جبل الكنيسة وفي عين طورا قرب مضيق زحلة ويستطاع صنع قرميد من المستحجرات النباتية بواسطة الكربون المائي اللزج الموجود على الضفة الشمالية من نهر الليطاني في مناجم الصخور وقال انه إذا خلطت احجار الحمر في اليرموك بالفحم يستطيع الاهلون استخدامه لايقاد المواقد وفي دمر على مقربة من دمشق حمر يمكن استخراجه ومعدن الحمر في حاصبيا يصدر كميات وافرة بنفقات قليلة. والحديد الفاخر كثير في سورية ولاسيما في لبنـــان وجبال النصيرية وجهات اسكندرونة ومن الممكن اكتشاف ينابيع زيت البترول في بعض الأماكـــن وكثير من الاسفلت في ضواحي اللاذقية والجبص كثير في ضواحي حلب وطرابلس ولوازم البناء والبلور المتحجـــر كثير وفاخر في لبنان خاصة وكذلك الحجارة المعدة للبناء ويكثر الرخام الاحمر والأبيض والاصفر والوردي اللون في شمالي سورية واصقاع دمشق ويستخرج الملح المعدني في جهات سبكة (؟) ومنطقة تدمر ويكثر النحاس في قضاء كسروان واللاذقية والزئبق قرب صوفر والزيوت المعدنية في قضاء كسروان ويكثر في الاسكندرونة وكسروان النحاس والحديد والمغنيسيا والكحل والتوتيا والاسفلت وزيت البترول والذهب والفضـــة والرصاص والحجر الرصاصي (والكروم والبراست) .

والرسالة مفيدة في بابها إلا أن المعرب قد التبست عليه اسماء بعض المواقع والمدن فوضعها على علاتها محرفة عن أصلها ووقعت أغلاط كثيرة في اللفظ والتركيب . وكنا نود لو دفعت امثال هذه المترجمات إلى اناس واقفين على اسرار اللغة عارفين بتهذيب الأغلاط الشائنة فان مايدون يجب ان يكون في الجملة عارياً عن الشوائب قريباً من مناهج الفصحاء والبلغاء حرصاً على اللغة وضناً بالآداب .

محمد كرد علي

مجلة المجمع العلمي العربي

٢٤

الجزء ١٢ كانون الأول سنة ١٩٢٢ م الموافق ربيع الثاني سنة ١٣٤١ هـ المجلد ٢

اعمال المجمع العلمي العربي

تاريخه ـ اعماله ـ الغرض منه ـ اعضاؤه ـ اقوال العلماء فيه ـ طرق ترقيته

« تقرير السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي الذي رفعه لحضرة صاحب الفخامة السيد صبحي بك بركات الخالدي رئيس الاتحاد السوري » .

مولاي الرئيس المعظم :

تعلمون ايدكم الله ان أهم المجامع الأدبية في جاهلية العرب سوق عكاظ ومربد البصرة . وأهمها في الاسلام المجمع الذي انشأه أمير المؤمنين المأمون العباسي في بغداد لنقل الكتب العلمية إلى اللسان العربي مؤلفاً من أهل الملل والنحل المتخالفين في العقائد المتفقين في السعي لاشرف المقاصد . وقد انشئت في الاندلس ايام عز العرب عدة مجامع وأشهرها على مايظهر مجمع طليطلة الذي كان يجتمع فيه أربعون عالماً ثلاثة أشهر في السنة . وما عدا ذلك فمجالس أفراد قامت في أدوار مختلفة لم تنتظم بقانون ولم تسر على خطة معينة فذهب أثرها بذهاب القائم عليها من ملك أو أمير عاقل أو عالم أو أديب عامل أما في حكومات الحضارة الحديثة فان فرنسا كانت من السابقات في انشاء المجامع العلمية والأدبية شأنها في كثير من أوضاع المدنية فأسس المجمع العلمي الفرنساوي في باريز أوائل المئة السابعة عشرة للميلاد وكانت غايته تنقيح اللغة الفرنساوية والنظر في نحوها وصرفها وشعرها ونقد كتابها وادبائها واجازة المجودين منهم وتنبيه الأنظار إلى

مدارسة كتبهم ووضع معجم للغة يكون العمدة والمرجع وما زال حتى يوم الناس هذا يدور على ذاك المحور ويرى من كل الحكومات التي تعاقبت على فرنسا ومن علمائها واغنيائهاضروب المعاونة المادية والأدبيةحتى أصبحت اللغة الافرنسية لغة العلم والتجارة والسياسة في الغرب والشرق منذ عهد لويس الرابع عشر .

ولم ينتقل اسلوب المجامع إلى الشرق من الغرب في القرون الأخيرة إلا على عهد نابليون فانه اسس أواخر القرن الثامن عشر في مصر المجمع المصري ولم يبرح حياً إلى اليوم . ولما نهضت الشام ومصر في القرن التاسع عشر منذلك السبات الطويل ونفضت عنها غبار عصور الانحطاط قامت في هذين القطرين المتجاورين عدة مجامع وجمعيات علمية ولغوية وأدبية فلم يكتب البقاءُ لواحد منها وذلك للعادة المتأصلة في نفوس بعض المشارقة من اضاعة الغرض العام أحياناً في سبيل الغرض الخاص وربما سعى أحدهم على غير استحياء في القضاء على مشروع يعتقد نفعه لانه لم يعدّ في جملة القائمين به أو نازعه المنازعون على الرياسة والتصدر .

ومجمعنا هذا يشبه ولا نكران للحق في كثير من الوجوه المجمع الباريزي وعلى مثاله نسجناوبمصباحنوره استضأنا فهو أثرمن آثار الحضارة الفرنساوية ممزوج بشيءٍ منتقاليدنا مراعىً فيه منافع مدنيتنا وآداب لغتنا وكلما طال العهد عليه يتطور بتطور المجامع الغربية ولا سيما المجمع الباريزي ويطرس اعضاؤه على أثر اولئك الأقطاب في الآداب من الأربعين الخالدين وذلك على مقياس مصغر الآن يتسع باتساع دائرة المعارف في الأمة العربية .

كان المجمعالعلميالعربي يعرف لأولأمره بالشعبة الأولى للترجمة والتأليف التيأُسست على أثر تأليف الحكومة العربية في أواخر خريف سنة ١٩١٨ ثم جعلت هذه الشعبة ديوان المعارف وعين هذا العاجز رئيساً لها في ١٢ شباط ١٩١٩ موكولاً اليها النظر في أمور المعارف والتأليف وتأسيس دار آثار والعناية بالمكاتب ولا سيما دار الكتب الظاهرية ثم انقلب هذا الديوان باعضائه الثمانية ورئيسه إلى مجمع علمي في ٨ حزيران ١٩١٩ وأخذ على نفسه النظر في اصلاح اللغة ووضع الفاظ للمستحدثات العصرية وتنقيح الكتب واحياء المهم مما خلفه الاسلاف منها والتنشيط على التأليف والتعريب

وكان المجمع أخذ بترميم المدرسة العادلية أعظم مدارس الشافعية في دمشق وارجاعها إلى الطراز العربي القديم في الجملة وقد أنفقت الحكومة على هذا العمل نحو ٢٥٠٠ جنيه ثم أعطت ألفي ليرة سورية لمن كانوا يسكنونها فنزلوا لها عن حق التولية وما كانوا عمروه من غرفها فانتقل المجمع إليها وجعل فيها مقره وأنشأ له مكتبة خاصة ووضع الآثار التي أخذ يجمعها في بعض القاعات التحتية في المدرسة وخصص الردهة الكبرى فيها لالقاء المحاضرات والخطب العلمية والأدبية والتاريخية يلقيها أعضاؤه والاخصائيون في العلوم من الوطنيين والأجانب وجعل المكتبة الظاهرية التي أنشئت في ١٥ شباط سنة ١٢٩٥ شرقية دار كتب عامة جهزها بما كان ينقصها من المطبوعات الحديثة بالعربية والتركية والافرنسية وغيرها وابتاع لها كثيراً من المخطوطات والرقوق والبردي وضمها إلى ما كان عندها مثله واشترك بمجلات علمية وصناعية عربية وغير عربيـة فأصبحت الخزانة الظاهرية دار مراجعة ومطالعة يقبل عليها الخاصة ومن نزل عن درجتهم كما اصبحت المدرسة العادلية قبالتها داراً عامة للآثار الاسلامية وغير الاسلامية . وتقدر قيمة ما في المتحف من الآثار بعشرات الألوف من الليرات وذلك بحسب تقدير من زارها من الاخصائيين مثل رئيس متحف كلفورينا في اميركا ومدير الآثار في المفوضية العليا في بيروت ولم ينفق المجمع للحصول عليها سوى بضع مئات من الليرات كما لم ينفق على شراء الكتب المنتقاة أكثر من بضـع مئات من الدنانير لأن كثيراً منها استهداه من العلماء والفضلاء من الوطنيين وغيرهم في الشرق والغرب .

أرسل المجمـع لأول عهده بعثات إلى جهات لبنان الغربي والشرقي وتدمر وحمص وغيرها لجلب الآثار القديمة فحمل إلى دمشق بعضها واستهدى بعض الأعيان من العاديات والتحف كمية وضم ما كان منها مبعثراً في المدارس وغيرها . وبينا هو يشتغل بهـذه الاعمال واصـلاح الكتب المدرسية العالية ومادونها المؤلَّف منها والمعرَّب ويهـذب لغة الدواوين ويضع لها الكلمات الادارية كما يضع للمدارس والمعلمين بعض المصطلحات العلمية الحديثة ويصحح اغلاط ارباب الأقلام صدر إليه الأمر بدعوى الضائقة الماليـة في آخر تشرين الثاني ١٩١٩ بصرف رئيسه واعضائه الثمانية الاعضوين فقط للاشراف على داري الكتب والآثار فبطلت حركته إلى أن عهد إلى هذا العاجز يوم ٧ ايـلول

١٩٢٠ بوزارة المعارف فعاد المجمع إلى تنظيم جلساته ثم ضم اليه عضوين آخرين من أعضائه القدماء فاصبح أعضاؤه أربعة موظفين .

وكان أول عمل للمجمع لما عاد إلى نظامه ان أصدر مجلة المجمع العلمي العربي . وقد ظهر منها حتى الآن مجلدان ينشر فيها أعماله وأعمال أعضائه العاملين والمراسلين والشرفيين ممن تخيرهم ليعاونوه بعد البحث الطويل في الشام ومصر والعراق وتونس والجزائر ومراكش وأوربا وأميركا ويبعث بمجلته إلى أعضائه مجاناً وإلى أشهر المجامع والجامعات ودور الكتب في القارات الأربع آسيا وافريقية وأوربا وأميركا وقد بلغ عدد من تبادلهم مجلة المجمع من هذه المجامع والمكاتب والجامعات في أوربا ٨٥ .

وبذلك زادت شهرة المجمع في الأندية العلمية فاصبحت المجامع والجامعات تهاديه بكتبها ومذكراتها ومجلاتها وتدعوه بصورة رسمية إلى مؤتمراتها وقد دعي في هذه السنة إلى العيد المئوي للجمعية الآسياوية والباريزية وإلى عيد المجمع الملوكي في بروكسل ودعي في السنة الماضية إلى مجمع المستشرقين في ليبسيك .

واستنسخ الكتب العربية النادرة القديمة المتعلقة خاصة بتاريخ سورية وآدابها وذلك من مكاتب أوربا وغيرها بالقلم أو بالتصوير الشمسي ولا يزال يستهدي الكتب والمطبوعات والمجلات من جامعات أوربا وأميركا ومجامعها وعلمائها ولا سيما مجامع فرنسا ووزاراتها وجامعاتها حتى تجمع لديه كميات وافرة من كرم الكرماء بالعلم زاد بها مجموعة مكتبته الخاصة ودار الكتب العربية فبلغت الأولى زهاء الف وثمانمائة مجلد والثانية اربت على تسعة الآف مع انها منذ تأسيسها قبل أربعين سنة إلى أن تولاها المجمع لم تزد على أربعة آلاف مجلد .وكان المجمع يلقي المحاضرات في موضوعات علمية وأدبية على الجمهور مرة كل اسبوعين فانشأ يلقيها مرة في الاسبوع وهو يفكر الآن في القائها مرتين أو أكثر كل اسبوع لتتخرج من المحاضرين في المستقبل جماعة يصلحون للتدريس على مقاعد مدرسة الآداب التي تضاف إلى الجامعة السورية المؤلفة الآن من معهدين فقط الطب والحقوق . وقد زاد الاقبال على سماع تلك المحاضرات حتى قدر معدل المستمعين كل مرة من طبقات مختلفة باكثر من مائتي مستمع معظمهم من الوجهاء والفضلاء والادباء وطلاب المدارس العالية ولايقل عدد المختلفين يومياً إلى داري الآثار والكتب عن ثمانين مطالعاً

وزائراً وهي نسبة محمودة إذا قسناها بعدد من كان يختلف إلى المحاضرات منذ سنتين وما كانوا يزيدون على الخمسين إلا نادراً وبمن كان يغشى دار الكتب قبل ان تربط إدارتها بالمجمع وكانت تمضي الايام ولا يدخلها الا ناسخ أو متفرج على جلودها ورفوفها وقبتها ومفصصها

واخذ المجمع بعد عطلة الصيف الماضي يعقد جلسات علنية اسبوعية يحضرهـا اعضاؤه وطائفة ممن يدعوهم من أهل الفضل والأدب فتتلى عليهم اعمال المجمع الاسبوعية ويطلعهم على الرسائل الواردة عليه من الأقطار في الموضوعات العلمية والأدبية ويعرض عليهم مبادلات الكتب والمجلات وما اهدي اليه من الآثار والأسفار وتؤخذ آراؤهم ويستشارون فيما يعرض للمجمع ويتناقشون في الالفاظ الواجب وضعهـا والاغلاط الشائعة المتحتم الاقلاع عنها ويفكرون في تنظيم داري الكتب والآثار على احدث طرز وقد وضع برنامجات وفهارس لهما وهيأ للزائرين منذ أسس سجلات تدون فيها اسماؤهم وملاحظاتهم وقد بلغ عدد من زاروهما زهاء خمسة آلاف بينهم كثير من الممتازين من السوريين والمصريين والغربيين ولم يقصر أعضاء المجمع في وضع تآليف وتصحيح رسائل وكتب نادرة قديمة والتعليق عليها وقد طبع بعضها واعد الباقي للطبع والنشر ولولا ضيق ميزانيته والتعطيل الذي طرأ عليه مدة طويلة لنشر طائفة صالحة من هذا القبيل. وبواسطة المجمع صحت نية بعض فضلاء الأعيان مؤخراً على وضع جوائز مالية للمؤلفين في موضوعات عينوها والمجمع هو الحكم وواضع القيود والشروط. وكان المجمع اجاز من ميزانيته بعض المجيدين من الكتاب والعلماء بمقدار من المال وبابتياع كمية من كتبهم ورسائلهم تنشيطاً لهم وقد أرسل المجمع مدير المتحف لتلقي علم الآثار على أعظم علمائها في مدرسة اللوفر بباريز لينظم دار الآثار على اسلوب علمي يستفاد منه فيغدوا المتحف مفخراً من المفاخر القومية وفي نية المجمع ان يزين لاحد من درسوا الدروس الوسطى من ابنـاء سورية لينقطع إلى مدرسة السجلات Ecole des chartes في باريز فيحسن بعد ثلاث سنين تنظيم دار الكتب على اسلوب علمي عملي حديث.

وهكذا يدأب المجمع في خدمة العلم واللغة والآداب ويوسع دائرتها ويمهـد الطريق أمام السوريين للاستفادة منها ليكون مرجعاً ثقة للكافة وهـو يجيب على اسئلة ترد عليه من العلماء أو يعارض بعض الكتب التي يطبعها المستشرقون على مافي دار

الكتب العربية من الامهات المخطوطة وبذلك يخدم الاسم السوري خاصة والعربي عامة ويتقايض علماء العرب مع المشتغلين بعلومهم من الافرنج ضروب المعارف والافكار النافعة

للمجمع العلمي أعضاء موظفون وهم لجنته الادارية وعددهم في دمشق ثلاثة فقط ورئيس وله احد وسبعون عضواً شرفيين فاعضاؤه الشرفيون في دمشق وهم يحضرون جلسة المجمع الاسبوعية واعضاؤه في غير دمشق يراسلون المجمع بآرائهم ويشاركونه في عمله العلمي فالمجموع خمسة وسبعون عضواً اليكم اسماءهم ومواطنهم واشارةً إلى بعض ماانفردوا به من المباحث التي دعت المجمع إلى ضمهم اليه :

(١) الاستاذ السيد انيس سلوم

(٢) الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

(٣) الاستاذ السيد عيسى اسكندر المعلوف

« هؤلاء الثلاثة اعضاء موظفون »

(٤) العلامة الاستاذ الشيخ سليم البخاري رئيس علماء دولة دمشق صاحب المباحث العلمية والدينية واللغوية .

(٥) الاستاذ سليم بك عنحوري صاحب كنز الناظم وسحر هاروت وبدائع ماروت وغيره من الكتب الأدبية واللغوية في دمشق .

(٦) الاستاذ فارس بك الخوري العالم الحقوقي المحقق صاحب المقالات والابحاث المنشورة في كثير من المجلات والصحف في دمشق .

(٧) الاستاذ الشيخ عبد الرحمن سلام صاحب المقالات في الأدب واللغة والشعر في دمشق .

(٨) الاستاذ الشيخ عبد القادر المبارك اللغوي المشهور بابحاثه ومحاضراته في دمشق .

(٩) االاستاذ الياس بك القدسي صاحب المؤلفات في البحث عن عادات الشرقيين وغير ذلك من الابحاث المنشورة في كتب الجامع العلمية الأدبية وهو يحسن اليونانية القديمة والحديثة احسانه للفرنسوية ويمتاز باضطلاعه بالعربية الفصحى والعامية في دمشق .

(١٠) الاستاذ السيد عبد الله رعد صاحب المقالات المشهورة في بلاد الحبش

وعاداتها ولغتها وهو أخصائي بلغة الاحباش احدى أمهات اللغات السامية في دمشق .

(١١) الاستاذ السيد سليم الجندي صاحب تاريخ المعرة المخطوط وصاحب المقالات اللغوية والأدبية في دمشق .

(١٢) الاستاذ الدكتور مرشد خاطر بك صاحب الأبحاث اللغوية الطبية الخطيب الاديب في دمشق .

(١٣) المطران ميخائيل بخاش صاحب الأبحاث في اللغة السريانية واللاتينية وغيرها في دمشق .

(١٤) الاستاذ رشيدبك بقدونس صاحب المباحث اللغوية والأدبية الجيدة في دمشق.

(١٥) الاستاذ كليمان هوار Huart من أعضاء المجمع الأدبي ومن أعضاء الجمعية الآسياوية بباريز صاحب التآليف الكثيرة وناشر كتاب البدء والتاريخ .

(١٦) الاستاذ المسيو دوسو Dussaud الاثري في متحف اللوفر بباريز صاحب المصنفات النافعة في العرب قبل الاسلام في الشام وفي الصفا وجبل الدروز واللغة الصفوية وفي بلاد النصيرية وغيرها .

(١٧) الاستاذ المسيو غابرييل فران Ferrand الوزير المفوض أحد أعضاء الجمعية الآسياوية الفرنساوية وناشر كتاب الملاح البصري العربي ابن ماجد .

(١٨) العلامة المسيو ماسنيون Massignon أستاذ علم الاجتماع الاسلامي في كوليج دي فرانس بباريز وصاحب التآليف والمقالات المفيدة ولا سيما في الحلاج والمتصوفة في الاسلام .

(١٩) الاستاذ العلامة السنيورجويدي Guidi أحد أعضاء مجلس الاعيان في رومية وشيخ المشرقيات في اوربا وصاحب التآليف والأبحاث المهمة بالعربية والايطالية ومن أساتذة الجامعة المصرية سابقاً .

(٢٠) الاستاذ البرنس ليوني كايتاني Caetani صاحب تاريخ الاسلام باللغة الايطالية ظهر منه سبعة مجلدات ضخمة وسفير ايطاليا في واشنطون اليوم .

(٢١) الاستاذ نالينو Nallino معلم العربية في جامعة رومية وصاحب التآليف الكثيرة وناشرها مثل كتاب زيج البتاني وعلم الفلك عند العرب ومن أساتذة الجامعة المصرية سابقاً .

(٢٢) الاستاذ غريفيني Griffini أستاذ العربيـة في جامعة ميلانو في ايطاليا وناشر الكتب والابحاث الجليلة على العرب بالعربيـة والايطالية وهو اليوم ينظم دار الكتب السلطانية في قصر عابدين بمصر .

(٢٣) الاستاذ الاب آسين Asin مدرس العربية في جامعة مجريط في اسبانيا وصاحب التآليف الكثيرة بالاسبانية ومنها كتابه الذي أورد فيه أدلة تاريخية على أن شاعر الطليان دانتي في كتابه جهنم قد أخذ عن المعري في رسالة الغفران

(٢٤) الاستاذ دافيد لوپس Lopès أسـتاذ العربية في جامعة لشبونة عاصمة البورتقال وناشر كتب عربية مفيدة

(٢٥) العلامة الاستاذ براون Browne ناشر الكتب المفيدة بالعربية والفارسـية من أساتذة جامعة كمبريج في انـكلترا

(٢٦) العلامة الاستاذ بڤن Bevan أستاذ العربيـة في جامعة كمبريج وناشر كتاب مناقضات جرير والفرزدق

(٢٧) العلامة الاستاذ مرجليوث Margoliouth مدرس العربيـة في جامعة اكسفورد وناشر الكتب المفيدة بالعربية والانـكليزية ولا سيما معجم الادباء لياقوت والانساب للسمعاني ونشوار المحاضرة للتنوخي .

(٢٨) العلامة الاستاذ هوتسما Houtsma مدير تأليف دائرة المعارف الاسلاميـة في اوترخت من بلاد هولاندة وصاحب التآليف الكثيرة ومما نشره تاريخ اليعقوبي

(٢٩) العلامة سنوك هرغرون Snouck hurgronje أستاذ العربية في جامعة ليدن وعميدها وإمام الفقه الاسلامي والأصول والحديث والتفسير في اوربا كلها

(٣٠) الاستاذ اراندونك Arendonk مؤلف تاريخ المعتزلة وصاحب المقالات المنشورة في الموسوعات الاسلامية وغيرها من أساتذة جامعة ليدن في هولاندة

(٣١) العلامة هومل Hommel أستاذ اللغات السامية في جامعة مونيخ عاصمة بافاريا وصاحب التآليف والأبحاث المهمة باللغة الالمانية .

(٣٢) الاستاذ ميتفوخ Mittwoch أستاذ اللغة العربيـة في مدرسـة اللغـات الشرقية في برلين وناشر أبحاث مهمة عن العرب

(٣٣) العلامــة سخاو Sachau مؤسس مدرسة اللغات الشرقية في برلين وناشر كتاب الطبقات الكبير لابن سعد وكتاب البيروني في مذاهب الهند وغيره

(٣٤) العلامة بروكلمان Brockelmann أستاذ العربية في جامعة هالي وناشر الأبحاث المفيدة ومؤلف كتاب تاريخ آداب اللغة العربية .

(٣٥) الاستاذ ريشارد هارتمان Hartmann في جامعة ليبسيك صاحب المقالات والأبحاث المتعلقة بالعرب .

(٣٦) الاستاذ هوروفيتس Horovitz أستاذ العربية في جامعة فرنكفورت بالمانيا وناشر عدة كتب للعرب وأبحاث ومقالات في العربية والالمانية .

(٣٧) العلامة زيترستين Zetterstéen أستاذ العربية في جامعة اوبسالا في اسوج وناشر عدة كتب بالعربية .

(٣٨) الاستاذ موبرج Moberg مدرس العربية في جامعة لوند في النروج .

(٣٩) الاستاذ بدرســن Pedersen أستاذ العربية في جامعة كوبنهاغ عاصمــة الدانيمرك وصاحب الأبحاث المفيدة بالدانيمركية والألمانية .

(٤٠) العلامة الاستاذ بول Buhl الدانيمركي أحــد المؤازرين في الموسوعات الاسلامية المشهود لهم بمعرفة أحوال العرب .

(٤١) العلامة اوستروب Oeustrup أحد أساتذة اللغات السامية في جامعــة كوبنهاغ معروف بابحاثه الشرقية .

(٤٢) الاســـتاذ موجيك Mzik ناشر الكتب المفيدة العربية في دار كتب الأمة في فينا عاصمة النمسا .

(٤٣) الاستاذ جير Geyer في جامعة فينا احد المستعربين من النمساويين وله ابحاث ومقالات .

(٤٤) الاستاذ كوفالسكي Kowalski استاذ العربية في جامعة قراقو من اعمال بولونيا وله مقالات وفصول حسنة .

(٤٥) العلامة موسيل Musil اســـتاذ اللغات الشرقية في براغ عاصمـــة التشكوسلوفاكيا ومؤلف الأبحاث الكثيرة عن هذه الديار المعروف عند البادية من

أهلها باسم الشيخ موسى الرويلي لانه قضى بضع عشرة سنة في صحابة عشيرة الرولة .

(٤٦) العلامة المسيو مونتيه Montet استاذ اللغات السامية في جامعة جنيف في سويسرا وعميد اساتذتها المعروف بابحاثه الدقيقة عن الاسلام والعرب .

(٤٧) العلامة الاستاذ هيس Hess مدرس العربية في جامعة زوريخ في سويسرا المشهور بابحاثه الاثرية .

(٤٨) الاستاذ المسيو ميشو بللير Michaux Bellaire صاحب الابحاث المفيدة والتآليف الممتعة بالافرنسية عن بلاد مراكش نزيل طنجة .

(٤٩) الاستاذ العلامة الشيخ محمد بن أبي شنب احد اساتذة كلية الآداب في الجزائر وصاحب التآليف الممتعة .

(٥٠) الاستاذ العلامة المسيو رينه باسيه Basset عميد كلية الآداب في مدينة الجزائر وصاحب التآليف والابحاث الكثيرة المفيدة .

(٥١) العلامة السيد حسن حسني عبد الوهاب من اساتذة الخلدونية في تونس وناشر الكتب الكثيرة والابحاث المفيدة باللغتين العربية والافرنسية ولا سيما في آداب تونس وتاريخها وحضارتها واصول سكانها .

(٥٢) العلامة المسيو مارسيه Marçais المستشرق الفرنساوي المعروف بابحاثه عن الإسلام والمسلمين في افريقية نزيل تونس .

(٥٣) الاستاذ المسيو ارتور كي Guy قنصل فرنسا في طرابلس الغرب وناشر ابحاث نافعة بالعربية وغيرها .

(٥٤) الاستاذ السيد امين الريحاني صاحب الكتب والرسائل المعروفة بالعربية والانكليزية منها نقل رباعيات المعري ولزوم مالا يلزم شعراً إلى الانكليزية .

(٥٥) العلامة الامير شكيب ارسلان صاحب الابحاث المشهورة وناشر عدة كتب بالعربية ومنها اليتيمة لابن المقفع ورسائل الصابي وغيرهما وهو مشهور بترسله وشعره.

(٥٦) العلامة أحمد تيمور باشا اللغوي المؤرخ صاحب الابحاث اللغوية المفيدة ومصحح اغلاط لسان العرب وصاحب معجم الالفاظ العامية المصرية وواقف اكبر مكتبة عربية في الشرق في القاهرة .

(٥٧) العلامة أحمد زكي باشا صاحب التآليف الممتعة والابحاث المهمة في حضارة العرب وناشر ذخائر الكتب العربية ومنها نكت الهميان والتاج للجاحظ والاصنام لابن الكلبي وواقف مكتبة مهمة لاتقل عن عشرة آلاف مجلد في القاهرة .

(٥٨) العلامة الدكتور يعقوب صروف أحد منشئي المقتطف وصاحب الابحاث والتآليف المشهور .

(٥٩) العلامة الاستاذ أحمد بك كمال الاثري المشهور مدير المتحف المصري وصاحب التآليف الكثيرة المفيدة منها الحضارة القديمة والمعجم المطول في مشاركة الالفاظ العربية المصرية .

(٦٠) العالم الشيخ أحمد الاسكندري في دار العلوم والجامعة المصرية بالقاهرة وصاحب الابحاث اللغوية الدقيقة .

(٦١) العلامة رفيق بك العظم صاحب اشهر مشاهير الاسلام وغيره من الابحاث والرسائل والمقالات العلمية المفيدة نزيل القاهرة .

(٦٢) العلامة الشيخ خليل الخالدي الرحالة المشهور ولا سيا في معرفة الكتب والمؤلفين في القدس .

(٦٣) العلامة الشيخ سعيد الكرمي المشهور بابحاثه وعلمه نزيل عمان .

(٦٤) العلامة الشيخ أحمد رضا المعروف بابحاثه وتآليفه من علماء جبل عامل .

(٦٥) العلامة جبر افندي ضومط استاذ العربية في الجامعة الاميركية في بيروت وصاحب التآليف المدرسية الممتعة .

(٦٦) الاستاذ الاب لويس شيخو منشيء مجلة المشرق وصاحب التآليف الكثيرة والابحاث المفيدة وناشر كثير من الكتب العربية منها تهذيب الالفاظ لابن السكيت والالفاظ الكتابية للهمذاني وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى وحماسة البحتري وغيرها .

(٦٧) الاستاذ بولس الخولي مدير مجلة الكلية ومن اساتذة الجامعة الاميركية المشهور بابحاثه العلمية ولا سيا في التربية والتعليم .

(٦٨) الاستاذ الفيكونت فيليب طرازي مدير دار الكتب الكبرى في بيروت وصاحب تاريخ الصحافة وغيره .

(٦٩) العلامة الاستاذ الشيخ عبد الله البستاني اللغوي المحقق المشهور .

(٧٠) الاستاذ السيد جرجي يني صاحب مجلة المباحث في طرابلس الشام ومؤلف تاريخ سورية وغيره .

(٧١) الاستاذ الشيخ بدر الدين النعساني ناشر عدة كتب مهمة وصاحب كتاب التعليم والارشاد في حلب .

(٧٢) الاستاذ قسطاكي بك الحمصي صاحب كتاب الانتقاد وغيره في حلب .

(٧٣) الاستاذ زكي بك مغامز الكاتب المحقق باللغتين العربية والتركية نزيل الاستانة

(٧٤) العلامة الاستاذ السيد محمود شكري الآلوسي صاحب كتاب بلوغ الارب وغيره من الكتب والرسائل الممتعة في بغداد .

(٧٥) العلامة الاب انستاس ماري الكرملي صاحب مجلة لغة العرب ومؤلف تاريخ بغداد المشهورة بابحاثه اللغوية والتاريخية المنشورة في أهم المجلات الشرقية والغربية في بغداد

اصحاب هذه الشخصيات الراقية هم الذين يؤلفون مجمعنا ومنهم يستمد مادته العلمية وبافكارهم يسترشد . واللبيب يدرك ان هذه الطبقة الراقية من أجيال الناس إذا تناغت وكثر تناغيها لابد أن تأتي بفوائد يعود نفعها على احياء العلم والحضارة . واني يسؤني في هذا المقام ان اذكر من فجع بهم المجمع العربي منذ تأسيسه وهم أربعة علماء اعلام عدٌ فقدهم اجزل الله ثوابهم خسارة على آداب العرب وعلومهم وهم استاذنا العلامــة الكبير الشيخ طاهر الجزائري المشهور بخدمته للمعارف والعلم في الشام ومؤسس خزانة الكتب الظاهرية بدمشق وخزانة الكتب الخالدية في القدس الذي نشر اكــثر من ثلاثين مجلداً من تآليفه واحيا عشرات من كتب العرب في مصر والشام . والاستاذ السيد نخلة زريق من كبار علماء اللغة ومن الواقفين على اسرارها في القدس . والاستاذ مارتين هارتمان صاحب الابحاث والتصانيف النافعة في العرب واحد اساتذة مدرسة اللغات الشرقيه في عاصمة بروسيا . والعلامـــة الاستاذ غولد صهير صاحب التآليف والابحاث الكثيرة بالعربية والالمانية ومدرس التفسير والحديث والاصول والفقه وآداب العرب في جامعة بودابست عاصمة المجر . وهو الذي صح فيه ماقاله صديقنا الاستاذ أحمد زكي باشا المصري في الاستاذ درانبورغ وقد دخل عليـــه في مدرسة

اللغات الشرقية بباريز وهو يدرس تفسير القرآن الكريم : فقال وجدت اسرائيلياً يدرس كتاب المسلمين لجماعة من المسيحيين .

* * *

لما انشيء المجمع العلمي العربي في دمشق ونمي خبر اعماله إلى المجامع العلمية في الغرب وردت عليه رسائل التهنئة والتشجيع من امم مختلفة واظهرت الاندية العلمية سرورها بالمولود العربي الجديد الذي هو أول واحد من نوعه في الأقطار العربية نظم بنظام المجامع الغربية وقام بايدي أهل البلاد وقد ابلغت بعض المجامع العلمية في فرنسا اعضاءها بتأليف مجمعنا في جلساتها العامة والخاصة فصفق الاعضاء مبتهجين ببنيامين المجامع على ماذكروا ذلك في محاضر جلساتهم المنشورة في مذكراتهم ومجلاتهم .

واليكم الآن بعض ماجاء المجمع في أدوار مختلفة من عبارات التنشيط نأخذها من رسائلهم المطولة المحفوظة عندنا بدون تعيين زمان ومكان دليلاً على حسن وقع هذا العمل من نفوس العلماء والباحثين .

قال الاستاذ دوفيديو رئيس الاكاديميا اللينشية في رومية ماتعريبه : ولا شك في ماينجم عن هذا العمل من النفع العظيم والفائدة الكبرى إذ هي الوسيلة الوحيدة في احياء اللغة بل قل في احياء اللغة العربية نفسها إذ لاحياة لأمة إلا بلسانها كما لا يخفى على كل ذي بصيرة .

وقال العلامة الاستاذ جويدي أحد ائمة المشرقيات في ايطاليا مانصه : وأرجو ان المجمع العلمي يفوق على النظامية المشهورة وعلى دمشق أيضاً تصح التسمية « أم الدنيا وسيدة البلاد »

وقال العلامة بروكلمان من شيوخ المشرقيات في المانيا مانصه : واني لارجو ان العلوم فخر العرب في الأزمان الماضية ترتقي باعمال المجمع الجليل إلى الدرجة العليا فتنير بنبراسها كل أقطار العرب وغيرهم وتهديهم إلى ذروة التمدن والثراء

وقال العلامة غريفيني استاذ العربية في جامعة ميلانو مانصه : واملي عظيم بان تكون هذه النهضة ابتداء توزيع العدل والمعارف النافعة بين امم البحر المتوسط وفقاً لمبادىء الحق والحرية ــ حرية الأمم والأوطان ــ وان تكون نهضتكم الأدبية والعلمية

فجر عهد جديد في العالم العربي الاسلامي فجر عهد الاحـــرار في بلادهم والكرماء مع ضيوفهم .

وقـــال العلامة تيودورسكو رئيس جامعة ياسي في رومانيا ماتعريبه : اهنئكم واهنيء الأمة العربية بهذه الهمة السنية التي تبذلونها لترقية العلوم وتقدمهـــا في بلادكم ومن مسعداتنا ان نعقد مع مجمعــكم علاقات علمية لاننا نعتقد ان احسن العلائق بين الشعوب المتمدنة الروابط المؤسسة على التهذيب العقلي

وقال السنيور فريراريا الايطالي ما تعريبه : ستضاف صفحة جديدة من تاريخ العالم إلى الصفحات القديمة المتعلقة بهذه الأمة القديرة الذكية النابغة واعني الأمـــة العربية . وقولنا المجمع العربي يعدل قولنا احياء العرب . وهذا يدركه الناس احسن ادراك وهو جدير بالاعجاب

وقال العلامة دوسو الأثري الفرنساوي ماتعريبه : ان المتحف كالمكتبة مركز للدروس العالية وناهيك بماله من الفائدة في الاحتفاظ بمظاهر الفن العربي التي بلغت من الشهرة المبالغ ولا أرى بي حاجة إلى الافاضة في اجتذابه لقلوب السياح فانه سيمهد لهم السبيل إلى التعمق في معرفة البلاد

وقال العالم الدكتور كوفلسكي استاذ اللغات الشرقية في جامعة قراقو في بولونيا باسم اساتيذ دار الفنون والمجمع العلمي البلوني ماتعريبه : وانا لنرجو ان يكون مجمعكم قطباً للعلم العربي ومنبع الحرية والمدنية في بلادكم وان يربط حسن العلائق بين وطنكم ووطننا .

وقال العلامة مرجليوث استاذ العربية في جامعة اكسفرد مانصه : واننا لم نزل على قلة معرفتنا باذلين جهدنا في ترقية العلوم الشرقية لازال مجمعكم العلمي ناشر لوائها ورافع علمها وموقد نيرانها ومكرم جيرانها

وقال العلامة المارشال ليوتي المفوض العام في مراكش ماتعريبه : ثقوا كل الثقة بانني سأفرغ مجهودي ابداً في التقريب بين قطري الاسلام الكبيرين وهما سورية ومراكش حتى يستتم الاتصال بين علمائها وتستحكم الأواصر الشديدة بين هذين القطرين بفضل تعارفها وتوادّهما

وقال رئيس المجمع العلمي البروسي في برلين مانصه : وانا لنرجو لشقيقنا المجمع

العلمي الأدبي في دمشق ان يتمكن من اعادة الشهرة السالفة التي كانت للعالم الاسلامي في العلم والأدب وان يوفق إلى اعلاء شأن المدنية العربية في العلوم والفنون والآداب والاخلاق التي تلائم عظمة الشعوب العربية النازلة في شقي الكرة الأرضية .

وقال الاستاذ فران من علماء المشرقيات في باريز ماتعريبه : تعلمون ماأعلقه من المنافع على تعاون العاملين في الشرق والغرب . ولطالما تبـادل الشرق والغرب افكاراً كثيرة بيدانهما لم يخلقا إلا ليتفاهما . وان الصداقة القديمـة بين الفرنسيس والسوريين برهان آخر على وجوب الاتصال الودي بين دمشق وباريز

وقـال العلامة هوتسما مدير دائرة المعارف الاسلامية في هولاندة ماتعريبه : وثقوا باني ارى مثلكم ان من واجبنا تقوية الصلات التي تجمع بين المشتغلين في الشرق والغرب للحصول على غاية واحدة هي خدمة العلم الاسلامي

وقال أيضاً : وبديهي ان علماء المشرقيات من الهولانديين يهتمون جد الاهتمام بالعمل الباهر الذي تقومون به في الشام لاحياء هذه الآداب لتعيدوا للعرب ما كان لهم قديماً من المقام المحمود في ساحة العلم البشري

وقـال العلامة الدكتور هيس استاذ العربية في جامعـة زوريخ في سويسرا ماتعريبه : لست أقل منكم اغتباطاً بعملكم في تأسيس مجمع علمي غايته خدمة العلم العربي في بلادكم ولطالما اسفت وانا في مصر لكون الوطنيين ماعدا بضعة مشايخ أمثال محمدعبده والشنقيطي يتساهلون كل التساهل في دراسة هذه المدنية الاسلامية البديعة التي نعجب نحن بها لما نقرأه من آياتها في كتب مشاهير المؤلفين أمثال ياقوت والبيروني والخوارزمي وابن خلدون الخ يزهدون في مدنيتهم ليتمثلوا بنصف تربية أوربية في المدارس التي قلما تهتم بتعليمهم عظمة الآداب التاريخية والجغرافية والعلمية التي خلفهـا اجدادهم . فاهنئكم إذاً لقبضكم على زمام أجمل العصور في تاريخكم

وقال العلامة سنوك هروغرون استاذ العربية في جامعة ليدن في هولاندة مانصه العربي : والفضل كله لكم ولجمعكم . واطلعت طلاب العلم العربي من أهل بلادي على اعداد المجلة وبينت لهم انها علامة احياء العلوم الشرقية معجزة في جنسها مسكتة لمن ينكر استمرار التمدن العربي وأوضحت لهم عدم قدرة احدنا على تصنيف مقالة من مقالاتها

ولو استغرق عمره في طلب علوم العرب

وقال العلامة ماسنيون استاذ علم الاجتماع الاسلامي في كوليج دي فرانس في باريز ماتعريبه : وعسى ان يوفق اعضاء المجمع العلمي العربي إلى العمل يداً واحدة مدة طويلة كالقائمين على الجنان يتوفرون على انماء أزهار النخيل في مغارسه ليتضافروا على مزج التربيتين العقليتين الشرقية والغربية في سورية .

• • •

هذا مثال من حسن ظن علماء المشرقات المستعربين في المجمع العربي ولو أردت ان أورد ماقال العرب وعلماؤهم ورجال الصحافة في هذا المعهد وماكتبه الاعضاء غير العرب للمجمع شكراً له على وضع ثقته بهم فعدوا انتخابهم فخراً عظيماً لهم وحرصوا على خدمته حرصهم على خدمة اعز شيء عليهم لطال المقال . بقي ان نقول ان المجمع لاينفق مالاً طائلاً كما يدعي بعضهم فان فصل الرواتب من ميزانيته لايتجاوز الـ ٢٧٠٠ دينار سوري وفصل النفقات ٢٨٠٠ ليرة سورية وهذه قلما تصرف له بمعنى ان المجمع في هذه السنة لم يكلف الأمة أكثر من ثلاثة آلاف وكسر دينار سوري . وإذا قلنا المجمع فدار الكتب والآثار داخلتان فيه .

لاجرم ان المجمع لم يثبت في الحقيقة إلا بمعاضدة الحكومة الوطنية له معاضدة مالية وكذلك فعلت الحكومة المنتدبة فهيأت له طرق ارتقائه وعاونته معاونة أدبية وهي بالطبع أعرف من غيرها بما تحمل هذه الشجرة من الثمرات الطيبة لبلاد وكل اليها ارشادها لما فيه سعادتها وتعليمها علماً يؤهلها للحياة الاجتماعية الراقية فقد قال سعادة الكولونيل كاترومندوب المفوض السامي في دمشق من خطاب له القاه في دار الحكومة في أول أيلول سنة ١٩٢١ مانصه[1] « هذا المعهد العلمي الحافظ للغتكم ولبلاغتكم القومية هو منبت علوم تجدد بها أهل الأجيال الحديثة الارتباط الذي يصلها باسلافكم المجيدين . وليبق هذا المعهد الشريف على الدوام مظهر عناية الحكومة المنتدبة والأمة الفرنساوية المولعة بالعلوم العقلية والتي كانت دائماً معجبة بمدنيتكم العربية وهي تتمنى تقدم مجمعكم العلمي » .

---

(١) يراجع الخطاب في مجلة المجمع في السنة الأولى ص ٢٧٨

وبعد فاذ قد تحقق ان مجمعنا العلمي هذا أصبح مرتبطاً بحكومة الاتحاد وهـــو الأصلح له فان المعقول أيضاً أن يبقى عنصراً ناميا في جسم الجامعة السورية ينفخ في ابنائها روح الآداب والتجدد ويهيئهم لاستعادة امجاد الأجداد وإذا قوي العزم على توسيع دائرته [illegible] ثلاثة اعضاء على الثلاثة اعضاء الموظفين ينتخبهم المجمـــع من الدول السورية الثلاث بحسب نظامـــه الداخلي ومصادقة الحكومة على انتخابهم وتعدل الرواتب تعديلاً طفيفاً يتعادل مع جلالة العمل ثم توضع في الميزانية للسنـــة المقبلة ستة آلاف ليرة سورية لتأسيس داري كتب وآثار في مدينة حلب فيكون للشهباء ما لشقيقتها الفيحاء من مثل هذين المعهدين وبذلك يتمكن المجمع من جمع آثار شمالي سورية في متحف حلب وآثار جنوبها ووسطها في متحف دمشق ويضم في عاصمة سورية الشمالية ما تفرق في المكاتب والبيوت من كتب الاسلاف ويبتاع لها ما تشتد اليـــه حاجة كل طالب علم من الأسفار في مختلف العلوم .

ان تأسيس داري كتب وآثار من أهم الأعمـــال العلمية لمدينة حلب لأنها كانت قديماً كما لايخفى مركزاً من مراكز العلم في سورية فلا تلبث بهما ان تستعيد مكانتها العلمية في القرون الوسطى فتكون مثابة للعالمين والمتأدبين والطالبين المستفيدين وبذلك تحتفظ بالثمالة الباقية من مدنيتها الزاهرة نصونها بهذين المعهدين من التمزيق والتفريق والتحريق والتغريق ، ولو كتب لحلب ودمشق ان ينشأ فيهما منذ القديم معهدان من هذا القبيل وان تسير ادارتها سيراً متساوقاً مطرداً وتنظم على أحدث الأساليب ـ لقدّر اليوم ما حوياً بالملايين من الليرات ولكان لعامة البلاد منهما مورد ربح بتكثير عـــدد السائحين إلى هــــذه الديار ولنشأ منهما مدرستان جامعتان تؤثران الأثر المطلوب في عقول ابناء هذا القطر المحبوب .

ليست حلب وحدها جديرة بأن يكون لها من بين المدن السورية متحف ومكتبة فان حمص وحماة واللاذقية وطرابلس وصيدا والسويداء وتدمر وبعلبك وغيرها من مدن الشام التي كان لها شأن في التاريخ تستحق ان يكون لها مثل هذين المعهدين على صورة مصغرة كما هو الحال في بلدان الغرب وبذلك تحصل المنافسة بين البلاد وتمتاز كل مكتبة أو متحف باشياء قد لايسقط عليها المرء في أكبر متحف وأكبر مكتبة وتكون تحفها واعلاقها محلية صرفة .

٣

رأيت دور الكتب والآثار في عشر ممالك من ممالك أوربا في فرنسا وانكلترا والمانيا وهولانده والبلجيك وسويسرا والمجر والنمسا وايطاليا واسبانيا ورأيت غرام تلك الأمم بالاحتفاظ بالاثر الضئيل دع الجليل من تاريخ اجدادهم وشهدت اقبالهم على المطالعة والمراجعة في دور كتبهم العامة ومكاتب الاحياء والشعب ورأيت نموذجات مهمة من مجامعهم وحضرت مفاوضاتهم وعناية كل أمة بما يُعلي شأن لغتها والعلوم النافعة لأمتها ـ رأيت كل هذا وكدت ايأس لزهدنا في مثل هذه الأمور النافعة واني لاخجل ان أورد على مسامعكم فكراً مفروغاً منه أصبح من البديهيات المسلم بها عند كل عاقل في الأرض لم تختلف أمة في معنى فائدته في تربية العقول والأذواق . وهل الثروة والمدنية إلا مجموعة عقل وذوق .

ان مانراه كل يوم من اثر النهوض في الشعب السوري وتحفزه إلى التعلم والأخذ بما اخذ به أهل الحضارة الحديثة من أسباب الارتقاء والنماء يبعث فينا ميت الرجاء ويوسع دائرة الأمل فنفرح بالحاضر ونبسم للمستقبل . وما المجامع والمدارس والمتاحف والمكاتب والمصانع والمعاهد إلا صورة من صور الأمة تمثلها أحسن تمثيل . ومهما بذلت الحكومات في هذا السبيل فقوة الأمة فوق قوتها ولذلك كان من مجمعنا ان استند إلى معاضدة الحكومة حتى الآن وهو اليوم محتاج إلى معاضدة الأمة معاضدة فعلية أكثر من قبل لان الحكومة مهما تفضلت وافضلت على هذا المجمع تقف معاونتها عند حد معين ولكن مناصرة الأمة لا حد لها وهي الأصل وغيرها الفرع فعسى ان يعرف كل وطني الفوائد التي تترتب على هذه الأعمال في تثقيف العقول وتعلم التضامن على جلب المنافع العلمية والاقتصادية للبلاد . والرجاء ان يتدارك مجلس الاتحاد العالي مافرط من اهمال الحكومات السالفة التي تعاقبت على هذه الديار فلا يضيع الفرصة السانحة بعد لابقاء بقية تراث الأجداد في هذة البلاد حتى تحيا حياة طيبة وتفتخر بحاضرها افتخارها بغابرها فان الأمم تعيش بمعنوياتها كما تعيش بمادياتها .

* * *

ميزانية عام ١٩٢٢

دينار سوري	الموظف	
٥٠	الرئيس	
١١٦	عضو	٤ — ٢٩
٥	ضمائم باسم نائب	٥
١٥	كاتب	
١٧	مدير المكتبة	
٢٤,٥	مدير المتحف	
٩,٥	مناول	
٢٢	آذن	٤ ٥,٥

نفقات سنة ٩٢٢

ليرة سورية	
٥٠٠	شراء كتب واشتراك مجلات وتجليد
٨٠٠	نفقات المجلة وطبع المخطوطات
١٥٠	مكافأة الكتاب المجيدين
٢٠٠	محروقات وتنويرات ومتفرقة
٢٠٠	مفروشات
٥٠٠	تعميرات
٥٠٠	شراء آثار

. . .

ميزانية عام ١٩٢٣

دينار سوري	الموظف	
٧٠	الرئيس	
٢١٠	عضو	٦ — ٣٥
١٥	كاتب	
٢٥	مدير المكتبة	
٢٥	مدير المتحف	
١٠	مناول	
٢٢	آذن	٤ ٥,٥
٢٥	وكيل مدير المكتبة والمتحف بحلب	
١٥	معاون	
١٠	مناول	
١١	آذن	عدد ٢

نفقات المجمع في دمشق عن سنة ١٩٢٣

ليرة سورية	
٥٠٠	شراء كتب واشتراك مجلات وتجليد
١٠٠٠	نفقات المجلة وطبع المخطوطات وفهرس دار الكتب

ميزانية عام ١٩٢٢		ميزانية عام ١٩٢٣
	٤٠٠	مكافأة المجيدين من المؤلفين والمحاضرين والكتاب والشعراء
	٢٠٠	ثمن آلتين كاتبتين عربية ولاتينية
	٢٠٠	محروقات وتنويرات ومتفرقة
	٢٠٠	مفروشات
	٥٠٠	تعميرات منها ترميم قبر الملك العادل وقبته
	٥٠٠	للآثار
	ليرة سورية	
	٥٠٠٠	لشراء كتب وآثار لداري الكتب والآثار بحلب
	٦٠٠	نفقات تأسيس من مثل الخزائن والمقاعد والفرش وغيرها
	٤٠٠	نفقات تنقل بعض رجال المجمع لتأسيس الدارين المذكورين

• • •

إليك أيها السيد السند تاريخ هذا العمل العلمي النافع وتركيبه ومراميه والطرق إلى النهوض به حتى يبلغ مستوى مجامع الغرب وفي يقيني ويقين المفكرين من الوطنيين ان الامه لا تضن عليه بما تقوى به كلمته ويعم القطر فائدته ورأيكم العالي الموفق بحول الله وحسن تسديده .

خلاصة اعمال المجمع

في هذه السنة

جلساته — عقد المجمع جلسات خاصة يومية يحضرها أعضاؤه العاملون الموظفون منذ أول السنة إلى نهايتها عدا أيام التعطيل . وجلسات خاصة أسبوعية يجتمع فيها أعضاؤه العاملون غير الموظفين وعدد من المدعوين من العلماء والأعيان دارت فيها أبحاث كثيرة بشأن اصلاح لغة الكتّاب والأوضاع العصرية مما اقترح عليه ولن يزال متابعاً العمل الذي نشر كثيراً منه في المجلات والجرائد ولم يقيض له نشرها كلها في مجلته لضيق نطاقها وكثرة موادها . وكذلك اشتغل أعضاؤه الموظفون العاملون باصلاح كثير من الكتب ومراجعة بعض المطبوعات التي عرضت عليه وضبطها على المخطوطات التي في المجمع والظاهرية وقرر أشياء كثيرة سيأتي وصفها وقرر اقتراح الأمير شكيب أرسلان أحد أعضائه بشأن قبول الأعضاء المنشور في صفحة ٢٥١ من هذا المجلد . واقتراح الأمير جعفر الحسني مدير متحفنا الوطني وهو دعوة أرباب العلم والفضل لحضور الجلسات العامة في كل أسبوع . واجازة بعض مكاتبي المجلة والمحاضرين في ردهة المجمع بجوائز مالية والنظر في قانون المجمع . واطلع على رسائل المستشرقين . واقتراح الأستاذ جرجي يني وهو اعطاء شهادة لأعضاء المجمع تثبت عضويتهم واجابة السائلين والمستفتين عن أمور لغوية وعلمية وتاريخية . الخ

أعضاؤه — ترك دمشق في هذه السنة في السادس من شهر أيار الشيخ سعيد الكرمي أحد أعضائه العاملين الموظفين لتعيينه قاضي القضاة في ما وراء الاردن ولم يعين خلف له بعد . وانضم إليه من الأعضاء العاملين غير الموظفين (الـكافليير) عبد الله بك رعد رئيس صيادلة الاسعاف العام في دمشق وهو من المتضلعين من اللغة الحبشية وكان كفيله السيد عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع فعرف به الحاضرين وتلا العضو الجديد خطاباً في (موافقات العربية والحبشية في الاشتقاق والاصول) وذلك في ١٣ ايلول سنة ١٩٢٢ وانتخب كل من المسيو دافيد لوپس من علماء المشرقيات في مدينة لشبونة والاساتذة

رفيق بك العظم والشيخ أحمد الاسكندري في القاهرة والشيخ عبد الله البستاني في بيروت ثم السيد سليم الجندي في دمشق في ٢٧ ايلول فعرفه كفيله السيد محمد كرد علي رئيس المجمع وتلا المنتخب خطاباً (في اللغة واتساعها) .

وفي ٨ ت ٢ قبل السيد جرجي يني المؤرخ الطرابلسي عضواً مراسلاً لمجمعنا وتلا كفيله الشيخ المغربي سيرة حياته . والسيد سلوم مقالة المنتخب في (آثار مدينة طرابلس الشام) .

زوار المجمع والمتحف والمكتبة – كانوا كثيرين في هذه السنة وفي ما دوّنوا في سجلي الزيارة المحفوظين بالمعهدين برهان على أنهم من كبار العلماء ووجهاء القوم في أقطار مختلفة بين اوربيين وأمركيين ومصريين وسوريين .

المحاضرات – في أول العام لم يتسنّ لنا تدفئة ردهة المحاضرات فلذلك انقطعنا عن القائها مدة الشتاء ولأسباب أخرى أوقفناها في أثناء الربيع والصيف إلى أن أدفأنا الردهة وزالت الأسباب فاستأنفنا القاء المحاضرات مرة أو أكثر في كل أسبوع بعد أن كانت تلقى في الماضي مرة في كل أسبوعين وهذه هي المحاضرات التي ألقيت في أثناء هذه السنة عندنا وستنشر في المجلد الثالث :

(١) ألقى الأستاذ كميل أنلر الاثري الفرنسي محاضرة جميلة في (الأبنية الصليبية) في سورية وفلسطين وقد مثّل الأبنية بالفانوس السحري وذلك باللغة الافرنسية فعرب كلامه الدكتور ابراهيم المعلوف في وصف تلك الأبنية وأشكالها الهندسية وطراز بنائها وعرّف الناس به بسرد سيرته ومؤلفاته السيد عيسى اسكندر المعلوف أحد أعضاء مجمعنا وذلك بعد ظهر الأحد في ٢٢ ك ٢ سنة ١٩٢٢

(٢) في شهري تموز وآب كانت ردهة المجمع مخصصة لالقاء المحاضرات والدروس على طلبة المدارس الوطنية وأساتذتها ثلاث مرات في الاسبوع مثل كل عام والمحاضرون هم أساتذة تلك المدارس .

(٣) ألقى الشيخ عبد القادر المبارك من أعضاء المجمع العاملين غير الموظفين محاضرته (الاجتماع والأخلاق) الساعة الرابعة من يوم الجمعة في ٦ تشرين الأول سنة ١٩٢٢ م وكان الحاضرون أكثر مما كانوا في السنين الماضية باضعاف حتى غصت بهم القاعة على

رحبها وهكذا كانوا في سماع كل محاضرة .

(٤) والسيد عيسى اسكندر المعلوف محاضرته بعنوان (كيف تحقق الآثار القديمة التاريخ) في مثل تلك الساعة من يوم الجمعة في ١٣ تشرين الأول .

(٥) والشيخ عبد القادر المغربي محاضرته (طرفة أدبية) يوم الجمعة في ٢٠ تشرين الأول .

(٦) والسيد أنيس سلوم محاضرته (الكتب والمطالعة) يوم الجمعة في ٢٧ ت١

(٧) والسيد فارس الخوري عضو مجمعنا القسم الأول من محاضرته (أصول الاتحاد) يوم الجمعة في ٣ تشرين الثاني .

(٨) والشيخ عبد الرحمن سلام محاضرته (الشعراء وحرفة الأدب) يوم الجمعة في ١٠ ت٢

(٩) وفارس بك الخوري الموما إليه القسم الثاني من محاضرته (أصول الاتحاد) يوم الجمعة في ١٧ ت ٢

(١٠) وفوزي بك الغزي من أساتذة معهد الحقوق محاضرته (الاخلاق والحقوق الدولية) يوم الجمعة في ٢٤ ت ٢

(١١) والشيخ سعيد مراد الغزي من أساتذة الحقوق محاضرته (المرأة في ادوارها التاريخية) الجمعة في اول كانون الأول

(١٢) والسيد سعيد مراد الغزي هـــذا محاضرته هذه على السيدات وحدهن يوم الاثنين في ٤ ك ١

(١٣) والسيد محمد كرد علي رئيس المجمع محاضرته (خلاصة اعمال المجمـع العلمي واقوال العلماء فيه) يوم الجمعة في ٨ ك ١ وهي المنشورة في صدر هذا الجزء

(١٤) والشيخ المغربي الآنف ذكره (صفحة من تاريخنا الاجتماعي) يوم الجمعـة في ١٥ ك١

(١٥) والدكتور شاربى الفرنسي ضيف دمشق محاضرة في (ترقي الطب والصيدلة في فرنسة) باللغة الافرنسية على الاطباء والصيادلة وطلبة المدرسة الطبية بفروعها يوم الأحد في ١٧ ك١

(١٦) والسيد المعلوف محاضرته (صناعات دمشق القديمة) يوم الجمعة في ٢٢ ك ١

(١٧) والسيد محمد كرد علي محاضرته في (مصانع الشام وهندستها) يوم ٢٩ ك ١

مقالات المجلة – جاءتنا مقالات عديدة للمجلة من كثير من الكتاب الكرام والعلماء الاعلام فحال ضيق نطاقها وكثرة موادها عن نشرها وسننشرها تباعاً ان شاء الله تعالى شاكرين لمن أتحفنا بها عنايتهم بخدمة الأدب . اما (مقالة الاعلام بمعاني الاعلام) لأحد اعضاء المجمع الشيخ الكرمي فقد انقطعنا عنها بعد سفر صاحبها .

وكذلك كتاب الازمنة لقطرب الذي بدأنا بنشره في الجزء الثاني وتوقفنا عنه لاضطراب في اصله كما اعتذرنا في صفحة ٩٥ من هذا المجلد .

الجوائز – قرر مجمعنا في جلسته العامة ان يجاز بعض المحاضرين والكتاب الذين يؤازرون المجمع والمجلة بطريقة مطردة فاجاز حضرة الاب انستاس الكرملي في بغداد بخمس وعشرين ليرة سورية وكلا الشيخين عبد الرحمن سلام وعبد القادر المبارك في دمشق بخمس وعشرين ليرة سورية أيضاً وسيجيز غيرهم بما يراه مناسباً . وقد استفزت الحمية بعض الوطنيين إلى مجاراة المجمع في ذلك فارصد خالد بك العظم من أعيان دمشق بواسطة مجمعنا جائزة مالية قدرها خمسون ليرة سورية لمن يؤلف أحسن كتاب في التربية فيه أحدث النظريات بشروط أهمها أن يوكل إلى المجمع النظر في الكتاب الممتاز . وكل من محمد سعيد بك اليوسف وفخري بك البارودي فالأول قدم خمساً وعشرين ليرة عثمانية ذهباً لتأليف كتاب في (تقدم البلاد السورية) والثاني ثلاثين ليرة سورية لتأليف كتاب في تسهيل الهجاء على المبتدئين فقرر المجمع في جلسته الاسبوعية المنعقدة في ١٧ ت٢ ان تقدم المؤلفات الثلاثة بعد عشرة اشهر اي في اول ايلول القادم سنة ١٩٢٣ م بهذه الطريقة وهي ان يضع كل مؤلف اسماً مستعاراً على كتابه ثم يضع على ورقة في غلاف مغلق عليه ذلك الاسم المستعار وضمنه الاسم الحقيقي حتى إذا استحق الجائزة عرف اسمه الحقيقي والاخرون تكتم اسماؤهم في الغلاف ويوكل النظر فيها للجنة خاصة يعينها المجمع العلمي ويؤمل ان يكون المتبارون في هذا المضمار ممن درسوا الموضوع الذي يؤلفون فيه درساً دقيقاً كاملاً وسبكوه بعبارة فصيحة بتنسيق عصري . وقد نشرت اعلانات عن هذه المباراة في جميع صحف سورية ولبنان .

الهدايا ـ لاتزال الهدايا تتوالى على مكتبة المجمع والمتحف من كرام القــــوم في الشرق والغرب فما أهدي إلى المكتبة في أثناء هذه السنة باللغات الشرقية والغربية ٧٨٣ مجلداً بين مخطوط ومطبوع وبينها بعض هدايا خاصة ذكرنا بعضها في مجلد هــــذه السنة صفحة ٩٣ و ١٢٨ و ٢٢٢ و ٢٢٣ وفي باب المطبوعات في أجزاء متعددة وارجأنا الباقي إلى السنة القادمة

ومما لم يذكر هناك ست رسائل في الشعر والأدب والتاريخ اهداها جرجي افندي نقولا باز وثلاثة مجلدات هدية زكي بك مغامز وثمانية عشر مجلداً معظمها مخطوطات نفيسة اهداها حضرة السيد عزة بك العظم . وكتاب طبي عربي اهداه الدكتور حبيب قشيشو وستة عشر كتاباً من مطبوعات العرفان في صيداء وعدد غير قليل من كناشات المرحوم الشيخ طاهر الجزائري معظمها من تذكرته المشهورة وتعاليقه اتحفنا بها ابن اخيه ابراهيم بك. فنشكر للمهدين اتحافهم مكتبتنا بنفائس مؤلفاتهم وسنصفها كلها في ما يأتي ان شاء الله ببسط واف .

واهدي إلى متحفنا بعض آثار ذكرنا بعضها في صفحة ١٩٢ من هذا المجد ونذكر الباقي بحسب وروده فمن ذلك وسام تركي اهداه دولة حاكم دمشق حقي بك العظم والسيد اسعد كرم في مكناس من مراكش بعض نقــــود ضرب مكناس ١١١٤ هـ والشيخ أحمد رضا في النبطية من أعضـــاء مجمعنا سواراً قديماً وقطعتين من المسكوكات القديمة . والسيدان نجيب وشكري سكر من دمشق واجهة خزانة خشبية من صنع دمشق منذ قرنين مجصصة ومنقوشة باصباغ . فنثني على غيرتهم .

اصلاح الكتب ونحوها ـ شرع مجمعنا باصلاح بعض المخطوطات واعدادها للطبع فحال دون امنيته عدم وجود نسخ ثانية لمعارضتها ووجود اغلاط فيها لايمكن تلافيها بدون معارضة ، واشتغل بوضع اصطلاحات الرياضة البدنية بالعربية . ويصلح (ارشاد الدارس) للنعيمي معارضاً إياه بنسخة بخط ابن المؤلف

واما أهم الكتب التي اصلحها كل من الاعضاء فهي كما يأتي :

(الشيخ سعيد الكرمي) اصلح الجزء الرابع من دروس الهندسة للصف السادس تأليف السيد وحيد ايبش

(الشيخ عبد القادر المغربي) اصلح طائفة من كراريس الدروس التي يلقيها بعض الاساتذة في معهدي الحقوق والطب والجزء الرابع من دروس الزراعة للصف الخامس تأليف السيد وحيد ايبش

(السيد انيس سلوم) اصلح مبادىء اللغة العربية للسيد محمود الكرمي و (دروس الزراعة) لايبش و (الرياضة البدنية) للسيد عبد الهادي استاذ مدرسة التجهيز و (فن الاخلاق والمعلومات المدنية) للسيد عبد الفتاح ملحس مدير نموذج البحصة و (الدروس الاخلاقية له أيضاً و (التاريخ العام) للسيد عارف التوام

(السيد عيسى اسكندر المعلوف) اصلح قسماً من كتاب الجراحة للدكتور أحمد بك راتب بمساعدة الدكتور مرشد خاطر . والجزء الثاني من دروس الزراعة للصف الثالث تأليف السيد ايبش الآنف ذكره

اجوبة العلماء والمستشرقين

صورة عن كتاب العلامة السيد سنوك هورغرون من أعضاء المجمع العلمي في مدينة ليدن في هولانده بنصه العربي

ليدن في ٢٨ ت ١ سنة ٩٢٢

سيدي

قد استلمت مشرفكم المؤرخ في ١٤ الشهر الجاري وتأسفت كثيراً لما يحتوي عليه من العتاب لاسيما لان ذلك العتاب حق عليَّ ومابقي لي غير الاقرار بالتقصير وطلب العفو منكم عن سكوتي المفرط والترجي منكم ان تقبلوا عذري لاني في السنة الماضية المدرسية كانت موكولة اليَّ مشيخة الكلية Rectorat de l'Uuiversité فلزمت علي مع كبر عمري جملة وظائف متعبة خارجة عن العادة فبالاضرار تركت اكثر ماوجب علي من المكاتبة الخاصة بنية مجرد التأخير ثم صدق في المثل لاتؤخر عمل اليوم إلى غد فان المؤخر زاد علي إلى مقدار يؤيس من الالحاق مرة واحدة وإلا فقد قبلت انتخابي

عضو شرف لمجمعكم بغاية التشكر وكلما وصلني عدد من مجلتكم قرأته مستفيداً وفرحت بما رأيت فيه من صالح الاجتهاد في خدمـــة العلوم العربيـــة الشريفة لا سيما مقالاتكم وانتقاداتكم ياسيدي صارت لي من أدلة الهدى وافتخرت بكوني عضواً من أعضـــاء المجمع العربي العزيز وان تيقنت عـــدم استحقاقي ذلك بعملي وبعلمي فنسبت تحصيلي لذلك الشرف إلى ماشتهر من محبتي ومن تشريفي للعلوم العربية فقط والفضل كله لكم ولمجمعكم . وأطلعت طلاب العلم العربي من أهل بلادي على أعداد المجلة وبينت لهم انها علامة احياء العلوم الشرقية ،معجزة في جنسها مسكتة لمن ينكر استمرار التمدن العربي واوضحت لهم عدم قدرة احدنا على تصنيف مقالة من مقالاتها ولو استغرق عمره في طلب علوم العرب واعتقادي هذا هو المانع لي من الاشتراك في عملكم لاني في الآداب العربية بالطبع مقتصر على درجة التقليد وليس من دأبي التجول في ميدان لست من فرسانه ففي هذا المذكور كفاية لاعتذاري وتيقنوا ان سكوتي ليس من قلة الاكتراث أو من قلة الشكران وكذلك من يوم تشريفكم داري بالزيارة لم ازل مشتاقاً إلى الاجتماع بكم متندماً على قلة ساعات التأنس بكم والاستفادة منكم لازلتم لي محباً ولعثراتي ساتراً سيدي

★ ★ ★

وكتب الينا المسيو فرّان الوزير المفوض أحد أعضاء الجمعية الآسيوية في باريس بمناسبة انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق من كتاب يقول :

تعلمون القيمة التي اقدرها للتعاون بين العاملين في الشرق والغرب . ان الشرق والغرب الذين طالما أخذ احدهما عن الآخر افكاراً كثيرة قد خلقا للتفاهم والصداقة الفرنسوية السورية القديمة هي سبب آخر لتكون دمشق وباريز على اتصـــال صميمي وتظلا كذلك .

وجاء في كتاب آخر منه أيضاً ماتعريبه : اننا احتفلنا جهد الطاقة بالعيد المئوي للجمعية الآسيوية واني لآسف كل الأسف لانكم لم تأتوا لتكثروا سوادنا إذ كان مقامكم معينـــاً في محل لائق ولكن دمشق بعيدة عن باريز وأرى أن الأحوال لاتسمح بسياحة جديدة.

• • •

الموشحات الاندلسية

– رأي فيها –

عن كتاب الذخيرة في شعراء الجزيرة لابن بسام المخطوط

فصل في ذكر ابي بكر عبادة بن ماء السماء قال :

سلك إلى الشعر مسلكا سهلا فقالت له غرائبه مرحباً واهلا وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الاندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها ، غير مرقومة البرود ، ولامنظومة العقود ، فاقام عبادة هذا منآدها ، وقوم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالاندلس الا منه ، ولا أخذت إلا عنه .

وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا فيما بلغني محمد بن محمود العمري الضرير وكان يضعها على اشطار الاشعار غير ان اكثرها على الاعاريض المهملة غير المستعملة باخذ اللفظ الفارسي والعجمي فيسميه المركز ، ويضع عليها الموشحة دون تغيير فيها ولا اغصان وقيل ان ابن عبد ربه صاحب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات .

ثم نشأ يوسف بن هرون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكز يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة ، فاستمر على ذلك شعراء عصره كمكرم بن سعيد وابن ابي الحسن. ثم نشأ عبادة فاحدث التضفير وذلك انه اعتمد على مواضع الوقف في الأغصان فيضعها كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز

واوزان هذه الموشحات خارج عن غرض كتابنا هذا إذ أكثرها على غير اعاريض اشعار العرب .

اخبرني الفقيه أبو بكر بن العربي عن الفقيه ابي عبد الله الحميدي قال اخبرني الفقيه ابو محمد علي بن أحمد بن حزم ان ابا بكر عبادة كان حياً في صفر سنة ٤٢١ اه

آراء الأعضاء

ورد في رسالة للعلامة الاب انستاس الكرملي أحد أعضاء مجمعنا المراسلين في بغداد نشرت في مجلة المجمع ان كلمة هنباط محرفة عن كلمة امبراطور أو أن لها علاقة بها أو هي منحوتة عنها اه .

وعندي انها كلمة يونانية مستقلة الأصل Pypatos وعلامة الهمزة عليها ، جعلت حرف y يلفظ حلقياً فأصبحت Hypatos . وفي الأصل هي حرف الجر yper ومعناه « على » وهذه تصبح بصيغة التفضيل (e) Hyperteros ومعناها « أعلى » وتصبح بصيغة المبالغة Hypertatos ومعناها « العلي الأعلى » ولهذه صيغة أخرى شاذة هي Hypatos ومعناها « العلي الأعلى » وقد وردت في هوميروس Zcvs hypatos Théon ومعناه بالفرنسوية Jupiter est le chef des Dieux وتعريبها جوبيتر رئيس الالهة ووردت أيضاً في كثير من مؤلفات اليونان القدماء وقد جاء في قاموس سكرلاطوس بيزانطيوس المستند في كثير من شروحه على القاموس الكبير المسمى « الكنز » لواضعه هنريكوس استيفانوس المطبوع في باريز في شرح كلمة Hypatos هذه العبارة وهي تنفي كل شبهة في الموضوع حيث يقول بالحرف الواحد: ان الرومان كانوا يلقبون رئيس الجمهورية الرومانية Hypatos حاذفين منها كلمة Arkhon ومعناها بالفرنسوية Chef ou Prèsident للاختصار وقال انهم كانوا يلقبون بها القنصل Consul وكانت هذه للدلالة على رئيس الجمهورية عندهم فكلمة Hypatos إذاً معناها أعلى موظف في حاكمية الجمهورية .

قرأت أيضاً في محاضرة ألقيت في المجمع العلمي عن اللغة الحبشية ونشرت في مجلته

ان كلمة « انجيل » حبشية أصلها وانكل وانها مشتقة من مصدر ونكل ومعناه بشر ، وكلنا يعلم حتى هذه الساعة انها كلمة يونانية مركبة من أداة F ٧ ومعناها « جيد وحسن » ومن مصدر Anguello اي اعلن او اخبر او بشر و Anguello هذه أصل اشتقاقها من مصدر Ago ومعناه همّ بالذهاب او مشى او سعى او بعث ومن Anguelle اشتق Anguellos ملاك بمعنى نجاب او رسول موفد لينبىء بارادة

الخالق . وفضلاً عن ذلك من المعلوم ان ثلاثة من أربعة الاناجيل وهي انجيل متى وانجيل يوحنا وانجيل لوقا كتبت باللغة اليونانية والانجيل الرابع كتب باللغة السريانية لابالحبشية وانتشرت الديانة المسيحية في مهدها باللغة اليونانية والسريانية وعلى الاخص بسعي بولس الرسول الذي كان يبذل جهده لنشرها شفاهاً بخطبه وكتابةً برسائله وكل ذلك باليونانية فكيف يصح ان اليونان أو الرومان أخذوا اسم الانجيل عن الحبشية . وفي الأصل كلمة انجيل معناها الهدية التي ينالها المبشر بخبر سار . وقد طالعت معاجم كثيرة يونانية ولاتينية وافرنسية وانكليزية والمانية وكلها مجمعة على ان كلمة انجيل Evanguélion مشتقة من اليونانية وانها مركبة من EV ومن Anguello

دمشق : احد اعضاء المجمع العلمي
الياس قدسي قنصل البورتغال

• • •

مطبوعات حديثة

فهرست

اسماء الكتب المخطوطة في خزانة المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية بعاصمة رباط الفتح المحروسة طبع على نفقة محل ارنست لورو بباريز سنة ١٩٢١ ص ٣٧٨

اهدى الينا مؤلف هذا الفهرست المسيو ليفي بروفنسال Lévi - Provençal نسخة من هذا الكتاب وصف فيه ٥٤٤ مخطوطاً عربياً في فنون مختلفة من تفسير وحديث واصول وفقه وشعر وأدب وطب وفلك ورياضيات وطبيعيات وقصص ورحلات وصفاً حسناً باللغة الافرنسية مستنداً في بعض وصفه على من سبق من الذين عنوا بهذا الشأن ووصفوا كتب تلك الاقطار وصفاً ممتعاً وقد ذكر من نوادر هذه المكتبة مخطوطات في الأدب والتاريخ ومنها ماله علاقة بمراكش مثل المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور السعدي لابي العافية المكناسي المشهور بابن القاضي والتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من اخبار اعيان أهل المائة الحادية والثانية عشر (عشرة) لابي عبد الله محمد بن الطيب

ابن عبد السلام القادري الحسني والبدور الضاوية في مناقب أهـــل الزاوية للحوّات والروض العاطـــر الانفاس في اخبار الصالحين من أهل فاس للحسني وزهر الأكم في الامثال والحكم لليوسي والنخبة العليا من أدب الدين والدنيا لابن ليون التجيبي وشمس العلوم لنشوان الحميري وشرح الشعراء الستة الجاهلية للاعلم الشنتمري الاندلسي ولابن خروف الاندلسي وشرح ديوان المتنبي للافليلي والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس من شعراء المائة الثامنة وهم مائة شاعر وشاعر لسان الدين بن الخطيب وجمهرة الانساب لابن حزم وتقويم الأدوية فيما اشتهر من الاعشاب والعقاقير والاغذية ليوحنا بن بختيشوع والمستعيني في الطب لابن بكلارس الاسرائيلي . وفي الحقيقة ان هذه الكتب نادرة ومنها ماهو جدير بالطبع جزى الله الدال اليها خيراً م . ك

التزوير الخطي

بمطبعة الهلال في مصر سنة ١٩٢٠ صفحة ١٥٢ بقطع ربع

هو كتاب فني عملي فيه مئات من التواقيع والاختام لتطبيق الفن عليها يعد الأول من نوعه وضعه خطاط عظمة سلطان مصر المحامي نجيب بك هواويني الدمشقي المشهور بخطه الانيق . وفيه أمثلة كثيرة وقواعد لاكتشاف التزوير ومباحث في أصول الخطوط ومميزاتها واركانها وصورها وعلى الجملة فان هذا الكتاب هو من أنفع الكتب التي ظهرت في هذا الباب وثمنه خمسون غرشاً مصرياً يطلب من مؤلفه في مصر الذي نشكر له هديته ونرجو لكتابه رواجاً

الزراعة العملية الحديثة

بمطبعة حكومة دمشق سنة ١٩٢٢ في ٦٠٤ صفحات بقطع ربع

وهو مجموع الدروس التي القاها مؤلفها الأمير مصطفى الشهابي مدير الزراعة والاحراج في دمشق على طلبة مدرسة الغوطة الزراعية لخص فيها فن الزراعة العامة والخاصة مع تطبيقاته العملية في البلاد السورية فجاء كتاباً ممتعاً حسن التنسيق والتبويب وزينه بالرسوم المتقنة وضمنه فوائد كثيرة استرسل فيها إلى تاريخ الزراعة وآلاتها وطرقها عند الامم القديمة فاجاد وافاد ورسم مع اسماء النباتات العربية اسماءها بالافرنجية وعرّب بعض

الاصطلاحات مما لايخلو من نظر قليل فيه لبعده· أحياناً عن مرمى الاشتقاق اللغوي والدقة في التعريب ولتعبيره بالألفاظ العامية ولكنه مع هذا ضمن الكتاب فوائـــد يحتاج اليها كل زارع وطالب لهذا الفن وثمن النسخة مائة قرش سوري فنحث على اقتنائه ونشكر له همته وهديته

علم الصحة

بالمطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٢٢ في ٧٢١ صفحـــة بقطع ثمـــن

ان المدارس والبيوت بحاجة كبيرة إلى كتاب في (علم الصحة) وما يجب اتخاذه لحفظها واعادتها وتقويتها لان (العقل السليم في الجسم السليم) فاستفزت الحمية حضرة الوطني أمين بك الجميل لوضع كتاب مطول فيها صدّره بمقدمة نفيسة في غاية علم الصحة ورقيه العجيب بفضل باستور الفرنسي وتلاميذه وانقراض الاوبئة وتناقص الوفيات واطالة معدل الحياة باحثاً في الجراثيم المرضية والارض والماء والهواء والمأكل والمشروب والمسكن والملبس ومايجب في كل منها من اتخاذ الذرائع الواقية ودفع الامراض الزرعية[١] أو الوافدة . والنظافة وفائدتها إلى أشباه هذه المباحث الرائعة . التي نشرها أولا في جريدة البشير البيروتية ثم جمعها على حدة وفي الكتاب رسوم لكثير من المباحث تمثل الاشياء للعين لتشارك العقل في الفهم والرسوخ في الذهن . وهناك أوضاع لاشياء حديثة من المسميات الطبية والصحية عرب بعضها باوضاع مناسبة وبعضها لاينطبق كل الانطباق على المعرب وبقي الآخر على عجمته لان التعريب شاق في هـــذه الايام لكثرة المصطلحات العلمية والفنية الاجنبية وعدم التسهيل والوقوف على مايرادفها في معجماتنا العربية الواسعة .

فنشكر الدكتور هديته المفيدة هذه ونحث المدارس والبيوت والمعاهد على اقتناء هذا الكتاب وتعميم نشره لتعميم نفعه الكثير

عيسى اسكندر المعلوف

(١) مرادنا ما كان من الامراض غير وافد ويسميها الاطباء الامراض (غير الوافدة)

رسالة في الأخلاق

اهدى إلينا الشيخ محمد نديم الملاح احـد اساتذة المدارس في القدس الشريف رسالة له في الأخلاق وآداب الاسـلام دعاها « انموذج الفضائل الاسلامية » وهي تبلغ ثلاثاً وخمسين صفحة حسنة الورق والطبع والضبط. وقد أتى فيها على ذكر اثنتي عشرة فضيلة من أمهات الفضائل الاسلامية وخص الفضيلة الحادية عشرة باصول العبادات في الاسلام والفضيلة الاخيرة بما ورد من الحث على مكارم الاخلاق والخاتمة في اسـرار ماورد تحريمه في الدين الاسلامي. والرسالة متينة الانشاء فصيحة العبارة فنشكر للمؤلف عنايته وهديته ونلفت إليها انظار المربين والمعلمين .

أربعون حديثاً

واهدى إلينا حضرة الفاضل السيد محب الدين الخطيب كتيباً لطيف الحجم تضمن اربعين حديثاً في موضوعات مختلفة رواها شيخ الاسلام احمد بن تيمية عن اربعين شيخاً من كبار شيوخه والكتاب مما عني بنشره المطبعة السلفية غب ان صححه ووقف عـلى طبعه احد صاحبيها المهدي الموما إليه . قال : ومن مزايا هذه الأحاديث ان جامعها الشيخ ابن تيمية روى كل حديث منها عن واحد من شيوخه فالكتاب قد حفظ لنا أسماء اربعين شيخاً منهم بينهم اربـع شيخات :

(١) الشيخة الصالحة ام الخير ست العرب الكندية المتوفاة سنة (٦٨٤) هجرية

(٢) الشيخة الجليلة الأصيلة ام العرب فاطمة بنت علي بن عساكر (٦٨٣)

(٣) الصالحة العابدة المجتهدة ام احمد زينب بنت مكي (٦٨٨)

(٤) الشيخة الصالحة ام محمد زينب بنت احمد المقدسية (٦٨٧)

والكتاب حسن الطبع وافر الضبط ككل ما تنشره المطبعة السلفية فنشكر للمهدي عنايته بابراز هذا الأثر النفيس ونلفت إليه انظار اهل الفضل وعلماء الحديث

اساس البلاغة للزمخشري

طبعة جديدة له

عمد رواد الكسب من تجار الكتب إلى هذا الكتاب فطبعوه منذ سنين طبعاً

لايتفق مع واسع شهرته وجزيل فائدته وتقدمه على اخوته وهو الكتاب الذي قال فيه مؤلفه :

« لم تزل نعام القلوب إليه زفافة . ورياح الآمال حوله هفافة . وعيون الأفاضل نحوه روامق . وألسنتهم بتمنيه نواطق » فجاءَ سقيم الطبع . كثيرالغلط . وافرالتحريف . وقد شاركه في حسن حظه من حيث التقدم والترجيح . وسوء حظه من حيث عدم العناية في الطبع والتصحيح كتاب (المزهر) للسيوطي و « العقد الفريد » لابن عبد ربه و « الأغاني » الاصفهاني . وربما كان هناك كتب منجنسها أضاع الطبع فائدتها . وأفسد ثمرتها . وشوّه نضرتها . وبينا أهل الأدب وأنصار اللغة ينتظرون اعادة طبع هذه الكتب طبعاً وافي التصحيح . كامل الضبط . أعلنت نظارة المعارف المصرية عزمها على طبع «أساس البلاغة» طبعاً متقناً بمشارفة طائفة من أهل الفضل والأدب . ثم لم تلبث ان أتمت طبع جزئه الاول . وقد أهدت إلينا أمس نسخة منه : تصفحناها فراقنا منها حسن طبعها . ودقة صنعها . وجودة طرسها . وفحومة نقسها . وهي بالقطع الكامل . وكل صفحة من صفحاتها مقسومة إلى عمودين متوازيين . والكلمات معظمها مضبوط بالشكل . وقد فسح بين الجمل ببياض أو بنقط أو بعلامات أخرى . فكان طبع هذا الكتاب على هذه الصورة محققاً لأمنية المتأدبين . مطمعاً لهم في ان تطبع بقية كتب الادب على هذا الطراز الثمين . فالمجمع يشكر للنظارة المشار إليها هديتها . وعنايتها بالادب . ويلفت أنظار الادباء إلى ذلك الكتاب النفيس المغربي

كتاب وميض الروح

هو الجزء الاول من مؤلفات فقيد الادب والتمثيل المرحوم محمد بك تيمور جمعه شقيقه الفاضل محمود بك تيمور وصدره برسالة ذكر فيها تاريخ حياة الفقيد وأعماله ومؤلفاته وضمنه شعره ونثره وقد قسمه إلى خمسة كتب الاول ديوان تيمور والثاني الوجدان والثالث الادب والاجتماع والرابع ماتراه العيون والخامس الخواطر والسادس مذكرات باريس وقد تصفحنا هذا الكتاب فشاقنا ما فيه من الشعر الرقيق الجامع بين بلاغة القديم وطلاوة الحديث والمقالات البديعة في موضوعات شتى من أدبية واجتماعية

ووجدانية وتاريخية ولغوية وروايات تمثيلية وغيرها مما أجاد فيه المؤلف كل الاجادة وجمع بين الابهاج والافادة فنحن نكرر أسفنا على شبابه الغض ونثني على شقيقه الماجد لاهتمامه بجمع آثاره وحفظ تذكاره ونحض اشراف الامة وشبانها على مطالعة هذا الكتاب المنتخب والاقتداء بمؤلفه في الاشتغال بخدمة الادب واضافة شرف العلم إلى شرف النسب .

أنيس سلوم

شكر للعلماء والأدباء والصحف

نثني الثناء العاطر على غيرة العلماء الاعلام في الشرق والغرب من أعضاء مجمعنا وغيرهم الذين وازرونا بآرائهم السديدة وأمدونا بافكارهم الدقيقة وأحسنوا الظن بنا باقتراحهم علينا أشياء ارتأوها واستفتائنا بامور لم يجهلوها مما زادنا نشاطاً في العمل وتجدداً في الهمة الوانية ونخص بذلك أرباب المراسلات والمقالات والمحاضرات والهدايا والذين حضروا جلسات المجمع العامة واشتركوا بالمباحثات وتبادل الآراء وشهدوا المحاضرات باوقاتها ووازروا المجلة بالاشتراك والمراسلة ونشروها بين أصدقائهم

ثم نخص المجلات والصحف التي نشطت المجمع باستحسان أعماله وخطته وخدمته للغة والوطن ودافعت عنه دفاعاً حسناً وتناقلت مقالات مجلته واثنت على منهجها الوطني. وبادلتنا باجزائها تباعاً واهدتها إلى المكتبة العامة ليطالعها المختلفون إليها من وقت إلى آخر .

رجـــاء

«١» رجونا غير مرة من اعضاء المجمع في الشرق والغرب إتحافنا بتراجمهم ورسومهم فلبى نداءنا قسم غير قليل وبقي الآخرون معرضين عن اجابة النداء فلا نخالهم هذه المرة الا متكرمين بسيرهم وصورهم لننشرها في المجلة ونحفظها في سجل المجمع

«٢» لنا ملء الثقة بكل من يطلع على كتب مخطوطة نادرة ولاسيما ما اعلنا عنه في اثناء هذه السنة ان ينبئنا بها لنعارضها بما عندنا وننشرها مطبوعة خدمة للغة وآدابها .

«٣» نرجو من كل محاضر او خطيب ان يقدم نسخة مما القاه في ردهة المجمع الكبرى لتحفظ وتنشر في الوقت المناسب

«٤» تقبل المجلة المقالات اللغوية والتاريخية والادبية والعلمية والعمرانية والاجتماعية وتعرضها على الاعضاء الحاضرين في الجلسات العامة فاذا وافقوا على نشرها نشرتها وما تأخر منها لكثرة المواد وضرورة تقديم بعضها لا يهمل امره بعد ذلك بل ينشر تباعاً وما لا ينشر لا يعاد إلى مرسله .

ختام المجلد الثاني

نحمد الله تعالى الذي قيض لنا بعنايته اجتياز السنة الثانية من هذه المجلة بمعاضدة أولي الفضل من ارباب الحكومة واعضاء المجمع وغيرهم في الشرق والغرب فاخترنا لها من المواضيع ما رأيناه جديراً بالنشر مقدمين احياناً الاهم على المهم منها وما تأخر نشره لانغفله ان شاء الله في السنة الثالثة التي ارصدنا لها من المواد ما رأيناه مفيداً مستمدين آراء الاعضاء الذين يحضرون جلساتنا العامة بالذات والذين يراسلوننا بآرائهم الصائبة آملين ان نسير على النهج السوي مستصبحين بافكارهم النيرة شاكرين لمن وازرونا ممن اشرنا اليهم في تضاعيف هذا المجلد الثاني والله المسؤول ان يسدد خطواتنا إلى سواء السبيل بمنه وكرمه .

اعتذار

لأسباب ملجئة تأخر صدور هذا الجزء إلى اليوم فنرجو المعذرة

الفهرس الأول العام للمجلد الثاني من المجلة

« مرتب على حروف المعجم »

★ ★ ★

الفهرس الثاني للاعلام من كتبة المقالات والمراسلين
على حروف المعجم بحسب الاسرة غالباً